

# أضواء على الصحيحين

## الشيخ محمد صادق النجمي

[١]

أضواء على الصحيحين تأليف: حجة الاسلام والمسلمين الشيخ محمد صادق النجمي ترجمة الشيخ يحيى كمالي البحراني مؤسسة المعارف الاسلامية

[٢]

أضواء على الصحيحين. تأليف: محمد صادق النجمي. ترجمة: يحيى كمالي البحراني. الناشر: مؤسسة المعارف الاسلامية. الطبعة: الاولى ١٤١٩ هـ. ق. المطبعة: پاسدار اسلام. الكمية: ٢٠٠٠ نسخة. شابك: ٨ - ٣٩ - ٦٢٨٩ - ٦٢٨٩ - ٨ ٩٦٤ - ٢٩ - ٦٢٨٩ - ٩٦٤... ISBN كافة الحقوق محفوظة ومسجلة لمؤسسة المعارف الاسلامية ايران - قم ص. ب ٧٦٨ - تلفون ٧٣٢٠٠٩

[٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

[٤]

كلمة الناشر لقد منيت السنة النبوية الشريفة منذ بدء تاريخ الاسلام بالمنع والتحريف والوضع والدس، بل كان الوضع مما منيت به في عهد الرسالة، ولقد ورد عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): (لقد كثرت القالة علي...). ومما زاد الوضع أزمة منع تدوين الحديث زهاء قرن أو أكثر. ومن هنا فقد حاول جمع كثير من المؤلفين تنقيح الحديث من الموضوعات والمدسوسات، وممن ادعى ذلك البخاري ومسلم، وقد سمي كتاباهما بالصحيحين، وحظي الكتابان بالقبول من عامة علماء أهل السنة وعامتهم حتى عدا تلو القرآن العظيم، ولم يجترئ أحد على رمي حديث مما ورد فيهما بالضعف، ولكن حدثت أخيرا محاولات لتحطيم هذه الاسطورة فكتب في ذلك المؤلفات ونشرت المقالات في الصحف والمنشور لأثبات ان ما كل ما في البخاري ومسلم صحيح. ومما كتب في هذا المضمون كتاب أضواء على الصحيحين الذي ألف أصله باللغة الفارسية العلامة البيحاة الفذ الشيخ محمد صادق النجمي حفظه الله، وقد بحث فيه عن موارد التناقض وما لا يمكن قبوله من أحاديثهما لمخالفته الكتاب أو السنة القطعية أو العقل القطعي. وهو كتاب جليل في موضوعه، وترجمه صاحب الفضيلة الشيخ يحيى كمالي البحراني. ومؤسسة المعارف الاسلامية إذ تنشر هذا السفر الجليل تشكر المؤلف والمترجم وتتمنى لهما دوام التوفيق والعز والتأييد. كما تشكر المؤسسة الاخوة الذين ساهموا في انجاز هذا الكتاب وتخص بالذكر الأفاضل: محمود البدري وفارس حسون كريم لما بذلاه من جهد في إصدار

الكتاب. والحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة على رسوله والأئمة الميامين من آله.

[٣]

المقدمة بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلاته وسلامه على خاتم رسله وعلى آله الطاهرين. وبعد: فإن كل متتبع يعلم ضرورة أن من الطاف الله جل شأنه على البشرية أن أرسل إليهم الأنبياء والمرسلين هداة للناس، وخص هذه الأمة المرحومة بأشرف أنبيائه وخاتم سفرائه سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله)، إذ أرسله برسالة خالدة وكتاب مجيد فيه تبيان كل شئ، فمن تمسك به هدى ومن ضل عنه غوى وهوى. ولما كان هذا الكتاب المعجزة النبوية الخالدة يحتوي على الكليات والعمومات والاطلاقات والمحكمات والمتشابهات ما لا يفهمه ولا يدرك مغزاه إلا النبي (صلى الله عليه وآله) ومن غره النبي بالعلم غرا وعنده علم الكتاب، فقام النبي (صلى الله عليه وآله) بتفسيره وبيانه وتخصيص عموماته وتقييد محكماته عملاً وقولاً. فكان عمل النبي وقوله وتقريره - السنة النبوية - ركيزة ودعامة ثانية اعتمد عليها المسلمون في فهم دينهم، ومعرفة الاسلام الذي أتى به النبي (صلى الله عليه وآله). وعندما افتقرت الأمة علنا بعد النبي (صلى الله عليه وآله) كما كانوا فئات مختلفة في حياته رأى زعماء كل فرقة أهمية الحديث النبوي ودوره في استمرارية الدين وديمومته ومكانته الاجتماعية والثقافية والتوعوية، فمنهم من أخطر التحديث عن النبي رواية وكتابة حتى آل الأمر إلى ضرب رواة الحديث وإقصائهم ومنعوا تدوينه، ومنهم من أكد على ضرورة روايته وكتابته، واعتبر أن أقوال النبي (صلى الله عليه وآله) كالقرآن، وأنه قال: إنما أوتيت القرآن ومثله

[٤]

معه، وأقواله بل أعماله وتقريراته كلها مبتنية على أساس الوحي الألهي (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (١). وبعد فتور زمني طويل يزيد على قرن واحد أحس بعض أتباع المانعين من التدوين والرواية بضرورة حفظ سنة النبي (صلى الله عليه وآله) القولية والعملية، فامروا شيعتهم بذلك فظهرت من بعد هذا الأمر الخليفة مدونات ومصنفات صغيرة وكبيرة ملأت الدنيا ودورها، فيها مرويات وأحاديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه رواها الناس على فئاتهم. ولما كانت الغايات في رواية أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) مختلفة سطع نجم هوى الخليفة وكسب عطاياه في صدارة الغايات بعد أن أفلت الغايات الأخرى وخاصة الخالصة لوجه الله عز وجل، فظهر المكذوبون والمزورون والمدلسون والوضاعون ولبسوا لباس رواية الحديث والمحدث والمفسر وغيرهم، ودونت كلمات في الكتب والمجاميع والسنن مما أتعبت فيما بعد علماء الرجال والتراجم وأئمة الحديث. ومن المدونات التي فاق صيتها واسمها الافاق، ونالت من المديح والاطراء الكثير: الجامع الصحيح لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخاري ١٩٤ - ٢٥٦ هـ، والجامع الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ٢٠٦ - ٢٦١ هـ. وقد اعتبر علماء أهل السنة هذين الكتابين أصح الكتب وأتقنها وأصبتها بعد القرآن، واعتمدا عليهما تمام الاعتماد، واهتموا بهما غاية الاهتمام، حتى غالوا في إطرانهم عليهما وصححو جميع ما ورد فيهما. والبعض أنزل صحيح البخاري منزلة العصمة، كالقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا يجوز نفيه متناً وسنناً. فأما المتن قالوا: انه خرج من شفاتي النبي. وأما سنده فقالوا: من أخرج له البخاري فقد جاز القنطرة.

ولكن بعض الحفاظ لما أمعنوا النظر ودققوا البصر في الصحيحين رأوا ما هو مبائن

(١) سورة النجم: ٣ و ٤.

[٩]

لهذه الاطراءات والمدائح، فكتبوا كتباً مستقلة أو ضمنا في النقد والرد على صحيح البخاري ومسلم، كالدارقطني (١) وابن حجر (٢) وغيرهما. وما أوحجنا نحن المسلمون في هذا العصر إلى الخروج عن الانطباع على حالة التعبدية والصنمية، والانفتاح الصحيح على القيم والموازين الدينية الأصيلة التي تسوقنا إلى معرفة السنة النبوية الصحيحة الصافية عن الترهات، والمهذبة من الشطحات، وتنقيحها حتى لا تتسنى الفرص لأعداء الدين الألداء بالنيل من الاسلام والرسول ورسالته. وهذا الكتاب على إجماله واختصاره قد تكفل مؤلفه العلامة الشيخ محمد صادق النجفي بيان نقاط الضعف والسقم في الصحيحين بأسلوب علمي مبسط، وقد حاولنا في تعريبه رعاية هذا الأسلوب المبسط ليقراه العالم وغيره. وأرجو من العلي القدير أن يكون هذا الكتاب نافذة تطل على تنقيح السنة النبوية الشريفة من أدران الوضاعين والكذابين. ولا يسعني هنا إلا أن أمد يد الشكر والامتنان إلى أخي وصديقي الاستاذ الفاضل السيد محمد جواد المهري الذي شوقني بأمره بترجمة الكتاب الذي بين يديك - عزيزي القارئ - وله الفضل والمنة، وإقدم كذلك فائق تقديري للاخوة المسؤولين في مؤسسة المعارف الاسلامية حيث كانوا هم المشوقين لي في هذا العمل المتواضع. وأخيرا إليك يا زهرة المصطفى، ويا بضعة النبي المجتبي، يا سيدتي يا فاطمة، يا ابنتها العزيزة، قد مسنا وأهلنا الضر وجئناك ببضاعة مزجاة فأوفي لنا الكيل من الولاية، وتصدقني علينا بالشفاعة، إن الله يجزي المتصدقين، واجعلي يا مولاتي سقاية ودك ومحبتك في رحل قلبي وفؤادي، ثم خذيني إليك عبدا قنا. وإليكم يا قادتي وأئمتي وشفعائي ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، بولاية أبيكم أمير المؤمنين وسيد الأوصياء، وصي رسول الله حقا، وخليفته

(١) الأزمات والتتبع. (٢) فتح الباري.

[١٠]

نصا، ووارثه وحيا، علي بن أبي طالب (عليه السلام) وولاية أبنائه الأحد عشر الأئمة الهداة المعصومين (عليهم السلام). وإليك يا سليل الأطهار، ووارث الأبرار، وصي الأوصياء، وصفى الأصفياء، فامع أهل الضلالة والعتاة المردة، ومنجي البشرية من برائن النفاق والكفرة، بقية الله الأعظم الحجة ابن الحسن روجي وأرواح العالمين له الفداء. اهدي إليكم جميعا هذا العمل المتواضع فتقبلوه مني بأحسن القبول. وأهدي أيضا إلى جدي المرحومين المغفورين الحاج زهير علي كماله والحاج غلام عباس درويش اللذين زرعا حب الولاء لعلي (عليه السلام) في قلوب أحفادهما فأسكنهما الله فسيح جنانه في زمرة أوليائه وبجوار النبي وآله. ومن الله سبحانه وتعالى استمد العون واسأله أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن يمن علي وعلى والدي بالمغفرة والرحمة وشفاعة محمد وآله

الطاهرين في يوم الدين. وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين يحيى  
كمالى البحرانى مولد الزهراء (عليها السلام) ٢٠ جمادى الثانية  
١٤١٩ هـ قم المقدسة

### [١١]

بسم الله الرحمن الرحيم تأمل في مجرى الحديث (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين) (١). (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (٢). (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (٣). توفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد ترك في أمته وأصحابه ثقلين كبيرين (٤)، وهما: القرآن والعترة، وأمرهم بالتمسك بهما ولا يتركوهما أبداً. فقد كان الرسول (صلى الله عليه وآله) قبل وفاته هو المتكفل لبيان الحقائق القرآنية، ونشر التعاليم الاسلامية بين امته من العقائد والأحكام على نحو الحديث، وقال (صلى الله عليه وآله) عن أهمية رواية الحديث ونقله: (نظر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وبلغها من لم يسمعها، فكم من حامل فقه إلى من هو أفقه منه) (٥).

(١) آل عمران: ١٤٤. (٢) الحشر: ٧. (٣) النجم: ٢. (٤) مسند أحمد ٣: ١٤ و ١٧ و ٢٦، وج ٥: ١٨٢، سنن الترمذي ٥: ٦٣١ كتاب المناقب باب (٣٢) باب مناقب أهل البيت (عليهم السلام) ح ٣٧٨٦ و ٣٧٨٨. (٥) سنن الترمذي ٥: ٣٣ كتاب العلم باب (٧) باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ح ٢٦٥٧ و ٢٦٥٨، بحار الأنوار ٢: ١٤٨ كتاب العلم باب (١٩) باب فضل كتابة الحديث وروايته ح ٢٣ وباب (٢١) باب آداب الرواية ح ٢٠ و ٢٤، وج ٢١: ١٢٨ كتاب تاريخ = (\*)

### [١٢]

وهنا يجدر بنا أن ننظر الى المجتمع الديني كيف واجه القرآن وعترة رسول الله بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) ؟ وماذا كان دور المجتمع في قبال أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ تراهم إنهم قد عزلوا أهل البيت (عليهم السلام) عن المجتمع، وفرضوا عليهم الإقامة الجبرية في الدار، وعاملوهم معاملة بحيث لا يمكن أن يحدها قلم وبيان (١)، وعندما فلقوا ونجحوا في مؤامراتهم من إقصاء حماة الدين الواقعيين عن المجتمع استطاعوا بعدها أن يفرقوا بين القرآن والأحاديث التي هي بمثابة تفسير للمفاهيم القرآنية ومن ثم فسروا القرآن وأولوه حسب ما اقتضته أهواؤهم وسياساتهم. ولما كانت أقوال رسول الله وسيرته التي تسمى بالسنة، سدا منيعاً أمام سياسة الخلفاء، وسلاحاً قوياً بأيدي مخالفين الخلفاء، ولهذا فلم يكن للخلفاء وأعدائهم سبيل سوى تجريد مخالفينهم من هذا السلاح. فأول عمل بدأ به الخليفة أبو بكر حاول أن يحتكر هذا السلاح في حياته، فجمع خمسمائة حديث من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودونها ولكن بعد برهة من الزمان علم أن هذا العمل لم يكن في صالحه لأن حصر هذا الأمر من المستحيلات، ولذلك صمم أن يحرق الأحاديث التي جمعها (٢). ولا شك أن من المستحيلات في ذلك العصر أن يتمكن الخليفة أبو بكر من أن يمنع

= نبينا (صلى الله عليه وآله) باب (٢٦)، باب فتح مكة ح ٣٣، وج ٢٧: ٦٧ كتاب الأمانة باب (٢) باب ما أمر به النبي (صلى الله عليه وآله) ٣ - ٦. (١) ولقد أجاد سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري في توصيفهما لأوضاع ذلك العصر، قال سلمان: أصبتم ذا السن منكم وأخطأتم أهل بيت نبيكم، لو جعلتموها فيهم ما اختلف عليكم اثنان

ولأكلتموها رغدا، شرح النهج ٢: ٤٩. وقال أبو ذر: فلو قدمتم من قدمه الله وأخرتم من أخره الله وجعلتم الأمامة في آل بيت نبيكم لأنزل الله عليكم نعمه، والآن... حيث عملتم هذا فذوقوا وباله (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) تاريخ البعقوبي ١: ١٢٠ عند ذكره ما نغم على أبي ذر. (٢) تذكرة الحفاظ ١: ٥.

### [١٣]

المسلمين من رواية الحديث وتدوينه، ويلزمهم رواية الأحاديث التي جمعها ودونها هو بنفسه فقط، ولهذا السبب اتخذ سياسة حظر نشر الأحاديث مطلقا لكي يخلي سواعد المسلمين من حملهم لهذا السلاح القوي - الحديث - فأعلن للمسلمين قائلًا: فلا تحدثوا عن رسول الله شيئًا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله (١). لأن القرآن على عكس أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)، يمكن تأويل آياته وتفسيرها حسب ما تقتضيه المصالح والأهواء (٢). عندما أدركت المنية أبا بكر أدلى بالخلافة إلى عمر (٣)، ولا يخفى إن أكثر المسلمين لما ابتعدوا عن التعايش مع أقوال النبي (صلى الله عليه وآله)، فقدوا وعيهم الديني، فانقادوا طائعين لأوامر الخليفة. وخطا عمر في خلافته نفس السياسة التي ساسها أبو بكر فمنع نقل الحديث بكل جهد، وأعلن مظهرًا بإعطاء الناس حريتهم وشاورهم في رواية حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتدوينه فأشاروا عليه بضرورة هذا الأمر، فاحتال بعد شهر واحد قضاه في التفكير في هذه المهمة، فظهر أنه قد حصل على النتيجة المطلوبة بزعمه، فجاء إلى الناس وأعلن قائلًا: إني كنت أردت أن أكتب السنن وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبًا فأكبوا عليها فتركوا كتاب الله تعالى، وإني والله لا أليس كتاب الله بشئ أبدا (٤). وتراه أنه عندما كان يبعث أحدا لمهمة ما، يأمره بأن لا يحدث الناس بأحاديث

(١) تذكرة الحفاظ ١: ٧. (٢) حيث إن للقرآن بطون ومعان متعددة، ولذلك يمكن لكل أحد أن يفسر الآيات حسب رأيه الذي يراه صوابًا. وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لابن عباس لما بعثه لاحتجاج علي الخوارج علي أحقية أمير المؤمنين (عليه السلام) ويتم عليهم الحجة لئلا يكون لهم حجة على الله: لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاجتهم بالسنة فإنهم لن يجدوا عنها محيصًا. وصية ٧٧ من نهج البلاغة. المعرب. (٣) قال علي (عليه السلام): حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى فلان بعده، نهج البلاغة: ٢. (٤) الطبقات الكبرى ٢: ٢٨٦، جامع بيان العلم وفضله ١: ٦٤ - ٦٥.

### [١٤]

رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى لا يصددهم بذلك عن القرآن، وإذا علم بأن أحدا منهم لم يتجاوب معه في هذا الأمر، يأمره بالشخص إلى المدينة ويفرض عليه الرقابة الشديدة (١). هذا بالإضافة إلى أنه أباد حرقًا بالنار جميع الأحاديث التي دونها هو والناس. وعندما توفي عمر والوضع ما زال على ما كان عليه من التحريم - نقلًا وتدوينًا -، وتولى الخلافة بعده عثمان بن عفان وذلك ضمن خطة مدروسة (٢). وفي عهد الخليفة عثمان اشتد الوطيس على الحديث، فلو كان الخليفة عمر يؤدي رواية حديث النبي (صلى الله عليه وآله) ويصيرهم تحت الرقابة الشديدة، ويحرق ما كتبه من الأحاديث، ولكن عثمان اتخذ أسلوبًا آخر للمنع من رواية أحاديث الرسول وتدوين سيرة النبي (صلى الله عليه وآله)، فإنه كان يعذب الرواة، ويقصدهم عن المدينة، كما حصل ذلك لأبي ذر الغفاري، حيث إنه أقصي من المدينة إلى الشام، ثم إلى المدينة ثانياً، ثم إلى صحراء ريدة، فمات هذا الصحابي الجليل في تلك البقعة الحارقة غربًا وهكذا عاش وحيدًا. وكذلك ضرب عثمان عمار بن ياسر صحابي

رسول الله حتى وقع على الأرض مغشياً عليه (٣). وهكذا عاش أصحاب رسول الله والتابعين المخلصين خمسة وعشرين سنة تحت وطأة ضغوطات الخلفاء حتى ثارت ثائرتهم ونهضوا جميعهم وأطاحوا بعثمان وقتلوه، وبعد ذلك أجبروا الأمام علي (عليه السلام) على القيام بالأمر واصرروا عليه بقبول الخلافة. فلما نهض الأمام علي (عليه السلام) بالأمر كان المسلمون قد أنسوا سيرة الخلفاء وذابوا فيها مدة ربع قرن. ويصف الأمام علي (عليه السلام) الظروف التي عاشها فيقول: (٤)

(١) راجع كتابنا من تاريخ الحديث، تجد ما فيه الكفاية. (٢) قال علي (عليه السلام) قصيرها في حوزة خشناء، نهج البلاغة: ٣ الخطبة الشفشفقية. وراجع كتاب عبد الله بن سبأ ١: ١٤٢ - ١٥١ تجد فيه الكفاية. (٣) انساب الاشراف ٥: ٤٩. (٤) راجع كتابنا أحاديث أم المؤمنين باب على عهد الصهرين: ١١٥.

### [١٥]

قد عملت الولاة قبلي أعمالا خالفوا فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) متعمدين لخلافه، ناقضين لعهد، مغيرين لسنته، ولو حملت الناس على تركها وحولتها إلى مواضعها وإلى ما كانت في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) لتفرق عني جندي حتى أبقى وحدي أو قليل من شيعتي الذين عرفوا فضلي وفرض إمامتي من كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله). أرايتم لو أمرت بمقام إبراهيم (عليه السلام) فرددته إلى الموضع الذي وضعه فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) (١)، ورددت فدك إلى ورثة فاطمة (عليها السلام)، ورددت صاع رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما كان، وأمضيت قطائع أقطعها رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأقوام لم تمض لهم ولم تنفذ، ورددت دار جعفر إلى ورثته وهدمتها من المسجد، ورددت قضايا من الجور قضي بها، ونزعت نساء تحت رجال بغير حق فرددتهن إلى أزواجهن واستقبلت بهن الحكم في الفروج والأحكام، وسبيت ذراري بني تغلب، ورددت ما قسم من أرض خيبر، ومحوت دواوين العطايا، وأعطيت كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعطي بالسوية ولم أجعلها دولة بين الأغنياء (٢) وألقيت المساحة (٣)، وسويت بين المناكح (٤)، وأنفذت خمس الرسول كما أنزل الله عز وجل

(١) اخرج ابن سعد في طبقاته ٣: ٢٠٤ ترجمة عمر، والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ٥٢، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٢: ٧٥ في أحوال عمر، والدميري في حياة الحيوان: مادة الديك وقالوا: إن عمر أقر مقام إبراهيم (عليه السلام) عما كان عليه في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) لأن المقام في عهد إبراهيم واسماعيل (عليهما السلام) كان ملصقا بالبيت فأخره العرب في الجاهلية فلما بعث النبي (صلى الله عليه وآله) الصقه مرة أخرى، وهكذا كان في عهد أبي بكر ولما ولي عمر أخره ووضع حيث أخره العرب وهو باق إلى هذا اليوم. المعرب. (٢) ابتدع عمر بن الخطاب النظام الطبقي في تقسيم الأموال، حيث دون الدواوين وسجل أسماء المسلمين فيها فأعطى بعضهم خمسة آلاف درهم سنويا، وأعطى آخرين أربعة آلاف، وفئة ثالثة ثلاثة آلاف، وخمسمائة لفئة رابعة، ومائتين درهم لآخرين، وهكذا أوجد الفئة الأرستقراطية والرأسمالية. (٣) جعل عمر بن الخطاب خراج العراق حسب قوانين الإمبراطورية الفارسية، وخراج مصر حسب قوانين الإمبراطورية الرومية. (٤) منع عمر نكاح غير العرب بالعربيات.

### [١٦]

وفرضه (١)، ورددت مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى ما كان عليه (٢)، وسددت ما فتح فيه من الأبواب وفتحت ما سد منه، وحرمت المسح على الخفين (٣)، وحددت على النبيذ (٤)، وأمرت بإحلال المتعتين (٥)، وأمرت بالتكبير على الجناز خمس تكبيرات (٦)، وألزمت الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم (٧)، وأخرجت من ادخل مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مسجده ممن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أخرجه، وأدخلت من اخرج بعد رسول الله ممن كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أدخله، وحملت الناس على حكم القرآن وعلى الطلاق على السنة (٨)، وأخذت الصدقات على أصنافها وحدودها، ورددت الوضوء والغسل والصلاة إلى مواقيتها وشرائعها ومواضعها، ورددت أهل نجران إلى مواضعهم، ورددت سبايا فارس وسائر

(١) أسقط الخلفاء بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) سهم ذوي القربى من الخمس. (٢) قال ابن أبي الحديد: ان عمر أول... وهو الذي هدم مسجد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وزاد فيه وأدخل دار العباس فيما زاد. شرح النهج ١٢: ٧٥. (٣) الخف: حذاء يصنع من جلد الحيوان، وأهل السنة باتباعهم لأسلافهم يغسلون أرجلهم حين الوضوء إن كان حافيا وإن كان الخف في أرجلهم فيجوزون المسح عليه. (٤) النبيذ: مسكر، ويؤخذ في الأغلب من التمر. (٥) حرم الخليفة عمر المتعتين: متعة الحج، ومتعة النساء. فأما متعة الحج فكان الحجاج يؤدونها بعد أدائهم العمرة والحل من الأحرام، ومن ثم يحرمون ثانية للحج، وقد فرض الإسلام هذا النوع من النسك، ولكن الخليفة أمر بأن لا يلحوا بالأحرام بعد العمرة حتى ينهوا مناسكهم. وأما متعة النساء فهي النكاح المنقطع، وقد أباح الإسلام هذا النكاح، وهو من المسلمات الإسلامية ينص من القرآن والأحاديث المروية عند أهل السنة. وسوف يأتي تفصيل هذه المسألة في ضمن الكتاب ص ٣٩٦ - ٤١٨. (٦) تكبيرات صلاة الميت عند أهل السنة أربع تكبيرات استنادا إلى رواية أبي هريرة، بداية المجتهد ١: ٢٤٠. (٧) بعض الفرق من أهل السنة أسقطت البسملة من الحمد والسورة في الصلاة، والظاهر أنهم في هذه المسألة اتبعوا معاوية وأهل الشام. راجع تفسير الكشاف ١: ١ تفسير سورة الحمد. (٨) أباح أهل السنة التطبيقات الثلاث في مجلس واحد من دون حضور شاهد عادل عند الطلاق. راجع بداية المجتهد ٢: ٦٦.

## [١٧]

الامم إلى كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) (١)، إذا لتفرقوا عني، والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة، وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام. غيرت سنة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعا! ولقد خفت أن يثوروا في ناحية جانب عسكري، ما لقيت من هذه الامة من الفرقة وطاعة أئمة الضلال والدعاة إلى النار! (٢). فقد وصف الأمام برامجه العملية بأنه يسير بسيرة النبي (صلى الله عليه وآله) ولا يعمل بما اتاه الخلفاء، خاصة بالنسبة إلى مسألة رواية الحديث، وعمل جاهدا ومتوصلا لمجوما ابتدعه الخلفاء (٣). ولما رأت قريش نهج الأمام علي (عليه السلام) في العمل بأنه مضاد لمصالحها الدنيوية أعلنوا مخالفتهم له (عليه السلام)، وأشعلوا ضده حرب الجمل وصفين اللتين راحت ضحيتها دماء كثيرة حتى وقع هو أيضا شهيدا وهو في المحراب يصلي، وكان ذلك بعد أربع سنوات وأشهر من خلافته (عليه السلام). وبعد ذلك استولى معاوية - الذي عرف بعدائه لله ورسوله (صلى الله عليه وآله) - بشتى أنواع الحيل والخداع على اريكة الحكم، وتراه يكشف في حواراه مع المغيرة بن شعبة ويبين عن سياسته الأصلية (فقال له المغيرة: إنك قد بلغت سنا يا أمير المؤمنين! فلو أظهرت عدلا

(١) أمر الخليفة عمر أن يطلقوا سراح جميع الأسرى العرب، وأما أسرى الفرس فممنعهم حتى من دخول المدينة، ومن بدعه ومخالفته لحكم رسول الله (صلى الله

عليه وآله) أن منع الأثر لمن يولد من غير العربية أو ولد في بلد غير عربي. راجع الموطأ لمالك بن أنس ٢: ٥٢٠ باب (١٢) ميراث أهل الملل ح ١٤. (٢) روضة الكافي ٨: ٦١ - ٦٣ لقد قرأت - ابها القارئ - خطبة الامام علي (عليه السلام) وشاهدت فيها كيف كان الامام علي (عليه السلام) يتأسف على ما أحدثوه وابتدعوه، فتأمل فيها جيدا. (٣) وكان من أعماله (عليه السلام) أن نحى القصاصين الذين فتح لهم عمر وعثمان المجال لأن يقصوا خزعبلاتهم على الناس في أيام الجمعة وفي مساجد المسلمين، وكذا أباح للناس أن يحدثوا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أن منعهم الخلفاء من ذلك، وهكذا سعى جاهدا في دفن البدع التي أوجدها الخلفاء. راجع كتابنا من تاريخ الحديث ترى فيه الخير الكافي. (\*)

## [١٨]

وبسطت خيرا فإنك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه. فقال لي: هيهات هيهات ! ملك أخوتيم فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما عدا أن هلك، فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: أبو بكر. ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلا أن يقول قائل: عمر، ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه فعمل ما عمل وعمل به، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره - وذكر ما فعل به - وأن أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرات أشهد أن محمدا رسول الله فأبي عمل يبقى مع هذا ؟ لا أم لك والله إلا دفنا دفنا (١). وهكذا جمع معاوية جميع قواه لأبادة شخصية النبي وآله (عليهم السلام) ومحو سيرته، فأسس جهازا اعلاميا لوضع الحديث، واستعمل لهذا الهدف بعض الصحابة نحو: أبا هريرة الذي روي أكثر من خمسة الاف وثلاثمائة حديث ملفق على النبي (صلى الله عليه وآله)، وعبد الله بن عمر الراوي لما يزيد على ألفي رواية، وهكذا أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر وأنس بن مالك اللذين حدث كل منهما بأكثر من ألفي وثلاثمائة حديث مفتر على رسول الله (صلى الله عليه وآله) (٢). فقد كان هؤلاء وأعوانهم يتسابقون فيما بينهم في وضع الحديث طمعا في رضا الحكام، فوضعوا أحاديث - لا يعلم عددها إلا الله - ونسبوها الى الرسول (صلى الله عليه وآله) حتى أن

(١) مروج الذهب ٤: ٤١ حوادث سنة ٦١٢ نقلناه باختصار. أقول: ورواه ابن أبي الحديد في شرح النهج وفيه: (إن ابن أبي كبشة) بدلا عن (أخا هاشم)، حيث كان المشركون ينسبون النبي (صلى الله عليه وآله) الى أبي كبشة، وهو رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الأوثان، فلما خالفهم النبي (صلى الله عليه وآله) في عبادة الأوثان أيضا شبهوه به، وقيل: إنه كان جد النبي (صلى الله عليه وآله) من قبل امه فارادوا أنه نزع في الشبه إليه. وقال ابن أبي الحديد المعتزلي بعد نقله قصة معاوية وحواره مع المغيرة: وقد طعن كثير من أصحابنا في دين معاوية، ولم يقتصروا على تفسيره، وقالوا عنه انه كان ملحدا لا يعتقد النبوة، ونقلوا عنه في فلتات كلامه وسقطات ألفاظه ما يدل على ذلك. راجع النهاية لابن الأثير ٤: ١٤٤ وشرح نهج البلاغة ٥: ١٢٩. المغرب. (٢) راجع كتابنا أحاديث أم المؤمنين عائشة: ٢٨٩.

## [١٩]

مسخ كل ما يتعلق بالأسلام الحقيقي، ولبس الدين لبس الفرو مقلوبا، ومن ثم احتل الأسلام المزيف والممسوخ الملبى لهوى الخلفاء سدة الحكم بدلا عن الأسلام المحمدي الحقيقي. ولم يقبل الخلفاء بعد ذلك دينا سوى هذا الأسلام المقلوب والمزيف الذي بني صرحه في عهد معاوية وعرف فيما بعد وإلى عصرنا هذا بالأسلام الحقيقي، بحيث لو أن أحدا أراد اليوم أن يقوم بتبيين الأسلام الحقيقي الذي جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) لم يتقبلوه، وذلك لأنهم اعتادوا الدين الخليفي الذي ابتدعه معاوية، وفهموا الدين من خلال كتب تتضمن أحاديث دست على الرسول. فالتوحيد الأسلامي



عندهم مثلا هو ما عرفوه من خلال هذا الحديث الذي وضعه أبو هريرة: (أن اناسا قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحب؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحب؟ قالوا: لا. قال: فإنكم ترونه، كذلك يحشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبّع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه. فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه) (١). وكما تلاحظ - أيها القارئ - أن في هذا الحديث ما يقوض أساس التوحيد والمعاد الصحيح النابع من منظار الإسلام الحقيقي، وتراهم يروون أحاديث أخرى

(١) صحيح البخاري ١: ٢٠٤ كتاب الصلاة باب فضل السجود، وج ٨: ١٤٦ كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنم، وج ٩: ١٥٦ كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء، صحيح مسلم ١: ١٦٣ كتاب الايمان باب (٨١) باب معرفة طريقة الرؤية ح ٢٩٩.

## [٢٠]

يخدشون بها شخصية النبي الكريم ويشوهونها، كما رووا عنه أنه قال (١): (اللهم إني اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فأیما مؤمن سببته أو جلدته فاجعل ذلك كفارة له). وفي رواية أخرى: أذيته... فاجعلها كفارة وقرية تقربه بها اليك، وفي أخرى: سببته أو شتمته أن يكون ذلك له زكاة وأجرا. ورووا أيضا أنه (صلى الله عليه وآله) قال لأناس يلقحون النخل: لو لم تفعلوا كان خيرا، فتركوه فنفضت أو فنقصت وخرج شيئا، فذكروا ذلك له فقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه فإنني إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذوني، أو قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم (٢). ورووا أيضا: قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة النجم، فلما بلغ هذا الموضوع: (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) (٣) القى الشيطان على لسانه تلك الغرائق العلى وأن شفاعتهن لترتجي. قالوا: ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد وسجدوا. ثم جاءه جبرئيل بعد ذلك. قال: أعرض علي ما جئتك به، فلما بلغ تلك الغرائق العلى وان شفاعتهن لترتجي. قال له جبرئيل: لم أتك بهذا، هذا من الشيطان، فأنزل الله: (وما

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٤: ٢٠٧ كتاب البر والصلة والاداب باب (٢٥) باب من لعنه النبي (صلى الله عليه وآله) أو سبه جعله الله له زكاة أو طهورا. وروى مسلم في هذا الباب عدة احاديث عن عائشة، وأبي هريرة وسائر الأصحاب وقال بعد ذلك: إن دعاء النبي (صلى الله عليه وآله) على معاوية بن أبي سفيان: (لا أشبع الله بطنه) فعلى هذا فإن جميع لعائن رسول الله (صلى الله عليه وآله) على بني أمية وغيرهم تكون زكاة وطهورا وبركة لهم. (٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤: ١٨٣٥ كتاب الفضائل باب (٢٨) باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره (صلى الله عليه وآله) من معاش الناس على سبيل الرأي ح ١٢٩. وقد روي هذا الحديث أيضا في العديد من كتب احاديثهم عن عائشة وأنس وغيرهما من الأصحاب، واستدل أهل السنة بذلك على جواز مخالفة الرسول (صلى الله عليه وآله) في الأمور الدنيوية، وبناء على هذا لا بد أن تعلم ما هي الأمور الدنيوية - عند هؤلاء القوم - التي تجوز مخالفتها (صلى الله عليه وآله) فيها، فهل مسألة الإمامة والخلافة منها؟ (٣) النجم: ١٩ - ٢٠.

## [٢١]

أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي (١). (٢) وردت هذه الأحاديث في كتب التفاسير المعروفة والمعتبرة عند أهل السنة، مثل: الطبري وابن كثير والسيوطي وسيد قطب، حيث رووا أحاديث موضوعة ومدسوسة على النبي (صلى الله عليه وآله) بشكل مكثف حتى غابت الصورة الواقعية لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وراء الحجب المكذوبة والمزورة (٣). وعلى العكس من هذا، تراهم قد زينوا صور امراء قريش وقادتهم وخلفائهم فوضعوا لهم فضائل مزيفة، واتهموا مخالفين هؤلاء بتهم مفتراة فوضعوا رجالا مثل: أبي ذر ومالك الأشتر وعمار بن ياسر وغيرهم بأنهم اناس لا علم لهم بالدين وأنهم مخدعون (٤). ولم يكتفوا بهذه فحسب، بل مدوا يد الزور والزيف الى التوحيد وصفات الباري، كيفية الحشر والقيامة، الثواب والعقاب، الجنة والنار، تاريخ الانبياء، بدء الخلق، الأحكام والعقائد الاسلامية، فاختلقوا لكل منها أحاديث مختلفة ومقتبسة من عقائد أهل الكتاب الخرافية وما صنعه ثقافتهم الجاهلية وعقولهم البالية وما هي من الدين بشئ. وقد كثرت هذه الأحاديث المزورة وتوسعت دائرة تناقلها حتى غطت الحقائق الدينية ومسختها وكانت نتيجتها أن ابتدع إسلام آخر صار المذهب القانوني لحكام بني امية وبني العباس حتى نهاية الخلافة العثمانية. وفي مقابل هؤلاء المزورين والمختلقين للأحاديث على مر التاريخ الاسلامي

(١) الحج: ٥٢. (٢) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤: ٣٦٦ - ٣٦٨ ذيل الآية ٥٢ من سورة الحج حيث انه أخرجه عن أربع عشر طريقا عن الصحابة. (٣) لا ريب أنه عندما تشيع مثل هذه الأحاديث في المجتمعات الاسلامية ينسد باب النقد والمؤاخذه، ولا يمكن لأحد أن ينتقد الخلفاء وحكام بني امية وبني العباس وغيرهم لأنهم كما يستفاد من هذه الأخبار أعلى رتبة وأجل منزلة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) !! (٤) راجع كتاب عبد الله بن سبا، فصل منشأ القصة: ٤٥.

## [٢٢]

صمد رجال مخلصون، جاهدوا لنشر السنة الحقيقية التي تبين أقوال النبي (صلى الله عليه وآله) وسيرة الرسول مع المسلمين حتى أن ضحوا بأنفسهم في هذا السبيل. ومن زعماء هذه الفئة الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري فإنه كان جالسا ذات يوم عند الجمرة الوسطى في منى فاجتمع حوله اناس مسلمون كثيرون يسألونه عن دينهم، وإذا بأحد مرتزقة بني أمية يشهد المنظر فتخلل الناس حتى وقف على أبي ذر فقال: ألم ينهك أمير المؤمنين عن الفتيا؟ فقال أبو ذر: أنت رقيب علي - ثم أشار الى حلقه - وقال: والله لو وضعت المصمامة على هذه علي أن أترك كلمة سمعتها من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لأنفذتها قبل أن يكون ذلك (١). ومن هذه الفئة أيضا رشيد الهجري، فانه لما تولى ابن زياد الكوفة قطع يده ورجله، فلما حمل إلى أهله عاده الناس وهم باكون، فقال لهم: أيها الناس، ائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم ما يكون الى يوم القيامة، فأخبر ابن زياد فأمر بقلع لسانه (٢). وعلى هذا النهج خطا ميثم التمار، فإنه لما تولى ابن زياد الكوفة ألقى القبض عليه فصلبه وقطع يده ورجله، فكان ينادي بأعلى صوته وهو مصلوب: أيها الناس من أراد أن يسمع الحديث المكنون عن علي بن أبي طالب؟ قال: فاجتمع الناس وأقبل يحدثهم بالعجائب، فأخبر ابن زياد بذلك، فأمر بقطع لسانه، وتشحط ميثم (رحمه الله) ساعة في دمه ثم مات (٣). وهكذا آل الأمر في ذلك العصر الى أن الخليفة أصبح ذا هيمنة كبيرة بحيث كان بإمكانه أن يحرم ما أحله الله ورسوله، ويحلل ما حرمه الله ورسوله، ويبتدع قوانينا

(١) سنن الدارمي ١: ١٤٦ باب (٤٦) باب البلاغ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتعليم السنن ج ٤، طبقات ابن سعد ج ٢: ٣٥٤. هذه الرواية ومثيلاتها هي مما تناولت إليها الأباذي الأئمة بالتقطيع والأسقاط. (٢) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) للشيخ الطوسي ١: ٢٩٠، ١٢١ ترجمة رشيد الهجري، بحار الأنوار ٤٢: ١٢٢ كتاب تاريخ أمير المؤمنين (عليه السلام) باب (١٢٢) باب أحوال رشيد الهجري ج ١، وج ٧٥: ٤٣٢ كتاب العشرة باب (٨٧) باب التقية والمداراة ج ٩٥. (٣) اختيار معرفة الرجال ١: ٢٩٨ ج ١٣٩ ترجمة ميثم التمار.

### [٢٣]

موازبة للفوائين الألهية، من حيث التطبيق. وليعلم أن هذا الوضع لم يدم أكثر من عهد عثمان حيث قامت الثورة الشعبية ونهض المسلمون ومحو الكثير من هذه البدع إلى أن آلت الخلافة إلى معاوية، فقام بتقويم ما محاه المسلمون وذلك بتكوين الأجهزة الإعلامية التي كان قوامها وضاع الأحاديث (١). ولكن شهادة الأمام الحسين (عليه السلام) حطمت هذه الخطط وهدمت ما بنوه حتى فقد نظام الخلافة مكانته التي كان يمتاز بها الخلفاء، فالبدع والتعاليم المزورة التي أوجدت الأنفصال بين الأسلام المتداول عندهم والأسلام الحقيقي قد توقفت، ولم يتمكن الخلفاء بعد شهادة الأمام الحسين (عليه السلام) أن يختلقوا بدعا جديدة كما كان في السابق (٢). وأثمرت شهادة الأمام الحسين (عليه السلام) أثرا اخرًا وهو أن السجن والتعذيب والفتك بمبلغى الأسلام الواقعي ورواة الأحاديث قد تضاءلت، لأن الحكام آنذاك لم يتمكنوا من التنكيل والزجر كما كان دأب أسلافهم السابقين، وهكذا استطاع الرواة بعد جهاد طويل أن ينشروا بين المسلمين أحاديث صحيحة وموثقة غير تلك الأحاديث الموضوعية التي اختلقها أعوان الخلفاء، وفي مطلع القرن الثاني من الهجرة انتهت فترة الحظر عن رواية الحديث التي دامت مائة عام، وذلك عندما تولى عمر بن عبد العزيز، فأمر أتباع الأسلام الخليلفي أن يدونوا أحاديث رسول الله. فدونت عشرات الكتب في سيرة الرسول والصحابة ومن بين الاف

(١) نحو: أم المؤمنين عائشة، أبي هريرة، أنس بن مالك، عبد الله بن عمر، عبد الله بن عمرو بن العاص، مغيرة بن شعبة، عمرو بن العاص، سمرة بن جندب، وأقرأ الشرح الكافي في هذا الموضوع في كتاب أحاديث أم المؤمنين وكتاب من تاريخ الحديث للعلامة السيد مرتضى العسكري، كتاب أبو هريرة للعلامة شرف الدين، وكتاب أبو هريرة شيخ المضيرة وكتاب أضواء على السنة المحمدية للعلامة أبو رية. (٢) منها ما أمر به عبد الملك بن مروان الناس أن يحجوا الى بيت المقدس بدلا عن الكعبة وطوفوا حوله. ولكن هذه البدعة ما دامت أن دفتت. تاريخ يعقوبي ٢: ٣٦١.

### [٢٤]

الأحاديث المروية والمدونة في هذه الكتب رويت أيضا أحاديث صحيحة ولكنها قليلة جدا رواها المخلصون عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وحتى هذه الأحاديث اليسيرة الصحيحة كانت تزجج اولئك العلماء التابعين للخلفاء، ولكي يخرجوا أنفسهم من هذه الورطة ويحيلوا عن نشرها اتخذوا قرارين من جهتين: أولا: من جهة علم الرجال والدراية فإنهم جرحوا كل شيعي ومحب لعلى (عليه السلام) بالضعف. ثانيا: من جهة علم الرواية والحديث فدونوا كتبًا وأسقطوا منها هذا النوع من الأحاديث وكذا الأحاديث التي تسم بشخصية الحكام والخلفاء بعد الرسول. فسموا هذه الكتب المدونة على هذا الشكل والاسلوب بالصحيح، حتى بلغ عددها سنة، وكان حظ صحيح البخاري من حيث الاعتبار والوثوق أكثر من سائر الصحاح، لأن البخاري كان أكثر اعتقادًا وتمسكا بالأصليين المذكورين، ولذا تراه يروي عن الخوارج، مثل: عمران بن حطان، ويدع رواية الأمام جعفر بن

محمد الصادق (عليه السلام)، وكذلك تراه يقطع وينقص الأحاديث التي تمس بكرامة الخلفاء، وعلى هذا الأساس نرى أتباع إسلام الخلفاء يعتقدون بأن صحيح البخاري أصح كتاب بعد القرآن. ومن بين كتب التاريخ والسير فهم يعتبرون تاريخ الطبري هو أثبت وأصح ما كتب في التاريخ، لأن الطبري انتهج في أسلوبه ما انتجه البخاري من حيث التزامه بالأصلين المذكورين، فهو يتربح بأن لا يروي حديثاً فيه ما يخدم هوية هذه الفئة من الصحابة الموثوقين عندهم، ويروي كل حديث مزور ليبرر المواقف الظالمة لبعض الصحابة والخلفاء. ومن هذا المنطلق ترى الطبري يروي مئات الأحاديث التي دستها أيادي الزنادقة بحيث إنه أثبت القضايا والحوادث الواقعة في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) والخلفاء الأوائل مقلوبة ومعكوسة. ولما كان الطبري ملتزماً ومقيداً للحفاظ على مصالح الخلفاء والصحابة الموثوقين عندهم حاز من العظمة والاحترام حتى سموه إمام المؤرخين، وإن الذين جاؤا

### [٢٥]

من بعده كابن أثير وابن كثير وابن خلدون اقتبسوا ما كتبه في كتبهم من كتاب الطبري (١). واتخذ شيعة إسلام الخلفاء - منذ القرن الرابع من الهجرة اقتداءً بعلمائهم - هذه الكتب الحديثية الستة مصدراً ومرجعاً ونشروها، ومن كتب التاريخ اعتمدوا فقط على تاريخ الطبري ومن سلك دربه، وكانت نتيجة هذا الاعتماد على هذه الكتب أن نسيت مئات الكتب التي دونت في الحديث والتفسير والتاريخ غير التي ذكرناها (٢)، ومن هذا المنطلق أيضاً تلاحظ أنهم أغلقوا على أنفسهم على الآخرين باب البحث والتحقيق في معرفة الأسلام الحقيقي الذي جاء به النبي (صلى الله عليه وآله) إلى البشرية كافة. وأما الأجيال التي تلت القرن الرابع الهجري وإلى عصرنا هذا - سوى شيعة أهل البيت (عليهم السلام) - فقد اكتفوا بالتقليد الأعمى لاولئك حتى أن اعتبر الدين الذي اختلقته الأيدي الأجيال والوضاعة للحديث هو الأسلام الواقعي، الحق أن هذه الأحاديث المتعلقة حول العقائد والأحكام وغيرها هي السد المنيع لمعرفة الأسلام المحمدي وهداية الصالحين والمنحرفين. ولهذا ينبغي لعلماء الدين أن يبادروا في البحث والتحقيق عن الأسلام الواقعي الذي تمسك به أتباع مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، وقد حاورت الكثير من العلماء في العراق ومصر وسوريا ولبنان وإيران في بيان هذه الحقيقة، وأرجو من الذين هم حفظة الدين أي الحوزات العلمية أن يلتفتوا إلى هذا الأمر بالجد والمثابرة. وفي هذا المجال فاول ما أسعدني هو هذا الكتاب الذي كتبه العلامة الفاضل الشيخ محمد صادق النجفي - أحد علماء الحوزة العلمية في قم المقدسة - ولأسباب عديدة أرى من اللازم أن أقدر جهد مؤلفه الكريم من حيث: ١ - إن المؤلف في دراسته هذه قد أدى الدور اللازم في البحث والتحقيق في كتب

(١) عبد الله بن سبأ للعلامة العسكري ١: ٢٤، (٢) مثل أنساب الأشراف للبلاذري، وكتاب أخبار الزمان والأوسط للمسعودي.

### [٣١]

الحديث. ٢ - اختار المؤلف لدراسته من بين كتب الحديث كتابي صحيح البخاري وصحيح مسلم، اللذان هما أصح الكتب وأوثقها عند الأخوة أهل السنة. ٣ - إن المؤلف قد راعى في بحثه ودراسته آداب

البحث العلمي رعاية تامة وهذا ما وجدته أثناء تتبعي في مضامين الكتاب. ٤ - إنه كتب كتابه بالفارسية وبعبارة رشيقة سلسلة يفهمها عامة الناس. ٥ - إن المؤلف وإن كان يقطن قم المقدسة وهو أحد فضلاء حوزتها، وكان بعيدا عن معايشة أهل السنة ومحادثهم لكنه تصدى في دراسته لهذا الموضوع على الوجه السليم والاسلوب الصحيح. ورجاءنا من أهل العلم والفهم أن يقرأوا الكتاب بدقة حتى تتجلى لهم الحقائق أكثر فأكثر. أرجو من الله القدير أن يحفظ قوام الحوزة العلمية في قم المقدسة حتى ظهور صاحب العصر والزمان الحجة بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف وأن يوفق جميع العلماء والمحققين في شتى أبواب العلوم الإسلامية. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. مرتضى العسكري مساء الخميس ١١ / ٢ / ١٣٩٢ هـ. ق

[٢٧]

تمهيد لما رأيت مدى مقام صحيح البخاري وأهميته عند أهل السنة جذبني الشوق والولع في أن أراجع هذا الكتاب مراجعة دقيقة ومعقدة، ولشدة ما كنت أشعر به من العلاقة والشوق في هذا الموضوع أتممت مراجعة الصحيح في فترة قصيرة، (وكان ذلك عام ١٣٨٨ هـ)، فاخترت من بين أحاديثه خمسين حديثا في أربعة وثلاثين مسألة مختلفة ومشوقة، واستنسختها على شكل مذكرات. ومن ثم أصبح هذا العمل البسيط نافذة على برمجة مطالعاتي المستقبلية ووضع اللبنة الأولى في تأليف هذا الكتاب، وهكذا أثمرت بالنتيجة هذا الكتاب. ومن خلال هذه المراجعة الأولية وقعت حادثة غريبة وممتعة غيرت مسار أطروحتي الفكرية من أسفل إلى فوق وصيرت هذه المذكرات التي لم تتجاوز عدة وريقات دراسة متكاملة حتى صارت أضعافا مضاعفة. ففي شهر رجب من تلك السنة أي ١٣٨٨ هـ حلت العطلة الصيفية فرحلت الى موطني أذربيجان الإيرانية، فهناك حالفتي حظ كبير وموهبة كبيرة ونلت فخرا عظيما ونعمة موفورة، إذ تشرفت بلقاء العلامة المجاهد والمجتهد الأعظم الحجة المرجوم الشيخ الأمين صاحب كتاب الغدير - تغمده الله برحمته - حيث كان يعاني من الألم في رجله - فقدم الى تلك البلاد ليغنم جوها ومياهاها، فخدمته ما يقارب عشرين يوما وذلك لأنه سكن دارني. وإن كان عشرون يوما بالنسبة إلى عمر الإنسان شيئا قليلا إلا أن هذه الأيام

[٢٨]

بالنسبة لي هي من أسعد أيام عمري وأهمها وأثمنها، بحيث لا يمكن مقايستها بسنوات العمر. وفي تلك الأيام الخالدة والتي لا أنساها أبدا لازمت مجلس ذلك البحر الزاخر ومثال العلم والورع فلم أفارقه، وكم من مرة انفردت بمجالسته وحدي لساعات عديدة، ولم يكن في المجلس سوانا، وكنا نتحدث معا حول مواضيع مختلفة فاقطعت من بستان علمه وفضائله أزهارا، وشربت من نبع فقهه وخلقه أنهارا. أه... ما أحلى تلك الأيام المباركة؟ وما أسعد تلك الساعات الفياضة؟ ومن خلال مجالستي معه، قدمت له تلك المذكرات التي كتبتها قبل أشهر، فكانت هذه الوريقات قد أدخلت نوعا من الفرح والسرور في قلب ذلك العلم الذي يعد بحق بطل هذه الميادين العقائدية، والمنصور دائما في الحوارات والمناظرات. واعتقد أن هذه الوسيلة - أي البحث العلمي - هي أفضل الوسائل التي يمكن للمضيف أن يستضيف بها ضيفه الكريم ويجلب رضاه ويسكن فؤاده وخاصة إن كان مثل العلامة الأميني (قدس سره). وبعد أن قدمت له أطروحتي أخذ يحثني ويشوقني أكثر بعبارته الجذابة

وكلماته السحرية في مواصلة هذا السبيل، ويسهل لي الطريق الذي كنت أعتقد عسيرا وصعبا، وبين لي بأن مواصلة هذا الأمر فريضة واجبة لا يمكن تجاوزها أبدا. ولما عاد العلامة الى طهران زرته مرة أو مرتين لعيادته، ومع أنه كان يعاني من ألم رجله معاناة شديدة لكنه لم ينس الموضوع الذي بحثناه معا، فأخذ ثانية يشوقني أكثر ويرغبني أزيد في استدامة المنهج الذي اخترته. فرحمة الله عليه وجزاه الله عن الإسلام خيرا. ولكن بعد فترة وعلى أثر بعض الأعمال والمشاكل التي واجهتني توقفت عن العمل، ثم عدت كرة ثانية الى تلك الأوراق وتذكرت ناصح المرحوم العلامة الأميني

### [٢٩]

فواصلت تحقيقاتي وبحثي في صحيح البخاري بشكل أعمق حتى أضفت على ما كتبت في السابق مسائل أخرى. ومن خلال مراجعتي لصحيح البخاري قرأت سائر الصحاح والسنن قراءة متقنة، واستنتجت فيما بعد بأن صحيح مسلم هو الآخر مثل صحيح البخاري من حيث الأهمية والشأنية ومواز له في شتى جوانبه الرجالية والروائية. بل أن بعض علماء أهل السنة يقدم صحيح مسلم ويرجحه على صحيح البخاري، وإن احد علمائهم (١) جمع أحاديث الصحيحين في كتاب واحد وأسماه (الجمع بين الصحيحين)، وآخر (٢) جمع رجال الصحيحين في كتاب مستقل وعنوانه (الجمع بين رجال الصحيحين). ولهذا التقارن والتقارب بين الصحيحين بدأت بالتركيز والتدقيق أكثر من قبل على صحيح مسلم أيضا، فتجمعت عندي وريقات مترامية ومتشعبة لم تظهر بعد على نحو كتاب، وتأييدا لرأي لعلي أبيته كنت أستدل عليه بما ورد في المصادر الأخرى غير الصحيحين، وبناء على هذا تراكمت عندي مذكرات وقصاصات أكثر وهكذا تمت المرحلة الثانية من تأليف كتابي الذي كان للمرحوم العلامة الأميني حظا كبيرا في تدوينه. فما زلت أوأصل مطالعاتي في الصحيحين جاهدا، وأعتنم مهما أمكن كل كتاب أحتمل أنه سيكون مفيدا في تحقيقي حتى استوهبت فخرا آخرا وانفتحت أمامي نافذة أخرى نحو السعادة، وتشوقت أكثر لمواصلة البحث والتحقيق، وتلك الموهبة هي

(١) هو رضي الدين أبو الفضائل الحسن بن محمد الصاعاني ٥٧٧ - ٦٥٠ هـ، وقد رتب كتابه الجمع بين الصحيحين على أبواب وفصول النحو، فرتب على اثني عشر بابا يندرج تحت كل باب منها عدة فصول من فصول النحو وترتيبه وقد جمع فيه ٢٢٦٧ حديثا مما اتفق عليه البخاري ومسلم. المغرب. (٢) هو أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي المعروف بابن القيسراني الشيباني ٤٤٨ - ٥٠٧ هـ، وقد جمع فيه رجال الصحيحين، ورتبه على الترتيب الهجائي للحروف، وذكر فيه ما تفرد به كل من البخاري ومسلم من الرجال. المغرب.

### [٢٠]

زيارتي للعالم الجليل العلامة السيد مرتضى العسكري فتشرفت بلقائه في طهران. العلامة العسكري هو من العلماء العظام والأتقياء ومن مفاخر الشيعة ونجمه لامع في سماء البحث والتحقيق في عالم التشيع، وهو غني عن التعريف خاصة عند أهل العلم والمحققين، ولا يخفى على أحد ما يمتاز به هذا العالم النحرير، من الهمة العالية والابتكارات البديعة، وأنه قد انتهج سبيلا غاب عن علمائنا السلف أن يغتنموه، وجهد كثيرا في تبين حقائق التاريخ الإسلامي، ونشاطه مؤثر في هذا المجال (١). ومنذ تشرفي بزيارة سيادته تعرفت على أسامي الفضائل الخلقية والمعنوية التي كان

يتصف بها العلامة العسكري، هذا وعلاوة على ما استندت من نبعه العلمي الوافر وتطلعه الزائد، فقد تأثرت بهذه الشخصية العلمية والتقنية كثيرا بحيث تغيرت برامجي الفكرية والتحقيقية. ولما اطلع العلامة العسكري - بدوره كالعلامة الأميني - على تأملاتي ومطالعاتي ونظر في مذكراتي نظرة فاحص، أخذ في تشويقي وتشجيعي، فأبدى من الفرح والسرور والمدح والثناء على عملي بحيث لم أكن أتوقعه، ولم أر ذلك في شأني وشأن كتابي، ثم أمرني بالأسراع في طبعه ونشره. ومع أن العلامة العسكري كان كثير العمل في المجالات العلمية والبحوث التحقيقية، لكنه تفضل علي وراجع الكتاب وصححه وقدم لي إرشادات قيمة. وقدم لكتابي مقدمة غنية ومفيدة فشكر الله سعيه، ومتع الله المسلمين بطول بقائه. وهذا في الواقع يمثل المرحلة الثالثة وهو الدافع لتكميل دراستي وإتمام بحثي.

(١) ألف في هذا الميدان كتبا كثيرة، مثل: عبد الله بن سبأ، مائة وخمسون صحابي مخلوق، وأحاديث عائشة ام المؤمنين، فانه قد كشف الستار عن الصورة الحقيقية لعبد الله بن سبأ والأصحاب المختلفين ودور أحاديث عائشة، وأبرز الحقائق الدينية والتاريخية التي ظلت كامنة خلف الأستار منذ عهد الأسلام الأول، وبين في كتبه الصراط القويم والتحقيق والبحث السليم للأجيال الآتية.

#### [٢١]

والجدير بالذكر: أن ما زاد رغبتني وحثني أكثر على مواصلة هذا العمل بغض النظر عن تراكم المشاكل وعدم وجود الوسائل، هو عاملين أساسيين: الأول: الشعور بالمسؤولية القصوى والكبيرة وفهم الحقيقة، والواقع إننا اليوم مكلفون في حفظ العقائد والتعاليم الدينية والثبات أمام النشاط الواسع الذي تقوم به المذاهب المختلفة، وكذا إن هذا العمل هو تبليغ وخدمة للدين، بل هو واجب على كل واحد منا حسب ما أعطي من الاستعداد أن يشمر عن ساعديه ويسعى في إصلاح الجيل وتقديمه نحو الأمام، وذلك عن طريق التأليف والكتابة التوعوية. الثاني: ومن جهة أخرى أن الحس الذاتي والرغبة في الحصول على المواضيع المستجدة التي كنت أستقطبها خلال مطالعاتي زاد في رغبتني في التحقيق أكثر، بحيث إنني قرأت في مدة قصيرة مئات الكتب، وللحصول على كتاب واحد مما يتعلق بتألفي لعلني سافرت من مدينة إلى أخرى وتعرفت حينها على مكنتات عامة ودور نشر كثيرة. (وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه انيب) قم - محمد صادق النجومي ربيع الأول ١٣٩٢ هـ. ق

#### [٢٢]

الفصل الأول سير الحديث أهميته، وتدوينه

#### [٢٥]

حول الحديث ما هو الحديث ؟ الحديث لغة هو الشئ الجديد، ويطلق على مطلق القول والكلام (١)، وفي اصطلاح المحدثين عبارة عن أقوال المعصوم وأفعاله وتقديره. والمعصوم عند أهل السنة هو النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وعند الشيعة هم النبي والائمة من أهل بيته (عليهم السلام). قال ابن حجر: لما كان يطلق على القرآن الكريم في صدر الاسلام بالقديم، أطلق لفظ الحديث في مقابل ذلك

على كل ما نسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، وهذا التعبير جار إلى عصرنا (٢). نص الحديث: هو قول المعصوم وتقريره. السند: يطلق على سلسلة رواة الحديث الذين بلغنا الحديث عن طريقهم. السنة: هي في اللغة عبارة عن السيرة والطريقة المتبعة عند الناس، وفي الاصطلاح سنة

(١) لولا قومك حديثو عهد بالاسلام. حديث نبوي. (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا)، الكهف: ٦. (٢) هدى الساري مقدمة فتح الباري.

### [٣٦]

الرسول (صلى الله عليه وآله) هي مجموعة الأحكام والتعاليم العملية من العبادات وغيرها التي وردت بسند قطعي وصحيح (١). وللملازمة الموجودة بين السنة والحديث أطلق لفظ السنة على الحديث كذلك، واستعملت فيما بعد غالبا في هذا المورد. أهمية الحديث في الكتاب: الكتاب والسنة هما الدعامتان الأساسيتان لأحكام الدين والتعاليم الإسلامية (٢)، ولكن حاجة المسلمين إلى السنة بدت أكثر من حاجتهم إلى القرآن، لأن آيات الأحكام الواردة في القرآن معدودة ومحدودة، وقيل: إنها خمسمائة آية حسب المشهور، بحيث لا يمكن الاقتصار عليها، والاكتفاء بها دون السنة والحديث، وذلك لأن: أولا: هذه الآيات تحتوي على الأجمال والأطلاق، والسنة هي الكفيلة بتفسيرها وبيانها. ثانيا: إن هذا المقدار المحدود من الآيات لم يكن يفي ببيان جميع الأحكام والقوانين الدينية، وعلى هذا اجمع علماء الفريقين، بأن الحديث الصحيح الذي ثبت صدوره عن المعصوم (عليه السلام) بنحو القطع حجة على المسلمين، فهو كالقرآن من حيث حجته ولزوم اتباعه والأخذ به. وقد أشار القرآن الكريم ضمن آيات عديدة إلى هذه الحقيقة ونبه المسلمين على أهمية السنة والحديث. فقال تعالى: (ما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (٣).

(١) نهاية ابن الاثير، مادة حدث. بتصرف. (٢) اعتبرت الشيعة أن أحاديث الأئمة من آل الرسول (عليهم السلام)، والأجماع، ودليل العقل، من أدلة استنباط الأحكام الشرعية... (٣) الحشر: ٧.

### [٣٧]

وقرن طاعة الرسول (صلى الله عليه وآله) بطاعة الله عزوجل وفرضها على المسلمين (١)، واعتبر طاعته واتباعه (صلى الله عليه وآله) طاعة الله واتباعه (٢)، فنهاهم عن مخالفة أوامر الرسول (صلى الله عليه وآله) وأحكامه (٣)، واعتبر الانقياد والالتزام بأوامر الرسول (صلى الله عليه وآله) علامة الأيمان، ومعصيته ومخالفته دليل الضلالة والشقاء (٤). هذه نبذة من آيات الذكر الحكيم التي أوجبت على المسلمين طاعة النبي (صلى الله عليه وآله) والانقياد له، وتؤكد هذا الوجوب في القرآن بأساليب مختلفة وعبارات شتى، وأكدت أيضا أن الاستئذان والالتزام بالرسول (صلى الله عليه وآله) لا يتم إلا عن طريق العمل بأوامره والأخذ بأقواله. أهمية الحديث في السنة: وردت روايات جملة وأحاديث متواترة عن الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمة من أهل بيته (عليهم السلام) تؤكد أهمية الحديث من جهات مختلفة، تارة من حيث السنة نفسها. وتارة أخرى من جهة ضرورة حفظها وتدوينها وتبليغها إلى الآخرين (٥). قال



رسول الله (صلى الله عليه وآله) في خطبة حجة الوداع: (معاشر الناس، كل حلال وما يكون فيه سبب سعادتكم قد دلتكم عليه، أو حرام وما يكون فيه سبب شقاوتكم قد نهيتكم

(١) قوله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم) المائدة: ٩٢. (٢) قوله تعالى: (من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى... النساء: ٨٠. (٣) قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما... النساء: ٦٥. (٤) قوله تعالى: (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضللا بعيدا) الأحزاب: ٣٦. (٥) أصول الكافي ١: ٥١ كتاب فضل العلم باب (١٧) باب رواية الكتب والحديث وفضل الكتابة، وسائل الشيعة ١٨: ٥٢ كتاب القضاء باب (٨) من أبواب صفات القاضي، مجمع الزوائد ١: ١٧٣ كتاب العلم باب سماع الحديث وتبليغه، سنن ابن ماجه ١: ٨٤ المقدمة باب (١٨) باب من بلغ علما ح ٢٣٠ - ٢٣٦، جامع بيان العلم وفضله ١: ٢٨ باب دعاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمستمتع العلم وحافظه ومبلغه.

### [٢٨]

عنه، فإنني لم أرجع عن ذلك ولم أبدل (١). وفي مواقف عديدة حث النبي (صلى الله عليه وآله) حفاظ الحديث على حفظه ودعا لهم، فقال (صلى الله عليه وآله): (نظر الله عبدا سمع مقالتي فوعاها) (٢). ودعا لمن يروي الحديث عنه، فقال (صلى الله عليه وآله): (نظر الله عبدا سمع مقالتي فبلغها) (٣). وكم تكرر في أقواله (صلى الله عليه وآله) وخاصة في أواخر خطاباته، قوله: (فليبلغ الشاهد الغائب). هذه الكلمات توضح أهمية الحديث والسنة، وتوحي بأن الرسول (صلى الله عليه وآله) قد بين جميع الأحكام الدينية وجزئياتها من الحلال والحرام، وفرض تبليغ ذلك على جميع المسلمين، وخص بذلك المخاطبين والمشافهين منهم. ووصف مبلغه أحاديثه وروايتها بأنهم خلفاؤه (٤). الفرق بين الكتاب والسنة لا فرق بين القرآن والسنة من جهة صدورهما من منبع الوحي، وأنهما نوران انبثقا من نور واحد، إلا أنه يمكن حصر الفرق بينهما في الوجوه التالية: الأول: إن القرآن نزل معجزة يتحدى بخلاف السنة إذ أنها فاقدة لصفتي الأعجاز والتحدى. الثاني: إن ألفاظ القرآن الكريم كمعانيه نزلت من لدن الحكيم العليم، بينما السنة

(١) الاحتجاج للطبرسي ١: ٦٥ باب احتجاج النبي (صلى الله عليه وآله) يوم الغدير على الخلق كلهم... (٢ و ٣) سنن ابن ماجه ١: ٨٤ المقدمة باب (١٨) باب من بلغ علما ح ٢٣٠ - ٢٣٦، وج ٢: ١٠١٥ كتاب المناسك باب (٧٦) باب الخطبة يوم النحر ح ٢٠٥٦، سنن الترمذي ٥: ٢٣ كتاب العلم باب (٧) باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع ح ٢٦٥٦ - ٢٦٥٨. (٤) من لا يحضره الفقيه ٤: ٢٤٠ باب النوادر ح ٥٩١٩، صحيح البخاري ١: ٢٧ كتاب العلم باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب، جامع بيان العلم وفضله ١: ٢٨ باب دعاء الرسول (صلى الله عليه وآله) لمستمتع العلم.

### [٢٩]

بعكس ذلك إذ أن ألفاظها من الرسول (صلى الله عليه وآله) ولكنها تحمل معاني الوحي الألهي. الثالث: لا ريب في أن نزول القرآن من عند الله عزوجل قطعي، وأما صدور كل الأحاديث التي وردت في السنة عن الرسول (صلى الله عليه وآله) فظني وبصطلح عليه ظني الصدور. الرابع: إن القرآن غالبا ما يذكر الأحكام الكلية والتعاليم العامة بينما جزئياتها وفروعها ذكرتها السنة، وبتعبير آخر: إن الأحكام الواردة في القرآن هي كليات وجعل بيانها وشرحها من مهام الرسول (صلى الله عليه وآله) وذلك بإلهام من الوحي، قال تعالى: (وانزلنا إليك الذكر

لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون) (١). ومن ناحية أخرى إن القرآن فرض على المسلمين أن لا يفرقوا بين ما نزل في القرآن وبين ما جاء به الرسول (صلى الله عليه وآله) (٢)، وذلك لأن الرسول (صلى الله عليه وآله) كما أخبر عنه القرآن: (لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (٣). فعلى هذا فالسنة مبينة لمجملات القرآن، ومقيدة لأطلاقاته، ومخصصة لعموماته. ملخص القول: إن الأحاديث والسنة تبين ما لم يفصله القرآن، فمثلاً: جاء في القرآن وجوب إقامة الصلاة، ولكنه لم يفصل أركانها وعدد ركعاتها، بينما نلاحظ النبي (صلى الله عليه وآله) فصل جزئيات أحكام الصلاة بإقامته لها وتعليمها للناس (٤). وهكذا مسألة الحج، فقد ورد تشريعه في القرآن الكريم مؤكداً، وأما مناسكه وأحكامه الفرعية والجزئية فإنها لم تذكر فيه عدا القليل، بينما بين الرسول (صلى الله عليه وآله) تلك

(١) النحل: ٤٤. (٢) قوله تعالى: (وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) الحشر: ٧. (٣) النجم: ٣ - ٤. (٤) قال (صلى الله عليه وآله): (صلوا كما رأيتموني أصلي) - صحيح البخاري ١: ١٦٢ كتاب الصلاة باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة.

#### [٤٠]

المناسك للناس عند أدائه لها، فقال: خذوا عني مناسككم (١). وهكذا بالنسبة إلى الفرائض والأرث، فإن بعض أحكامها وأصولها مبينة في القرآن، وأما الجزئيات والفروع - نحو، حرمان القاتل من الأرث - فقد وردت في السنة (٢). وكذلك أحكام الزكاة والجهد وآلاف مثلها من الأحكام التي لم نجد إليها سبيلاً سوى عن طريق السنة.

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٥: ١٢٥ باب الايضاع في وادي محسر، وفي صحيح مسلم ٢: ٩٤٣ كتاب الحج باب (٥١) باب استحباب رمي الجمره.... ح ٣١٠ ورد: لتأخذوا مناسككم. (٢) سنن الترمذي ٤: ٢٧٠ كتاب الفرائض باب (١٧) ما جاء في إبطال ميراث القاتل ح ٣١٠٩.

#### [٤١]

تدوين السنة عند أهل السنة والشيعة التدوين عند الشيعة: طبقاً لما ورد في الأحاديث المروية في صحاح أهل السنة أنه لم يرد نهى عن كتابة الحديث في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) وأنها كانت أمراً متداولاً بين المسلمين، وإن المسلمين كانوا ينظرون إلى تدوين الحديث على أنه حاجة ماسة وضرورية، بل أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أكد مسألة الكتابة بوجه خاص، وحث على ذلك بعبارات مختلفة، وكان أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) كلا حسب ما أوتي من الفهم والاستعداد بدون ما كان يسمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن أولئك الذين دونوا الحديث على عهد النبي (صلى الله عليه وآله) أبو بكر (١). ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص الذي قال: (كنت أكتب كل شئ أسمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أريد حفظه، فنهتني قريش. وقالوا: تكتب كل شئ تسمعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) بشر يتكلم في الرضا والغضب!. قال: فأمسكت. فذكرت ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وآله). فقال (صلى الله عليه وآله): أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا حق... - وأشار بيده إلى فيه -) (٢). ولكن بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وقع الاختلاف بين الأصحاب، فمنهم من كان يصد عن

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ١: ٥٠. (٢) سنن أبي داود ٣: ٢١٨ كتاب العلم باب (٣) باب في كتابة العلم ح ٣٦٤٦، مستدرک الصحيحين ١: ١٠٤ و ١٠٦.

#### [٤٢]

التدوين، واعتبر ذلك أمراً غير شرعي، وأصر على رأيه هذا إصراراً كثيراً، مثل: أبو بكر، عمر بن الخطاب، ابن مسعود، أبو سعيد الخدري وغيرهم، وفي مقابلهم فئة كانت تلج وتحت على تدوين الحديث وتحبب ذلك، وكانوا يكتبون الحديث ويدونونه كما كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، مثل: أمير المؤمنين على (عليه السلام) وشيعته وبالأخص ابنه السبط الأكبر الإمام المجتبي (عليه السلام). وهذا الاختلاف في موضوع تدوين الحديث سبب انقسام المسلمين إلى فئتين متميزتين: مؤيدي التدوين (الإمام على (عليه السلام) وشيعته)، والصادين عن التدوين (أبو بكر وأتباعه). التدوين في عهد الإمام علي (عليه السلام): روى البخاري في صحيحه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: (لم يكن عندنا كتاب نقرأه إلا هذه الصحيفة - ثم أخرج صحيفة فيها أحكام الجراحات - الديات - وأسنان الأبل - المشروطة في صحة الزكاة - وأن المدينة حرم ما بين غير إلى ثور). وكذا أخرج عن الإمام علي (عليه السلام) أنه خطب على المنبر، فأخرج من قراب سيفه صحيفة فنشرها، ثم قرأ فيها بعض الأحكام (١). ونقل البخاري ومسلم في صحيحهما أحاديث كثيرة بمتون مختلفة وأسانيد متواترة حول صحيفة أمير المؤمنين (عليه السلام)، وذكرنا بعض الأحكام التي استخرجت من هذه

(١) صحيح البخاري ١: ٢٨ كتاب العلم باب كتابة العلم، ج ٣: ٢٥ كتاب الحج باب حرم المدينة، ج ٤: ١٢٢ باب ذمة المسلمين وص ١٢٤ باب من عاهد ثم غدر وص ١٨٣ باب فكاك الأسير، ج ٨: ١٩٢ كتاب الفرائض باب إثم من تبرأ من مواليه، ج ٩: ١١٩ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم وص ١٣ كتاب الديات باب العاقلة وص ١٦ باب لا يقتل المسلم بالكافر، صحيح مسلم ٢: ١١٤٧ كتاب العتق باب (٤) باب تحريم تولي العتق غير مواليه ج ٢٠، ج ٢: ١٥٦٧ كتاب الاضاحي باب (٨) باب تحريم الذبح لغير الله ح ٤٥، سنن النسائي ٨: ١٩ كتاب القسامة باب القود بين الأحرار والمماليك في النفس، وص ٣٣ باب سقوط القود من المسلم للكافر.

#### [٤٣]

الصحيفة أو الصحائف الأخرى له (عليه السلام) (١). وأما الأحكام التي يمكن استخراجها من هذه الصحائف طبقاً لما نقله البخاري ومسلم في صحيحهما وإن لم تكن كثيرة (٢) ولكن النعمان في نصوص الأحاديث يسوقنا إلى معرفة حقيقتين مهمتين: الأولى تعدد هذه الصحائف وكثرتها، والأخرى جامعيتها وشموليتها، كما اشير إلى تلك الشمولية في بعض الأحاديث بأن هذه الصحائف تتضمن جزئيات الأحكام وفروعها مثل أحكام الديات والقصاص وأسنان الأبل، وحتى حدود المدينة والجبال التي حولها، وبالالتفات إلى هذه النقاط تظهر لك جامعية تلك الصحائف. ولكن قال ابن حجر: وبالجمع بين هذه الأحاديث يتبين إن الصحيفة كانت واحدة، وكان جميع ذلك مكتوباً فيها، فنقل كل واحد من الرواة عنه ما حفظه (٣). الإمام الباقر (عليه السلام) والصحيفة العلوية: نقل النجاشي عن محمد بن عذافر الصيرفي أنه قال: كنت مع الحكم بن عتيبة (٤) - عيينة - عند أبي جعفر (عليه السلام) فجعل يسأله، وكان أبو جعفر (عليه السلام) له مكرماً (٥)، فاختلفا في شئ. فقال أبو جعفر (عليه السلام): قم يا بني، فأخرج كتاب علي (عليه السلام)، فأخرج كتاباً مدروجاً عظيماً

وفتحه وجعل ينظر، حتى أخرج المسألة. فقال أبو جعفر (عليه السلام): هذا خط علي (عليه السلام)، وإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأقبل على الحكم وقال: يا أبا محمد، اذهب أنت وسلمة وأبو المقدم حيث شئتم يمينا وشمالا، فوالله لا تجدون العلم أوثق منه عند قوم كان ينزل عليهم جبرئيل (عليه السلام) (٦).

(١) المصادر نفسها. (٢) كل ما توصلنا إليه من الأحكام الواردة في أحاديث هذا الباب بعد حذف مكرراتها ثلاثة عشر حكما. المؤلف. (٣) فتح الباري ١: ١٦٦. (٤) وهو من علماء أهل السنة. (٥) جاءت في بعض النسخ مكرها أيضا. (٦) رجال النجاشي ٢: ٢٦٠ ترجمة احمد بن عذافر رقم ٩٦٧.

#### [٤٤]

ظهر مما نقلناه عن الصحيحين والنجاشي أن الصحائف التي كانت عند أمير المؤمنين (عليه السلام) والتي ورثها الإمام الباقر (عليه السلام) من جده (عليه السلام)، كانت تحتوي على الشرائع والسنن الإلهية، ولا توجد صحيفة قبلها في تاريخ تدوين الحديث، وكان الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) يفتخرون بوجودها، ويعتبرونها ثروة غنية، وقد ذكرها علماء الشيعة وغيرهم في كتبهم المعتمدة، وهذه الصحيفة أو، الصحائف هي أساس الصرح العلمي الشاهق عند الشيعة، وعلى هذا النهج سار شيعة علي (عليه السلام) في كتابة السنة على نحو أنه لم يحصل بين تاريخ صدور الحديث وكتابه أي فتور وانقطاع، وقد اشتهر في كل عصر العشرات من العلماء وعرفوا باسم (كتاب الحديث والمحدثين). إحصاء مؤلفي الحديث وطبقاتهم: ذكر النجاشي في كتابه (١) أسماء ما يقارب ألف ومائتين راو من أصحاب الأئمة (عليهم السلام) ورجال الشيعة وترجم لهم وأشار إلى ما ألفوه من الكتب في موضوع واحد أو مواضيع متعددة، وقال في مقدمة كتابه: أنا أذكر المتقدمين في التصنيف من سلفنا الصالح (٢). وقسم علماء الرجال المؤلفين والمصنفين المعروفين إلى عهد الإمام الصادق (عليه السلام) إلى ثلاث طبقات (٣). ومع هذا فإنه لم يعرف عددهم دقيقا، لأنه من المستبعد أن يكون في أصحاب الأئمة (عليهم السلام) من تشرف بمجلسهم وتلمذ على يد أحدهم ولم يصنف كتابا. التدوين في عهد الامام الصادق (عليه السلام): وفي عهد الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) حيث سنحت له تلك الفرصة الثمينة بأن يحدث ويدون الحديث إلى أوسع نطاقه، حتى بلغ عدد الذين تلمذوا عنده وأخذوا

(١) وهو من رجال الشيعة وعلمائهم، توفي عام ٤٥٠ هـ. (٢) راجع مقدمة رجال النجاشي. (٣) راجع: رجال النجاشي، فهرست الشيخ الطوسي، اعيان الشيعة للسيد محسن الأمين، الذريعة لاقا بزرك الطهراني.

#### [٤٥]

منه العلوم المختلفة كالفقه والكلام والطبيعات، أربعة آلاف شيخ (١). يقول الحسن بن علي الوشاء: إنه لقي في مسجد الكوفة في عصر واحد تسعمائة عالم كل يقول: حدثني جعفر بن محمد (٢)، هذا مع بعد المسافة التي تفصل بين الكوفة والمدينة - مركز تعليم وتدريب الامام الصادق (عليه السلام) -. وعلى أثر تشويق الامام الصادق (عليه السلام) الدائم وحثه الدائب وتأكيد علي نقل الحديث وكتابه وصيانه (٣) صنفت كتب كثيرة بحيث لا يمكن

إحصاؤها وإحصاء مؤلفيها، ولكن جمعت من بين تلك الكتب أربعمئة كتاب لأربعمئة مؤلف أو أقل من أصحاب الإمام الصادق (عليه السلام) في الفقه والعقائد فقط، واشتهرت فيما بعد بالاصول الأربعمئة. ولما كانت هذه الاصول متشعبة وبعضها فقدت بادر بعض أصحاب الإمام الرضا (عليه السلام) (٤) إلى لم الموجود وضبطه في كتاب مستقل كل حسب طريقته الخاصة وسماه بالجامع واختص به، وهذه الجوامع هي غير الكتب التي ألفها اصحاب الأئمة (عليهم السلام) إلى

(١) الارشاد للشيخ المفيد: ٢٨٩. (٢) حسن بن علي بن زياد الوشاء، بجلي كوفي، ومن أصحاب الرضا (عليه السلام)، و كان من وجوه الطائفة، قال أحمد بن محمد بن عيسى: خرجت الى الكوفة في طلب الحديث، فلقيت بها الحسن بن علي الوشاء، فسألته أن يخرج لي كتاب العلاء بن علي الفلا وأبان بن عثمان الأحمر، فأخرجهما إلي. فقلت له: احب أن تجيزهما، فقال لي: رحمك الله وما عجلتك؟ اذهب فاكتبها، واسمع من بعد، فقلت: أمن الجدنان. فقال: لو علمت ان هذا الحديث يكون له هذا الطلب لا ستكثر منه، فإني أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول: حدثني جعفر بن محمد. رجال النجاشي: ٣٩ رقم ٨٠. (٣) ورد في الحديث: ١ - اعرقوا منازل الناس منا على قدر روايتهم عنا. ٢ - القلب يتكل على الكتابة. ٣ - اكتبوا فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا. ٤ - احفظوا كتبكم فإنكم سوف تحتاجون إليها. راجع مصادرها في: الكافي ١: كتاب العلم ب (١٦) باب النوادر ح ١٣ وب (١٧) باب رواية الكتب والحديث ح ٨ و ٩ و ١٠، بحار الأنوار ٢: ١٥٠ - ١٥٢ باب (١٩) باب فضل كتابة الحديث وروايته، وسائل الشيعة ١٨: ٥٤ - ٥٦ كتاب القضاء باب (١٨) باب وجوب العمل بأحاديث النبي والأئمة المنقولة ح ٧ و ١٥ - ١٧. (٤) مثل: أحمد بن محمد بن أبي نصر، جعفر بن بشير، حسن بن علي بن فضال، وغيرهم.

#### [٤٦]

زمن الغيبة، والتي تتضمن مواضيع عديدة وعناوين مختلفة. الكتب الأربعة: كانت هذه الجوامع منذ عصر الامام الرضا (عليه السلام) مرجعا ومصدرا للشيعة في المسائل الدينية والفقهية حتى جاء ثقة الاسلام الكليني - ٣٢٩ هـ - فصف كتابه (الكافي) وجمع فيه الأخبار بأسلوب بديع ومبوه، ثم جاء دور الشيخ ابن بابويه القمي (الصدوق) - ٣٨١ هـ - فألف كتابه (من لا يحضره الفقيه)، وبعده قام شيخ الطائفة الشيخ الطوسي - ٤٦٠ هـ - فدون كتابه (التهذيب والاستبصار) فجمع هؤلاء في كتبهم الأحاديث المستخرجة من الاصول الأربعمئة وسائر كتب السلف من أصحاب الأئمة (عليهم السلام)، واشتهرت هذه الكتب بعد ذلك بالكتب الأربعة (١). هذا وقد ألف علماء الشيعة بعد ذلك كتبا كثيرة ذات أهمية قصوى في شتى المواضيع التاريخية والتفسيرية والحديثية وغيرها، فامتلات مكنتات البلاد الإسلامية العامة منها، إلا أن الكتب الأربعة أحرزت من العناية والأهمية الدرجة الأعلى حتى صارت مرجعا لفقهاء الأمامية في استنباطهم للأحكام الشرعية، واعتنوا بها أكثر من سائر الكتب. وبعد ذلك قام علماء الأمامية وجهابذة علم الحديث يشدون العزم على تأليف كتب الحديث واستخراجها من الكتب الأربعة والاصول المعتمدة، و صنفوا الموسوعات الضخمة في الحديث. هذا مجمل تاريخ تدوين السنة عند الشيعة منذ صدر الاسلام حتى عصرنا. التدوين عند أهل السنة: وأما تدوين الحديث عند أهل السنة - وكما أشرنا إليه أنفا - فإن بعض الأصحاب ومنهم أبو بكر، خالفوا تدوين الحديث بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)، بل منعوا التحديث عنه (صلى الله عليه وآله)

(١) جامع احاديث الشيعة المقدمة ١: ز - ي.

أيضا، ومن هنا فلم يستطع أحد من أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يروي أو يكتب ما سمعه من النبي (صلى الله عليه وآله)، بل ألقوا ما كتبوا من الأحاديث في الماء أو أحرقوها بالنار، وتبريرا لما فعلوه تجاه الحديث وتثبيتنا لهذه الخطيئة الغير علمية اختلقوا أحاديث ونسبوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله). نحو: (لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه (١) (٢). المنع في عهد أبي بكر: إن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم (صلى الله عليه وآله) فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم أشد اختلافا، فلا تحدثوا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) شيئا، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه (٣). وقالت عائشة: جمع أبي الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكانت خمسمائة حديث فبات ليلة يتقلب كثيرا. قالت: فغممني فقلت: أنتقلب لشكوى أو لشئ بلغك؟ فلما أصبح قال: أي بنية! هلمي بالأحاديث التي عندك، فجتته بها، فدعا بنار فحرقها. فقلت: لم أحرقها؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل أئتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذلك (٤).

(١) صحيح مسلم ٤: ٢٢٩٨ كتاب الزهد والرفاق باب (١٦) باب التثبت في الحديث ح ٧٢. (٢) والدليل على كون هذا الحديث من الأحاديث الموضوعية والمختلفة هو عدم تمسك أبي بكر وعمر به، وسوف نقرأ في الفصول الآتية بأن أبا بكر وعمر قد نذرا بمعاذير واهية واستدلا على منعهما نقل أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) وتدوينها بأدلة تافهة وحجج ركيكة، ولو كان هذا الحديث مما قد ورد عن رسول الله حقا لتمسكا به في توجيه غايتهم، وأضف على هذا، ولو سلمنا صحة الحديث لكان الأمام مالك بن أنس (الموطأ) والأمام أحمد بن حنبل (المسند) ومؤلفو الصحاح والسنن والمسند هم أول من خالفوا أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأسرعوا بعمل نهى عنه النبي (صلى الله عليه وآله). ولذا ترى أن علماء أهل السنة استنكروا صدور هذا الحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله) أو أنهم ادعوا صدوره واختصاصه بمجالات خاصة. (٣) تذكرة الحفاظ للذهبي ١: ٣. (٤) المصدر: ٥.

ولا يخفى ما نتج عن هذا العمل - الصادر من أبي بكر الذي منع نقل الحديث تارة، وأقدم على إحراقه وإبادته تارة أخرى - على المسلمين والحفاظ والرواة من الآثار السيئة والنتائج السلبية، ففي السنوات الثلاث من خلافة أبي بكر انكب المسلمون على تلاوة القرآن واكتفوا بها دون مراجعة التفسير والبيان، وتركوا نقل الحديث وكتابته، وبهذا تحقق ما أراده أبو بكر من حصر اهتمام المسلمين على الآيات القرآنية فقط. المنع في عهد عمر: ففي السنوات العشر من عهد الخليفة عمر بن الخطاب - الذي عرف بالخشونة والتصلب - اشتد الوطيس على الحديث، فلم يكتف عمر بمنع نقل الحديث وتدوينه فحسب، بل إنه استعمل في تحقيق هدفه أسلوب القهر والقوة (١). قال الصحابي المعروف قرظة بن كعب (٢): لما سيرنا عمر بن الخطاب إلى العراق مشى معنا عمر إلى حرارة، ثم قال: أندرون لم شيعتكم؟ قلنا: تكرمنا لنا. قال: ومع ذلك - لحاجة - إنكم تأتون أهل قرية لهم دوي بالقرآن كدوي النحل فلا تصدوهم بالأحاديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتشغلوهم، جردوا القرآن، وأقلوا الرواية عن الرسول (صلى الله عليه وآله) وأنا - شريككم، فلما قدم قرظة بن كعب الكوفة قالوا: حدثنا، فقال: نهانا عمر (٣). وإخرج الذهبي في تذكرة الحفاظ عن أبي سلمة أنه قال لأبي هريرة: أكنت تحدث في عهد الخليفة عمر هكذا؟ قال: لو كنت أحدث في عهد عمر مثل ما أحدثكم لضربني

(١) دامت خلافته عشر سنوات وستة أشهر وأربعة أيام. (٢) هو من صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله) المعروفين واشترك في غزوات عديدة منها أحد، وقال ابن حجر في الإصابة ٥: ٣٢٩ ترجمة قرظة بن كعب رقم ٧١١٣: إن أول من نبه عليه بالكوفة قرظة بن كعب. (٣) مستدرک الصحيحين ١: ١٠٢، سنن ابن ماجة ١: ١٢ باب (٣) باب التوقي في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ح ٢٨ الطبقات الكبرى ٦: ٧ طبقات الكوفيين، جامع بيان العلم ٢: ١٦٧، سنن الدارمي ١: ص ٨٥ باب من هاب الفتيا مخافة السقط، تذكرة الحفاظ للذهبي ١: ٧.

#### [٤٩]

بمخففته (١). وكان عمر بن الخطاب مستبدا يفرض الضغوط الكثيرة على أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) الذين كانوا يروون الحديث عنه (صلى الله عليه وآله). روي أن أبا موسى الأشعري نقل لعمر حديثا في باب الاستئذان من صاحب الدار. فقال له عمر: إن لم تقم عليه بينة لأوجعتك. وظل هذا التشدد من قبل الخليفة مخيما على الرواة حتى اعترض عليه جمع من الصحابة كما ورد في ذيل الرواية الانفة ان أبا منذر قال لعمر: فلا تكن يا بن الخطاب عذابا على أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) (٢). ومن استبداده وتشدده أنه حبس ثلاثة من الصحابة: ابن مسعود، أبا الدرداء، أبا مسعود الأنصاري، وفرض عليهم الإقامة الجبرية في المدينة، وظلوا تحت المراقبة الشديدة حتى قتل، وما كان ذنبهم إلا أنهم رووا أحاديث سمعوها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) (٣) وأخرج الحاكم في مستدركه إن الخليفة عمر حبس ابن مسعود، وأبا الدرداء، وأبا ذر في المدينة ليصدهم عن رواية الحديث (٤). ونتيجة لهذا الاستبداد العمري في المنع من نقل الحديث والنهي عنه يقول الصحابي سائب بن يزيد - ٨٠ هـ -: صحبت سعد بن مالك (٥) من المدينة إلى مكة فما سمعته يحدث عن رسول الله حديثا واحدا (٦). وقال الشعبي: جالست ابن عمر سنة كاملة فما سمعته يحدث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)

(١) تذكرة الحفاظ ١: ٧. (٢) صحيح البخاري ٨: ٦٧ كتاب الاستئذان باب التسليم والاستئذان ثلاثا، وسوف يأتي تفصيل القصة في ميح الخليفة فصل جهل الحكام بالأحكام. (٣) تذكرة الحفاظ ١: ٧، ومجمع الزوائد ١: ١٤٩. (٤) مستدرک الصحيحين ١: ١١٠ كتاب العلم. (٥) كان من نجباء الأنصار وعلمائهم وقد حفظ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) سننا كثيرة وروي عنه علما جما، الاستيعاب ٢: ٦٠٢ رقم الترجمة ٩٥٤. (٦) سنن ابن ماجة ١: ١٢ باب (٣) باب التوقي في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ح ٣٩.

#### [٥٠]

حديثا (١). المنع عن التدوين في عهد عمر: نقل ابن سعد: أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستشار في ذلك أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله فيها شهرا، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له. فقال: إني كنت أردت أن أكتب السنن، وإني ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبنا فأكبوا عليها فتركوا كتاب الله تعالى، وإني والله لا البس كتاب الله بشئ أبدا (٢). الحديث في عهد عثمان: كانت خلافة عثمان بن عفان التي استمرت اثنتي عشرة سنة من أسوأ الأزمنة وأتعسها في تاريخ الاسلام، وذلك لما وصلت فيها الاهواء - كحب الدنيا وقهر الآخرين والظلم - إلى أعلى مراتبه حيث إنه أعطى حقوق الضعفاء والمساكين وسلم بيت مال المسلمين لشردمة ليست لهم أي فضيلة وصله بالدين، سوى إنهم كانوا من قرابة الخليفة وعشيرته

وملازمي بلاطه، فاكتنزوا الملايين، وعاشوا مرفهين، وبنوا القصور المشيدة، وفي جوارهم من المسلمين من كان يتصور جوعاً. وأما المتقون الصالحون من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد أزيحوا عن تصدي المناصب المهمة والقضاء وإدارة الحكومة، وحل مقامهم آخرون مستهترون - مثل الوليد بن عقبة أخو عثمان من أمه ومروان بن الحكم - ولأن المتقون لم يتماشوا ولم يداهونوا السياسة المتخذة والحاكمة آنذاك، ودأبوا على قراءة القرآن وترتيله ورواية أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله) وتبليغها إلى الناس، وهذا مما لا يرتضيه النظام الحاكم والسيرة العثمانية وسياسة حكمه لأن هذه الأمور هي على نقيض سياسة الخلافة الحاكمة، ولذلك تعرضوا للهنك، فمنهم من نفي إلى البوادي، وأقصى عن

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤: ١٠٦، سنن ابن ماجه ١: ١١ المقدمة باب (٣) باب التوقي في الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ح ٢٦، صحيح البخاري ٩: ١١٢ كتاب التمني باب خير المرأة الواحدة. وفيه: فاعدت ابن عمر قريبا من سنتين أو سنة ونصف. (٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ٢٨٦، وأبو طالب مؤمن قريش للخيزي: ٢ - ٣.

#### [٥١]

المجتمع، ومنهم من سجن وتعرض للتعذيب الجسدي والروحي والجلد وغيره، وهذا علاوة على منع الخلافة العثمانية من نقل أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله) ومخالفتهم للقرآن المجيد. فنفي الصحابي الجليل والزاهد في الدنيا أبي ذر الغفاري إلى الشام، ومنها إلى صحراء الربذة، وضرب الصحابي عبد الله بن مسعود والاعتداء عليه في وسط المسجد حتى انجر إلى كسر أضلعه، وضرب عمار بن ياسر إلى درجة الأغماء وإصابته بالفتق، وكذا الاعتداء ونفي وإهانة العشرات من الصحابة والمسلمين الأوائل، كلها كانت نتائج سياسة عثمان (١) ودينه إلى أن آل الأمر به أن يرقى المنبر ويعلن للناس منعه إياهم رواية كل حديث لم يسمع به. فقال: لا يحل لأحد أن يروي حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم أسمع به في عهد أبي بكر ولا في عهد عمر (٢). وهكذا اشتد الوطيس على نقل الحديث وروايته حتى وصل ذروته. الحديث في عهد معاوية: كانت دواعي وضع الحديث في عهد معاوية وحكومته التي دامت أربعين عاماً أشد من عهد الخلفاء قبله وخاصة في السنوات الخمسة والعشرين الأخيرة من حكمه (٣). وكلما مر الزمان كانت رغبة المسلمين تجاه أمير المؤمنين (عليه السلام) ومعرفة مقامه وأهمية شأنه تزداد شيئاً فشيئاً، وكانوا مولعين بسماع الأحاديث الصحيحة وروايتها، وهذا ما لا شك فيه كان يضر بكيان معاوية وموقعه في المجتمع أكثر مما يتصور. ولذلك بادر معاوية إلى أن يتدارك المشكلة ويشيد الحكم الأموي ويقويه، فعمد إلى اختلاق وجعل الأحاديث التي تنفع بحاله وتقوم سياسته وتوضع بديلة عن الأحاديث الصحيحة، وتنتشر في المجتمع، وتروى للناس.

(١) راجع تفصيل القصة وشرحها في: الغدير ٨: ٢٩٢ - ٢٩٥، وح ٩: ٢ - ٦٩. (٢) مسند أحمد بن حنبل ١: ٣٦٣، الطبقات الكبرى ٢: ٢٣٦ ذكر من كان يفتي بالمدينة ويفتدى به... السنة قبل التدوين: ٩٧، قبول الاخبار: ٢٩. (٣) منذ موت الخليفة عثمان في سنة ٢٥ حتى موته سنة ٦٠ هـ.

#### [٥٢]



ومن هنا اكتسحت المجتمع مفترياته، وقرئت على الناس مختلقاته، وحقق معاوية بمكره ودهائه المعروف ما أرادته على كلا الصعيدين وذلك عبر جهتين: فهو من جهة أعلن على المنبر عن منع كل حديث لم يسمع به في عهد عمر (١)، ومن جهة أخرى عبأ الوضاعين وأكرم كل من يروي حديثاً في فضائل عثمان وأصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) المناوئين لعلي (عليه السلام) وأكرمهم بالعطايا الجزيلة والهدايا الثمينة وحثهم على جعل الحديث ونقل الأكاذيب. فكتب أبو الحسن المدائني (٢) في كتابه الأحداث وثيقة تاريخية مهمة تحتوي على بيان حقائق حول كيفية منع الحديث وجعل الأحاديث المفترية على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في عهد معاوية، ونقل للقارئ مقتطفات من كلام المدائني، لما فيه الكفاية عن نقل سائر الشواهد الأخرى، وتجنباً عن الأطناب والأطالة. المرسوم الأول: قال المدائني: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام المجاعة: إن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضل أبي تراب - يعني الامام علي - وأهل بيته - أي أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) - فقام الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون علياً ويبرؤون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، وكان أشد الناس بلاءً حينئذ أهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي (عليه السلام) فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لانه كان منهم أيام علي (عليه السلام) فقتلهم تحت كل حجر ومدبر، وإخافهم، وقطع الأيدي والأرجل وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها

(١) صحيح مسلم ٢: ٧١٨ كتاب الزكاة باب (٢٣) باب النهي عن المسألة ح ٩٨، وج ٣: ١٢١٠ كتاب المسافة باب (١٥) باب الصرف وبيع الذهب ح ٨٠. (٢) العلامة أبو الحسن المدائني هو أحد المتضلعين وجهابذة علم التاريخ، له مؤلفات عديدة، نحو خطب النبي، والأحداث، وخطب أمير المؤمنين، وكتاب من قتل من الفاطميين، وكتاب الفاطميات، نقل عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة أقوالاً واره كثيرة، وتوفي عام ٢٢٥ هـ وكان عمره ٩٠ سنة.

## [٥٢]

معروف منهم. ويضيف المدائني: وكتب معاوية إلى عماله في جميع الأفاق: أن لا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته (عليهم السلام) شهادة، وأن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضله ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرمهم، واكتبوا لي بما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته. ففعلوا ذلك حتى أكثروا من فضائل عثمان ومناقبه، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلوات والكساء والحياء والقطائع، ويفيضة في العرب منهم والموالي، فكثر ذلك في كل مصر، وتنافسوا في المنازل والدينا، فليس يجئ أحد من الناس عاملاً من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه، فلبثوا بذلك حيناً. المرسوم الثاني: أضاف المدائني: كتب معاوية إلى عماله أن الحديث في عثمان قد كثر، وفشا في كل مصر، وفي كل وجه وناحية، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة، والخلفاء الأولين (أبي بكر وعمر)، ولا تتركوا خبراً يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض له في الصحابة، فإن هذا أحب إلي وأقر لعيني وأدحض لحجة أبي تراب (الأمام علي (عليه السلام) وشيعته، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضائله. فقرئت كتبه على الناس، فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة ولا حقيقة لها، وجد الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشاروا بذكر ذلك على المنابر، وألقى إلى معلمي الكتاتيب، فعلموا صبيانهم وعلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموا

بناتهم ونساءهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله. المرسوم الثالث والرابع: ثم كتب معاوية نسخة واحدة إلى جميع البلدان: أنظروا من قامت عليه البيعة أنه يحب عليا وأهل بيته (عليهم السلام) فامحوه من الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه.

#### [٥٤]

وشفع ذلك بنسخة أخرى: من اتهمتموه بموالاتة هؤلاء القوم نكلوا به وأهدموا داره، فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق، ولا سيما الكوفة، حتى أن الرجل من شيعة علي (عليه السلام) ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقي إليه سره، ويخاف من خادمه ومملوكه، ولا يحدثه حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليكنمن عليه، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة، وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك، فيفتعلون الأحاديث ليحفظوا بذلك عند ولائهم، ويقربوا مجالسهم، ويصيبوا به الأموال والضياح والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق، ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تدبوا بها (١). الحديث في عهد خلفاء بني أمية: وبعد أن نقل أبو الحسن المدائني مصير الحديث في عهد معاوية حسب ما نقلنا عنه بالتفصيل تطرق إلى ما آل إليه الأمر عندما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة لمدة إحدى وعشرين سنة فاشتد البلاء والتنكيل بالشيعة على نحو لم يكن له شبيه في عهد معاوية. ثم ذكر المدائني نموذجاً من جرائم والي الخليفة الأموي في الكوفة الحجاج بن يوسف الثقفي بحق الشيعة وقال: إن إنساناً وقف للحجاج فصاح به: أيها الأمير، إن أهلي عقوني فسموني علياً، واني فقير بائس، وأنا إلى صلة الأمير محتاج. فتضحك له الحجاج وقال: للطف ما توصلت به فقد وليتك كذا (٢). الخطوة الأولى في تدوين الحديث: كان وضع الحديث بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو كما أوردناه، ففي عهد خلفاء بني أمية

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٤٤ - ٤٦. (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١: ٤٦.

#### [٥٥]

الذين التهبوا بالمنكرات والفواحش وانغمسوا في البذخ والشبهوات [صار مآل الحديث، والأصح صارت الأمور المعنوية مقبورة] في صندوق النسيان بحيث لم يبق من الدين إلا اسمه، ومن القرآن إلا رسمه، وأما العلماء والحفاظ في عهد بني أمية فقد تماشوا مع التأثيرات الاجتماعية، وجعلوا سيرة أسلافهم، والخلفاء الراشدين معياراً وملاكاً لفعالهم وعملهم، فأخرجوا من عقولهم كل ما يمت إلى الحديث تدويناً وكتابة ورسموا عليه خط البطلان، حتى آلت الخلافة والحكومة إلى عمر بن عبد العزيز عام ٩٩ - ١٠١ هـ. قام عمر بن عبد العزيز في مدة خلافته القصيرة ببعض الإنجازات الأيجابية والمفيدة، منها: إنه ألغى المنع والحظر عن رواية الحديث وكتابه الذي كان عليه سلفه من الخلفاء، وأمر بتدوينه. روى البخاري: إن عمر بن عبد العزيز كتب إلى أبي بكر بن حزم الذي تقلد القضاء أن أنظر ما كان من سنة أو حديث فإني خفت أندراس العلم وذهاب الحديث (١). تدوين الحديث في عهد عمر بن عبد العزيز: يعتقد بعض علماء أهل السنة الذين نقلوا رسالة عمر بن عبد العزيز المذكورة: أن تاريخ الرسالة هو تاريخ

تدوين الحديث حيث بدأ التدوين منذ تاريخ أمر عمر بن عبد العزيز أي من السنة الأخيرة من القرن الأول أو السنة الأولى من القرن الثاني (٢) ولكن العلامة السيد حسن الصدر - ١٣٥٤ هـ - يرد هذه النظرية مستندا إلى الشواهد والمصادر التاريخية فقال: أول من صنف في الحديث الإمام مالك لما كتب الموطأ بأمر من الخليفة العباسي المنصور ١٣٦ - ١٨٥، ثم يذكر العلامة الصدر الأدلة التي تؤيد رأيه: ١ - إن خلافة عمر بن عبد العزيز لم تتجاوز السنتين وخمسة أشهر. ٢ - لم يؤرخ زمان صدور أمر عمر بن عبد العزيز هل كان في بداية عهده بالخلافة

(١) صحيح البخاري ١: ٣٦ كتاب العلم باب كيف يقبض العلم. (٢) فتح الباري لابن حجر ١: ١٥٧، إرشاد الساري للعسقلاني ١: ٧، تدريب الراوي للسيوطي ١: ٩٠.

### [٥٦]

أم نهايته ؟ ٣ - لم ينقل لنا التاريخ بأن أبا بكر بن حزم قد امتثل أمر الخليفة، إذ لا يوجد ما يدل على الامتثال من أثر أو كتاب لابن حزم، وما ذكره الحفاظ والمؤرخون تأييدا لهذه النظرية فهو مبني على الحدس والاحتمال. ٤ - فلو كان صدور الأمر في عهد ابن حزم ثابتا وكان تاريخ التدوين للحديث قطعيا لم وقع الاختلاف ؟ ولماذا صرح بعض المحدثين والمؤرخين بتاريخ التدوين في أواخر القرن الثاني الهجري كالحافظ الخبير الذهبي: إن تدوين الحديث وكتابته بدأ بعد انقراض وسقوط الدولة الأموية وانتقالها إلى بني العباس ؟. وكذلك لا يوجد أحد من المؤرخين والحفاظ المتقدمين من يؤيد رأي السيوطي وابن حجر (١). ونقول تأييدا لما قاله العلامة الصدر: إن ابن حجر نفسه يبدي في مؤلفاته الأخرى أقوالا غير ما مر، فيقول حينئذ: إن أول من صنف الربيع بن صبيح (٢). وتارة أخرى يقول: أول من دون الحديث ابن شهاب الزهري في أواخر القرن الأول امتثالا لأمر عمر بن عبد العزيز (٣)، وقال قولاً آخر: أول من ألف الحديث ابن حزم (٤). ويقول محمد فريد وجدي: أول من صنف الحديث هو الإمام مالك لما كتب الموطأ، وقيل: إنه ابن جريج - ١٥٠ هـ - (٥). وادعى الشلبي: إن أول كتاب صنف في الإسلام هو كتاب ابن جريج. ثم يضيف:

(١) تأسيس الشيعة: ٢٧٨ - ٢٧٩ بتصرف. (٢) هدى الساري مقدمة فتح الباري: ٤. (٣) فتح الباري ١: ٢١٨. (٤) فتح الباري ١: ١٥٧. (٥) دائرة معارف القرن العشرين ٣: ٣٦١ مادة حدث. (\*)

### [٥٧]

وقيل: الموطأ لمالك، وقيل: أول من صنف وبوب ربيع بن صبيح (١). وذكر الحافظ الذهبي في حوادث عام ١٤٣ هـ: في هذا العصر شرع علماء الإسلام في مكة والمدينة بتدوين الحديث (٢). قال الدكتور أحمد أمين في ضمن البحث عن أمر عمر بن عبد العزيز: كل ما نعلمه أنه لم تصل إلينا هذه المجموعة، ولم يشر إليها فيما نعلم جامعوا الحديث بعد، ومن أجل هذا شك بعض الباحثين من المستشرقين في هذا الخبر، إذ لو جمع شئ من هذا القبيل لكان أهم المراجع لجامعي الحديث، ولكن لا داعي إلى هذا الشك، فالخبر يروي لنا أن عمر أمر، ولم يرو لنا أن الجمع تم، فلعل موت عمر تم سريعا وعدل أبو بكر عن أن ينفذ ما أمر به (٣). وتلاحظ أيها المطالع أن العلماء قد اختلفوا في تاريخ تدوين الحديث، وكذا في أول

مؤلف من أهل السنة اختلافا شديدا، وأما ثبوت التدوين في عهد عمر بن عبد العزيز فإنه خال من الدليل سوى ما قاله البخاري بهذا الصدد من أن عمر بن عبد العزيز قد أمر بجمع الأحاديث وتدوينها. ولكن هل هذا الأمر قد امتثل أم لا ؟ فالتاريخ بل القرائن والشواهد تثبت عكس ذلك. وعلى كل حال فإن الحديث قد تم تدوينه بعد قرن ونصف قرن من الزمان، وعندئذ خرج من حيز النسيان والآنزواء إلى حيز المدارس والكتابة. ولما كان المسلمون ينظرون إلى التدوين بكونه عملا مخالفا للسنة ومحرمًا، لذلك فإنهم استصعبوه واستثقلوه في بادئ الأمر حتى أجبرهم الخلفاء على ذلك. يقول معمر عن الزهري: كنا نكره كتابة العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء (٤).

(١) كشف الظنون ١: ٦٣٧ باب علم الحديث. (٢) دراسات في الكافي والبخاري: ٢١. (٣) ضحى الإسلام ٢: ١٠٦ - ١٠٧. (٤) الطبقات الكبرى ٢: ٢٨٩ ذكر من كان يفتي بالمدينة بعد أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله)، جامع بيان =

### [٥٨]

تاريخ ظهور الصحاح الستة: في غرة النصف الثاني من القرن الثاني الهجري أدرك المحدثون أخطاء السلف وشطحاتهم بالنسبة لمنعهم الحديث وكتابته، فبدؤا بتدوين الحديث وتأليفه. بدأ علم الحديث يتحرك نحو التقدم بعد أن قضى تلك الفترة الطويلة التي عاشها في الجمود والسكون، ولعل كان ذلك رد فعل ناشئ عن الانفعال الذي برز أثر منع الحديث، ففي خلال قرن واحد - أي من سنة ١٥٠ - ٢٥٠ هـ - ظهرت على الساحة كتب كثيرة كلها تحمل اسم الصحاح والمسانيد والمستخرجات وغيرها (١). وكان هدف مؤلفي هذه الكتب في هذه الفترة الزمنية منصبا على جمع الحديث فقط، ولم تبوب وتقسّم الاحاديث بعد إلى الصحيح والحسن والضعيف، وكان الحديث من دون فرق بين الصحيح وغيره يشكل المحتوى الأصلي للكتب والمسانيد حتى جاء عصر البخاري - ٢٥٦ هـ - وسائر الصحاح قال ابن حجر: فلما رأى البخاري هذه التصانيف ورواها وانتشق رباها واستجلى محياها وجدها بحسب الوضع جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين والكثير منها يشمله التضعيف، فلا يقال لغته سمين فحرك همته لجمع الحديث الصحيح الذي لا يرتاب فيه أمين (٢). ثم جاء بعده تلميذه مسلم بن حجاج القشيري النيسابوري عام ٣١١ هـ فألف الجامع الصحيح، ومن بعده محمد بن يزيد بن ماجه القزويني - ٢٧٣ هـ - فصنف سننه، ثم كتب أبو داود سليمان بن داود السجستاني سننه - ٢٧٥ هـ - وبعده محمد بن عيسى بن

= العلم ١: ٦٧. (١) ذكر الشلبي في كشف الظنون أكثر من أربعين مسندا وقال: إن أهم هذه المسانيد وأشهرها مسند أحمد بن حنبل الذي يحتوي على أكثر من ثلاثين ألف حديث. (٢) هدى الساري مقدمة فتح الباري: ٥.

### [٥٩]

سورة الترمذي - ٢٧٩ هـ - دون جامعه المعروف سنن الترمذي، وبعده أحمد بن شعيب النسائي - ٣٠٣ هـ - دون سننه ويقال له المجتبى. وهذه الكتب الستة تشكل الركن الأصلي لجوامع أهل السنة، فهم يرجعون إليها ويعتمدون عليها في العقائد والفروع والتفسير والتاريخ، واشتهرت فيما بعد بالصحاح الستة، ويطلق تارة على صحيح البخاري وصحيح مسلم الصحيحين، وعلى الكتب الأربعة الأخرى بالسنة (١).

وبعد هذه الكتب صنفت المئات من الجوامع، وسميت بالمسند والمستدرک والمستخرج، إلا أنه لم ينل أي واحد منها مرتبة وشأنًا عند أهل السنة كما كان شأن الصحاح الستة. الفرق بين الصحاح والمسانيد: الصحيح اصطلاحاً هو الحديث الذي اتصل بسنده عبر رجال عدول ومتدينين إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) أو أحد الأئمة (عليهم السلام) (٣). والكتب الستة سميت بالصحاح لأن أحاديثها وما تحتويها مثل الراوي والسند والمتن جائزة لشروط الصحة وإن اختلف أصحابها في شروط صحة الحديث، قد يكون حديث صحيحاً عند أحدهم، وعند الآخر غير مكتمل شروط الصحة، وادعى أرباب الصحاح أن كل ما ورد في صحاحهم متوفر الشرائط وصحيح، وأما المسانيد والكتب الأخرى لم ترتق إلى هذه الدرجة من الصحة ولم يصح مؤلفوها كل ما أخرجوه في كتبهم إذ كانت عادتهم في ذلك جمع الأحاديث الصحيحة وغير الصحيحة، وحتى الأمام أحمد بن حنبل الذي جمع أربعين ألف حديث في مسنده لم يلتزم بصحتها جميعاً (٣).

---

(١) وتارة يعدون الموطأ للأمام مالك من ضمن السنن. (٢) هذا التعريف والحد جمع بين رأي علماء العامة والشيعة معاً. (٣) التقريب للنووي: ١ - ٢، تدريب الراوي ١: ٨٨ - ٩٩.

---

## [٦٠]

هدفنا في البحث: هذا الذي ذكرناه كان خلاصة من تاريخ نقل الحديث وتدوينه عند أهل السنة منذ وفاة خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله) إلى زمن خلافة عمر بن العزيز ٩٩ - ١٠١ هـ. نقلناه من المصادر المهمة والمراجع المعتبرة، وقد تحصلت من هذا التحليل المجمل مسألتان: ١ - إن تدوين الحديث عند أهل السنة بدأ بعد قرن واحد من تاريخ صدور الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يكن بين هاتين الفترتين - الصدور والتدوين - أي كتاب يعتمد عليه في التدوين، وكان أكثر اعتماد المؤلفين والكتاب على ذاكرتهم وما تناقلته الألسن. ٢ - ازدياد دواعي جعل الحديث: في الفترة التي تم فيها منع الحديث وتدوينه حيث ازدادت دواعي الجعل والوضع، وكثر الوضاعون على لسان النبي (صلى الله عليه وآله). وبملاحظة هاتين الحقيقتين المذكورتين نتعجب وندهش من صب أهل السنة جل اهتمامهم على هذه الصحاح الستة وخاصة الصحيحين (البخاري ومسلم) اللذين تشكل الروايات - من هذا النمط - المختلفة أكثر محتوياتهما، وقد اعتبروهما أصح الكتب وأتقنها بعد القرآن، بل حكموا في قطعية صدور كل ما ورد فيهما تماماً كالقرآن. وصحة صدور ما احتوتهما من الأحاديث المشتملة على تلك الحقائق المذكورة، وربما أولوا محكمات القرآن طبقاً لما جاء في الأحاديث الواردة في كتبهم (١). وهكذا أصبح الكتابان: صحيح البخاري وصحيح مسلم، مدار العقائد عند أهل السنة وهذه الأمور هي التي دعنا إلى البحث والتنقيب في الصحيحين وكشف حقيقتهما وماهيتهما، كي تتجلي الحقائق التي استترت خلف الاستار السميكة من التقاليد

---

(١) ستطلع - أيها القارئ الكريم - فيما يأتي أنفاً على أهمية هذه الكتب عند أهل السنة وكيف أن أحمد بن حنبل ياول آيات القرآن إلى ما جاء في أحاديثهم.

---

## [٦١]

والعصيات والظلمات والأوهام التي ظلت مسدولة لفترة تزيد على ألف سنة. (وما أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) (١). وتتمحور دراستنا فيهما حول هذه المواضيع التسع التالية: ١ - ترجمة البخاري ومسلم. ٢ - الصحيحان من منظار أهل السنة. ٣ - الصحيحان من منظار العلم والتحقيق. ٤ - سند الصحيحين. ٥ - نصوص الصحيحين. ٦ - التوحيد في الصحيحين. ٧ - النبوة في الصحيحين. ٨ - الخلافة في الصحيحين. ٩ - بحوث متفرقة في الصحيحين.

[٦٣]

الفصل الثاني ترجمة محمد بن إسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج النيشابوري

[٦٥]

لمحة عن حياة البخاري من هو البخاري ؟ هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة بن بردزبه الجعفي الملقب بالبخاري. مولده: ولد ببخارى في شوال عام مائة وتسعين وأربع، - ١٩٤ هـ - وقال ابن خلكان والخطيب البغدادي: كان جده الثالث بردزبه مجوسيا ومات عليها (١). نشأته العلمية: فقد البخاري أباه في سن مبكر وتولت امه تربيته، وبدأ بطلب العلم وهو في العاشرة من عمره، ولما بلغ العشرين من عمره بدأ رحلاته العلمية بعيدا عن موطنه. رحلاته العلمية: كان البخاري مولعا بالعلم وخاصة في مجال علم الحديث، وكان بعيد الهمة في جمع الحديث وتدوينه، فهاجر من وطنه - لاكتساب العلم - إلى مدن عديدة، وكان يتوقف في كل منها فترة يختلف فيها على علمائها لأخذ الحديث عنهم. قال محمد فريد وحدي: كان البخاري بعيد الهمة في تحري صحيح الأحاديث، جاب من أجلها الأمصار وكابد الأخطار، فرحل إلى خراسان والجبال ومدن العراق والحجاز والشام ومصر وهو في كل هذه الأقطار يلاقي الحفاظ ويجالس المحدثين

(١) وفيات الاعيان ٣: ٢٣٠، تاريخ بغداد ٢: ٦.

[٦٦]

فيسمع منهم وبأخذ عنهم (١). نقل ابن حجر عن البخاري أنه قال: دخلت إلى الشام ومصر والجزيرة مرتين: وإلى البصرة أربع مرات، وأقمت في الحجاز سنة أعوام، ولا أحصي كم دخلت إلى الكوفة وبغداد مع المحدثين (٢). مؤلفاته: اختلف أصحاب التراجم في عدد مؤلفات البخاري، فالمشهور أنه كتب سبعة عشر كتابا في الحديث والرجال والتاريخ وغيرها، وقد اهتم أهل السنة بكتب البخاري جميعها اهتماما كبيرا وخاصة الجامع الصحيح، ولا يوجد في أي ملة كتاب له من الشأن مثل ما للجامع الصحيح عند أهل السنة (٣). فتاوى البخاري العجيبة: نقلت عن البخاري فتاوى عجيبة واليك شطرا منها: ١ - يجوز للمرأة أن تخدم الرجل الأجنبي حتى ولو كانت شابة، وحديثة عهد بالزواج. ٢ - لا يجب على المرأة أن تستر نفسها من العبد حتى لو كان ملكا لغيرها. ٣ - يطهر محل المنى بإزالة عين النجاسة كما يطهر بالغسل. ٤ - لا يجب غسل الجنابة ما لم يخرج

المني، بل يستحب (٤). ٥ - يجوز ترك الصلاة في الأوقات الحرجة مثل الجهاد وشم تقضى. ٦ - يجوز تدهين البدن بدهن الميتة.

(١) دائرة معارف القرن العشرين ٢: ٥٦ مادة بخر. (٢) هدى الساري: ٤٧٩. (٣) نوافيك بالقرآن والشواهد على هذا في مبحث أهمية الصحيحين فيما بعد إن شاء الله. (٤) صحيح البخاري ١: ٨٠ كتاب الغسل باب غسل ما يصيب من فرج المرأة.

## [٦٧]

٧ - يجوز استعمال المشط المصنوع من عظم الميتة. ٨ - لا إشكال في اللعب بأسلحة الحرب مثل السيف والسهم وإنشاد الشعر في المساجد (١). ٩ - ومن فتاويه النكرة العجيبة ترتب حكم الرضاع بلبن الحيوانات، فمثلا إذا رضع طفلان من لبن العنز أو البقر للمدة المقررة، تترتب عليهما أحكام الرضاع وتثبت به الأخوة (٢). قال شيخ الشريعة الاصفهاني بعد أن نقل فتوى البخاري من كتاب الكفاية في شرح الهداية - فقه المذهب الحنفي: (هذه الفتاوى إن دلت على شئ فإنها تدل على جهل البخاري وسداجته، لأن نشر الحرمة في الرضاع فرع الابوة والامومة ولا يعقل أن يكون حيوان أبا لأنسان أو اما له (٣). وفاته ومدفنه: توفي البخاري عام مائتين وخمسين وست - ٢٥٦ هـ - عن عمر يناهز اثنين وستين سنة في قرية - خرتنك - من قرى سمرقند، ودفن بها.

(١) مقدمة صحيح البخاري بقلم أبو كمال عبد الغني عبد الخالق طبعة مكة عام ١٣٧٦ هـ. (٢) يستفاد من عناوين الأبواب التي ذكرها البخاري في صحيحه، أن هذه العناوين هي في الواقع فتاوى البخاري، وأن الأحاديث التي يوردها البخاري في تلك الأبواب تعتبر أدلة البخاري على آرائه كما قال الشيخ محي الدين: ليس مقصود البخاري الاقتصار على الأحاديث فقط، بل مراده الاستنباط منها والاستدلال لأبواب أرادها، ولهذا المعنى أخلي كثيرا من الأبواب عن اسناد الحديث واقتصر على قوله فيه فلان عن النبي (صلى الله عليه وآله) أو نحو ذلك، وقد يذكر المتن بغير اسناد، وقد يورده معلقا، وإنما يفعل هذا لأنه أراد الاحتجاج للمسألة التي ترجم لها وأشار إلى الحديث لكونه معلوما، وقد يكون مما تقدم وربما تقدم قريبا، ويقع في كثير من أبوابه الأحاديث الكثيرة، وفي بعضها ما فيه حديث واحد، وفي بعضها ما فيه آية من كتاب الله وبعضها لا شئ فيه البتة. هدى الساري: ٦. المغرب. (٣) القول الصراح، مخطوط.

## [٦٨]

لمحة عن حياة مسلم من هو مسلم؟ هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. مولده ووفاته: لم يتطرق أصحاب التراجم إلى جزئيات حياة مسلم ولم يذكروا إلا الشئ القليل منها، تماما على عكس ما ذكروا من الأطناب في البخاري ورحلاته ومجالساته مع الحفاظ، حتى أنهم لم يثبتوا تاريخ مولد مسلم ووفاته وعمره ثبتا دقيقا. قال ابن خلكان: توفي مسلم عشية الأحد لخمس، وقيل: لست بقين من شهر رجب سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور وعمره خمس وخمسون سنة، هكذا وجدته في بعض الكتب. ولم أر أحدا من الحفاظ يضبط مولده ولا تقدير عمره، ثم كشفت من كتاب علماء الأمصار أن ولادته كانت في سنة ست ومائتين، ووفاته في سنة اثنين وستين ومائتين (١). ورححه محمد فريد وجدي من دون أن يشير إلى المصدر (٢). وقال الذهبي: يقال إن ولادته كانت عام ٢٠٤ من الهجرة (٣). رحلاته العلمية: شد مسلم الرحال إلى العراق والحجاز والشام ومصر، وسافر عدة مرات إلى بغداد في طلب الحديث، وكان آخر رحلاته إليها عام ٢٥٧ من الهجرة، وهو في هذه الرحلات

(١) وفيات الأعيان ٥: ١٩٥ ترجمة مسلم رقم ٧١٧. (٢) دائرة المعارف القرن العشرين ٥: ٢٩٢ مادة سلم. (٣) تذكرة الحفاظ ٢: ٥٨٨ ترجمة رقم ٦١٣.

### [٦٩]

يأخذ الحديث من كبار الحفاظ، مثل: أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه - أستاذ البخاري وشيخه - ولكن أكثر حضوره وتتملذه كان على البخاري، وكان شديد الالتزام باستاذه وشيخه البخاري فاتبعه اتباع الفصيل لأمه وخاصة لما تم تبعيد البخاري عن نيشابور وتفرق علمائها عنه، وهذا دليل واضح على ما كان يملكه مسلم من الولع والشغف الزائد في كسب العلم والحديث. مؤلفاته: ذكر الحفاظ الذهبي عن الحاكم أنه قال: كتب مسلم عشرين كتابا في شتى العلوم ذكر أسماءها (١). ولكن الجامع الصحيح أو صحيح مسلم حاز من الأهمية والعناية أقصاها وأكثر من سائر مؤلفاته وكتبه، واهتم أهل السنة والجماعة على مر العصور والدهور بصحيح مسلم غاية الاهتمام. سبب وفاته: ذكروا إن مسلم سئل عن حديث في مجلس بنيسابور، فلم يجر جوابا. وقال بعدم علمه بهذا الحديث، وعندما رجع إلى بيته قام بالفحص عن ذلك الحديث، وحصل في الأثناء أن جاءه أحد ملازميه بإناء كبير من التمر. فلم يزل مسلم يبحث عن الحديث طوال ليلته ولكي يزيل النوم عن عينيه تناول من التمر المهداة إليه حتى طلع عليه الفجر، وما أن أتم أكل التمر كله حتى عثر على الحديث، فبسبب أكله التمر كثيرا تمرض وبعده توفي عن عمر يناهز الخامسة والخمسين سنة ودفن بالقرب من مدينة نيسابور (٢). وعلى فرض صحة هذه القصة فإنها تدل على شدة علاقة مسلم وولعه الشديد بطلب العلم والحديث.

(١) تذكرة الحفاظ ٢: ٥٨٩ ترجمة رقم ٦١٣. (٢) دائرة المعارف ٥: ٢٩٢ مادة سلم.

### [٧١]

الفصل الثالث الصحيحان وموقعهما العلمي عند أهل السنة

### [٧٢]

موقع الصحيحين عند أهل السنة الصحاح الستة: انتخب علماء أهل السنة من بين جميع ما كتب في الحديث ومسانيده ستة كتب منها فقط، فجعلوها في الدرجة الأولى من الاعتبار والصحة وسموها بالصحاح أي المطابقة للواقع، وقد شكلت هذه الكتب الصحاح الستة البنية الأولى والأساس الأصلي في أحكامهم وعقائدهم والتفسير والتاريخ. وكما ذكرنا مسبقا أن وجه تسمية هذه الكتب الستة بالصحاح وفرقها مع سائر كتب الحديث والمسانيد هو أن جميع ما ورد فيها من الأحاديث والروايات سواء من وجهة نظر مؤلفيها أو من وجهة نظر علماء أهل السنة فهي صحيحة ومطابقة للواقع. وإنهم يعتقدون بأن كل ما جاء في هذه الصحاح الستة ونسب إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) فإنه قد خرج من بين شفطي رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو أمضاه وقرره عمليا. وأما سائر كتب الحديث فإنها فاقدة لهذه الخصوصية إذ يحتمل أن تكون فيها احاديث وقعت سهوا



أو عمدا ونسبت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله). ومن هذا المنطلق قال فضل بن رزيهان: لو أن أحدا حلف يمينا بأن كل ما ورد في الصحاح الستة من الأحاديث فهو صحيح وهو قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) لكان يمينه صحيحا، ولا عليه الحنث (١). وقال في موضع آخر: فقد وقع إجماع الأئمة على صحتها - الصحاح الستة - (٢). ومن هنا قال بعضهم في ما يخص بعض الصحاح - سنن الترمذي -: من كان في

(١) إحقاق الحق، ذيل حديث (علي صاحب الحوض واللواء)، (٢) إحقاق الحق ٢: ٢٣٥.

#### [٧٤]

بيته هذا الكتاب كان في بيته نبي يتكلم (١). وقالوا في سنن أبي داود: كتاب الله أصل الأيمان، وسنن أبي داود عهد الإسلام (٢). وأما الصحيحان - البخاري ومسلم - فقد وقعا موضع اهتمام أهل السنة أكثر من الصحاح الأربعة الأخرى، وحازا قصب السبق ونالا الدرجة الأولى من الاعتبار، ومن ثم تلاهما سائر الصحاح الأربعة. خصائص صحيح البخاري: إحصاء أبوابه وأحاديثه: يحتوي صحيح البخاري على تسع مجلدات، وأكثر من مائة كتاب، وأبوابه تزيد على ثلاثة الاف وأربعمائة وخمسين بابا، وأحاديثه تبلغ سبعة الاف ومائتين وخمس وسبعين حديث مع عد المكررات منها، وأما إذا أسقطنا المكررات تبلغ أحاديثه أربعة الاف حديث (٣). الشروح والتعليقات على صحيح البخاري: بلغت الشروح التي كتبت على صحيح البخاري إلى الآن سواء الكامل منها أو الناقص تسعة وخمسين شرحا، والمطبوعة منها أحد عشر، وأما التعليقات على البخاري فقد بلغت ثمان وعشرين تعليقة، وكتب خمسة عشر عالما خلاصة للصحيح كل حسب مذاقه، في حين كتب ستة عشر عالما مقدمة له (٤). خصائص صحيح مسلم: يحتوي صحيح مسلم على ثمان مجلدات وخمسين كتابا، ويشمل ألف ومائتين وخمسة أبواب، وعدد أحاديثه مع إسقاط المكررات يبلغ أربعة الاف حديث، ومع

(١) تذكرة الحفاظ للذهبي ٢: ٦٢٤ ترجمة رقم ٦٥٨، وقد سطرت هذه العبارة على سنن الترمذي المطبوعة عام ١٢٥٦ هـ القاهرة. (٢) تذكرة الحفاظ ٢: ٥٩٢. ترجمة رقم ٦١٥. (٣) تدريب الراوي في شرح التقريب للنووي ١: ١٠٢. (٤) مقدمة صحيح البخاري المطبوع عام ١٣٧٦ هـ بمكة المكرمة.

#### [٧٥]

المكررات يبلغ سبعة الاف ومائتين وخمسة وسبعين حديثا (١). ووصف الكثير من العلماء كتبنا في شرح الصحيح والتعليق عليه، إلا أن أهمها هو شرح الفاضل النووي... المغالاة في الصحيحين: قال علماء العامة في الصحيحين وفي تصحيحهم وتوثيقهم لجميع أحاديثهما وتعديل مؤلفيهما من المدائح والأطراء كثيرا، وأطنبوا في ذلك حتى بلغ بهم مبلغ الغلو والأفراط فيهما، وكان نصيب البخاري من هذه المدائح والأطراءات أكثر من مسلم. فتارة تراهم يبعثون سلام وتحية النبي (صلى الله عليه وآله) الى البخاري وتارة اخرى يقصون الرؤى والأحلام في شأن صحيحه وينسبون إليه وإلى مسلم وصحيحيهما شتى الكرامات الفاضلة حتى أن بلغ الأمر بهم أن قالوا: إن رسول الله أيد صحة كتابيهما وأمضاهما. ولكن الواقع ان هذه المنسوبات والكرامات، المدائح والأطراءات والمغالاة بحقهما لا تتوافق مع متن

الصحيحين واسلوب مؤلفيهما فيهما، كما سيتضح لك هذا الأمر خلال هذا البحث بالتفصيل. فقبل ان نقوم بالتحقيق في الكتابين نورد بعض هذه الأقوال والمدائح التي قيلت بشأنهما كنماذج وأمثلة: قال الجليبي: أما الكتب المصنفة في علم الحديث فأكثر من أن تحصى، إلا أن السلف والخلف قد أطبقوا على أن أصح الكتب بعد كتاب الله سبحانه وتعالى صحيح البخاري، ثم صحيح مسلم (٢). قال محمد بن يوسف الشافعي: أول من صنف في الصحيح، البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل وتلاه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، ومسلم مع أنه أخذ عن

(١) ذكر النووي في كتابه التقريب عدد الأحاديث الغير مكررة فقط. (٢) كشف الظنون ١: ٦٤١ باب علم الحديث.

### [٧٦]

البخاري واستفاد منه، فإنه يشارك البخاري في كثير من شيوخه، وكتابهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز (١). قال الذهبي: وأما جامع البخاري الصحيح فأجل كتب الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله عز وجل (٢). وكذلك قال الجليبي عن صحيح مسلم: جامع مسلم الصحيح من حيث الصحة هو ثاني كتاب وهو أحد الكتابين اللذين ليس أصح منهما شيء بعد كتاب الله (٣). قال أبو علي النيشابوري: ما تحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم (٤). يقول الفاضل النووي في تقريبه: إن أصح الكتب بعد القرآن الصحيحان: البخاري ومسلم، وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد، وإن رجح البعض تقديم صحيح مسلم عليه، ولكن الصواب والمختار هو الذي ذكرناه (٥). وقال في مقدمة شرحه على صحيح مسلم: اتفق العلماء على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان: البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول (٦). قال القسطلاني: قد اتفقت الأمة على تلقي الصحيحين بالقبول، واختلفت في أيهما أرجح، فصرح البعض بتقديم صحيح البخاري، وصرح آخرون بتقديم صحيح

(١) هدى الساري: ٨. (٢) إرشاد الساري ١: ٢٩. (٣) كشف الظنون ١: ٦٤١ باب علم الحديث. (٤) وفيات الاعيان ٤: ٢٠٨، تذكرة الحفاظ ٢: ٥٨٩، كشف الظنون ١: ٦٤٢. (٥) التقريب للنووي: ٣. هذا الكتاب هو من أفضل وأقدم ما كتب في علم أصول الحديث، وقام جلال الدين السيوطي بشرحه وأسماه تدريب الراوي ويعتبران معا من المراجع المهمة في علم الحديث. (٦) شرح صحيح مسلم ١: ١٤.

### [٧٧]

مسلم (١). يقول ابن حجر المكي: الصحيحان هما أصح الكتب بعد القرآن بإجماع من يعتد به (٢). قال إمام الحرمين: لو حلف إنسان بطلاق امرأته أن ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكما بصحته - هي مطابقة مع الواقع - وهي مما حكاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان حلفه صحيحا ولا كفارة عليه، لأن الأمة أجمعت على صحة أحاديثهما (٣). مغالاة أكثر: لم يقنع علماء أهل السنة في تعريفهم وتمجيدهم للصحيحين وتصحيح وتوثيق كل ما ورد فيهما من الروايات فحسب، بل انهم زادوا الطين بلة حينما سلكوا سبيل الغلو والأفراط في هذا المجال، حتى ادعى أحدهم أنه رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في منامه وقال (صلى الله عليه وآله): إن صحيح البخاري هو كتابي. وينقل عن الشيخ محمد بن عبد الرحمن شارح مختصر

الخليل انه قال: كنت مع شيخي الشيخ عبد المعطي التنوسي (التونسي) في زيارة لمرفد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ شاهدت شيخي خلافا لما اعتاده يمشي خطوة الى الأمام ثم يتوقف هنيئة، ويكرر ذلك حتى وصل إلى قبر الرسول (صلى الله عليه وآله)، ووقف أمام القبر وتكلم بكلام لم أفهم ما قاله. وعندما رجعنا سألته عن قضية المشي والمكث والمحاذثة الغير معتادة قال: كنت أستأذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالدخول والزيارة حتى أذن، فلما دنوت منه قلت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهل كل ما ورد في صحيح البخاري صحيح؟ قال: نعم. قلت: احدث عنك كل ما ورد فيه من الأحاديث؟ قال: نعم، حدث عني.

(١) إرشاد الساري ١: ٢٠. (٢) الصواعق المحرقة: ٩، وجاء في تطهير الجنان المطبوع بهامش الصواعق: ٢٠ ذكر البخاري فقط. (٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١: ١٩.

#### [٧٨]

ونقلت هذه القصة في كتب أخرى على نحو آخر: أن الشيخ التنوسي لما زار قبر النبي (صلى الله عليه وآله) سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله): هل ما ورد في صحيح البخاري وصحيح مسلم من الحديث صحيح ويجوز لي أن أحدث ذلك عنك؟ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): نعم، انهما جميعا صحيحان وحدث عني ما ورد فيهما (١). نقل عن أبي زيد المرزوي أنه قال: كنت نائما بين الركن والمقام فرأيت النبي (صلى الله عليه وآله) في المنام، فقال لي: يا أبا زيد، إلى متى تدرس كتاب الشافعي ولا تدرس كتابي؟ فقلت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وما كتابك؟ قال: جامع محمد بن إسماعيل البخاري (٢). قال محمد فريد وجدي: وغلا بعضهم فرأى أن يستأجر رجلا يقرأون الأحاديث النبوية في كتاب الأمام البخاري استجلابا للبركات السماوية - تماما كالقرآن - (٣). قال القاسمي في قواعد التحديث: صحيح البخاري عدل القرآن، إذ لو قرئ هذا الكتاب بدار في زمن شاع فيه الوباء والطاعون لكان أهله في مأمن من المرض، ولو اختتم أحد هذا الكتاب لنال ما نواه، ومن قرأه في واقعة أو مصيبة لم يخرج حتى ينجو منها، ولو حمله أحد معه في سفر البحر لنجا هو والمركب من الغرق (٤). ما قيل من الرؤى والكرامات: يقال: إن البخاري ذهبت عيناه في صغره، فرأت والدته إبراهيم الخليل (عليه السلام) في المنام، فبشرها بصحة ابنها، فقال لها: يا هذه قد رد الله على ابنك بصره بكثرة دعائك له، فأصبح وقد رد الله عليه بصره (٥).

(١) الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين: الحديث الثالث والثلاثون. استقصاء الأرقام ٢: ٨٦٨. (٢) هدى الساري: ٤٩٠، إرشاد الساري ١: ٢٩. (٣) دائرة معارف القرن العشرين ٣: ٤٨٢. (٤) قواعد التحديث: ٢٥٠. (٥) هدى الساري: ٤٧٨، إرشاد الساري ١: ٣١، تاريخ بغداد ٢: ١٠.

#### [٧٩]

الفربري والنبي (صلى الله عليه وآله): قال محمد بن يوسف الفربري: رأيت النبي (صلى الله عليه وآله) في النوم فقال لي: أين تريد؟ قلت: أريد محمد بن إسماعيل البخاري، قال: اقرأه مني السلام (١). قال البخاري: ما وضعت في كتاب الصحيح حديثا إلا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين (٢). نقل الفربري ان البخاري قال:

ما أدخلت في الصحيح حديثاً حتى استخرت الله، وصلت ركعتين، وتيقنت صحته (٣). قال البخاري: صفت الجامع من ستمائة ألف حديث في ستة عشر سنة وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى (٤). حكى الفاضل النووي أن مسلم قال: صفت هذا المسند - الصحيح - من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة، لو أن أهل الحديث يكتبون مائتي سنة الحديث فمدارهم على هذا المسند (٥). الشعراء يطرون: وتبعا لأولئك العلماء فقد نظم الشعراء في البخاري وصحيحه أشعاراً كثيرة وقصائد متعددة، من ذلك ما أنشده ابن عامر الجرجاني حيث قال: صحيح البخاري لو أنصفوه \* لما خط إلا بماء الذهب هو الفرق بين الهدى والعمى \* هو السر دون العنا والعطب

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١: ٦٨، تاريخ بغداد ٢: ١٠، (٢، ٣) هدى الساري: ٤٩٠، إرشاد الساري ١: ٢٩، (٤) هدى الساري: ٤٩٠، إرشاد الساري ١: ٢٩، كشف الظنون ١: ٥٤٤ مادة الجامع الصحيح، (٥) شرح صحيح مسلم للنووي ١: ١٥.

#### [٨٠]

بأسانيد مثل نجوم السماء \* أمام متون كمثل الشهب به قام ميزان دين النبي (صلى الله عليه وآله) \* ودان له العجم بعد العرب (١) وأنشد الأمام أبو الفتوح العجلي مادحا صحيح مسلم: صحيح القشيري ذا رتبة \* تفوق الثريا إذا ما اعتلت فألفاظه مثل نور الرياض \* سقيها السواري إذا ما سرت وأما المعاني فكالشمس تحت \* السحاب الخريفي عنه انجلت فله دولة هذا الأمام \* ولله همته إن علت عليه من الله رضوانه \* فقد تم مسعاته وانتهت (٢) دفاع مريز: أفرط أهل السنة في ثنائهم على الصحيحين حتى بلغ بهم الأمر حد التعسف والعلو، وحفظا لمقامهما وشأنهما فقد حظروا على الباحثين والمحققين أن يقوموا بالبحث والتنقيب فيهما، واعتبروهما كالوحي المنزل والقرآن الكريم من حيث العصمة عن الخطأ، ومنزها من أن تنالهما الآراء والأفكار وإبداء الرأي فيهما، وأن البحث والتحقيق فيهما، يكاد يكون توهينا لهما وهذا بمثابة التوهين للقرآن ولا توبة ولا غفران لمن يقوم بذلك. ففي عام ١٣٨٦ هـ نشرت جمعية الإصلاح الاجتماعي في الكويت كراسا في الدفاع عن صحيح البخاري والرد على المخالفين بعنوان (كل ما في البخاري صحيح). وكان هذا الكراس ردا واستنكارا على المقال الذي كتبه عبد الوارث كبير تحت عنوان (ليس كل ما في صحيح البخاري صحيحا) الذي نشرته مجلة الوعي الإسلامي الكويتية.

(١) إرشاد الساري ١: ٣٠، (٢) وردت هذه الأبيات في آخر صحيح مسلم طبعة بيروت.

#### [٨١]

وبما إننا لم نحصل على هذا المقال المنشور في المجلة، لذلك لا يمكننا أن نبدي رأينا فيه أو نحكم له أو عليه. وأما الكراس المنشور ردا على المقال فهو بأيدينا، وهو يحتوي على ردود واستنكارات خطابية أو الأصح إن الكراس كتب بأسلوب مملوء من الهراء والعريضة واللاموضوعية. فقد جاء في أوله رسالة مفتوحة إلى أمير الكويت كتبها إثنان وثلاثون أستاذا من جامعات سوريا استنكروا فيها على كاتب المقال وطلبوا من الأمير كسر مثل هذه الأقلام !! والوقوف أمام نشر مثل هذه المقالات في المجلات. وبعد هذه الرسالة سطر ثمان مقالات لثمانية من الأساتذة والعلماء من شتى البلاد

العربية دفاعا عن صحيح البخاري ومسلم، ثم ذكروا قائمة بأسماء عشرة من أساتيد وعلماء الجامعات ممن تصدوا للجواب والرد على صاحب المقال والاستنكار عليه والدفاع عن البخاري. أيها القارئ البصير، لعلك ترى إننا قد أطيننا وأسهبنا الكلام في هذا الفصل من كتابنا، ولكن الحق إن الأقوال هذا في المجال أكثر مما أوردناه، وما الذي ذكرناه الا نموذجا ضئيلا منها، وذلك مما دعت الضرورة والحاجة إليه ليرتفع بذلك الستار المسدول عن واقع الصحيحين ومقامهما وأهميتهما عند أهل السنة سواء في الماضي أو الحاضر، بل ترى أهميتهما اليوم قد ازدادت وتضاعفت أكثر حتى أصبح المنتقد للصحيحين والباحث فيهما ولو بالاسلوب العلمي، أو إن الذي أراد أن يناقش صحة الأحاديث الواردة فيهما يواجه ردا صارما، وتأتيه الضربة الحديدية القاضية. وما استنكارهم هذا ودفاعهم في تقديس الصحيحين إلا سدا لأبواب التحقيق على المحققين الباحثين في الصحيحين كيلا يتجرأ أحد على أن يكشف الحقائق. عندما تتجلى الحقيقة: لو دقق الباحث في كل ما قاله ناثر المدح والأطراء على الصحيحين، ولو استمع المرء الى ما نقله علماء العامة من الكرامات والأحلام حول البخاري ومسلم و كتابيهما،

[٨٢]

ولو أمعن القارئ في ما كتبه علماء العامة بشأنهما، وبشأن كتابيهما لتجلت له شخصية البخاري ومسلم وعلو مرتبتهما بحيث إن لم يعدهما معصومين لا يشك أبدا في تقواهما وعدالتهم وورعهما ووثاقتهم، وكذا لا يرتاب أبدا في صحة كتابيهما، وكذلك تتجسد لديه حقيقة مقولة بعض العلماء في الصحيحين من أنه ما تحت أديم الأرض كتاب أصح منهما، وإن الرسول (صلى الله عليه وآله) قد نسب كتاب البخاري الى نفسه واعتبره كتابه، وهكذا تتجسد له هذه الأمور جلية بحيث لا يمكن نقضها وتغييرها والخدشة فيها. ولكن بمجرد دراسة مختصرة وتفحص إجمالي فيهما تتجلى الحقائق التي تكمن خلف أستار الوهم والخيال، وينكشف للباحث أن - في مقابل تلك الفضائل والكرامات المنقولة في شأن البخاري ومسلم والعلو الذي طالما حوصر بين الخيال والوهم - هناك علماء من أهل السنة أنفسهم قد نظروا الى الصحيحين نظرة المحقق الباحثة فوضعوا ما احتواه الصحيحان على طاولة التشريح ووازنوهما بالمعيار الواقعي وخرجوا بعد ذلك بالنتيجة التالية: إن بعض أحاديث الصحيحين من جهة الاسناد وبعضها الآخر من جهة النص والتمن مرفوضة ومخالفة للأصول العلمية والدينية. وهناك اخرون أيضا من علمائهم أزاحوا حجب العصبية عن بصائرهم ونظروا إلى شخصية البخاري ومسلم بمنظار الواقعية وأصبحت نظرتهم تماما على عكس الفئة الأولى المغالين الذين رووا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بلغ سلامه إلى البخاري. وهذا ما تكشفه هذه الصفحات التالية لذوي العقول والأبصار من بيان الحقيقة عن ماهية الصحيحين ومؤلفيهما، وتوضيح الصورة الواقعية لهما ومؤلفيهما. وليعلم القارئ الكريم بأننا نحن الشيعة لم نكن سباقين الى فتح باب الانتقاد على الصحيحين ومؤلفيهما وتفنيد رواياتهما، بل أن علماء العامة أنفسهم لهم السبق وأنهم تعرضوا لنقدتهما وبينوا الحقيقة بصراحة، وفتحوا باب نقد الصحيحين على مصراعيه. ومن هؤلاء الناقدون جمع من العلماء والمحدثين والحفاظ وشراح الصحيحين الذين تعتمد العامة أقوالهم وتعترف بعلو مقامهم العلمي عندما أبدوا نظرياتهم العلمية

[٨٣]

والتحقيقية. ونستطرد هنا طرفا من آراء ونظريات اولئك العلماء والحفاظ: رأي الذهلي في الصحيحين: قال ابن خلكان: محمد بن يحيى المعروف بالذهلي من أكابر العلماء والحفاظ وأشهرهم، وهو استاذ وشيخ البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه (١). قال أحمد بن حنبل لابنه وأصحابه: اذهبوا الى ابي عبد الله - الذهلي - واكتبوا عنه (٢). وقال الخطيب البغدادي: كان يرى الذهلي وأكثر المتكلمين في كلام الله انه قديم، وقد قالوا بكفر وارتداد مخالفيهم الذين يرون بأن كلام الله حديث. وقالوا: ومن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر، وخرج عن الأيمان، وبانت عنه امرأته، يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وجعل ماله فينا بين المسلمين، ولم يدفن في قبور المسلمين، ومن وقف وقال: لأقول مخلوق أو غير مخلوق فقد ضاهى الكفر، ومن زعم أن لفظ القرآن مخلوق فهذا مبتدع لا يجالس ولا يكلم. وأضاف الخطيب قائلا:

(١) وفيات الاعيان لابن خلكان ٤: ٢٨٢ ترجمة الذهلي. قال الكلاباذي الأصبهاني في كتابه الجمع بين رجال الصحيحين في ترجمة الذهلي: روى عنه البخاري في الصوم والطب والجنائز والعتق وغير موضع في ما يقرب من ثلاثين موضعا ولم يقل: حدثنا محمد بن يحيى الذهلي - مصرحا - بل يقول: حدثنا محمد، ولا يزيد عليه، ويقول محمد بن عبد الله - ينسبه إلى جده - وقال: حدثنا محمد بن خالد، ينسبه إلى جد أبيه، والسبب في ذلك إن البخاري لما دخل نيسابور شغب عليه محمد بن يحيى الذهلي في مسألة خلق اللفظ وكان قد سمع منه فلم يترك الرواية عنه ولم يصرح باسمه. راجع الجمع بين رجال الصحيحين ٢: ٤٦٥ ترجمة رقم ١٧٨٧. (٢) تاريخ بغداد ٣: ٤١٦.

#### [٨٤]

وكان البخاري خلافا لأكثر متكلمي عصره يقول بأن لفظ القرآن مخلوق، ولما ورد مدينة نيسابور أفتى الذهلي - الذي تقلد منصب الأفتاء والامامة بنيسابور - قائلا: ومن ذهب بعد مجلسنا هذا الى محمد بن إسماعيل البخاري فاتهموه فإنه لا يحضر مجلسه إلا من كان على مثل مذهبه (١). وكان البخاري في نظر الذهلي وأكثر علماء نيسابور في ذلك العصر مطرودا ومضلا منحرفا في العقيدة، ووصل الانزجار والنفور منه إلى حد لم يمكنه البقاء في نيسابور فرحل عنها، وقال بعض: إنهم أبعده عن نيسابور، وتفرق عنه كل تلامذته وأصحابه عدا مسلم وأحمد بن مسلمة. وفروا منه كفرارهم من النار كيلا يمسهم لهيب الانزجار العام وغضب الناس كما أصاب البخاري. ذكر أصحاب التراجم هذه القصة على أنها من أسوأ المصائب والالام التي حلت بالبخاري. ويمكن أن نستنتج من هذه الواقعة التاريخية، أن صحيح البخاري وكذلك صحيح صاحبه الأوحده مسلم بن حجاج النيسابوري قد وقعا معرض النقد والأبرام والذم مالا يوصف من قبل العلماء والحفاظ مثل الذهلي. وإن هذين الكتابين اللذين عرفا واشتهرا اليوم باسم الصحيحين ويعدان مرجعا للتعاليم الدينية عند أهل السنة، قد كان مؤلفاهما

(١) ذهب احمد بن حنبل إلى تكفير من يقول بخلق القرآن فقال: والقرآن كلام الله ليس بمخلوق، فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمي كافر، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل مخلوق ولا غير مخلوق فهو اخبث من الأول، ومن زعم أن تلفظنا بالقرآن وتلاوتنا له مخلوق والقرآن كلام الله فهو جهمي، ومن لم يكفر هؤلاء القوم والقائلين بخلق القرآن وكلام الله فهو مثلهم - كافر - وقال أيضا: من قال: القرآن مخلوق، فهو عندنا كافر، ولا يصلح خلفه... ولو تمنعت - أيها القارئ - في هذه الفتاوى الصريحة الواضحة التي مرت عليك أنفا وعرفت السبب في مواجهة البخاري للمحن والمشاكل. فيمكنك عندئذ ان تشكل القضية المنطقية من الصغرى والكبرى ومن ثم تحصل على النتيجة فتأمل فيها جيدا. راجع كتاب السنة لاحمد بن حنبل: ٣ - ٥٢... المعرب.

أذاك محل انزجار واتهام المسلمين إياهما بالكفر والزندقة. قال الخطيب البغدادي: قال محمد بن يحيى: كتب إلينا من بغداد أن محمد بن إسماعيل يقول: بأن لفظ القرآن ليس قديم، وقد استتبناه في هذه ولم ينته: فلا يحق لأحد أن يحضر مجلسه بعد مجلسنا هذا (١). مسلم يرفض: لم يذهب الذهلي بفساد عقيدة البخاري فحسب، بل كان يرى انحراف صاحبه مسلم بن حجاج - صاحب الصحيح - عن العقيدة السليمة، ولذا طرده عن مجلسه وحرّم على الناس حضور مجلسه (٢). قال ابن خلكان: كان مسلم على أثر اعتقاده هذا مرفوضاً ومنفوراً في الحجاز والعراق (٣). يظهر من هاتين القصتين أن البخاري ومسلم كانا محل رفض وطرد من قبل أهل نيسابور وعلماء بغداد وأهلها لاعتقادهما في القرآن بأنه مخلوق، وكان هذا سبباً لطردهما من نيسابور. موقف أبي زرعة من الصحيحين: يعد أبو زرعة من حفاظ الحديث وعلم من أعلام علم الرجال والعلوم الأخرى، قال الفاضل النووي فيه: انتهى الحفظ - حفظ الحديث - إلى أربعة من أهل خراسان: أبو زرعة و... (٤)

(١) تاريخ بغداد ٢: ٣١، ارشاد الساري ١: ٣٨، هدى الساري مقدمة فتح الباري: ٤٩١، استقصاء الأفهام: ٩٧٨. (٢) دائرة معارف القرن العشرين ٥: ٢٩٢ مادة سلم، تذكرة الحفاظ ٢: ٥٨٩ ترجمة مسلم بن الحجاج رقم ٦١٣. (٣) وفيات الأعيان ٢: ٢٨١. (٤) تهذيب الأسماء واللغات ١: ٦٨.

كان أبو زرعة بمكانته العلمية هذه ينتقد مسلم ونظائره واعتبرهم متظاهرين بالحديث ومتاجرين به، وكان يقول بأن بعض أحاديث صحيح مسلم ليس بصحيح. وقال الخطيب عن سعيد بن عمرو قال: شهدت أبا زرعة الرازي ذكر كتاب الصحيح الذي ألفه مسلم بن الحجاج ثم المصوغ على مثاله - صحيح البخاري، فقال لي أبو زرعة: هؤلاء قوم أرادوا التقدم قبل أوانه فعملوا شيئاً يتشوفون به، ألفوا كتاباً لم يسبقوا إليه ليقوموا لأنفسهم رئاسة قبل وقتها. وأتاه ذات يوم - وأنا شاهد رجل بكتاب الصحيح من رواية مسلم فجعل ينظر فيه فإذا حديث عن أسباط بن نصر، فقال أبو زرعة: ما أبعد هذا من الصحيح يدخل في كتابه أسباط بن نصر، ثم رأى في كتابه قطن بن نصير فقال لي: وهذا أطم من الأول (١). وذكر الذهبي قصة أبي زرعة ولكنه أتى بكلمة يتسوفون - يتاجرون - بدلا عن كلمة يتشوفون - يتظاهرون (٢) -. موقف النووي من الصحيحين: الفاضل النووي شارح الصحيحين البخاري ومسلم، له صيت في علم الرجال، وألف كتباً متعددة في علم الحديث والرجال، وتعد كتبه مرجعاً، تراه يشك ويتردد في صحة بعض أحاديث الصحيحين، وأحياناً يبدي رأيه بالصراحة ببطلان بعضها. فقد قال في مقدمة شرحه على صحيح مسلم: وأما قول مسلم - وادعأؤه في صحيحه بأن ليس كل شيء صحيح عندي وضعته فيه فحسب، بل جمعت في كتابي الصحيح كل ما اتفق الجمهور على صحته - فمشكل فقد وضع فيه أحاديث كثيرة مختلف في صحتها لكونها من حديث من ذكرناه ومن لم نذكره ممن اختلفوا في صحة حديثه (٣).

(١) تاريخ بغداد ٤: ٢٧٣. (٢) ميزان الاعتدال ١: ١٢٦، ترجمة أحمد بن عيسى المصري التستري رقم ٥٠٧. (٣) مقدمة شرح صحيح مسلم للنووي: ١٦.

وفي ذيل شرحه لحديث أبي سلمة في باب بدء الوحي، بأن أول سورة نزلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) هي سورة المدثر (يا أيها المدثر) قال النووي: إنه ضعيف، بل باطل، والصواب أن أول ما انزل على الأطلاق (اقرأ باسم ربك) (١). موقف ابن حجر من الصحيحين: قال ابن حجر: وعدة ما اجتمع الناس - على قدحه من الأحاديث - مما في كتاب البخاري وإن شاركه مسلم في بعضه مائة وعشرة حديثاً منها ما وافقه مسلم على تخريجه وهو اثنان وثلاثون حديثاً (٢). وقال في مقدمة فتح الباري: فقد تناول جماعة من المحدثين وعلماء الرجال أكثر من ثلاثمائة من رجال البخاري فضغفوه، وأشار - بعد سرد أسمائهم - إلى حكاية الطعن والتنقيب عن سبب ضعفهم (٣). رأي القاضي الباقلاني: أنكر القاضي أبو بكر الباقلاني صحة حديث صلاة النبي (صلى الله عليه وآله) على جنازة عبد الله بن أبي، واعتراض عمر عليه (صلى الله عليه وآله) - الحديث الذي رواه الصحيحان - وقال إمام الحرمين: لا يصححه - أي الحديث المذكور - أهل الحديث. وقال الغزالي في المستصفى: الأظهر أن هذا الخبر غير صحيح. وقال الداودي: هذا الحديث غير محفوظ (٤). رأي ابن همام: قال كمال الدين بن همام في شرح الهداية: وقول من قال: أصح الأحاديث ما في

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ٢: ٢٠٧. (٢) هدى الساري مقدمة فتح الباري: ٢٤٥. (٣) هدى الساري مقدمة فتح الباري: ٢٨٢. (٤) فتح الباري ٨: ٢٧٢ تفسير سورة براءة.

الصحيحين ثم ما انفرد به البخاري ثم ما انفرد به مسلم، ثم ما اشتمل على شرط أحدهما... تحكم وباطل لا يجوز التقليد فيه (١). هذا الذي ذكرناه هو مجمل ما قاله شراح الصحيحين والسلف من العلماء حول الصحيحين ومؤلفيهما، ولو أردنا أن نستقصي كل ما قيل من النقد والقدح فيهما لاحتجنا في ذلك إلى كتاب مستقل وكبير. ونلفت أنظار القراء إلى رأيين من علماء مصر المعاصرين: رأي الشيخ محمد عبده: يعد السيد محمد رشيد رضا المصري من أبرز تلاميذ الشيخ محمد عبده، فقد جمع السيد رشيد رضا نظريات وآراء استأذنه في كتابه تفسير المنار، فإنه بعد أن ذكر قول ابن حجر الذي قال: عدة ما اجتمع لنا من ذلك - الانتقادات والمؤاخذات - مما في كتاب البخاري وإن شاركه مسلم في بعضه مائة وعشرة أحاديث فيها ما وافقه مسلم على تخريجه اثنان وثلاثون حديثاً ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ثمانية وسبعون حديثاً. وقد ضعف الحفاظ من رجال البخاري نحو ثمانين ومن رجال مسلم مائة وستين. ثم يقول ابن حجر: عدة ما أخرجته من نحو مائتين وعشرة أحاديث انفرد البخاري بأكثر من سبعين حديثاً، وذكر مسلم ما تبقى في صحيحه (٢). فقال السيد محمد رشيد رضا بعد أن عرض الأحاديث المنتقدة على البخاري: وإذا قرأت ما قاله الحافظ ابن حجر - فيها رأيتها كلها في فن الصناعة، ولكنك إذا قرأت الشرح نفسه (فتح الباري) رأيت له في أحاديث كثيرة إشكالات في معانيها أو تعارضها مع غيرها - أكثر مما صرح به الحافظ نفسه - مع محاولة - من الحافظ - الجمع بين

(١) أضواء على السنة المحمدية: ٣١٢. (٢) هدى الساري مقدمة فتح الباري: ٢٤٥.



المختلفات وحل المشكلات بما يرضيك بعضه دون بعض (١). وقال الشيخ محمد عبده بعد أن ساق أقوال العلماء والحفاظ في مسألة الصلاة على جنازة ابن أبي: الحق أن هذا الحديث معارض لليتين، فالذين يعنون باصول الدين ودلائله القطعية أكثر من الروايات والدلائل الظنية لم يجدوا ما يجيبون به عن هذا التعارض إلا الحكم بعدم صحة الحديث (٢). رأي أحمد أمين: قال أحمد أمين الأديب المصري بشأن الصحيحين: وقد ضعف الحفاظ من رجال البخاري نحو ثمانين. وفي الواقع هذه مشكلة المشاكل - لأن بعض من ضعف من الرواة لاشك أنه كذاب، فلا يمكن الاعتماد على قوله، والبعض الآخر منهم مجهول الحال، ومن هذا فيشكل الأخذ عنه... ومن هؤلاء الأشخاص الذين روى عنهم البخاري وهم غير معلومي الحال عكرمة مولى ابن عباس. وقد ملأ الدنيا حديثا وتفسيرا، فقد رماه بعضهم بالكذب، وبأنه يرى رأي الخوارج، وبأنه كان يقبل جوائز الامراء، ورووا عن كذبه شيئا كثيرا. ويضيف الأديب أحمد أمين على ذلك شواهد تاريخية أخرى لأثبت كون عكرمة كذابا، ثم يقول: فالبخاري ترجح عنده صدقه فهو يروي له في صحيحه كثيرا.... ومسلم ترجح عنده كذبه. فلم يرو له إلا حديثا واحدا في الحج ولم يعتمد فيه عليه وحده وإنما ذكره تقوية لحديث آخر (٣). رأي مسلمة في صحيح البخاري: وأما ما قاله مسلمة في البخاري وكتابه الصحيح: فإنه يعتبر تأليف البخاري

(١) أضواء على السنة المحمدية: ٣٠٢. (٢) تفسير المنار ١٠: ٥٨٠. (٣) ضحى الإسلام ٢: ١١٧.

للصحيح عملا خلافا وسينا وحسب المصطلح ان البخاري قد ارتكب سرقة علمية، وهذا مما يحط من شخصيته العلمية والخلقية، ويسقط قيمته والاعتبار بكتابه ويضعهما في موضع بين القبول والرد. يقول مسلمة: ألف علي بن المديني - شيخ البخاري - كتاب العلل وكان ضنينا به، ومهتما به كل الاهتمام لكي لا تناله الأيدي، فغاب يوما في بعض ضياعه - خارج المدينة - فجاء البخاري - منتهزا الفرصة - إلى بعض بنيه وراغبه بالمال على أن يرى الكتاب - العلل - يوما واحدا. فأعطاه له، فدفعه البخاري إلى النساخ، فكتبه له، وردة إليه، فلما حضر علي بن المديني وجلس في مجلسه تكلم بشئ، فأجابه البخاري بنص كلامه مرارا ففهم القضية - استنساخ الكتاب - واغتم لذلك فلم يزل مغموما حتى مات بعد يسير. واستغنى البخاري بذلك الكتاب عن البحث والتنقيب في الأحاديث، وخرج إلى خراسان، ووضع كتابه الصحيح، فعظم بذلك شأنه وعلا ذكره (١). رأينا في الصحيحين: هذا الذي ذكرناه كان ملخص ما أبداه بعض علماء أهل السنة حول الصحيحين ونقدم إياهما من حيث السند حيناً وحيناً من حيث المتن، وآخر من جهتهما معا. وأما ما نراه ونذهب إليه حول الصحيحين ومحتوياتهما فهو مطابق لرأي هذه الفئة الأخيرة من علماء أهل السنة، وإنا وإياهم متفقون في العقيدة بالنسبة إلى هذا الموضوع، ولكن نرى أن في محتويات الصحيحين وكذا ضمن الأحاديث الصحيحة التي نقلناها في شتى الأبواب إن الأحاديث الغير صحيحة والضعيفة يبلغ عددها فوق ما عده ابن حجر كما نقل عنه الحفاظ حيث قال: إنها لا تتجاوز المائة وعشرة أحاديث، ضعيفة من جهة المتن.

## [٩١]

ونرى أيضا أن في اسناد الصحيحين ورجالهما أشخاصا ضعافا وغير موثقين أكثر مما نقل ابن حجر عن الحفاظ وعلماء فن الرجال من أن ضعفاء رواتهما يبلغ الثلاثمائة شخص. ويؤيد رأينا في ضعف أحاديث الصحيحين متنا وسندا الأدلة التالية: ١ - ضعف بعض رجال الصحيحين، وإنهم غير موثقين، في علم الرجال. ٢ - العصبية الشديدة التي تحلى بها مؤلفا الكتابين. ٣ - الفترة الزمنية الطويلة الممتدة بين زمن صدور الحديث وتاريخ تدوينه، مع النظر إلى دواعي وأسباب الجعل والوضع. ٤ - تقطيع بعض الأحاديث عند البخاري تمشيا لذوقه ورأيه. ٥ - النقل بالمعنى، كما يلاحظ في صحيح البخاري. ٦ - تميم وتكميل صحيح البخاري بوسيلة الآخرين. ٧ - ملاحظة كثرة الأحاديث المخالفة للأدلة العقلية والدينية فيهما. هذه ملاحظتنا على الصحيحين وهي تؤيد ضعفهما وتوضح وهن أحاديثهما، ولا يمكن لأي محقق وبحاثة الاغماض عن هذه الموارد. وسنشرحها بالتفصيل إن شاء الله في الصفحات الآتية.

## [٩٣]

الفصل الرابع أدلة ضعف الصحيحين وسقمهما

## [٩٥]

الدليل الأول: ضعف السند أول المؤاخذات على ضعف أحاديث الصحيحين والسبب في عدم الوثوق بهما هو ضعف اسناد ورواية بعض أحاديثهما. ولما كان البحث في السند ذو علاقة وثيقة بموضوع كتابنا، ويعد من البحوث المهمة والرئيسية في علمي الرواية والدراية، وأنه أفضل وأهم ملاك ومعياري بيان صحة الحديث وعدمه، لزم علينا أن نستوفي البحث فيه بتفصيل أكثر وتبيين أوفر، مع المراعاة لحجم الكتاب، ورعاية الأيجاز، وأن نخصص صفحات قليلة من الكتاب للبحث في هذا الموضوع. علم الرجال ودراية الحديث: من الضروري قبل توثيق أي خبر أو الحكم بصحته وترتيب الأثر عليه، الالتفات إلى شخصية الراوي والناقل وتقييمه من حيث تحليله بصفات الراوي مثل عدم كونه كذابا ومحرفا ومدلسا، ومدى التزامه الديني وتعهد العقائدي ومرتبته الأيمانية والتقوائية، لأن الراوي إذا كان مؤمنا ومتعهدا يكون مصونا من الولوج في التدليس والتحريف وارتكاب الكذب. وهذا الأمر من البديهيات التي تتقبلها الفطرة الانسانية والغريزة البشرية، وهذا ما دلت عليه القرائن والشواهد حيث إن البشرية بأجمعها في كل العصور والدهور تتلقى الخبر من أي شخص كان تشهد على صحته القرائن والشواهد، وهذا الأمر جار عندهم في كل الامور خاصة في الأخبار التي تمت إلى القضايا السياسية والتي تتعلق بشؤون الأنظمة حيث التحريف والتزوير فيها أكثر من سائر الامور. وأما لو أن أحدا سلك في هذه المجالات مسلك السذج من الأشخاص، ونظر إلى

## [٩٦]

كل قائل ومقولة يعين الرضا وتقبلها من دون دليل وسند معتد به لا شك ان مصيره لا يؤول إلا الى التحير والاضطراب والاعتماد على الأخبار الواهية التي لا أصل ولا أساس لها سوى الوهم والخيال والركون إلى بيت العنكبوت الواهن. وقد حذر القرآن الكريم المسلمين من الاعتماد على قول قائل أو خبر ناقل لا يتحلى بصفة الأيمان والعدالة. وحذرهم أيضا عواقب هذه الوثافة الساذجة الخطيرة، وأمرهم بالفحص والتبين في أخبارهم. فقال عزوجل: (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق نبيا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (١). وهذا الأمر بالتثبت والتبين - في الاخبار - والذي يركز على الفطرة الأنسانية والتعاليم الاسلامية كان سببا في تأسيس علمي الرجال والدراية وتاريخ نشأتها مواز لتاريخ نشأة علم الحديث. حيث إن الاول - علم الرجال - يتكفل الفحص عن أحوال رواة الحديث ودراستها، والثاني - علم دراية الحديث - يتصدى لدراسة الشروط التي يجب تحققها في الرواة وشرائط متن الحديث. وبرز في هذين العلمين محققون وعلماء بارعون من الشيعة والسنة وتخصصوا فيها وألفوا كتباً قيمة. وقد ذكر علماء دراية الحديث شروطاً خاصة يجب توفرها في الرواة، مما يكشف عن أهمية الموضوع الذي نتطرق إليه - صفة الأيمان في راوي الحديث - ولذلك تراهم يعدون المتهم بالنسيان وضعف الذاكرة من المردودين والضعفاء ولم يقبلوا حديثه وروايته وإن توفرت فيه صفتا العدالة والوثاقة. الأيمان شرط قبول الحديث: كما ذكرنا آنفاً أن أحد الشروط الرئيسية في قبول الحديث والاعتماد عليه هو توفر شرط الأيمان في راويه. والاطمئنان من عدم كذبه وانحرافه.

(١) الحجرات: ٧.

#### [٩٧]

بينما نجد - وبلاستناد إلى الأدلة القطعية - أن بعض رواة أحاديث الصحيحين لم يكونوا مستقيمي الأيمان، وقد ثبت بالبراهين التاريخية، والشواهد القويمة التي لا ريب فيها انحرافهم وعدم وثافتهم. وإن بعض رواتهما كانوا مشهورين بالعداء لعلي (عليه السلام) وهذا الأمر هو من ابرز صفاتهم، وأصف إلى ذلك إنهم كانوا من وضاعي الحديث الذين كذبوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله). تناقض هذه الصفات مع الأيمان: ومن الواضح إنه لو كانت واحدة من هذه الصفات المذكورة موجودة في شخص ما لأسقطته من الاعتماد عليه، ولم تكن لخبره أية قيمة واعتبار، لأن هذه الصفات لن تجتمع أبداً مع الأيمان الصحيح في قلب المؤمن. وحسب ما نراه إن عدم اجتماع وضع الحديث والكذب مع الأيمان من أوضح الواضحات، وكذا عدم الوثوق بقول من يتصف بهذه الصفات أمر فطري وحسي. لذلك لا نرى أنفسنا ملزمين براءة دليل على هذا، ونكتفي أولاً بذكر بعض الأحاديث التي تشير الى التناقض الموجود بين الأيمان وعداوة الأمام علي (عليه السلام)، وثم نتطرق الى دراسة بعض رواة الصحيحين: ١ - قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): آية الأيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار (١). ٢ - وقال (صلى الله عليه وآله): سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر (٢). ٣ - وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي (صلى الله عليه وآله) إلي: أن لا يجنبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق (٣).

(١) صحيح البخاري ١: ١١ كتاب الأيمان باب علامة الأيمان حب الانصار. (٢) صحيح مسلم ١: ٨١ كتاب الأيمان باب (٣٨) باب بيان قول النبي (صلى الله عليه وآله):

سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ح ٦٤، سنن النسائي ٧: ١٢١ - ١٢٢ باب قتال المسلم وفيه ١٢ حديث، (٢) صحيح مسلم ١: ٨٦ كتاب الأيمان باب (٢٥) باب الدليل على حب الانصار وعلي (عليه السلام) من الأيمان وعلاماته ح ٧٨.

#### [٩٨]

تقييم إيمان بعض رواة الصحيحين: لو أمعنا النظر في مضامين هذه الأحاديث التي نقلناها عن الصحيحين، وانتبهنا الى المسائل التي ذكرناها حول الأيمان والاعتقاد وأهمية الصدق والثقة في الراوي لتمكن المطالع الحر أن يقيم رواية أحاديث الصحيحين وخاصة أولئك الذين سوف نتطرق إلى ذكرهم، ومن ثم يحكم بصحة بعض ما رواه البخاري ومسلم من الأحاديث أو عدم صحته. وقد عرفنا ولاحظنا أننا أن محبة الأنصار والأمام علي (عليه السلام) تعد معيارا وميزانا للأيمان، وعداوتهم وبغضهم علامة النفاق، وكذا عرفنا من مضامين تلك الأحاديث أن محاربة المسلم ومقاتلته كفر وإلحاد وخروج عن دائرة الأيمان وقد قال بعض المحققين الرجاليين: إن بعض رواة الصحيحين لم يكن في عداد الذين ثبت الأيمان في قلوبهم، وكذا قال المؤرخون أن بين رواية أحاديثهما كذابين وممن لا يوثق به. وكذلك نرى أن عدد من اشتهر بعداوة الأمام علي (عليه السلام) من بين رواة صحيح البخاري ومسلم ليس بقليل. وحتى أن ابن حجر الذي عرف بالتساهل والاعماض عن كشف الحقيقة عما هو موجود في بعض أسناد أحاديث البخاري ومتونها، لم يسعه أحيانا إلا أن يزيل حجب العصبية والتعنت عن نفسه ويكشف عن بعض الحقائق، فلذا تراه عندما يأتي بذكر أسماء الرواة الذين ضعفهم وجرحهم السلف من العلماء يقول: بأنهم كانوا من النواصب وأعداء الأمام علي (عليه السلام) (١). وبهذا الصدد قال شيخ المعتزلة أبو جعفر الأسكافي: إن معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي (عليه السلام) تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً في مثله فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة

(١) هدى الساري مقدمة فتح الباري: ٤٦٠.

#### [٩٩]

وعمر بن العاص والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير (١). ويلاحظ القارئ المنصف أن هؤلاء الذين عدهم الأسكافي أعضاء في مؤسسة معاوية لوضع الحديث كانوا ممن روى عنهم البخاري ومسلم أحاديث كثيرة. وقد أشرنا فيما مر الى أقوال بعض العلماء، مثل: ابن حجر، أبي زرعة، النووي، وأحمد أمين، وغيرهم ممن قدح في رجال الصحيحين وانتقدهما (٢)، ولا نرى لزاماً أن نكرر ما سبق ذكره أو نشير الى بقية الأقوال الدالة على ضعف بعض رجال الصحيحين ونستدل بها على ذلك. للاستشهاد على ما ذكرناه، نشير الى ترجمة بعضهم معتمدين فقط على الناحية الأيمانية، لعل يكون هذا باباً ومعياراً لمعرفة آخرين غيرهم من الرواة. ١ - أبو هريرة: أخرج الصحيحان عنه أحاديث كثيرة وهائلة، وقد ضبط الجهابذة من الحفاظ أحاديثه فكانت خمسة الاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين (٥٣٧٤) مسنداً، وله في البخاري فقط أربعمائة وستة وأربعين (٤٤٦) حديثاً (٣). وأبو هريرة هو ممن اشتهر بكثرة رواية الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بل حاز الرتبة الأولى في ذلك، وتظهر لك كثافة ما رواه إذا قيس بالأحاديث التي رويت عن الخلفاء الراشدين في الكتب ومسانيد أهل السنة، والتي بلغ مجموعها ألفاً وأربعمائة

وأحد عشرة (١٤١١) حديثاً وهذه النسبة هي أقل من سبعة وعشرين في المائة (٣٧) من مجموع الأحاديث التي رويت عن أبي هريرة. فهو ينحدر من أصل يمانى، هاجر الى المدينة بعد فتح خيبر - السنة السابعة من الهجرة - فأظهر إسلامه بها، وقد صرح هو بنفسه أن مصاحبه للنبي (صلى الله عليه وآله) لم تتجاوز ثلاث

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٦٣. (٢) راجع ص ٨٥ - ٩١. (٣) هدى الساري: ٤٧٧.

### [١٠٠]

سنوات (١). كان أبو هريرة من أعوان معاوية وأصحابه ومن أعضاء مؤسسته لوضع الحديث، وهو من جملة أولئك الذين رووا المطاعن في الأمام على (عليه السلام) وأهل بيته (عليهم السلام)، وحكوا الفضائل والمناقب لمعاوية والخلفاء الثلاثة (٢). وكان أبو هريرة من الذين اتهموا في زمانه بالكذب وإكثار الحديث، ولكنه كان يتدارك التهم ويبرئ نفسه منها في كل فرصة تسنح له (٣). كيس أبي هريرة: حينما كان يعلم أبو هريرة بأن كذبه قد كشف وفشا كان يتدارك الموقف ضمن اعترافه بالكذب ويسد باب النقد والاعتراض أمام الآخرين، ويخرج نفسه من ورطة الاتهامات والاستنكارات. أخرج البخاري في صحيحه حديثاً عن أبي هريرة، جاء في آخره ما يلفت النظر، وذلك لا سئل أبو هريرة: هل سمعت هذا من رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال: لا، هذا من كيس أبي هريرة. وأصل الحديث هو أن أبا هريرة نقل خبراً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتعجب السامعون واندھشوا مما جاء في آخر حديثه، فسألوه: هل سمعت هذا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) يا أبا هريرة؟ فتحير أبو هريرة، وكشف ما كان يبطنه من الحقيقة التي كان يستند إليها دائماً، ولذلك قال في جوابهم: لا، هذا من كيس أبي هريرة (٤). وقد كتب في تاريخ حياة أبي هريرة وترجمته وتعريف شخصيته الدينية

(١) صحيح البخاري ٤: ٣٣٨ باب علامة النبوة في الإسلام، الأصابة في معرفة الصحابة ٧: ٢٥٥ باب الكنى ترجمة أبي هريرة رقم ١٠٦٨٠، الطبقات الكبرى لابن سعد ٤: ٣٣٧ ترجمة أبي هريرة. (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٤٣. (٣) صحيح البخاري ٢: ٦٨ كتاب البيوع باب ما جاء في قول الله تعالى: (فإذا قضيت الصلاة)، مسند أحمد بن حنبل ٢: ٣٣٨ باب مسانيد أبي هريرة. (٤) صحيح البخاري ٧: ٨١ كتاب النفقات باب وجوب النفقة على الأهل والعيال.

### [١٠١]

والاجتماعية وعضويته في مؤسسة معاوية لوضع الحديث كتب متعددة وقيمة (١). ٢ - أبو موسى الأشعري: هو أحد رجال الصحيحين وقد ذكر له حفاظ أهل السنة وأصحاب التراجم - حسب ما تقتضيه عادتهم - الكثير من المناقب والفضائل (٢). ونقل البخاري عنه في صحيحه سبعة وخمسين (٥٧) حديثاً (٣). وكان أبو موسى الأشعري من ألد مبغضي الأمام على (عليه السلام) وأكثرهم عداً، وهو رأس الفئة التي أشعلت نيران الفتنة التي قصمت شوكة الإسلام، وكان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) يلعبه في صلاته (٤). وقال ابن فتيبة: ان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لما نزل قريبا من الكوفة، بعث عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر إلى أبي موسى الأشعري، وكان أبو موسى عاملاً لعثمان على الكوفة،

فبعثهما علي (عليه السلام) إليه وإلى أهل الكوفة يستفزههم، فلما قدما عليه قام عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر فدعوا الناس إلى النصر لعلي (عليه السلام)، فلما أمسوا دخل رجال من أهل الكوفة على أبي موسى، فقالوا: ما ترى، أنخرج مع هذين الرجلين إلى صاحبهما؟ فقال أبو موسى: أما سبيل الآخرة ففي أن تلتزموا بيوتكم، وأما سبيل الدنيا فالخروج مع من أتاكم، فأطاعوه، فتباطأ الناس على علي (عليه السلام). فقد كان لكلام أبي موسى الأشعري صاحب المنزلة والمقام في الكوفة من الأثر السيئ ما ثبت عزيمة شيوخ القبائل الكوفية وشخصياتها عن نصره الإمام علي (عليه السلام). وذكر ابن قتيبة بعد هذا الكلام الحديث الذي دار بين أبي موسى من جهة وبين

(١) نحو: أبو هريرة شيخ المضيرة للمرحوم الشيخ أبو رية الفقيه المصري، وأبو هريرة تاليف العلامة السيد شرف الدين العاملي. (٢) تذكرة الحفاظ ١: ٢٣ - ٢٤، صحيح مسلم ٤: ١٩٤٣ كتاب الفضائل فضائل الصحابة باب (٢٨) من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين وباب (٣٩) باب من فضائل الأشعريين. (٣) هدى الساري: ٤٧٦، (٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ٧٩.

### [١٠٢]

عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر من جهة أخرى، ثم ذكر خطبة أبي موسى الأشعري على منبر الكوفة التي عرف بها نفاقه وتزلزه في معرفة الحق، وتمييزه الحق من الباطل وفساد عقيدته وانحرافه عن الأمام علي (عليه السلام). وكلامه هذا إن دل على شيء فإنما يدل على خمول أبي موسى الفكري بحيث لا يمكنه التمييز بين الحق والباطل، وأنه من جملة أولئك الذين قال الله في وصفهم: (جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً) (١). فكانت خطبته في مخالفة الأمام علي (عليه السلام) وتثبيطه الناس عن القتال إلى جانب علي (عليه السلام) بمثابة زرع بذور النفاق بين شيوخ القبائل ورؤساء الكوفة وشخصياتها والتي أينعت ثمارها في ما بعد في حرب صفين وغيرها. وكان أبو موسى معتقداً بأولوية عبد الله بن عمر وأفضليته للخلافة ولم يكن يعدل به أحداً، وأنه هو الذي خلع الأمام علي (عليه السلام) عن الخلافة يوم التحكيم (٢). ٣ - عمرو بن العاص بن وائل: هو أحد رجال الصحيحين، وعداؤه للأمام علي (عليه السلام) ليس بخفي على أحد ممن له أدنى معرفة بالتاريخ وقضاياها. ومما يشهد على هذا العداء الدفين، صفحات حياة عمرو بن العاص المليئة بالخزي والعار، ومشاركته في المؤسسة الأموية مع الشردمة التي نصبها معاوية لجعل الحديث، واشترائه في واقعة صفين إلى جانب معاوية، هذه الحروب والوقائع الدامية التي تلت صفين كلها كانت من خطته - التي رسمها - واحتياله المعروف، مثل قضية التحكيم ورفع المصاحف على الرماح في صفين التي آلت فيما بعد ذلك إلى الجريمة العظمى التي كسرت شوكة الدين وهزت أركانه وتلمت في الإسلام ثلثة ما سدها شيء يعني استشهاد أمير المؤمنين علي (عليه السلام). وأنه سلك في عدائه لأمير المؤمنين (عليه السلام) نفس المسلك الذي سلكه أبيه بالتبني

(١) النمل: ١٤. (٢) الأمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١١٩ - ١٢٠. (\*)

### [١٠٢]

عاص بن وائل ذلك العدو اللدود للنبي محمد (صلى الله عليه وآله)، والذي أنزل الله تعالى فيه سورة الكوثر رداً بشنانه للنبي (صلى الله عليه وآله)، وعيره القرآن بالأتيرية، وعمرو كذلك كان خصماً لدوداً لعلي (عليه السلام) بحيث لم يتهاون في عداوته عن اتخاذ أي وسيلة في سبيل ذلك. ولما كان نقل مطاعنه وكتابه مثالبه التي نقلها المؤرخون وأصحاب التراجم وعلماء الرجال بحاجة إلى كتاب مستقل (١)، وهو مما يؤدي إلى الأطلالة والخروج عن نطاق هذا الكتاب، اكتفينا بذكر كلامه للأمام علي (عليه السلام) بشأن عمرو حتى يتجلى لنا كذبه وافتراءه وبهتانه على أمير المؤمنين الأمام علي (عليه السلام). وهذا الكلام العلوي يبدو وكأنه لافتة تكشف لنا شخصية ابن العاص الدينية ودرجة اعتقاده وبيّن مدى أهمية أحاديثه التي أخرجها له الصحيحان وسماها بالصحيح. قال أمير المؤمنين الأمام علي (عليه السلام): عجا لابين النابغة - ام عمرو كانت معروفة في الجاهلية أنها ذات راية حمراء - يزعم لأهل الشام أن في دعابة وأناي إمرة تلعبه أعافس وأمارس، لقد قال باطلاً ونطق آثماً، أما وشر القول الكذب، وإنه ليقول فيكذب، وبعد فيخلف، ويسأل فيبخل، ويسأل فيلحف، ويخون العهد، ويقطع الأمل، فإذا كان عند الحرب، فاي زاجر وأمرهو! ما لم تأخذ السيوف مآخذها، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القرم سبته، أما والله إنني ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة، إنه لم يبايع معاوية حتى شرط أن يؤتبه آتية، ويرضخ له علي ترك الدين رضىخة (٢). هذا بيان الحق عن عقيدة عمرو بن العاص وأخلاقه، وهو من أولئك الذين كان الأمام علي (عليه السلام) يلعنهم كل صباح ومساءً (٣).

(١) لقد ألف المؤلف فيما سبق كتاباً في تاريخ حياة عمرو بن العاص ونرجو من الله القدير أن يوفقه لطبعه. (٢) نهج البلاغة خطبة رقم ٨٤، وأمالي الشيخ الطوسي: ٨٢. (٣) تاريخ الطبري ٥: ٤٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ٧٩، الاستيعاب ٤: ١٦٠٠ ترجمة أبي الأعور السلمى رقم ٢٨٤٩، وج ٣: ٩٠٦ ترجمة عبد الله بن الزبير رقم ١٥٣٥ =

#### [١٠٤]

= أقول: قال ابن أبي الحديد - بعد نقله لكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) المذكور في ذم عمرو بن العاص -: وكان عمرو أحد من يؤدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة ويشتمه ويضع في طريقه الحجارة، لأنه كان (صلى الله عليه وآله) يخرج من منزله ليلاً فيطوف بالكعبة وكان عمرو يجعل له الحجارة في مسلكه ليعثر بها، وهو أحد القوم الذين خرجوا إلى زينب ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما خرجت مهاجرة من مكة إلى المدينة فروعوها وفرعوا هودجها بكعوب الرماح حتى أجهضت جنبنا ميتاً من أبي العاص بن الربيع بعلمها، فلما بلغ ذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) نال منه وشق عليه مشقة شديدة ولعنهم، روى ذلك الواقدي أيضاً وغيره من أهل الحديث أن عمرو بن العاص هجا رسول الله (صلى الله عليه وآله) هجاء كثيراً كان يعلمه صبيان مكة فينشدونه ويصيحون برسول الله (صلى الله عليه وآله) (صلى الله عليه وآله) إذا مر بهم رافعين أصواتهم بذلك الهجاء، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو يصلي بالحجر: اللهم ان عمرو بن العاص هجانى ولست بشاعر، فالعنه بعدد ما هجانى. وذكر بعد ذلك عن الزبير بن بكار في كتاب المفارقات عن الحسن المجتبي أنه قال لابن العاص: وأما أنت يا ابن العاص فإن أمرك مشترك وضعتك امك مجهولاً من عهر وسفاح فتحاكم فيك أربعة من قريش فغلب عليك جزاؤها الأمهم حسبا وأخبتهم منصبا ثم قام أبوك فقال: أنا شأنى محمد الأبر، فأنزل الله فيه ما أنزل - (إن شأنك هو الأبر) - وقانلت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في جميع المشاهد وهجوته وأذيته بمكة وكدته كيدك كله وكنت من أشد الناس له تكذيباً وعداوة ثم خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتي بعجف وأصحابه إلى أهل مكة، فلما أخطأك ما رجوت، ورجعك الله خانبا، وأكذبك وأشيا جعلت حدك على صاحبك عمارة بن الوليد فوشيت به إلى النجاشي حسداً لما ارتكب من حليلته ففصحك الله ووضح صاحبك فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام. ثم انك تعلم وكل هؤلاء الرهط يعلمون أنك هجوت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسبعين بيتاً من الشعر فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اللهم اني لا أقول الشعر ولا ينغي لي، اللهم العنه بكل حرف

ألف لعنة فعليك إذا من الله ما لا يحصى من اللعن. (شرح نهج البلاغة ٦: ٢٩١). أقول: لا بد ان لعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إياه تعد زكاة له وطهورا وأجرا وتقربا إلى الله كما زعم مسلم وأخرج أحاديث مدلسة على النبي انه قال: انما أنا بشر... وروى ابن أبي الحديد أيضا ان عائشة كانت تلعن عمرو بن العاص لما كان يدعي انه قتل ذا الندية وقالت: سمعت رسول الله يقول: يقتله خير امتي من يعدي. (شرح نهج البلاغة ٢: ٣٦٨) =

### [١٠٥]

٤ - عبد الله بن الزبير بن العوام: هو الاخر من رواة الحديث عند أهل السنة، وهو من رجال الصحيحين، ونقل عنه البخاري في صحيحه عشرة أحاديث، وكان من الخوارج والنواصب الألداء الذين نصبوا العداة والبغض للأمام على (عليه السلام)، وقد تصدى للأمامة في الصلاة في يوم الجمل رغم حضور أبيه الزبير وطلحة (١). وتنص بعض النصوص على أن عبد الله هو الذي حرض أباه الزبير على أن يعادي عليا (عليه السلام). قال الامام على (عليه السلام): ما زال الزبير منا أهل البيت حتى شب ابنه عبد الله (٢). وقد نص بعضها الاخر على أنه (عليه السلام) حينما التقى بالزبير قبل واقعة الجمل قال له: قد كنا نعدك من بني عبد المطلب حتى بلغ ابنك ابن السوء - عبد الله - ففرق بيننا وبينك (٣). وفي يوم الجمل لما انتهى جيش عائشة إلى ماء الحوآب ومعهم عائشة نبحتها كلاب الحوآب. فقالت لمحمد بن طلحة: أي ماء هذا ؟ قال: هذا ماء الحوآب. فقالت: ما أراني إلا راجعة. قال: ولم ؟ قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لنسائه: كأني بإحداكن قد نبحتها كلاب الحوآب، وإياك أن تكوني أنت يا حميراء - عائشة -. فقال لها محمد بن طلحة: تقدمي رحمك الله ودعي هذا القول - أي لا تكوني مفارقة الجمع - وأتى عبد الله بن الزبير فحلف لها بالله لقد خلفتني أول الليل وأتاها ببينة زور من الأعراب - خمسين رجلا - فشهدوا بذلك. فزعموا أنها أول شهادة زور شهد بها في الاسلام (٤).

= والذي قتل ذا الندية هو أمير المؤمنين (عليه السلام). فعلى هذا فعلي (عليه السلام) خير الامة جميعا بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بإقرار عائشة. (١) شرح نهج البلاغة ٢: ١٦٨. (٢) الاستيعاب ٣: ٩٠٦ ترجمة عبد الله بن الزبير رقم ١٥٢٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١٦٧. (٣) تاريخ الطبري ٤: ٥٠٩، الأمامة والسياسة ١: ٥٥، شرح نهج البلاغة ٤: ٦١، الاستيعاب ٣: ٩٠٦ ترجمة عبد الله بن الزبير رقم ١٥٢٥. (٤) تاريخ الطبري ٣: ٤٥٨، الأمامة والسياسة ١: ٦٠، شرح نهج البلاغة ٤: ٦١ - ٦٢.

### [١٠٦]

روى الواقدي وابن الكلبي وغيرهما من رواة السير والمؤرخين، أنه قد أدى عداة ابن الزبير لعلي (عليه السلام) إلى حد أنه ما كان يترك فرصة إلا واغتنمها حتى ينال من الامام على (عليه السلام) ويشفي غيظه، وأنه مكث أيام خلافته أربعين جمعة لم يصل فيها على الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) حتى أن اعترض عليه بعض الناس وانتقدوه لتركه الصلاة على محمد (صلى الله عليه وآله). فقال ابن الزبير في جوابهم: إنني لا يمنعي من ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) إلا إنه كان له عشيرة لا اريد أن يرفعوا رؤوسهم لذكر النبي (صلى الله عليه وآله) وإنني لا اريد أن تشمخ رجال من عشيرته (صلى الله عليه وآله) بأنافها (١). ٥ - عمران بن حطان: أحد قادة الخوارج وزعمائهم وأحد فقهاءهم وخطبائهم، وهو من رواة الحديث عند السنة، ومن رجال الصحيحين، وروى عنه البخاري في صحيحه. وقد بلغ بغضه وعداوته لعلي (عليه السلام) أن يمتدح ابن ملجم في قصيدة له ويثني عليه فيها، ويعتبر قتله للأمام



على (عليه السلام) وسيلة تقربه إلى الرضوان ودخول الجنة. ويزعم أن الجناية العظمى التي ارتكبها ابن ملجم عندما قتل الإمام علي (عليه السلام) تفوق عند الله تعالى أعمال الثقلين الجن والأنس، وكفة ميزان ابن ملجم ترجح الأعمال الحسنة لكافة الناس. وقال في قصيدته: يا ضربة من تقى ما أراد بها \* إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا إنني لأذكره حيناً فأحسبه \* أوفى البرية عند الرحمن ميزانا (٢)

(١) المصادر نفسها. (٢) نقلها ابن حجر في هدى الساري مقدمة فتح الباري: ٤٢٢، الأصابة ٥: ٢٢٢ ترجمة عمران بن حطان رقم ٦٨٩١، شرح نهج البلاغة ٥: ٩٢، وج ١٢: ٢٤، ابن أثير في الكامل في التاريخ ٣: ٢٩٦، ابن عبد البر في الاستيعاب ٣: ١١٢٨ ترجمة على بن أبي طالب (عليه السلام) رقم ١٨٥٥.

### [١٠٧]

هذه كانت خلاصة الوجهة الدينية الحقيقية لبعض رجال الصحيحين الذين أخرج عنهم وأشباههم البخاري ومسلم في صحيحهما أحاديث مختلفة، وأرجو من القارئ المنصف أن يعيد مطالعة ما أورده من ترجمة من ذكرناهم من رجال الصحيحين، ومن ثم يحكم ويبدى رأيه بالنسبة إلى صحة كل الأحاديث المروية في الصحيحين. أيها القارئ الكريم بعد دراستك الصفحات السابقة من هذا الكتاب ارفع عن نفسك الملل وحجب العصبية والتعصب وتحريف الحقائق، حتى تتجلى لك عياناً حقيقة ادعاء بعض علماء أهل السنة، أمثال: أبو الحسن المقدسي الذي يقول: الرجل الذي يخرج عنه في الصحيح - البخاري ومسلم - هذا جاز القنطرة - يعني لا يلتفت إلى ما قيل فيه - (١). الدليل الثاني: البخاري ومسلم والطائفة الأفراسية ٦ و ٧ - البخاري ومسلم: ومما يدل على عدم الوثوق بالصحيحين وعدم اعتبار صحة جميع ما ورد فيهما، هو التطرف الطائفي المفرط والتعصب الشديد لدى مؤلفيهما وتعنتهما تجاه الحق، وكان هذا التطرف قد اعتري البخاري أشد وأكثر من مسلم. فكما إن الحب المفرط والبغض الأفراسي يعرف مسيرة الإنسان في كشف الحقائق، ويعمي العين عن مشاهدة الحقيقة ويصم الأذان عن سماعها، ومثلما قيل: حبك للشئ يعمي ويصم فكذلك العصبية والتطرف الطائفي تمنعان الإنسان عن درك الحقيقة وإظهار الحق، وتسوقانه إلى التعتيم على الحق وتغطيته وتزويره للواقع، وتزييفه الباطل بلباس الحق، وهذه العصبية هي أصل الحب والبغض وجذورهما وهي التي أوجدتهما وتعد من أسبابهما الرئيسية، وقد ابتلي البخاري ومسلم بهذه الخبيصة والرذيلة ابتلاءً شديداً. وأما الشواهد على ذلك:

(١) ارشاد الساري ١: ٢١، هدى الساري: ٣٨١.

### [١٠٨]

الصحيحان وفضائل الامام علي (عليه السلام): إنك ترى في البخاري ومسلم وصحيحيهما هذه العصبية المفرطة عندما تقرأ كتابيهما وتلاحظ أنهما لما يواجهان فضيلة مشهورة ومنقبة مهمة من مناقب أمير المؤمنين على (عليه السلام) وفيها دلالة صريحة على أفضليته لأمر الخلافة، وتقدمه على الآخرين فإنهما يبادران إلى تعظيمها. وهذه المناقب والفضائل قد ورد ذكرها في سائر الصحاح الستة والمدارك

المعتبرة لدى أهل السنة، وهي من يقينيات الحوادث التاريخية ومسلماتها، وهي مما أجمع عليه علماء السنة والشيعة، مثل: حديث الغدير، آية التطهير، حديث الطائر المشوي، حديث سد الأبواب، وحديث أنا مدينة العلم وعلي بابها (١) وقد روى كل واحدة من هذه الفضائل والمناقب عشرات الصحابة وأثبتها علماء أهل السنة في كتبهم المعتبرة (٢) إلا أن البخاري الذي لم يرض أن ينقل هذه المناقب المسلمة واليقينية ويخصص لها بابا خاصا في صحيحه فحسب، بل أفرد بابا خاصا في فضائل معاوية، وحيث إنه لم يعثر على منقبة لمعاوية رويت على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) حقا، يروي حديثين عن حير الامة ابن عباس جاء في اولاهما أنه مدح معاوية لصحته لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وجاء في ثانيهما مدحا لمعاوية بكونه فقيها وعالما (٣). والعجب كل العجب ممن يريد أن يصنف كتابا جامعا يلم فيه بما ورد من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويكتب تفسيرا للقرآن، ويؤلف كتابا في التاريخ، ولا يدع مدحا وثناءا من صحابي يحق صحابي آخر (معاوية) إلا وأورده فيها، وذلك أداء للامانة كيف تسمح

---

(١) اخرج مسلم حديث الغدير وآية التطهير بتحريف لا سيما عند ذكره لواقعة الغدير فإنه اكتفى بتخريج حديث مدلس ومحرّف ويدل على فعله البشع في تحريف ما هو الحقيقة، وتعميمه على الواقع انتخابه وتخريجه للقصة على عكس الكيفية المسلمة الواردة في مئات الاحاديث التي رويت بشأن الغدير، وسوف نعالج هذه القصة في الفصل الثامن من هذا الكتاب في باب فضائل الامام علي (عليه السلام) ان شاء الله. (٢) راجع الموسوعات: غاية المرام في الد الخصام للبحراني، عيقات الأنوار للتستري، والغدير للأميني. (٣) البخاري ٥: ٢٥ كتاب الفضائل، اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله)، ذكر معاوية.

---

### [١٠٩]

له نفسه بالأغماض عن واقعة ذات أهمية تاريخية كحديث الغدير أو حديث (أنا مدينة العلم وعلي بابها) ؟ ! ولا يخفى انه ليس لهذا التغاضي والتجاهل من قبل البخاري سبب إلا التعظيم على مناقب أمير المؤمنين الأمام علي (عليه السلام)، وإخفاء الحقائق الواقعية. ولا يخفى أيضا أن هدف البخاري ومسلم - كاتبَي الصحيحين الذين أرادا بطريقتهم هذه في التدوين - إخفاء المسائل التاريخية المهمة حتى لا يعرف من يأتي بعدهما شيئا عن تلك الحقائق، ولم يدرك من هو الأولي من الصحابة بالتصدي للخلافة، وهل أن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) نص بالخلافة من بعده لأحد أم لا ؟ والجدير بالذكر أنهما قد نجحا في غايتهم هذه إلى حد ما، وكسبا النتيجة المتوخاة، وخاصة عندما نقرأ ما أورده ابن تيمية في رده لحديث الغدير.... وأما قوله: من كنت مولاه فعلى مولاه فليس هو في الصحاح، لكن هو مما رواه العلماء وتنازع الناس في صحته (١). افتراء مسلم على الشيعة: ومن ثمار شجرة العصبية الخبيثة المرة، ومن أثارها المخزية، ما أورده مسلم في مقدمة صحيحه من البهتان والافتراء على الشيعة، فهو عندما يتطرق الى الأحاديث الموضوعية والمخالفة للواقع. يقول بكل صلافة: إن من الأحاديث الموضوعية ما ترويه الشيعة الرافضة عن الأمام علي (عليه السلام): ان عليا في السحاب، وأقول: إن أحاديث الشيعة قد دونت منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وآله)، وعقائدهم قد ملأت كتبهم الكلامية بنحو واف وكاف، وإن المكتبات لمعمورة بكتبهم، فهل ترى في كتاب واحد مثلا حديثا واحدا يدل على ما بهته مسلم على الشيعة ؟ ألم تكن عقيدة الشيعة ومحدثهم ومؤرخهم بأن الأمام علي (عليه السلام) قد قتل في محراب مسجد الكوفة بسيف أشقى

[١١٠]

الناس عبد الرحمن بن ملجم المرادي ودفن في الغري؟ ولا غرو أن يحتوي صحيح البخاري وصحيح مسلم على مثل هذه الأحاديث الموضوعية التي لأصل لها - كالحديث المذكور -، وهذه هي المسائل التي تسمى عند أهل السنة بالصحيحة، والتي طفحت في المجتمع الإسلامي واتخذها أهل السنة ذريعة للتهجم والمؤاخذة على الآخرين. ولكن ما هي القصة المذكورة، ومن أين نشأت؟ ورد في المصادر التاريخية أن النبي (صلى الله عليه وآله) كانت عنده عمامة تسمى السحاب، فوهبها يوم غدیر خم لعلي (عليه السلام) كرامة له، فكان ربما طلع عليه علي (عليه السلام) بتلك العمامة فيقول (صلى الله عليه وآله) وهو فرح: أتاكم علي في السحاب. وسعد شيعة علي (عليه السلام) بتلك المفخرة وكانوا يرددون قول النبي (صلى الله عليه وآله): جاء علي (عليه السلام) في السحاب (١). إلا أن مسلم أعرض عن ذكر أصل الحديث وأبى عن سرد القصة الحقيقية، واكتفى بذكر حديث موضوع على النحو الذي ذكرناه ونسبه إلى الشيعة! ! بين البخاري والامام الصادق (عليه السلام) بينا سابقا في مبحث رجال الصحيحين إنهما نقلتا أحاديث عن بعض الرواة الذين هم من الخوارج والنواصب، وخاصة الذين ثبتت عداوتهم ومنايذتهم لأهل البيت (عليهم السلام) بنحو القطع، واختص البخاري في النقل عن عمران بن حطان، وهو من زعماء الخوارج ومن فقهاءهم ومتكلميهم وخطبائهم، ونرى أن إيمان البخاري وتقواه: قد أجازا له أن يروي عن هؤلاء المعلوم حال ولم يسمح له من أن ينقل ولو حديثا واحدا عن الامام الصادق (عليه السلام). ويتجلي لك هذا الأمر أكثر وضوحا، ويرتفع الحجاب عن العصبية الطائفية التي كانت عند البخاري عندما تتمعن في الحقائق التاريخية والاجتماعية، وتدرس شخصية

(١) سيرة الحلبي ٣: ٢٤١. وتفصيل القصة تجده في موسوعة الغدير ١: ٢٩٢، فراجع.

[١١١]

كل من الأمام الصادق (عليه السلام) والبخاري إذ: ١ - أن عهد البخاري كان يقارب عهد الامام الصادق (عليه السلام) وإنه قد توفي بعد الامام بقرن واحد، لأن الامام الصادق (عليه السلام) توفي سنة ١٤٨ هـ وتوفي البخاري سنة ٢٥٦ هـ. ٢ - كانت المدينة المنورة مركزا لتدريس الامام الصادق (عليه السلام) وقد استوطنها البخاري مدة ست سنوات يأخذ من علمائها الحديث، وقد تكررت رحلاته الى مركز التشيع يومذاك - بغداد والكوفة - بحيث نسي عددها لكثرتها (١)، وكانت الحجاز والعراق في ذلك العصر غاصتان بأصحاب الامام الصادق (عليه السلام) بحيث يصعب إحصاءهم، وكان صيت الامام الصادق (عليه السلام) وشهرته قد فاقت أرجاء العالم الاسلامي يومذاك حتى أن علماء أهل السنة في ذلك العهد قد سمعوا بها، ولم يكن بوسع أحد يدعي الفقاهاة والرواية أن يقول انه لم يسمع عن مقام الامام (عليه السلام) العلمي. ٣ - إن البخاري خرج أحاديث عن أخذوا العلم عن الامام الصادق (عليه السلام) مثل عبد الوهاب الثقفي، حاتم بن اسماعيل، مالك بن أنس، ووهب بن منبه، وهؤلاء هم من مشايخ البخاري في الحديث (٢)، ولكن البخاري أبى أن يروي تلك الأحاديث التي رواها هؤلاء المشايخ عن الامام الصادق

(عليه السلام) ! ! تبرير ابن تيمية: وأما بالنسبة الى عدم رواية البخاري الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) وقد كان معاصرا له (عليه السلام)، فقد برر ابن تيمية ذلك قائلا: وقد استراب البخاري في بعض حديثه - الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) - لما بلغه عن يحيى بن سعيد القطان فيه كلام (٣). ذكر ابن تيمية هذا التبرير في لفاة واكتفى فيه بكلام من يحيى بن سعيد.

(١) راجع ص ٦٦. (٢) الجمع بين رجال الصحيحين راجع الترجمات رقم ٣٦٤ و ٧٥٧ و ١١٢٨ و ١٢٧٥. (٣) منهاج السنة ٧: ٥٢٤.

### [١١٢]

أقول: فلو كان الإمام الصادق (عليه السلام) رجلا مجهولا في فضله وتقواه وعلمه، أو أن البخاري الذي كان عليما بالرجال وتراجمهم ! فردا غير مطلع وجاهل لكان لتبرير ابن تيمية وجه، وكنا نعذر البخاري في عمله هذا ولم نعتبره انسانا متعصبا ومتطرفا تجاه أهل البيت (عليهم السلام). ولكن الحقائق والواقع ينفيان كل هذه الاحتمالات والتبريرات ويشتان تعصب البخاري وتطرفه الطائفي الشديد تجاه الامام الصادق (عليه السلام). والحال أن شخصية الامام الصادق (عليه السلام) لم تكن دانية وضعيفة في مرتبتها حتى تضمحل وتتهاوى بمجرد قول أحد أو جرح آخر إياه، وتسقط قيمتها العلمية والمعنوية بأدنى كتمان. ومن جهة اخرى إن البخاري كان ذا مهارة تامة، وإطلاع كاف، ومتخصصا في فن الرجال ! ووضع كتابه (التاريخ) لمعرفة الرجال والرواة - كما قال هو: قل اسم في التاريخ إلا وله عندي قصة، الا اني كرهت تطويل الكتاب - التاريخ - (١). وبناء على ما ذكرنا فهل يمكن أن يكون هناك سببا آخر غير عناد البخاري وعداوته للإمام الصادق (عليه السلام) ؟ حيث إنه لم ينقل عنه حتى حديثا واحدا. وهل يمكن تفسير إعراضه عن أهل البيت (عليهم السلام) سوى منابذته وخصومته لهم (عليهم السلام) ؟ عداء عريق وظاهر ! ! يتحتم علي أن ألفت نظر القارئ المنصف الى حقيقة أخرى غير التي ذكرناها سابقا لينكشف تعصب البخاري ومسلم ونصبهما العداوة لال بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) أكثر ويعلم أيضا أن تبرير ابن تيمية عن تصرف البخاري وموقفه تجاه أهل البيت (عليهم السلام) لم يكن في محله. يتضح لمن يراجع هذين الكتابين ويتمعن فيهما بدقة أن مؤلفي الصحيحين اللذين

(١) تاريخ بغداد ٣: ٧، ضحى الإسلام ٢: ١١٢.

### [١١٣]

خرجا الحديث عن أكثر من ألفين وأربعمائة (٢٤٠٠) راو (١)، وإن كثيرا من هؤلاء الرواة كانوا نواصب وخصماء أهل البيت (عليهم السلام) (٢)، أو انهم مجهولون، فعلى هذا إن البخاري ومسلم لم ترض انفسهما في أن يخرجتا حتى حديثا واحدا عن عترة النبي وآله (صلى الله عليه وآله)، ولو نقلنا عنهم حديثا لا يأتيان إلا بأكاذيب وأحاديث موضوعة عليهم مما تمس العترة (عليهم السلام) بالسوء، ولكي تكون هذه الأكاذيب أكثر تأثيرا وتقبلا عند أتباعهما ينسبانهما إلى آل الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولذلك نرى البخاري ومسلم يرويان عن ستة وعشرين رجلا يسمون بالحسن، وثلاثة وعشرين راو باسم موسى، وتسعة وثلاثين محدثا معروفين باسم علي، ولم يكن بينهم

ذكر عن اسم الأمام الحسن المجتبي ربحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أو إشارة إلى اسم موسى بن جعفر حفيد النبي (صلى الله عليه وآله)، أو اسما لحفيد النبي (صلى الله عليه وآله) على بن موسى الرضا (عليه السلام) الذي كان علمه وفضله موضع إجلال وتكريم المحب والمبغض له (٣). نعم، إن مسلم البخاري لم يخرج حتى حديثا واحدا عن أحد من أهل البيت (عليهم السلام)، مثل: الأمام الحسن المجتبي، والأمام موسى بن جعفر، والأمام علي بن موسى الرضا، والأمام محمد الجواد، والأمام الهادي، وخاصة الامام الحسن العسكري (عليه السلام) الذي كان معاصرا للبخاري (٤). كذلك لم يرويا حديثا واحدا عن أحد من أبنائهم، مثل: زيد بن علي بن الحسين الشهيد، والحسن بن الحسن المثنى، والعشرات من أبناء أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين كانوا رواة الحديث وأصحاب مصنفات في الحديث (٥).

(١) اشترك البخاري ومسلم في التخريج عن كثير من هؤلاء وانفردا في عدد يسير منها. (٢) كما مر عليك في دراسة عمران بن حطان، وراجع ص ١٠٦. (٣) لقد صنف العلامة الشيخ العطاردي كتابا سماه (مسند الامام الرضا (عليه السلام)) جمع فيه الروايات التي رواها الأمام علي بن موسى الرضا، وقد طبع مكررا في مجلدين، وله أيضا كتاب باسم مسند الامام الكاظم (عليه السلام) يقع في ثلاث مجلدات طبع في ايران سنة ١٤٠٩. (٤) كانت شهادة الأمام الهمام أبي محمد الحسن بن علي العسكري في سنة ٢٦٠ هـ أي أربع سنوات بعد وفاة البخاري - ٢٥٦ هـ - (٥) جمع ما روي عن الشهيد زيد بن علي زين العابدين (رحمه الله) في كتاب مستقل باسم (مسند =

#### [١١٤]

ولكن الفريدة الوحيدة التي صدرت عن البخاري ومسلم في نقلهما الحديث عن أهل البيت (عليهم السلام) هي انهما نقلتا رواية مختلقة ومزيفة نسبها إلى الأمام زين العابدين (عليه السلام) على أنه قال: إن أمير المؤمنين علي وفاطمة (عليهما السلام) لم يكونا يستيقظان للصلاة، وكان النبي يوقظهما ! فقال علي لرسول الله (صلى الله عليه وآله) شيئا فأجابته النبي بأية (وكان الإنسان أكثر شئ جدلا) (١) تقريرا لعلي. وكذا نسبا إليه حديثا مزورا يذكر فيه قصة شرب حمزة للخمر وتعاطيه إياه (٢). ويبدو أن البخاري ومسلم لم يجدا أحاديث نقلت عن آل الرسول (عليهم السلام) غير هذين الحديثين لكي يخرجاهما في صحيحهما، وكانما لم ينقل عنهما أي مسألة علمية وشرعية، إلا ما نقله البخاري ومسلم من أن أبا الرسول (صلى الله عليه وآله) الأمام علي وبضعته وفلذة كبده فاطمة الزهراء (عليهما السلام) لم يستيقظا لصلاة الفجر، وأن هارون هذه الامة، وأبا شير وشبير، وباب مدينة علم النبي (صلى الله عليه وآله) كان أكثر شئ جدلا، وأن سيد الشهداء وأسد الله وأسد الرسول (صلى الله عليه وآله) الذي كبر الرسول على جنازته سبعين تكبيرة كان يأكل الميتة ويعاقر الخمر ويسامر الراقصات ! ! ! الدليل الثالث: الفترة الزمنية بين صدور الحديث وتدوينه وإليك الدليل الثالث على سقم أحاديث الصحيحين ووهنها، فقد ذكرنا في المقدمة خلاصة تاريخ وكيفية تدوين الحديث وجهاته، فتارة من حيث حظر النقل والتدوين، وأخرى من حيث أسباب وضع الحديث وجعله منذ زمن وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى خلافة عمر بن عبد العزيز. وهنا نطرح سؤالا على الصحيحين والقائلين بصحة جميع ما ورد فيهما، وهو:

= زيد) وطبع عدة مرات. (١) الكهف: ٥٤. (٢) صحيح البخاري ٦: ١١٠ كتاب التفسير باب تفسير سورة الكهف. وسوف نوافيك بالبحث حول هاتين الروايتين اللتين

### [١١٥]

في الفترة التي ناهزت المائة عام حيث كانت كتابة الحديث ممنوعة، ونقله محطور، ومن جانب آخر كانت دواعي وضع الحديث عند الوضاعين متوفرة، وقد استخدمت كل الأسباب والوسائل عند أصحاب القدرة ودعاة الوضع في سبيل جعل الحديث، فيا ترى في مثل هذه الأوضاع ما يمكن أن يجري للحديث؟ وإلى م سيؤول امر الحديث؟ وما التغييرات والتحريفات التي سوف تحدث في نصوص الأحاديث ومتونها؟ وما أكثر الحقائق التي دفنت ولم يبق لها أثر في السنة النبوية التي تعد أهم مصدر في الإسلام وحلت مكانها الأحاديث المزورة والقضايا المحرفة؟ ففي هذه الفترة الطويلة التي أخذ فيها الخلف عن السلف، والأبناء عن الآباء والأجداد، مسائل كثيرة وعنونوها باسم الحديث، ومن ثم شكلت الأساس والجذر الاعتقادي وأصول الأحكام الدينية وفروعها عندهم دون أن يتعرفوا على مصدرها وصحتها وسقمها. هذا هو السؤال الذي يواجهه الصحيحان وأولئك الذين ينادون بصحة كل ما ورد فيهما، وما زال هذا السؤال باقيا بدون جواب مقبول وقانع. وقد عالج بعض كتاب أهل السنة مسألة الفترة الزمنية فطرح مسألة الذاكرة بدلا عن الكتابة والتأليف (١). ولكن هذا الجواب مردود: أولا: إنه لا ريب أن الذاكرة مهما كانت قوية لا يمكن الاعتماد عليها للحلول محل الكتابة والتقييد. ثانيا: لو كانت الوسائط والاسناد بين النقل والكتابة قصيرة وقليلة لكان للركون إلى الحافظة في الجواب على السؤال وجه مقبول، ولكن ما نستنتجه ونراه بعد التحقيق في الصحيحين أن الأحاديث خرجت بوسائط متعددة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهذا التعدد

(١) مقدمة صحيح البخاري المطبوع في مكة عام ١٣٧٦ بقلم أبو كمال عبد الغني عبد الخالق.

### [١١٦]

في الوسائط ما يقتضيه وجود الفترة الزمنية الطويلة التي فصلت بين صدور الحديث وكتابته. ومن الطبيعي أنه لا مفر من وقوع النقل بالمعنى في تخريج الأحاديث، وحدوث الزيادة والنقصان في الأخبار، هذا إن كانت نوايا المحدثين والحفاظ سليمة، وأما لو تكررت الوسائط في نقل الخبر وكل منهم روى الخبر بالمعنى - خاصة إذا كانت الأهداف غير سليمة - فحينئذ فعلى الخبر الصحيح السلام. الدليل الرابع: تقطيع الحديث وهذا دليل آخر وهو رابع الأدلة على عدم الوثوق والطمأنينة بما ورد من الحديث في صحيح البخاري. وهذا العمل أو بالأحرى هذه الخيانة - تقطيع الحديث - التي صدرت من البخاري ناجمة عن روح التعصب والتطرف الذي كان يكنه تجاه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولذلك تراه يسقط ويقطع أي حديث فيه منقبة من مناقب علي (عليه السلام) أو يكشف عن منقصة وجهالة لآحد من الخلفاء فيحذف صدر الحديث أو ذيله، أو يعتمد إلى قطعه من وسطه حتى تخفى المنقبة أو المنقصة. وهذا العمل يعتبره علماء الحديث تدليسا وخيانة في أمانة نقل الرواية. وإن البخاري كمحدث أو مفسر أو مؤرخ لم يلتزم في نقله الحديث بمسؤوليته - في بيان الحقائق كاملة كما هي، بل عمد إلى حذف ما يخالف هواه مما في الحديث وضبط ما تستسيغه نفسه وذوقه، وهذا التدليس والتقطيع يعد من أعظم الخيانات التي

بقتربها المحدث، لأنه تعتيم للحقائق وتزوير للواقع وتضليل للأفكار والاذهان، وهذا إن دل على شيء فإنه يدلنا على حقيقة هامة وهي أن شطرا كبيرا وعددا ضخما من الأحاديث والروايات الصحيحة كانت بحيازة البخاري، وحيث إنها لا تتلاءم وهواه فلم يدونها في صحيحه ومن ثم اندرست شيئا فشيئا، ومن البين أن من يقوم بالتدليس في كل ما يريد تدوينه فإن مصير سائر الأحاديث المخالفة لهواه تكون التشويه أو النسيان. ونورد لك - أيها القارئ الكريم - أمثلة ونماذج من تدليسات البخاري

### [١١٧]

وتقطيعاته: ١ - حكم الجنابة: سألت رجل عمر بن الخطاب: إني أجنبت ولم أجد ماء فما العمل؟ قال عمر: لا تصل. فكان في المجلس عمار بن ياسر فقام معترضاً علي عمر في فتواه وذكره بحكم التيمم الذي سمعاه معاً من رسول الله (صلى الله عليه وآله). ولا يخفى أن فتوى الخليفة بترك الصلاة حين الجنابة مخالفة صريحة لنص القرآن وسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وهذا مما يدل على جهل الخليفة بحكم التيمم، وعدم احاطته بالأحكام الشرعية، وغفلته عما هو عامة الابتلاء، ولكن البخاري قام بتقطيع الحديث فحذف منه إجابة الخليفة: لا تصل، وذلك حفظاً لكرامة الخليفة من أن تنال، ولكي تتجلى الحقيقة للقارئ أكثر نورد نص الحديث أولاً عن البخاري ثم نردفه بما رواه كل من مسلم والنسائي وابن ماجه: أخرج البخاري: حدثنا آدم، قال: حدثنا شعبة، حدثنا الحكم، عن ذر، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي، عن أبيه قال: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب فقال: إني أجنبت، فلم أصب الماء. فقال عمار بن ياسر لعمر بن الخطاب: أما تذكر أنا كنا في سفر أنا وأنت، فأما أنت فلم تصل، وأما أنا فتمعكت فصليت، فذكرت للنبي (صلى الله عليه وآله)، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): إنما كان يكفيك هكذا، فضرب النبي (صلى الله عليه وآله) بكفيه الأرض، ونفخ فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه (١). وأما ما أخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه: عن شعبة قال: حدثني الحكم، عن ذر، عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي، عن أبيه: إن رجلاً أتى عمر، فقال: إني أجنبت فلم أجد ماء، فقال: لا تصل! فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية فأجنبتنا فلم نجد ماء، فأما أنت فلم تصل، وأما أنا فتمعكت في التراب وصليت، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): إنما كان يكفيك أن تضرب بيدك الأرض، ثم تنفخ، ثم تمسح بهما وجهك

(١) صحيح البخاري ج ١: ٩٢ كتاب التيمم باب التيمم هل ينفخ فيهما؟

### [١١٨]

وكفئك. فقال عمر: اتق الله يا عمار، قال: إن شئت لم يحدث به (١). فكما ترى أيها القارئ العزيز أن هذين الحديثين من حيث السند والتمن سواء ولا فرق بينهما إلا في جملة (لا تصل) حيث أسقطها البخاري وأثبتها مسلم. ٢ - رجم المجنونة: ورد في صحيح البخاري وشروحه والمصنفات المعتمدة عند أهل السنة حديث بنصوص مختلفة. وخصاله: إن امرأة مجنونة زنت فأتي بها إلى عمر فحكم عليها بالرجم، فعلم أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بالقصة والحكم فمنع من اجرائه، ولما استفسر عمر من علي (عليه السلام) عن سبب نقضه وإبرامه الحكم، قال (عليه السلام): أما علمت أن القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى

يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ؟ (٢) ولتوضيح القصة أكثر نذكر النص المقطع الذي أخرجه البخاري وبعده نأتي بما أخرجه أبو داود: روى البخاري: قال على لعمر: أما علمت ان القلم رفع عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يدرك، وعن النائم حتى يستيقظ؟ (٣). وروى أبو داود عن ابن عباس قال: اتي عمر بمجنونة قد زنت فاستشار فيها أناسا فأمر بها عمر أن ترجم، فمر بها على بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: ما شأن هذه؟ قالوا: مجنونة بني فلان زنت، فأمر بها عمر أن ترجم. قال: فقال: ارجعوا بها، ثم أتاه، فقال: يا أمير المؤمنين، أما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاثة: عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يعقل؟ قال: بلى. قال: فما بال هذه ترجم؟ قال: لا شيء،

(١) صحيح مسلم ١: ٢٨٠ كتاب الطهارة باب (٢٨) باب التيمم ح ٣٦٨، سنن النسائي ١: ١٦٥ كتاب الطهارة باب التيمم في الحضرة، سنن ابن ماجه ١: ١٨٨ كتاب الطهارة وسننها باب (٩١) باب ما جاء في التيمم ضربة واحدة ح ٥٦٩. (٢) إرشاد الساري ١٠: ٩، سنن أبي داود ٤: ١٤٠ كتاب الحدود باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا ح ٤٤٠٢. (٣) صحيح البخاري ٧: ٥٨ كتاب الطلاق باب الطلاق في الأغلاق والكرة والسكران والمجنون، وح ٨: ٢٠٤ كتاب المحاربي باب لا يرحم المجنون والمجنونة.

### [١١٩]

قال: فأرسلها، قال: فأرسلها، قال: فجعل يكبر (١). وذكر أحمد بن حنبل هذا الحديث في مسنده (٢)، وكذا نقله ابن عبد البر في إسنيعابه، وزاد في آخره هذه الجملة: (فكان عمر يقول: لولا علي لهلك عمر) (٣). والجدير بالذكر أن البخاري أخرج هذا الحديث في موضعين من صحيحه، ولكنه حفظا على مقام الخليفة وسنرا على جهل الخليفة وعدم فهمه وإزهاقا للحق وتجريفا للحقيقة التي تقول بأن عليا (عليه السلام) حكم بما يخالف رأي عمر وبعض الصحابة، ولما كان حكمه (عليه السلام) مطابقا للواقع وما أمر به رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ترى البخاري يكتفي بذكر ذيل الحديث فيذكر الحديث في كلا الموردين ناقضا ويسقط منه السند والصدر. ٣ - حد الخمر: حسبما ورد في صحيح مسلم وسائر الصحاح كان حد شرب الخمر على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) تعزيرا، وأنه (صلى الله عليه وآله) جلد الشارب أربعين ضربة (٤) وتبعه في ذلك أبو بكر في مدة خلافته فجلد شارب الخمر أربعين سوطا. وأما عمر لما تقلد الخلافة بعد أبي بكر، ترك الحكم النبوي ولجأ في حد شارب الخمر الى رأي الاخرين، وأفتى برأي عبد الرحمن بن عوف فجلد ثمانين جلدة. وهذه المسألة هي من اوضح القضايا بحيث لا تحتاج الى تبين وتفسير، وخاصة لمن قلده نفسه الخلافة، واستحل محل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فكيف يخفى عليه حكم مسألة قد عمل به مدة طويلة فيلجأ الى رأي الاخرين ويترك العمل بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وما تقيد به من سبقه بالخلافة؟!

(١) سنن أبي داود ٤: ١٤٠ كتاب الحدود باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا ح ٤٣٩٩. (٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١: ١٥٤. (٣) الاستيعاب ٣: ١١٠٢ ترجمة الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) رقم ١٨٥٥. أقول: هذه المقولة وغيرها من الاعترافات التي أدلى بها عمر بن الخطاب لبيان جهله بالأحكام الاسلامية قد وردت في كثير من الكتب والمصنفات. المعرب. (٤) ذكر في هذه المسألة فتوى أهل السنة المستنبطة من مصادرهم الموثوقة ولم يشر فيها الى رأي المذهب الشيعي.

### [١٢٠]



ونسأل الخليفة الذي تقلد زعامة المسلمين وجلس مجلس النبي (صلى الله عليه وآله) هل أن مثل هذه المسألة - من حيث البساطة - بحاجة إلى مشورة الآخرين؟ وهل الخليفة كان جاهلاً بذلك بالحكم، أو أن الصفق بالأسواق والعمل بالتجارة ألهاه عن معرفة الحكم وتعلمه؟ أو أنه أراد أن يحكم بما يخالف حكم النبي (صلى الله عليه وآله) ويبدى رأيه الخاص في تلك المسألة كما أبدى رأيه الخاص في قضايا أخرى؟ وعلى كل حال لما كان هذا الحديث على خلاف مذاق البخاري ومذهبه بادر - ورعاية لمقام الخليفة - إلى تقطيعه بنقل أوله الذي بين فيه حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبالعزيز ومتابعة أبي بكر لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في ذلك، وأسقط ذيله الذي فيه استشارة عمر لبعض الأصحاب. وإليك نص الحديث وندع الحكم والمقايضة للقارئ. أخرج البخاري: عن أنس بن مالك أن النبي (صلى الله عليه وآله) ضرب في الخمر بالجريد والنعال وجلد أبو بكر أربعين (١). عن أنس قال: جلد النبي (صلى الله عليه وآله) في الخمر بالجريد والنعال وجلد أبو بكر أربعين (٢). وفي صحيح مسلم: عن ابن مالك: أن النبي (صلى الله عليه وآله) أتى برجل قد شرب الخمر فجلده بجريدتين نحو أربعين. قال: وفعله أبو بكر، فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن بن عوف: أخف الحدود ثمانين، فأمر به عمر (٣). ٤ - معنى الاب: أخرج البخاري: عن ثابت عن أنس قال: كنا عند عمر فقال: نهينا عن التكلف (٤).

(١) صحيح البخاري ٨: ١٩٦ كتاب الحدود باب ما جاء في ضرب شارب الخمر. (٢) صحيح البخاري ٨: ١٩٦ كتاب الحدود باب الضرب بالجريد والنعال. (٣) صحيح مسلم ٣: ١٣٣٠ كتاب الحدود باب (٨) باب حد الخمر ح ١٧٠٦. (٤) صحيح البخاري ٩: ١١٨ كتاب الاعتصام باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه. (\*)

## [١٣٦]

هذا الحديث الذي نقله البخاري بهذه الكيفية أوضح دليل وشاهد على التدليس والتقطيع، وذلك لأن كل من كان لديه أقل معرفة بالحديث ونصومه يعلم بمجرد رؤيته لهذا الحديث عدم تمامية الحديث وعدم استقامته، وأنه يحتوي على جملات وكلمات أخرى قد أسقطت، ويعلم كذلك أن أيد قد تدخلت فيه لأصلاحه وترقيعه. ولم يخف ذلك على كثير من الحفاظ والعلماء الآخرين الذين نقلوا الحديث بكامله وبتمام ألفاظه، وأزاحوا قناع الخيانة والتدليس الذي وضعه البخاري عليه، فهذا ابن حجر بعد أن ذكر نص الحديث من رواية أخرى في شرحه لصحيح البخاري قال: إن رجلاً سأل عمر بن الخطاب عن قوله: (وفاكهة وأبا) (١) ما الاب؟ فقال عمر: نهينا عن التعمق والتكلف. إن هذا الحديث ورد بسندين عن ثابت ثم قال: ورد هذا الحديث بطرق أخرى عن ثابت وهو أولى مما ورد لثابت عن أنس لأن يكمل به الحديث الذي أخرجه البخاري (٢). فليعرف القارئ المنصف: أننا قد علمنا من قول ابن حجر المذكور ومن مقارنة للحديثين المنقولين في صحيح البخاري وشرحه فتح الباري: أن هذا الحديث كسائر الأحاديث التي لم تتماش مع هوى البخاري ومذهبه، وحيث أنه لم يتمكن من أن يؤام بين الحديث وبين تقديسه الخليفة عمر بن الخطاب رأى أن الحل الوحيد في ذلك هو أن يحذف صدر الحديث ويسقط منه الفقرات المهمة والحساسة التي تمس شأن الخليفة حتى يكون قد خدم - بفعله هذا - مذهب وأدى ما عليه تجاه مسلكه وعقيدته وذلك لأن القارئ لو قرأ هذا الحديث قبل التدليس وإسقاط أوله وآخره يتبادر هذا السؤال إلى مخيلته وهو: لو كان التعرف واستنباط معنى كلمة من كلمات القرآن يعتبر تعمقاً وتكلفاً فعلى هذا لا يجوز الاستفسار عن أية مسألة دينية أخرى ولا يحق التفكير فيها.

[١٢٢]

إذن فما معنى كل ما ورد من الفضائل بحق العلم والتعلم؟ علما بأن هذه الشخصية العلمية الفذة - أي الخليفة - الذي لم يتعقل حتى معنى واحد من معاني القرآن - في حين أن تفسيرها ومعناها ورد في آخر الآية - كيف يصح له أن يتقلد زمام الخلافة؟ وكيف يجوز لمن يكون جوابه لسؤال بسيط أن يقول: (نهينا) يتزعم قيادة الأمة الإسلامية ويتربع على عرش الخلافة؟ ولا ريب أن مثل هذه الأسئلة هي التي فرضت على البخاري وألجأته إلى أن يقتطع الحديث ويدلسه عند إخراجه له. وهذا الحديث - على اختلاف نصه ومتمنه - أخرجه المفسرون المشهورون كالسيوطي، ابن كثير، الزمخشري، الخازن، البيهقي، والحاكم النيسابوري في مستدركه ضمن تفسير سورة عبس، وكذا رواه شراح الصحيح كابن حجر (١) والعيني (٢) والقسطلاني (٣)، ومن اللغويين: ابن أثير في نهايته (٤). وسوف نتطرق إلى البحث حول هذه الأحاديث الأربعة بتفصيل وإسهاب في فصل الخلافة إن شاء الله. ه - قصة عثمان واسامة بن زيد: ومن فلتات البخاري إنه قام بالتعظيم والتغطية على بعض الأحاديث عن طريق تغيير الأسم العلم باسم الأشارة أو التعبير بالكنية وإتيان بكلمة (فلان) بدلا عن الاسم الظاهر. ونذكر هنا موردين منها حتى يتبين دهاء البخاري في التعظيم وتغطية الحقائق: الاول: ما أخرجه مسلم عن اسامة وأنه انتقد عثمان وشجب أعماله وتصرفاته،

(١) فتح الباري ١٢: ٢٢٠. (٢) عمدة القاري ٢٥: ٢٥ ح ٦٤. (٣) ارشاد الساري ١٠: ٢١١. (٤) النهاية ١: ١٢ انظر باب الهمزة مع الباء مادة اب.

[١٢٣]

فجاء في هذا الحديث اسم عثمان صريحا، عن شقيق، عن اسامة بن زيد قال: قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أنني لا اكلمه إلا اسمعكم؟ والله لقد كلمته فيما بيني وبينه دون أن أفتتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه، ولا أقول لأحد يكون علي أميرا، إنه خير الناس بعد ما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أفتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان! مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، قد كنت أمر بالمعروف ولا أتبه، وأنهى عن المنكر وأتبه (١). تلاحظ أيها المطالع أن هذه الرواية صريحة وواضحة في أن اسامة بن زيد قد انتقد عثمان، واسامة هو تلك الشخصية المعروفة الذي أعطاه الرسول (صلى الله عليه وآله) راية الإسلام عند وفاته وقلده أمانة عسكر المسلمين وأمره على كبار الصحابة، ولعن الرسول (صلى الله عليه وآله) كل من تخلف عن جيش اسامة. فترى أن اسامة استدل في انتقاده لعثمان بحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) وشبهه بحمار الرحى الدوار ومن الذين تندلق أفتاب بطنه وأحشاه في النار، وهو في الآخرة يلقى عذابا أليما. أخرج مسلم هذا الحديث من طريقين وسندين وقد ذكر في كليهما اسم عثمان، وكذا البخاري أخرجه في موضعين، ولكن بزيادة في الفاظه، وحيث إن دأب البخاري هو التذليل والتزييف، فإنه قام بحذف اسم عثمان من الحديث الذي كان محلا لنقد حديث الرسول (صلى الله عليه وآله)

واعترض اسامة إياه، وإنه حرف الحديث في كلا الموردين فمرة جاء باسم الإشارة ومرة أخرى اكتفى بكلمة (فلان) بدلا من التصريح باسم عثمان كما جاء في نقل مسلم وأخرج الحديثين على النحو التالي ففي أحدهما: قيل لاسامة: ألا تكلم هذا.... ؟

(١) صحيح مسلم ٤: ٢٣٩٠ كتاب الزهد والرفائق باب (٧) باب عقوبة من يأمر بالمعروف ح ٢٩٨٩.

#### [١٢٤]

وفي الآخر: قيل لاسامة: لو أتيت فلانا فكلمته.. (١). ٦ - قصة عمر وسمره بن جندب: أخرج مسلم في صحيحه وأحمد بن حنبل في مسنده قصة بيع سمره بن جندب (والي عمر على البصرة) الخمر وقد جاء اسمه فيهما صريحا مرتين فاقرا: عمرو بن دينار قال: أخبرني طاووس إنه يسمع ابن عباس يقول: بلغ عمر أن سمره باع خمرا، فقال: قاتل الله سمره، ألم يعلم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: قاتل الله اليهود، حرمت عليهم الشحوم فجملوهما وباعوها ؟ (٢). وأما البخاري الذي أخرج هذا الحديث في صحيحه كذلك فإنه حرفه وعبر عن سمره بلفظة (فلان) فاقرا ما أخرجه فقال: بلغ عمر أن فلانا باع خمرا، فقال: قاتل الله فلانا، ألم يعلم... ؟ الحديث (٣). وصرح بذلك أكثر شارحي صحيح البخاري وكذا النووي في شرح صحيح مسلم عند شرحهم لهذا الحديث وأشاروا إلى خيانة البخاري وتحريفه للحديث ولم تخف عليهم هذه المبادرة البخارية. الدليل الخامس: البخاري والنقل بالمعنى ومما يسلب الاطمئنان والاعتماد على صحيح البخاري وعدم الوثوق به أن قسما من أحاديثه قد رويت بالمعنى، ولم ينقلها مؤلف الصحيح بنفس اللفظ حسب ما سمعها من ناقلها.

(١) صحيح البخاري ٤: ١٤٧ كتاب بدء الخلق باب صفة النار وإنها مخلوقة، وج ٩: ٦٩ كتاب الفتن باب الفتنة التي تموج كموج البحر. (٢) صحيح مسلم ٣: ١٢٠٧ كتاب المساقاة باب (١٣) باب تحريم بيع الخمر والميتة ح ٧٢، مسند أحمد بن حنبل ١: ٢٥ باب مسانيد عمر بن الخطاب. (٣) صحيح البخاري ٢: ١٠٧ كتاب البيوع باب لا يذاب شحم الميتة ولا يباع.

#### [١٢٥]

ونقل الخطيب البغدادي عن البخاري نفسه يقول: رب حديث سمعته بالبصرة كتبته بالشام، ورب حديث سمعته بالشام وكتبته بمصر، قيل له: يا أبا عبد الله بكماله، قال: فسكت (١). قال ابن حجر: وهذا من نوادر ما وقع في البخاري أنه يخرج الحديث تاما بإسناد واحد بلفظين - كما في حديث سحر النبي (صلى الله عليه وآله) (٢) - فلو تتبعنا وفحصنا في الأحاديث التي رواها البخاري في صحيحه لوجدنا أن البخاري اتبع أسلوب النقل بالمعنى في كثير منها، وما ذكره ابن حجر فإنه من باب التمثيل لا الحصر. وعليه فهل يمكن لقارئ أن يعتمد على كتاب وضعه مؤلفه في مدة ستة عشر سنة، كما اعترف البخاري أنه خرج وضبط فيه تلك الأحاديث التي سمعها في بلد، وبعد مدة من الزمن كتبها وهو في بلد آخر ؟ ولا ريب أن هذه الفترة الزمنية التي فصلت بين سماع الحديث وبين تدوينه، سوف تنسيه الفاظ الحديث، ويأتي مكانها بألفاظ أخرى غيرها، أي يكون النقل فيه نقلا بالمعنى، وبهذا يفقد الحديث شأنه واعتباره، وأصف الى ذلك

احتمال أن تمحى الكثير من دقائق ألفاظ الحديث الاول عندما يروى بالمعنى. ولهذا السبب جعلنا موضوع النقل بالمعنى الذي اتبعه البخاري في تخريجه للأحاديث في صحيحه دليلا على ضعف أحاديثه. الدليل السادس: الآخرون يتممون الصحيح ومما يدل على ضعف أحاديث البخاري ووهنها هو أن الآخريين قاموا بإتمام

(١) تاريخ بغداد ٣: ١١، (٢) فتح الباري ١٠: ١٨٦.

### [١٣٦]

الصحيح وتكميله. قال القسطلاني: وقد وقع في بعض نسخ الكتاب ضم باب لم يذكر فيه حديث إلى حديث لم يذكر فيه باب، ويقع في كثير من أبوابه أحاديث كثيرة وفي بعضها حديث واحد وفي بعضها لا شئ فيه البتة. فأشكل بعضهم، لكن أزال الأشكال الحافظ أبو ذر الهروي بما رواه عن أبي اسحاق المستملي مما ذكره أبو الوليد الباجي قال: استنسخت كتاب البخاري من أصله الذي كان عند الفريري فأريت أشياء لم تتم، وأشياء مبيضة فيها تراجم لم يثبت بعدها شيئا، وأحاديث لم يترجم لها فأضفنا بعض ذلك الى بعض (١). وهنا يتبادر سؤال وهو: إن الكتاب الذي تم تنظيمه وتكميله وتبويه بواسطة الآخريين، وبالرغم من هذا التكميل فما زال التشويش وعدم النسق والترتيب ملاحظا في أبوابه وأحاديثه، فيا ترى أيها القارئ الكريم كيف كان وضع هذا الكتاب قبل أن يتم ترتيبه وتكميله؟ ومن هو الذي قام بعملية التتميم والترتيب؟ وهل إن المكمل والناظم للصحيح استعمل في عملية الترتيب ذوقه ورأيه الخاص به، كما كان البخاري يستعمل ذلك في تدوين الحديث، فحذف أحاديثا كثيرة من صحيحه عملا برأيه، أو أنه أسقط أو زاد في أحاديث أخرى، وغير ذلك؟ هذه هي المسائل التي لا تزال خفية ومجهولة لدينا. ولكن القدر المتيقن والبين أن أي كتاب له ظروف مماثلة للصحيح الذي قام الآخرون بتصحيحه وتكميله وإن كان خاليا من المؤاخذات والأشكالات فهو ساقط عن الاعتبار والأهمية ومسلوب الصحة ولا يمكن الوثوق والاعتماد على ما يحتويه، لأنه يستلزم الشك والترديد في قرارة

(١) إرشاد الساري ١: ٢٣، هدى الساري مقدمة فتح الباري: ٦.

### [١٣٧]

أنفسنا بالنسبة إليه. الاستنتاج: نستنتج من المواضيع التي طالعناها معا ووافيناها لقارئنا العزيز ما ملخصه: إننا قد علمنا حال هذين الكتابين اللذين اشتهرا بالصحيحين وتبينت لنا شخصية رواتهما ورجالهما، واتضح بعد ارتفاع الستار عما كان عليه مؤلفيهما من العصبية العمياء، وفهمنا كيف قام البخاري بتقطيع وتسقيط للأحاديث ونقله بالمعنى، وقد أثبتنا ذلك بالأدلة والشواهد المسلمة، وعرفنا أيضا مدى اعتبار الصحيحين من حيث الاسناد وشخصية مؤلفيهما. وفي هذا الحال كيف يتصور أن يسمى كتابان بالصحيح وكيفيتهما كما رأيت وقرأت؟ وكيف يتصور أن النبي (صلى الله عليه وآله) أيد أحاديث هذا الكتاب أجمع من أوله الي آخره من دون استثناء بين أحاديثه؟ وكيف يعقل بأن الرسول أيد كتابا مشجونا بالعصبية الأفرطية والأعمال المغرضة وصحح كتابا مليئا بأنواع التقطيع والأسقاط والتزييف وفيه الرواية بالمعنى؟ وهل يعقل أن الرسول

(صلى الله عليه وآله) جعل هذا الكتاب بمثابة كتابه وشجع الناس على قراءته ؟ وأما الجواب على هذه الاسئلة فهو منوط بعائق القارئ الباحث والحر - الذي يحمل بين جنبيه الفكر السليم - ليجيب عليها. هذه براهين جلية وشواهد واضحة على الاضطرابات التي تركزت في بعض أحاديث الصحيحين وأثبتت ضعفها وسقمها.

[١٣٩]

الفصل الخامس التوحيد في الصحيحين

[١٣١]

عرف البخاري ومسلم الله عز وجل بأنه: يمكن رؤيته ! ويحتاج إلى المكان والجهة ! ويتنقل ويتحول من مكان لآخر ! ويضحك ! ويجالس العباد جنباً إلى جنب ! ومن ثم فهو يتكون من أعضاء وجوارح ! ! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وهذا الأله الذي عرفه هذان الشيخان - البخاري ومسلم - بأنه: ذو وجه ! وعين ! ويد ! واصبع ! ورجل ! وساق ! و..... ! ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانه هذا بهتان عظيم

[١٣٢]

التوحيد في الصحيحين وهذا في الواقع يمكن اعتباره دليلاً سابعاً على ضعف الصحيحين ووهنهما تزلزل نصوص أحاديثهما وذلك لما يشاهد فيهما أحاديث لا تتماشى والاصول الدينية والعقائدية، ومخالفة للقواعد العقلية، وتوجد فيهما مواضع يشهد التاريخ الصحيح على خلافها. وسوف نتطرق إلى البحث في هذا الموضوع خلال دراستنا للفصول التالية: ١ - التوحيد. ٢ - النبوة. ٣ - بحوث متفرقة. ونشرع بالبحث في هذا الفصل حول التوحيد في الصحيحين. مسألة التوحيد هي أصل مشترك بين جميع الأديان السماوية، واهتم الإسلام بهذه المسألة اهتماماً بالغاً وأعارها الأهمية الخاصة أكثر من سائر الأديان، ولكن يلاحظ في الصحيحين أن هذه المسألة قد امتزجت من عدة جهات بتحريفات وتزييفات لا تغتفر. وتعبير أوضح: إننا نشاهد في الصحيحين مسائل لا أصل لها في الدين، ولا تمت إلى حقيقة التوحيد بشئ. وسوف نأتي بتحليل كل واحدة منها بدراسة وافية ونكشف الأستار عن الموهومات التي يحتويها الصحيحان بقدر ما يقتضيه كتابنا هذا... ١ - رؤية الله: المسألة الاولى في الصحيحين: - من مسائل التوحيد المهمة بل أهمها - كما

[١٣٣]

جاءت في نصوص أحاديث الصحيحين - هي مسألة التجسيم، وأن الله تعالى جسم كالأجسام المادية الأخرى - التي نحس بها في العالم والكون -، وإنه تعالى يمكن رؤيته ومشاهدته. وهك نماذجاً من الأحاديث فتأمل فيها جيداً: ١ - عن جرير قال: (كنا جلوساً عند النبي (صلى الله عليه وآله) فنظر إلى القمر، ليلة البدر. فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها

فافعلوا، ثم قرأ: (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) (١). (٢) أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما في أبواب متعددة وبأسانيد مختلفة. توضيح العيني: قال العيني شارح صحيح البخاري في شرحه على هذا الحديث بعد أن نقل كلاما للكرماني - وهو أيضا من شرح صحيح البخاري - : فإن استطعتم والتعقيب بكلمة الفاء يدل على أن الرؤية قد يرجى نيلها بالمحافظة على هاتين الصلاتين الصبح والعصر، وذلك فالقيام فيها أشق على النفس (٣). ٢ - عن أبي هريرة: إن أناسا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا، يا رسول الله (صلى الله عليه وآله). قال: فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا. قال: فإنكم ترونه، كذلك يحشر الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئا

(١) ق: ٣٩. (٢) صحيح البخاري ١: ١٤٥ كتاب الصلاة باب فضل صلاة العصر، وص ١٥٠ باب فضل صلاة الفجر، وج ٦: ١٧٢ كتاب القرآن باب تفسير سورة ق، وج ٩: ١٥٦ كتاب التوحيد باب وكان عرشه على الماء. صحيح مسلم ١: ٤٣٩ كتاب الصلاة باب (٣٧) باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ح ١٢٣. (٣) عمدة القارئ ٢٥: ١٢٣ ح ٦٢.

#### [١٢٤]

فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه ويضرب جسر جهنم. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): فأكون أول من يجيز من الرسل بامته ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم اللهم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان غير أنها لا يعلم عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل، ثم ينجو، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج من النار، يخرج ممن كان يشهد أن لا إله إلا الله، أمر الملائكة أن يخرجوهم فيعرفونهم بعلامة السجود، وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود، فيخرجونهم، قد امتحشوا فيصب عليهم ماء يقال له ماء الحياة، فينبتون نبات الحبة في حميل السيل، ويبقى رجل مقبل وجهه على النار، فيقول: يا رب، قد فشبني ريحها، وأحرقني زكاؤها، فأصرف وجهي عن النار، فلا يزال يدعو الله فيقول الله: لعلك إن أعطيتك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، فيصرف وجهه عن النار، ثم يقول بعد ذلك: يا رب، قربني إلى باب الجنة، فيقول: أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أعدرك؟ فلا يزال يدعو فيقول: لعلي إن أعطيتك ذلك تسألني غيره. فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، فيعطي الله من عهود ومواثيق أن لا يسأله غيره، فيقربه إلى باب الجنة، فإذا رأى ما فيها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم يقول: يا رب أدخلني الجنة فيقول الله: أو ليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أعدرك؟ فيقول: يا رب، لا تجعلني أشقى خلقك، فلا يزال يدعو حتى يضحك الله، فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها، فإذا دخل فيها قيل: تمن من كذا، فيتمنى، ثم يقال: تمن من كذا، فيتمنى، حتى تنقطع به الأمانى فيقول الله: هذا

#### [١٢٥]

لك ومثله منه (١). ٣ - عن أبي سعيد الخدري: أن اناسا في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): نعم. قال: هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا. قال: وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا. قال النبي (صلى الله عليه وآله): ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن، لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله، من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من يعبد الله من بر وفاجر وغيرات أهل الكتاب. فيدعى اليهود، فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ قالوا: نعبد عزير ابن الله، فيقال لهم: كذبتهم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولدا، فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا يا ربنا، فاسقنا، فيشار ألا تروون، فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا، فيتساقطون في النار. ثم يدعى النصارى فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم: كذبتهم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فكذلك مثل الأول. حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رآوه فيها، فيقال: ماذا تنظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد،

(١) صحيح البخاري ١: ٢٠٤ كتاب الصلاة باب فضل السجود، و ٩: ١٥٦ كتاب التوحيد باب (وكان عرشه على الماء)، و ٨: ١٤٦ كتاب ما جاء في الرقائق باب الصراط جسر جهنم. صحيح مسلم ١: ١٦٣ كتاب الإيمان باب (٨١) باب معرفة طريق الرؤية ح ٣٩٩.

### [١٣٦]

فيقول: أنا ربكم، فيقولون: لا نشرك بالله شيئا - مرتين أو ثلاثا - حتى أن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول: هل بينكم وبينه علامة فتعرفونه بها؟ فيقولون: الساق، فيكشف عن ساق (١). ٤ - عن جرير بن عبد الله: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنكم سترون ربكم عيانا. (٢) قال القسطلاني: عيانا - بكسر العين - من قولك: عاينت الشيء عيانا، إذا رأيته بعينك (٣). ٥ - عن صهيب، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتجننا من النار؟! قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل (٤). ٦ - عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: جنتان من فضة أنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب أنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم، إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن. (٥) هذه ست روايات حول مسألة رؤية الله عز وجل نقلناها من الصحيحين، وقد ورد

(١) صحيح البخاري ٦: ٥٦ كتاب القرآن باب تفسير سورة النساء، و ٩: ١٥٨ كتاب التوحيد باب (وكان عرشه على الماء). صحيح مسلم ١: ١٦٧ كتاب الإيمان باب (٨١) باب معرفة طريق الرؤية ٢٠٢. (٢) صحيح البخاري ٩: ١٥٦ كتاب التوحيد باب (وجه يومئذ ناظرة). (٣) إرشاد الساري ١٠: ٣٩٩. (٤) صحيح مسلم ١: ١٦٣ كتاب الإيمان باب (٨٠) باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة ح ٣٩٧. (٥) صحيح البخاري ٩: ١٦٣ كتاب التوحيد باب (وكان عرشه على الماء). صحيح مسلم ١: ١٦٣ كتاب الإيمان باب (٨٠) باب إثبات رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة ٣٩٦.

مثلها أو بتفاوت يسير في سائر الصحاح (١)، ونلفت أنظار القراء إلى حديثين آخرين مما روي في السنن ولم ينقلهما البخاري ومسلم في صحيحهما. ٧ - عن ابن عمر يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة، وأكرمهم علي الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية، ثم قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله): (وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة) (٢). (٣) وسوف نبحث أنفا حول هذه الآية التي تمسكوا بها لأثبات مدعاهم. ٨ - عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة! قال: وذلك قول الله (سلام قولا من رب رحيم) (٤) قال: فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم (٥). المستفاد من الأحاديث: يستفاد من هذه الأحاديث المذكورة: أولا: إن رؤية الله تعالى في يوم القيامة متحققة بهذه العين الظاهرة والمجردة، وذلك على نحو نوع من اتصال شعاع من عين الإنسان بذاته تعالى، ثم إن جسمه تعالى يعكس ذلك الشعاع على عين الإنسان ثانية (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر...). ثانيا: ليست الرؤية منحصرة بخاصة العباد، بل المنافقون كذلك سوف يرون ربهم

(١) سنن ابن ماجه ١: ٦٦ المقدمة باب (١٣٠) باب فيما أنكرت الجهمية ح ١٨٦، سنن الترمذي ٤: ٥٩٢ كتاب صفة الجنة باب (١٦) رؤية الرب تبارك وتعالى ح ٢٥٥١ و ٢٥٥٢. (٢) القيامة: ٢٢. (٣) سنن الترمذي ٤: ٥٩٢ كتاب صفة الجنة باب (١٦) باب رؤية الرب ح ٢٥٥٣. (٤) يس: ٥٨. (٥) سنن ابن ماجه ١: ٦٥ المقدمة باب (١٣) باب فيما أنكرت الجهمية ح ١٨٤.

(وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله). ثالثا: إن لله تعالى صورة وجسما يتأثر بالتأثيرات العرضية كالحركة والتحول وغيرها. رابعا: إن لله تعالى مكانا خاصا ويظهر عيانا أمام أعين العباد. خامسا: إن لله تعالى صورا مختلفة وأشكالا متعددة، يعرف العباد بعضها وينكرون بعضها الآخر، فإذا جاءهم في الصورة التي يعرفونه بها اتبعوه، (فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم... فيقولون: نعوذ بالله منك... فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون). سادسا: إن لله تعالى ساقا وهو بمثابة علامة فارقة وخاصة يعرفون بها ربهم، وما دام الله لم يكشف عن ساقه لم تحصل لهم تلك المعرفة (فيقول هل بينكم وبينه علامة فتعرفونه بها؟ فيقولون: الساق... فيكشف الساق...). سابعا: وآخر ما يستفاد من هذه الأحاديث هو أن الله يتعجب ويضحك وينخدع بغدر الأنسان المذنب إياه. هذا ملخص الأحاديث التي وردت في الصحيحين - البخاري ومسلم - حول مسألة الرؤية ويستفاد منها مسائل كثيرة غير مسألة الرؤية قد أشرنا الى بعضها. ونظرا لأهمية مسألة الرؤية اجمع أهل السنة ومحدثيهم على إمكان وقوعها، ومن جهة أخرى فإن الشيعة وأئمتهم (عليهم السلام) نفوا رؤية الله نفا قاطعا وردوه ردا صارما ولم يقل احد منهم بوقوعها اصلا. لذلك كان لزاما أن ندرس هنا أقوال علماء الفريقين أهل السنة والشيعة حول موضوع رؤية الله. رأي أهل السنة في مسألة رؤية الله: يعتقد أكثر علماء أهل السنة ومحدثيهم وأئمتهم الأربعة في الرؤية - رؤية الله



عزوجل - بأنها ممكنة، وقد نوهت إلى ذلك أحاديثهم، وهذه المسألة عندهم تعتبر من اصول عقائدهم، بحيث حكموا على من أنكر رؤية الله وخالف هذه العقيدة بالخروج عن الدين واعتبروه كافرا ومشركا، فالإمام أحمد بن حنبل - أحد أئمة المذاهب الأربعة - كفر منكري الرؤية، وحكم على المنكرين لهذه العقيدة بأنهم خارجون عن الإسلام (١). وقال مالك والشافعي - إمامان من أئمة المذاهب الأربعة - بإمكان رؤية الله في الآخرة. قال الأشهب: قلنا للإمام مالك: يا أبا عبد الله، هل الآية الكريمة: (وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة) (٢) توحي بأن الناس سوف يرون الله بهاتين العينين؟ قال: نعم، بهاتين العينين. قلنا: إن أناسا يقولون: إن الآية تعني انتظار ثواب الله وعقابه، قال: إنهم يفترون، بل الناس ينظرون إلى الله (٣). وحكى المزني عن إبراهيم بن محمد بن هرم، عن الشافعي أنه قال في قوله تعالى: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) (٤) لما حج بهم في السخط كان دليلا على أنهم يرونه في الرضا - الآخرة -. وقال الربيع: كنت ذات يوم عند الشافعي وجاء كتاب من الصعيد يسألونه عن قوله عزوجل: (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فكتب: لما حجب قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا. قلت له: أو تدين بهذا يا سيدي؟ فقال: والله لو لم يوقن محمد بن إدريس إنه يرى

(١) تفسير المنار ٩: ١٣٥، (٢) القيامة: ٢٣، (٣) تزيين الممالك في مناقب مالك للسيوطي نقل عنه محمد أبو زهرة في كتاب مالك ٨٨، (٤) المطففين: ١٥.

ربه في المعاد لما عبده في الدنيا (١). قال الاسفراييني - ٤٢٩ هـ -: أجمع الأئمة من أصحاب الرأي والحديث من أتباع مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل - أئمة المذاهب الأربعة - والثوري وابن أبي ليلى والأوزاعي علي أن الله تعالى يكون مرئيا بالعين بدون تشبيه ولا تعطيل. وقال: وأجمعوا بجواز رؤيته تعالى للمؤمنين خاصة في الآخرة. وأضاف: إنا قد استقصينا البحث في مسائل رؤية الله في كتاب مستقل (٢). قال أحمد محمد شاكر في شرحه على مسند أحمد بن حنبل: والأحاديث في رؤية المؤمنين ربهم عز وجل ثابتة ثبوت التواتر، من أنكرها فإنما أنكر شيئا معلوما من الدين بالضرورة، وإنما ينكر ذلك الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والأمامية (٣). وقال النووي: اعلم أن مذهب أئمة أهل السنة بأجمعهم هو أن رؤية الله تعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا، وأجمعوا أيضا على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون الله تعالى دون الكافرين، وزعمت طائفة من أهل البدع - المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة - أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلا، وهذا الذي قالوه خطأ صريح، وجهل قبيح، ثم قال: وكذا رؤيته تعالى في الدنيا فإنها ممكنة (٤). وبعد الاستدلال على إمكان الرؤية قال: وإن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) رأى ربه بعيني رأسه ليلة الأسراء. ثم ينقل ما قالت عائشة: إن رسول الله لم ير الله في المعراج. وقال الديار بكري: ومن

(١) طبقات الشافعية ٢: ٨١، الإمام الشافعي لعبد الغني الدقر: ٢٤٩، (٢) الفرق بين الفرق: ٢١٢ - ٢٣٥ بتصرف، (٣) شرح مسند أحمد بن حنبل ١٤: ١٣٧ ح ٧٧٠٢ (٤) شرح صحيح مسلم ٣: ١٥.

الخصائص التي اختص بها النبي (صلى الله عليه وآله) رؤيته للباري مرتين (١). وقال العيني في شرح حديث الرؤية: إن مفاد هذا الحديث هو إنكار على من استحال رؤية الله تعالى، وفيه رد على أهل البدع - من المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة - في قولهم: إن الله لا يراه أحد من خلقه، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً، وهذا الذي قالوه خطأ صريح وجهل قبيح، وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة فمن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين. وأما رؤية الله في الدنيا فممكنة ولكن الجمهور من السلف والخلف من المتكلمين وغيرهم على إنها لا تقع في الدنيا، وحكي عن أبي الحسن الأشعري وقوعها في الدنيا (٢). قال القسطلاني: إن رؤيتنا لله تعالى لا شك فيه (٣). حكي ابن حجر عن ابن بطال قال: ذهب أهل السنة وجمهور الأمة إلى جواز رؤية الله في الآخرة (٤). قال الشيخ محمد عبده: إن في الأحاديث الصحيحة من التصريح في إثبات الرؤية ما لا يمكن المراء فيه (٥). أسئلة حول الرؤية مع أجوبتها: وفي هذا المجال نورد الأسئلة الخمسة حول رؤية الله التي طرحت على (٦) ابن

(١) تاريخ الخميس ١: ٢١٢. (٢) عمدة القاري ١٨: ١٧٢. (٣) إرشاد الساري ١٠: ٣٩٩. (٤) فتح الباري ١٣: ٢٥٩. (٥) تفسير المنار ٩: ١٤٤. (٦) ابن حجر الهيتمي من أشهر علماء أهل السنة، توفي سنة ٩٧٣ هـ، وله مؤلفات عديدة، منها: الصواعق المحرقة في الرد على الشيعة، والفتاوى الحديثية وهو كتاب على نحو =

حجر الهيتمي وإجابته عليها: ١ - إذا اعتقد شخص أنه رأى ربه في الدنيا، وأن الرؤية وقعت منه في الدنيا بالعين في اليقظة، فهل يجوز ذلك، كما قال جماعة ان المختار جواز رؤيته في الدنيا في اليقظة بالعين؟ الجواب: الكلام هنا في مقامين: الأول في إمكانها عقلاً، والذي عليه أهل السنة إنها ممكنة في الدنيا. الثاني: في وقوعها عند أهل السنة، لكنها لم تقع في هذه الدنيا لغير نبينا (صلى الله عليه وآله) وذلك ليلة المعراج. ٢ - هل مؤمني الامم السابقة يرون الله يوم القيامة كهذه الأمة، أم لا؟ الجواب: فيهم احتمالان لابن حمرة المالكي، وقال: الأظهر مساواتهم لهذه الأمة في الرؤية، ويمكن القول بأن الخلائق من الملائكة والجن والنساء يرونه، لأن لفظ الخلائق عامة. ٣ - لم وقعت رؤية الله في الآخرة لا في الدنيا؟ الجواب: سبب ذلك كما أفاده الإمام مالك ضعف قوى أهل الدنيا عن ذلك بخلافهم في الآخرة فإنهم خلقوا للبقاء، وخص نبينا (صلى الله عليه وآله) بالرؤية ليلة الأسراء بعين باصرة على الأصح كرامة له. ٤ - هل النساء كالرجال يرين ربهن؟ الجواب: قيل لا يرين لعدم دليل خاص فيهن، وقيل: يرين لدخولهن في العموم، وقيل: يرين في الأعياد خاصة، ولا يرين مع الرجال في أعياد الجمع، ورجح لحديث فيه، واستثنى جلال الدين السيوطي سائر الصديقات - وهن اللاتي ذكرت أسماؤهن في

= السؤال والجواب. وقد انتقينا هذه الأسئلة وأجوبتها من هذا الكتاب مما يناسب بحثنا. راجع الفتاوى الحديثية: ١٠٨ و ١٥٢ - ١٥٤.

القرآن - فقال: إنهن يرين الله مع الرجال كرامة لهن. ه - هل النساء يرين الله في الموقف قبل دخول الجنة - كالرجال - ؟ الجواب: نعم، بل قال جمع من أهل السنة: إنها تحصل للمنافقين، وجمع أنها تحصل للكافرين ثم يحجبون عنه، وأما الرؤية في الجنة فأجمع أهل السنة أنها حاصلة للأنبياء والرسل والصديقين من كل أمة، ورجال المؤمنين من البشر من هذه الأمة، واختلف في نساء هذه الأمة فقيل: لا يرين لأنهن مقصورات في الخيام، وقيل: يرين لعموم النصوص. منشأ هذه العقيدة الفاسدة: يظهر مما نقلناه من أقوال علماء أهل السنة في الصفحات السابقة ومما سنذكره في الصفحات القادمة أن مستند علماء أهل السنة في إثبات الرؤية هو الأحاديث التي رواها البخاري ومسلم في كتابيهما وأخرجها أرباب الكتب المعتمدة عند أهل السنة، وبالتالي إن هذه الأحاديث هي التي صدتهم ومنعتهم عن التدبر والتفكر في آيات القرآن المجيد، وتأثروا بها كثيرا حتى دفعتهم إلى أن يأولوا معاني بعض الآيات حسب ما تقتضيه هذه الأحاديث. قال ابن حجر: جمع الدارقطني طرق الأحاديث الواردة في رؤية الله تعالى في الآخرة فزادت على العشرين، وتتبعها ابن القيم في حادي الأرواح فبلغت الثلاثين، وأكثرها جياذ، وأسند الدارقطني عن يحيى بن معين قال: عندي سبعة عشر حديثا في الرؤية صحاح (١). قال الشيخ محمد عبده: أما رؤية الرب تعالى فرمما قيل: إن آيات النفي فيها أصرح من آيات الأثبات، كقوله تعالى: (لن تراني) (٢) وقوله تعالى: (لا تدركه الأبصار) (٣)

(١) فتح الباري ١٣: ٣٧١. (٢) الأعراف: ١٤٣. (٣) الأنعام: ١٠٣.

#### [١٤٤]

فيهما أصرح دلالة على النفي من دلالة قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة) على الأثبات. فإن استعمال النظر بمعنى الانتظار كثير في القرآن وكلام العرب، كقوله: (ما ينظرون إلا صيحة واحدة) (١)، (هل ينظرون إلا تأويله) (٢)، (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) (٣)، وثبت إنه استعمل بهذا المعنى (٤). فالشيخ محمد عبده - حسب ما جاء في الفقرة المذكورة من كلامه - إنه يرجح الآيات النافية للرؤية، ويميل إليها واستند في القول بضعف آيات الرؤية إلى آيات أخرى وأقوال المفسرين، ولكنه عندما تعترضه أحاديث الرؤية لا يسعه الأغماض عنها، بل يأول الآيات إلى المعاني التي وردت في الأحاديث، ويقول بالحرف الواحد: إن في الأحاديث الصحيحة من التصريح في إثبات الرؤية ما لا يمكن المراء فيه (٥). وعلى هذا، فقد علمنا أن منشأ الاعتقاد بالرؤية والتجسيم والتشبيه التي تأتي بذكرها هو الأحاديث المروية في كتب أهل السنة وخاصة صحاحهم الستة، التي يعتبرونها صحيحة وموثقة ولا تقبل الخدش والرد والنقد. وهذه الأحاديث المروية عندهم هي التي دفعتهم إلى الاعتقاد في التوحيد بما لا يوافق القرآن الكريم. وملخص القول إذا وضع المعمار حجر الأساس مائلا ومعوجا فإن الاعوجاج والانحراف يظل باقيا مادام البناء باقيا. رؤية الله في المنام ! لقد اطلع القارئ المنصف على ما ذكرناه من عقيدة أرباب الصحيحين وأتباعهما

(١) يس: ٤٩. (٢) الأعراف: ٥٢. (٣) البقرة: ١٥٨. (٤) تفسير المنار ٩: ١٣٤. (٥) تفسير المنار ٩: ١٤٤.

في مسألة رؤية الله عز وجل، ومن الجدير بهذه المناسبة أن نذكر أيضا عقيدة علماء أهل السنة بما تختص بمسألة أخرى تتناسب مع هذه المسألة وهي رؤية الله في المنام - في عالم الرؤيا - . وإنهم ذكروا لأثبات هذه العقيدة أحاديث كثيرة تحكي بأن الرسول (صلى الله عليه وآله) قد أعطى هذه الموهبة، وأنه (صلى الله عليه وآله) رأى الله تعالى في عالم الرؤيا. وتأييدا لهذه الفكرة وتثبيتها أوسعوا نطاق المسألة بحيث استدعت تحجيم مقام النبوة، وتجاوزوه وتعدوه زاعمين بأن بعض العلماء رأوا الله في عالم الرؤيا والتقوا به وجالسوه وأسمعوه شجون أنفسهم وهمومهم. ومن ثم قاموا بتفسير وتعبير هذه الرؤى بتعابير شيقة وعذبة نقلوها عن أشهر مفسري الأحلام وقد أرشد دعاة هذه العقيدة مشتاقى رؤية الله في المنام، وعلموهم صلاة ذات ركعتين وبكيفية خاصة يصلحها المشتاق حتى ينال تلك الموهبة. حتى أن المؤرخ المشهور السهيلي صاحب كتاب (روض الأنف) المتوفى عام ٥٨١ من الهجرة تصدى لهذه المسألة ووضع كتابه (مسألة رؤية الله في المنام والنبى (صلى الله عليه وآله) (١) بحث فيه موضوع الرؤية في عالم الرؤيا بحثا موسعا وأجاب فيه على التساؤلات التي ربما تطرح حول الموضوع. وسوف نطلع القارئ على بيان هذه المسألة اطلاعا وإفيا، وندع الحكم له. الرسول (صلى الله عليه وآله) يرى الله في المنام: أخرج الترمذي في سننه روايات عديدة تحكي بأن الرسول (صلى الله عليه وآله) رأى الله عزوجل في عالم الرؤيا بأحسن صورة، فجالسه وتحدث معه، وإليك النص: عن معاذ بن جبل، قال: احتبس عنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نترأى عين الشمس، فخرج سريعا فتوب بالصلاة فصرى رسول الله (صلى الله عليه وآله)

(١) سيرة ابن هشام بقلم طه عبدا لرؤوف، طبعة ١٣٩١.

وتجوز في صلاته، فلما سلم دعا بصوته، فقال لنا: على مصافكم كما أنتم، ثم انفتل إلينا، ثم قال: أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، إني قمت من الليل فتوضأت واصلت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت، فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، فقال: يا محمد، قلت: لبيك رب، قال: فيم يختص الملائ الأعلى ؟ قلت: لا أدري - قالها ثلاثا - قال: فرأيت وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين ثديي (١). البخاري يصحح هذا الحديث: قال الترمذي بعد إخراجه لهذا الحديث: سألت عن صحته محمد بن إسماعيل البخاري، فقال: هذا حديث حسن صحيح (٢). علماء السنة يرون الله في المنام: يقول الحافظ ابن العربي المالكي - ٥٤٣ هـ - عند شرحه هذا الحديث وتوثيقه: وقد كان الاستاذ أبو إسحاق الأسفراييني شيخ العلماء والزهاد رأى الباري في المنام، فقال له: رب أسألك التوبة ثلاثين سنة أو أربعين سنة ولم تستجب لي بعد ! فقال له: يا أبا إسحاق، إنك سألت في عظيم، إنما سألت جينا (٣). ونقل الشعرازي (٤) وابن الجوزي (٥) والشيلنجي (٦) عن أحمد بن حنبل أنه قال: رأيت رب العزة في المنام فقلت: يا رب، ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك ؟ فقال: بكلامي يا أحمد، فقلت: بفهم أو بغير فهم ؟ قال: بفهم وبغير فهم.

(١) سنن الترمذي ٥: ٣٤٢ كتاب تفسير القرآن باب (٣٩) باب تفسير سورة ص ح ٣٣٣٥. (٢) المصدر: ٣٤٤. (٣) عارضة الأحوذى ١٢: ١١٧. (٤) طبقات الشعراى ١: ٤٤. (٥) مناقب احمد بن حنبل: ٤٣٤. (٦) نور الأبصار: ٣٤٨.

### [١٤٧]

وقال الالوسى صاحب تفسير روح المعانى - ١٣٧٠ هـ -: فأنا والله تعالى الحمد قد رأيت ربي مناما ثلاث مرات، وكانت المرة الثالثة في السنة ١٣٤٦ بعد الهجرة، رأيت جل شأنه وله من النور ماله، متوجها جهة المشرق فكلمني بكلمات أنسيتها حتى استيقظت (١). تعبير الرؤيا: بعد أن روى الترمذي الحديث المذكور في رؤية الله في المنام ذكر تعبيراً وتفسيراً لهذه الرؤيا نقله عن ابن سيرين - أشهر مفسري الأحلام - أنه قال: من رأى ربه في المنام دخل الجنة (٢). صلاة لرؤية الله في المنام: روى علماء أهل السنة وحفاظهم عن ابن عباس أنه قال: من صلى يوم الجمعة ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في أول ركعة بفاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة واحدة، وخمس وعشرين مرة قل أعوذ برب الفلق، وفي الركعة الثانية يقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الناس خمس وعشرين مرة، فإذا سلم قال: لا حول ولا قوة إلا بالله خمسين مرة، فلا يخرج من الدنيا حتى يرى ربه عزوجل في المنام ويرى مكانه في الجنة أو يرى له. روى هذا الحديث جلال الدين السيوطي في اللئالي المصنوعة (٣)، وابن الجوزي في كتابه (الموضوعات) (٤) وقال: هذا حديث موضوع، وفي أسناده مجاهيل لا يعرفون، وقد ذكر صلوات الأسبوع أبو طالب المكي، وتبعه أبو حامد الغزالي، وكل ذلك لا أصل

(١) روح المعانى ٩: ٥٢. (٢) سنن الدارمي ٢: ١٢٦ كتاب الرؤيا باب (١٢) باب في رؤية الرب تعالى في النوم ح ٢١٥٠. (٣) اللئالي المصنوعة ٢: ٥٢. (٤) الموضوعات ٢: ١١٩.

### [١٤٨]

له. والعجب أن ابن الجوزي في نقده لهذا الحديث لا يتعرض إلى متنه الذي اشير فيه إلى مسألة رؤية الله تعالى، وأحسبه أن متن الحديث عنده من اليقينييات، وأما السند فهو مخدوش عنده، ويقول: حديث موضوع، وفيه مجاهيل لا يعرفون. رأي الشيعة في رؤية الله يعتقد أئمة الشيعة - أي أهل بيت النبي (عليهم السلام) - بأن رؤية الله سواء في الدنيا أو الآخرة وبالعين المجردة تعد من الأمور المستحيلة، وتبعمهم في ذلك الشيعة المتعلمون بعلوم أهل بيت النبي (عليهم السلام) وقالوا باستحالتها وأن الله أجل وأكبر من أن يكون كالأجسام المادية مثل الشمس والقمر التي تدرك بالانعكاسات الضوئية. هذه هي خلاصة عقيدة أهل البيت (عليهم السلام) حول الرؤية، ويلزم التمسك بقولهم ولا تقبل معذرة في الآخرة سوى الأخذ عنهم. لأنهم هم المطهرون من الأرجاس والأدناس والمنزهون عن الخطأ والانحراف، كما اشار إلى ذلك القرآن في قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) (١) وقرنهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالكتاب، وجعلهم أحد الثقلين اللذين اودعهما في امته فقال: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي). واما البراهين العقلية والايات القرآنية فهما تؤيدان ما ذهب إليه الشيعة من استحالة رؤية الله، والأحاديث المروية عن الأئمة (عليهم السلام) بدورها تفسر تلك الأدلة العقلية والقرآنية وتقرّب المسألة إلى الأذهان البشرية. البراهين العقلية والفلسفية على نفي رؤية الله: ١

- قالت الفلاسفة: تتحقق رؤية الشئ بالعين وانعكاس الضوء إذا كان الشئ المرئي والمشاهد - بفتح عين الفعل - في جهة معينة وأن تكون بين الرائي والمرئي مسافة

(١) الأحزاب: ٣٣.

[١٤٩]

معينة تفصل بينهما بحيث لو زادت أو نقصت تلك المسافة لخرجت الرؤية عن حيز الأماكن، والشرط الآخر هو أن يكون المرئي في مقابل الرائي ومحاذاته وبالالتفات الى هذه الشروط والنقاط فرؤية الله تكون محالة، وذلك لأنه لا يتحقق اي واحد من هذه الشروط بالنسبة الى الله، لأنه تعالى لم يكن له جهة معينة، ومكان معين، ليستقر فيه، ولم يتصور أن تكون بينه تعالى وبين البشر أية محاذاة وفاصلة ومسافة، لأن هذه المسافة والفاصلة تستلزم أن يكون الله عزوجل جسما ماديا ومتحيزا ومتعلقا بالمكان، وهذان الأمران من المستحيلات بالنسبة الى ذاته عزوجل. ٢ - رؤية الله عزوجل بواسطة العين الباصرة لا تخلو من جهتين: إما أن تحيط الرؤية بجميع ذاته تعالى فإن هذه الأحاطة تستلزم تحديد وجود الله وحصره في مكان معين وخلو سائر النقاط منه، لأن عين الإنسان محدودة القدرة ولا تستطيع الأحاطة بجميع الجهات. وإما أن تكون رؤيتنا إياه تعالى تتعلق بجزء من ذاته، وإنها تدرك قسما من ذاته تعالى، فهذه تستلزم القول بالتجزئة والتركيب في ذاته، وكل ذلك محال بالنسبة الى الله، لأنه تعالى شأنه ليس محدودا بحد ولا متحيزا في مكان، وليس له اجزاء ومركبات حتى يكون في مكان دون مكان. وأضف إلى ذلك أن المرئي - المفعول - لابد أن يكون ذا لون حتى يكون قابلا للرؤية، وتعليق اللونية على ذاته تعالى مستحيل كذلك (١). الدلائل القرآنية: في القرآن الكريم آيات متعددة تنفي رؤية الله وتستحيلها، منها: ١ - في سورة الأنعام: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف

(١) راجع شرح التجريد للعلامة الحلي، والقوشجي وسائر المؤلفات الفلسفية والكلامية الإسلامية.

[١٥٠]

الخبير) (١). قال الطبرسي: الأدراك متى قرن بالبصر لم يفهم منه إلا الرؤية. وعليه إذا قال أحد: أدركته ببصري وما رأيته متضاد، لأن الأدراك لا يكون بالعين (٢). ٢ - في سورة البقرة: (وإذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فافتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون) (٣). هاتان الآيتان المتعاقبتان والمتتاليتان فيهما الدلالة التامة على استحالة رؤية الله عزوجل، لأن الآية الاولى صريحة في عذاب الذين عبدوا العجل فالزمهم الله بالتوبة وقيدها بقتل النفس - الانتحار - كفارة لذنبهم، والآية الثانية صريحة كذلك في معاقبة الذين أرادوا رؤية الله تعالى وأن عقابهم هو نزول الصاعقة والبلاء السماوي عليهم. وترشدنا الآيتان معا بكل وضوح وبيان الى حقيقة وهي: أن طلب رؤية الله يعتبر من الذنوب الكبيرة ويوجب نزول العذاب السماوي كما أن عبادة العجل كفر وارتداد وموجبة للعذاب.

والجدير بالذكر أن في كل الآيات التي اشير فيها الى سؤال بني إسرائيل رؤية الله وطلبهم المستحيلات جاء ذكر العذاب والعقاب عقيب السؤال بتعابير بلاغية وحمل مختلفة، وما ذلك إلا لكون هذا السؤال ذنبا كبيرا وجريمة عظيمة. قال تعالى: (يسألك أهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم) (٤).

(١) الأنعام: ١٠٢. (٢) مجمع البيان ٤: ٢٤٤. (٣) البقرة: ٥٤ - ٥٥. (٤) النساء: ١٥٢.

### [١٥١]

وقال تعالى: (وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتوا كبيرا) (١). وعلى هذا الأساس فلو كانت رؤية الله ممكنة - كما يعتقد أهل السنة القائلون بإمكانها ويدعون بأن رؤيته تعالى والنظر إليه في القيامة هي من أعظم ما ينعم الله على عباده في الجنة، وأكبر ما يعطونه من الفضل واللفظ الألهي في القيامة - لما كان السؤال بتحققها وإيقاعها استكبارا وعتوا وتمردا عن أمر الله. وفي القرآن آيات عديدة أخرى تنفي الرؤية نفيًا قاطعًا، ولكن اكتفينا بذكر هاتين الآيتين كشاهدين ونموذجين. الأدلة الحديثة: ١ - من كلام له (عليه السلام) وقد سأله ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين؟ فقال (عليه السلام): أفأعبد ما لا أرى؟ قال: وكيف تراه؟ قال (عليه السلام): لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان... (٢). ٢ - سئل الصادق (عليه السلام): هل يرى الله في المعاد؟ قال (عليه السلام): سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، ان الأبصار لا تدرك إلا ماله لون وكيفية، والله خالق الألوان والكيفية (٣). ٣ - عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: جاء خبر الى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين، هل رأيت ربك حين عبديته؟ فقال (عليه السلام): وبلك ما كنت أعبد ربا لم أره. قال: وكيف رأيت؟ قال (عليه السلام): وبلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار، ولكن رآته القلوب بحقائق الإيمان (٤).

(١) الفرقان: ٢١. (٢) بحار الأنوار ٤: ٣٧ كتاب التوحيد باب (٥) باب نفي الرؤية وتأويل الآيات فيها ح ٢. (٣) بحار الأنوار ٤: ٣١ ح ٥. (٤) بحار الأنوار ٤: ٣٢ ح ٨ وص ٥٢ ح ٣٠، أصول الكافي ١: ٩٨ كتاب التوحيد باب (٩) باب إبطال الرؤية ح ٦.

### [١٥٢]

٤ - عن الأشعث بن حاتم قال: قال ذو الرناستين: قلت لأبي الحسن الرضا (عليه السلام): جعلت فداك، أخبرني عما اختلف فيه الناس من الرؤية. فقال (عليه السلام): يا أبا العباس من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد أعظم الفرية على الله. قال الله: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) (١) (٢). وهناك العشرات من الأحاديث الواردة عن الأئمة (عليهم السلام) تنفي رؤية الله عزوجل وقد ذكرنا طرفا منها كشواهد، ونماذج. ٢ - مكان الله؟ النقطة التالية الدالة على ضعف مسألة التوحيد التي ذكرها البخاري ومسلم في صحيحهما هي أن الله بحاجة الى مكان، وأثبتنا له تعالى أماكن متعددة. وتوضيحا للمسألة نقول: إننا ذكرنا في مبحث الرؤية أن رؤية الله تستلزم القول بتعيين مكان خاص لله عزوجل يشغله، وأن أحد لوازم هذه الرؤية - كما هو شأن كل موجود - أن

يشغل حيزا من المكان، وإحاديث الصحيحين تدلنا على كون الله متحيزا في مكان معين، وقد أفرد كل واحد من مؤلفي الصحاح أبوابا مستقلة في صحاحهم، حتى أن علماء أهل السنة كتبوا في بيان هذه المسألة وتوضيحها كتبا كثيرة. وروي في الصحيحين أن العبد إذا كان في الصلاة فإن مكانه تعالى إلى جهة القبلة وأمام العبد، وجاء في السنن أن مكانه تعالى هو فوق العرش وقيل أن يخلق الله العرش كان مكانه تعالى في قطعة من السحاب. وإليك أحاديث تحدد مكان الله عزوجل: ١ - عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) رأى بصاقا في جدار القبلة، فحكه بيده، ثم أقبل على الناس. فقال: إذا كان أحدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه

(١) الأنعام: ١٠٣. (٢) بحار الأنوار ٤: ٥٣ ح ٣١.

### [١٥٢]

إذا صلى (١). ٢ - عبد الله قال: بينا النبي (صلى الله عليه وآله) يصلي إذ رأى في قبلة المسجد نخامة، فحكها بيده، ثم قال: إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله حيال وجهه، فلا يتخمن حيال وجهه في الصلاة (٢). ٣ - عن أبي هريرة: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) رأى نخامة في قبلة المسجد، فأقبل على الناس. فقال: ما بال أحدكم يقوم مستقبل ربه فيتنخع امامه، أيجب أحدكم أن يستقبل فيتنخع في وجهه؟ ! فإذا تنخع أحدكم فليتنخع عن يساره تحت قدمه، فإن لم يجد فليفعل هكذا. ووصف القاسم، فنفل في ثوبه، ثم مسح بعضه على بعض (٣). وأخرج مسلم هذا الحديث بطريقين عن أبي هريرة. الله في السماء: روى ثلاثة من اصحاب الصحاح الستة وآخرون من مؤلفي المسانيد والسنن عن معاوية بن حكم السلمى أنه سأل النبي (صلى الله عليه وآله) عن أمته فقال: فأتيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقلت: يا رسول الله أفترى اعتقها - الجارية - ؟ قال (صلى الله عليه وآله): ائتني بها، فأتيتها بها. قال لها: اين الله ؟ قالت: في السماء. قال: من أنا ؟ قالت: أنت رسول

(١) صحيح البخاري ١: ١١٢ كتاب الصلاة باب حك البزاق باليد عن المسجد، صحيح مسلم ١: ٢٨٨ كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب (١٣) باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها ح ٥٠. (٢) صحيح البخاري ١: ١٩١ كتاب الصلاة باب هل يلتفت لأمر ينزل، وج ٨: ٣٣ كتاب الأدب باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله. (٣) صحيح مسلم ١: ٢٨٩ كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب (١٣) باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها ح ٥٢، سنن ابن ماجه ١: ٣٣٦ كتاب الصلاة باب (٦١) المصلي يتنخم ح ١٠٢٢.

### [١٥٤]

الله. قال (صلى الله عليه وآله): اعتقها فإنها مؤمنة (١). الله على العرش: ١ - عن ابن عباس بن عبد المطلب قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فمرت به سحابة فنظر إليها، فقال: ما تسمون هذه ؟ قالوا: السحاب. قال: والمزن ؟ ! قالوا: والمزن. قال: والعنان ؟ قالوا: والعنان. قال أبو داود: لم أتقن العنان جيدا، قال (صلى الله عليه وآله): هل تدرون ما بين السماء والأرض ؟ قالوا: لا ندري. قال: بعد ما بينهما أما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك، حتى عدد سبع



سماوات، ثم فوق السبعة بحر بين أسفله وأعلىه مثل ما بين سماء الى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء الى سماء، ثم على ظهورهم العرش، بين أسفله وأعلىه مثل ما بين سماء الى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك !! (٢).  
٢ - عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه، عن جده، قال: أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعرابي، فقال: يا رسول الله، جهدت الأنفيس، وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإننا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ويحك أتدري ما تقول؟ وسبح رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فما زال يسبح، حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: ويحك أتدري ما الله!! إن عرشه على سماواته هكذا،

(١) صحيح مسلم ١: ٢٢٢ كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب (٧) باب تحريم الكلام في الصلاة ذيل ح ٣٣، سنن أبي داود ١: ٢٨٢ كتاب الصلاة باب تشميت العاطس في الصلاة ذيل ح ٩٣٠، سنن النسائي ٣: ١٨ كتاب السهو باب الكلام في الصلاة، موطأ مالك ٢: ٧٧٦ كتاب العتق والولاء باب (٦) باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة ح ٨، مسند أحمد بن حنبل ٢: ٢٩١ مسند أبي هريرة، وح ٥: ٤٤٧ - ٤٤٩ حديث معاوية بن حكم السلمي. (٢) سنن أبي داود ٤: ٢٣١ كتاب السنة باب في الجهمية ح ٤٧٢٢، سنن ابن ماجه ١: ٦٩ المقدمة باب (١٢) باب فيما أنكرت الجهمية ح ١٩٢.

#### [١٥٥]

وقال بأصابعه مثل القبة عليه وإنه ليئط به أطيح الرجل بالراكب. قال ابن بشار في حديثه: إن الله فوق عرشه، وعرشه فوق سماواته، وساق الحديث (١). أقول: روى أبو داود في سننه هذا الحديث بأسانيد مختلفة وصححه. ٣ - عن ابن مسعود قال: بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شئ من أعمالكم (٢). الله في السحاب: ١ - عن ابن زرين قال: قلت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال (صلى الله عليه وآله): كان في غماء ما تحته هواء، وما فوّه هواء، ومن ثم خلق عرشه على الماء (٢). المستفاد من الاحاديث: ١ - إن الله متحيز وله مكان، وقبل أن يخلق الخلق كان في ظلة من الغمام. ٢ - إن الله تعالى لما خلق الخلق استقر على عرشه وفوقه، وكان العرش يئط من ثقله تعالى كما يئط المركب من ثقل راكمه. ٣ - إن الله تعالى أماكن متعددة يستقر فيها أنى شاء فمرة تجده على السحاب، وأخرى يعتلي العرش، وثالثة ينزل من العرش، وتارة يستقر في جهة قبلة المصلي وأخرى يتوسط بينهما - المصلي والقبة -.

(١) المصدرين. (٢) كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب: ٢١٢. (٣) سنن ابن ماجه ١: ٦٤ المقدمة باب (١٢) باب فيما أنكرت الجهمية ح ١٨٢، سنن الترمذي ٥: ٢٦٩ كتاب تفسير القرآن باب (١٢) تفسير سورة هود ح ٢١٠٩.

#### [١٥٦]

٤ - علاوة على ما حكته لنا هذه الأحاديث من التجسيم والتشبيه فإنها تذكر مسائل حول السماوات والعرش والكرسي، واستقرار العرش فوق الأوعال التي تفصل بين أظلاف كل منها وركبتها مسافة

خمسمائة عام... وكل هذه الأشياء تستقر كل ذلك على الماء. وهذه الأمور ليست خفية على المطالع اللبيب المحقق. وعليه أن يحكم على مثل هذه الأحاديث. رأي أهل السنة في مكان الله إن نظرة سريعة وخاطفة لكتب الكلام وغيرها تعطي الإنسان بصيرة أكثر على ما يعتقد علماء أهل السنة وأئمة مذاهبهم الأربعة - الحنبلية، الحنفية، المالكية والشافعية - في مسألة مكان الله تعالى هو ما أخذوه من الأحاديث المروية عندهم في الصحاح، بأنهم يعتقدون أن الله استوى على العرش، وهذا الرأي هو ما يعتنقه علماءهم المعاصرون أيضا تبعا لأسلافهم. فهذا الأمام أحمد بن حنبل أحد المعتقدين بهذا الرأي يقول بأن الله قد استوى فوق العرش، وتراه عندما يواجه الآية الكريمة (وهو معكم أينما كنتم) (١) - التي تثبت عدم اختصاص المكانية لله عزوجل وإنها من الدلائل السماعية التي تدل بوضوح على إحاطته الكاملة بجميع الأمكنة وعدم خلو مكان منه تعالى - فقام بتأويلها بعلم الله وقال: أن المراد هو إن الله يعلم جميع الأعمال ولا يخفى عليه شئ وليس المراد المعية (٢). وهذا أيضا الأمام أبو حنيفة هو الآخر يرى بأن الله مستقر على العرش. ويروي الذهبي في كتابه (العلو للعلي الغفار) (٣) عن نوح الجامع انه قال: كنت عند أبي حنيفة أول

(١) الحديد: ٤. (٢) تفسير المنار ٩: ١٣١. (٣) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي - ٧٤٨ هـ - أحد علماء أهل السنة المعروفين، وله كتب عديدة في شتى العلوم منها هذا الكتاب الذي ألفه لأثبات هذه العقيدة =

#### [١٥٧]

ما ظهر، إذ جاءته امرأة من ترمذ كانت تجالس جهما، فدخلت الكوفة، فأظنني اقل ما رأيت عليها عشرة آلاف نفس فقيل لها: إن هاهنا رجلا قد نظر في المعقول، يقال له أبو حنيفة فأتية، فأتته فقالت: أنت الذي تعلم الناس المسائل وقد تركت دينك؟ أين إلهك الذي تعبد؟ فسكت عنها، ثم مكث سبعة أيام لا يجيبها، ثم خرج إلينا وقد وضع كتابا: إن الله عزوجل في السماء دون الأرض، فقال له رجل: رأيت قول الله عزوجل (وهو معكم) قال: هو كما تكتب إلى الرجل: اني معك وانت غائب عنه. قال: ثم قال البيهقي: لقد أصاب أبو حنيفة (رحمه الله) فيما نفى عن الله عزوجل من الكون في الأرض، وأصاب فيما ذكر من تأويل الآية وتبع مطلق السمع بأن الله تعالى في السماء (١). وثالث أئمة أهل السنة الأمام مالك بن أنس كان يرى هذا الرأي أيضا. روى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه الأمام أحمد بن حنبل قال: قال مالك بن أنس: الله في السماء، وعلمه في كل مكان، ولا يخلو منه شئ (٢). ورابعهم الأمام الشافعي كان على هذا المعتقد أيضا، روى شيخ الاسلام أبو الحسن الهكاري والحافظ أبو محمد المقدسي بأسنادهم إلى أبي ثور وأبي شعيب، كلاهما عن الأمام محمد بن إدريس الشافعي ناصر الحديث (رحمه الله) تعالى قال: القول في السنة التي أنا عليها ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما إقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء... وذكر سائر الاعتقاد. ومما جاء في وصية الأمام الشافعي إنه يشهد أن لا إله إلا الله، فذكر الوصية بطولها

= بأن الله قد استوى على العرش، طبع هذا الكتاب سنة ١٢٨٨ هـ بالقاهرة ونشرته المكتبة السلفية بالمدينة المنورة. (١) ص ١٠١. (٢) العلو للعلي الغفار: ١٠٣.

وفيها: القرآن غير مخلوق، وأن الله يرى في الآخرة عياناً، ويسمعون كلامه، وأنه تعالى فوق العرش (١). روى ابن حجر عن ابن تيمية أنه قال: إنه سبحانه فوق سماواته على عرشه، علي على خلقه (٢). وعن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته. وروى أيضاً عن أبي عمر الطلمنكي أنه قال: أجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله: (وهو معكم أينما كنتم) (٣) ونحو ذلك من القرآن أنه علمه، وأن الله تعالى فوق السموات بذاته مستو على عرشه كيف شاء، وقال: وقال أهل السنة في قوله: (الرحمن على العرش استوى) (٤) إن الاستواء من الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز (٥). الحافظ شمس الدين الذهبي يرى القول بالمكان لله سبحانه وتعالى أيضاً ووضع كتاباً في تحرير عقيدته وإثباتها وعنوانه (العلو للعلو الغفار). يقول: إن المسلمون من أهل السنة وأتباع الحديث مجمعون على أن الله عز وجل بذاته فوق العرش وأن أول من أنكر ذلك الجعد بن درهم (٦). وقال محمد أشرف شارح سنن أبي داود في شرحه لقوله: ثم الله فوق ذلك: وهذا الحديث يدل على أن الله فوق العرش وهذا هو الحق، وعليه تدل الآيات القرآنية

(١) المصدر: ١٢٠. (٢) مجموعة الرسائل الكبرى لابن تيمية العقيدة الواسطية: ٤٠١. (٣) الحديد: ٤. (٤) طه: ٥. (٥) العلو للعلو الغفار: ١٧٩. (٦) شرح كتاب التوحيد: ٢١١.

والأحاديث النبوية، وهو مذهب السلف الصالحين من الصحابة والتابعين وغيرهم من أهل العلم رضوان الله عليهم أجمعين قالوا: إن الله تعالى استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيه ولا تأويل، والاستواء معلوم والكيف مجهول والجهمية قد أنكروا العرش وأن يكون الله فوقه، وقالوا: إنه في كل مكان ولهم مقالات قبيحة باطلة، وإن شئت الوقوف على دلائل مذهب السلف والاطلاع على رد مقالات الجهمية الباطلة فعليك أن تطالع الأسماء والصفات للبيهقي أفعال العباد للبخاري وكتاب العلو للعلو الغفار للذهبي والقصيدة النونية والجيوش الإسلامية لابن القيم (١). أقول: وفضلاً عما ذكرناهم فإن عالم أهل الشام الأوزاعي وابن جريج مفتي الحجاز وشيخ الحرم، وعالم خراسان مقاتل بن حيان والأمام البخاري صاحب الصحيح كانوا ممن يعتقدون بأن الله عز وجل مكان خاص (٢)، وقال محمد عبدة: إن ابن قدامة ألف في هذا المجال كتاباً (٣). من أين نشأت هذه العقيدة؟ ذكرنا في مبحث رؤية الله إن منشأ هذا الرأي هو مما جاء في الأحاديث التي رواها حفاظ أهل السنة في كتبهم نقلًا عن أبي هريرة وأقرانه، وهذه المسألة - مكان الله - هي كتلك نابعة عن أحاديث أخرجه البخاري ومسلم وأرباب الصحاح والسنن في مؤلفاتهم. وقد أقر بعض علمائهم القائلين بالمكانية بهذه الحقيقة. وذكرنا أنفاً قول ابن حجر فإنه بعد ما ذكر كلام الأوزاعي وعقيدته في هذه المسألة قال: فإن أتباع السنة مجمعون على ثبوت مكان خاص بالله تعالى، ثم أضاف قائلاً: إن هذه العقيدة هي مما ورد في الأحاديث ونؤمن بجميع ذلك. والعلامة الشيخ عبد الرحمن من متكلمي أهل السنة عند ما يتطرق لأقوال العلماء

### [١٦٠]

في المكان يستدرك ذلك بحديث ويقول: هذا ما احتواه هذا الحديث والأحاديث المتواترة المروية في الصحيحين وغيرهما (١). ٣ - هل الله يضحك؟ رب الصحيحين يضحك!! والمسألة الثالثة التي تبين ضعف التوحيد من وجهة نظر الصحيحين (البخاري ومسلم) أنهما أخرج أحاديث تقص لنا ضحك الله تعالى. وهك إيها الفارئ الكريم بعض ما روي في هذا الصدد: ١ - روى البخاري ومسلم في كتابيهما حديثاً طويلاً حول الرؤية وقد ذكرنا أنفاً - في مبحث الرؤية - ضمن الحديث الثاني المنقول، وقد ورد في آخر الحديث إشارات إلى موضوع الضحك. فيقول الله: أو ليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ وبك يا ابن آدم ما أعدرك؟ فيقول: يا رب، لا تجعلني أشقى خلقك!... فلا يزال يدعو حتى يضحك الله!! فإذا ضحك منه أذن بالدخول فيها!! (٢). ٢ - وكذا روى أبو هريرة حديثاً طويلاً عن ضيافة أحد الأصحاب، وجاء في نهاية الحديث، فلما أصبح غداً إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال (صلى الله عليه وآله): ضحك الله الليلة أو عجب من فعالكما...! (٣). ٣ - أخرج مسلم عن أبي هريرة حديث بثلاثة أسانيد ونصين مختلفين فقال فيهما: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، فكلاهما يدخل الجنة. فقالوا: كيف يا رسول الله؟ قال (صلى الله عليه وآله): يقاتل هذا في سبيل الله عزوجل فيستشهد، ثم يتوب الله على القاتل فيسلم فيقاتل في سبيل الله (٤).

(١) التوحيد: ٢١٣ طبعة القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ. (٢) راجع ص: ١٣٥ هامش ١. (٣) صحيح البخاري ٥: ٤٢ كتاب المناقب مناقب الأنصار باب (ويؤثرون على أنفسهم). (٤) صحيح مسلم ٢: ١٥٠٤ كتاب الأمانة باب (٣٥) باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر =

### [١٦١]

٤ - عن ابن مسعود: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة ويكبو مرة، وتسفحه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فترفع له شجرة، فيقول: أي رب، أدنني من هذه الشجرة فلاستظل بظلها وأشرب من مائها، فيقول الله عزوجل: يا ابن آدم، لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها؟ فيقول: لا، يا رب! وبعا هذه أن لا يسأله غيرها، ورب يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه. فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها. ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب! أدنني من هذه، لأشرب من مائها، وأستظل بظلها لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم!! ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده أن لا يسأله غيرها، ورب يعذره، لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها. ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي رب! أدنني من هذه لأستظل بظلها، وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها. فيقول: يا ابن آدم! ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال: بلى يا رب، هذه لا أسألك غيرها، ورب يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليها، فإذا أدناه منها، فيسمع أصوات أهل الجنة فيقول: أي رب أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم، ما يصريني منك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا

رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين ؟ فضحك ابن مسعود، فقال:  
ألا تسألوني مم أضحك ؟ فقالوا: مم تضحك ؟ قال: هكذا ضحك  
رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله ؟  
قال (صلى الله عليه وآله): من ضحك رب العالمين حين قال:  
أتستهزئ مني وأنت رب العالمين ؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك،

= يدخلان الجنة ح ١٢٨.

### [١٦٢]

ولكني على ما أشاء قدير (١). تبارك الرب الضحوك: عن أبي زرير  
قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ضحك ربنا من قنوت عباده  
وقرب غيره. قال: قلت: يا رسول الله أضحك الرب ؟ قال (صلى الله  
عليه وآله): نعم. قلت: لن نعدم من رب يضحك خيرا (٢). المستفاد  
من هذه الأحاديث: في هذه الأحاديث مسائل تدل على أن جميعها  
موضوعة ومختلقة، نشير إلى بعض منها: ١ - عروض الضحك  
والتعجب لله تعالى تماما كما يعرض ذلك على بني آدم... ٢ - إنه  
تعالى إذا أراد في الآخرة أن يمنح عبدا من عباده شيئا يأخذ عليه  
الميثاق والعهد بأن لا يسأله غيره، ولكن ترى أن الله عزوجل يخذع  
بخداع العبد إياه إذ أنه يوعده كذبا ويقر الميثاق على عدم السؤال  
ثانية، وعندما لبي الله تعالى له طلبه وضمن له الحاجة الأولى يخلف  
الوعد، وينكث العهد، ويسأل مرة أخرى، ويخذع ربه في هذه المرة  
كذلك، وهكذا مرة بعد أخرى يكرر هذا العمل. أقول: ألم يكن هناك  
أحد يسأل هؤلاء القائلين بصحة هذه الأحاديث إن الله الذي أثنى  
على نفسه بالرحمانية والرحيمية، ومدح ذاته أحسن الثناء، لماذا  
يأخذ على عبده تلك الموائيق الغليظة عندما يريد أن يهبه شيئا ؟  
ولماذا يمنعه السؤال ؟ فما معنى هذا العهد، وما يعني نقضه من  
قبل العبد ؟ ٣ - إن العبد المؤمن والموحد الذي من شأنه أن يغفر له  
الله وينجيهِ من النار، تراه

(١) صحيح مسلم ١: ١٧٤ كتاب الايمان باب (٨٣) باب آخر أهل النار خروجاً ح ٣١٠.  
(٢) سنن ابن ماجة ١: ٦٤ المقدمة باب (١٣) باب فيما أنكرت الجهمية ح ٢٨١.

### [١٦٣]

قد امتلأت نفسه بالعجب والغرور، ويجرؤ في أن ينسب صفة  
الاستهزاء والسخرية - التي هي من صفات الجاهلين - إلى الله !  
ويقول لله: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين ؟ ! أعاذنا الله من هذه  
الموضوعات والخزعبلات وأقوال الزور من المزورين والقائلين بها،  
ونستغفره من كل ذلك. (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا  
سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله  
فقد فاز فوزا عظيما) (١). ٤ - الله وتنقلاته المسألة الرابعة في بيان  
ضعف التوحيد في الصحيحين هي ما أخرجه البخاري ومسلم في  
كتابيهما من الأحاديث بأسانيد ومتون مختلفة حول مسألة نزول الله  
إلى السماء الدنيا، وهذه الأحاديث جميعها تنتهي إلى راو واحد وهو  
أبو هريرة الدوسي. نذكر بعضها كأمثلة على الموضوع: ١ - عن أبي  
هريرة: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ينزل ربنا تبارك  
وتعالى في كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر،  
فيقول: من يدعوني فأستجيب له ؟ ومن يسألني فأعطيه ؟ ومن  
يستغفربي فأغفر له ؟ (٢) أخرجه البخاري في موردين باختلاف

وتفاوت، ففي الأول ينزل ربنا، وفي الآخر يتنزل ربنا. وأما مسلم فقد أخرجه بلفظ ينزل ربنا.

(١) الأحزاب: ٧١. (٢) صحيح البخاري ٢: ٦٦ كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، وج ٨: ٨٨ كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل، وج ٩: ١٧٥ كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (يريدون أن يبدلوا كلام الله)، سنن ابن ماجه ١: ٤٣٥ كتاب الصلاة باب (١٨٢) باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل ح ١٣٦٦ - ١٣٦٧، صحيح مسلم ١: ٥٢١ كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب (٢٤) باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والأجابه فيه ح ١٦٨ - ١٦٩.

## [١٦٤]

٢ - أخرج مسلم في صحيحه ستة أحاديث حول نزول الله تعالى، ونذكر واحد منها كمثال: أبو هريرة يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ينزل الله تعالى في السماء الدنيا لشطر الليل أو لثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، أو يسألني فأعطيه؟ ثم يقول: من يقرض غير عديم ولا ظلوم؟ حدثنا هارون بن سعيد بهذا الاسناد... وزاد: ثم يبسط يديه تبارك وتعالى يقول: من يقرض غير عدوم ولا ظلوم؟ (١) ٣ - قالت عائشة: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ما من يوم أكثر من أن يعتق فيه عبدا من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء؟ (٢) المستفاد من هذه الأحاديث: ١ - تجسيم الله تعالى. ٢ - حاجة الله إلى المكان. ٣ - حاجة الله إلى الجهة، كما ذهب متكلمو العامة مثل: ابن قتيبة وابن عبد البر إلى القول حول الله بالجهتية، وقد اعتمدوا في إثبات نظريتهم وعقيدتهم هذه على الأحاديث المروية عندهم في الصحاح (٢). ٤ - تحديد الله تعالى بحدود بحيث يحتاج إلى تغيير مكانه، وأن يتنقل من محل إلى محل آخر.

(١) صحيح مسلم ١: ٥٢٢ كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب (٢٤) باب الترغيب في الدعاء والذكر في الليل والأجابه فيه ح ١٧١. (٢) صحيح مسلم ٢: ٩٨٢ كتاب الحج باب (٧٩) باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة، ح ٤٣٦. (٣) عمدة القاري ٧: ١٩٩.

## [١٦٥]

تحقيق موجز: لا يخفى أن حديث نزول الله ورد بنصوص ومتون مختلفة ومتفاوتة، ولكن القاسم المشترك بين جميعها هو اشتراكها في راو واحد وهو أبو هريرة، وترى جميعها مضطربة نصا ومتنا، ففي بعضها ورد نزول الله في الثلث الآخر من الليل، وفي بعضها عند ذهاب ثلث من الليل، وفي البعض الآخر عند ذهاب ثلثي الليل. وورد في بعضها عند ذهاب شئ من الليل وكذا تلاحظ اضطرابات في ذيل الحديث من حيث العبارة. وعلى هذا فلا يمكن أن نوحده هذه الأحاديث الستة، بل حتى أن الجمع بين حديثين منها يبدو غير ممكن. وكما أشرنا إليه سابقا أن هذه الأحاديث جميعها مروية عن أبي هريرة، ونعتبر في الواقع حديثا واحدا تبين موضوع واحد، ولكن لما كان الكذاب نساء ولا حافظه له، ترى الاختلاف والتضارب واضح في أخباره، وعلى كل حال فإن هذا الحديث ينافي وبيان مسلمات العقل والقرآن حول التوحيد. ٥ - الله جنبنا إلى جنب عبده أخرج الشيخان في صحيحهما، وابن ماجه في سننه، بأن الله يقف كتفا إلى كتف عبده ومحاذيا إليه. عن صفوان بن محرز قال: بينا ابن عمر يطوف، إذ عرض رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، أو قال: يا ابن عمر، أسمعت النبي (صلى الله عليه وآله) في النجوى؟ فقال: سمعت

النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: يدنى المؤمن من ربه. وقال: يا هشام يدنو المؤمن حتى يضع الله عليه كنفه فيقرره بذنوبه، تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: رب أعرف - مرتين - فيقول: سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم (١).

(١) صحيح البخاري ٣: ١٦٨ كتاب المظالم والغصب باب قول الله تعالى: (ألا لعنة الله على الظالمين)، وج ٦: ٩٣ كتاب تفسير القرآن تفسير سورة هود، وج ٨: ٢٤ كتاب الأدب باب ستر المؤمن على نفسه، صحيح مسلم ٤: ٢١١٢ كتاب التوبة باب (٥) باب قبول التوبة =

### [١٦٦]

٦ - جوارح الله وأعضاؤه الدليل الخامس على ضعف مجموعة من أحاديث الصحيحين وسقمها هو ما أخرج الشيخان البخاري ومسلم من الروايات المختلفة التي تمت بصلة إلى بيان مسائل التوحيد وما تتعلق بذات الله عزوجل... والجدير بالذكر إن دراسة هذه المجموعة الكبيرة من الروايات وتحقيقها لتبصر الإنسان وتعطيه وعيا على معرفة الحقيقة هي في غاية الأهمية، وهذه الحقيقة هي أن معرفة التوحيد الصحيح والسليم من التوهّمات لا تتحقق ولا تحصل عن طريق هذه الأحاديث المروية في الصحيحين، وذلك لأنهما صورا الله تعالى شأنه على أنه جسم مادي كسائر الموجودات المادية وأنه عزوجل يمتلك أعضاء وجوارح كجوارح الإنسان الكامل، مثل: الوجه واليد والأصبع، وغيرها. وقد أشرنا فيما مر أنفا في مبحث الرؤية إلى بعض هذه الروايات، وتتميما لذلك نتطرق هنا أيضا إلى بعضها الآخر ونخصص الدراسة في كل عضو بانفراد. ١ - هل لله وجه؟ أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما روايات عديدة تصور لنا أن لله تعالى وجهها وصورة مثل وجه الإنسان وصورته: ١ - عن أبي هريرة: عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعا، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر الجلوس من الملائكة، فاستمع ما يحيونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك. فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الان (١).

= ح ٢٩، سنن ابن ماجة ١: ٦٥ المقدمة باب (١٢) باب فيما انكرت الجهمية ح ١٨٣، (١) صحيح البخاري ٨: ٦٢ كتاب الاستئذان باب بدء السلام، صحيح مسلم ٤: ٢١٨٢ كتاب =

### [١٦٧]

٢ - عن أبي هريرة: عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: إذا قاتل أحدكم أخاه فليجنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته!! (١) ٣ - أخرج مسلم عن أبي هريرة: عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: خلق آدم على صورة الرحمن (٢). ٤ - أخرج البخاري في كتابه (الأدب المفرد) عن أبي هريرة أنه قال: لا تقولن: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله عزوجل خلق آدم على صورته (٣). الاستنتاج: نستكشف من هذه الروايات ما يلي: أولا: تجسيم الله، وإثبات الوجه والصورة له تعالى وتقدس. ثانيا: التشابه بين صورة الإنسان وصورة الله، وإكراما واحتراما لصورة الله ووجهه الذي يشبهه وجه الإنسان فلا يجوز لطم وجه الإنسان. تحقيق: قال العلامة

الفقيه السيد عبد الحسين شرف الدين: إن مضمون هذه الأحاديث إنما هو عين الفقرة السابعة والعشرين من الأصحاح الأول من إصحاحات التكوين من كتاب اليهود - العهد القديم - وإليك نصها بعين لفظه: قال: فخلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه ذكرا وانثى خلقهم (٤). أقول: يتضح لمن يقرأ التوراة ويطلعها، أن هذا المضمون - كون صورة آدم شبيهة

= الجنة وصفة نعيمها باب (١١) باب يدخل الجنة أقوام أفندتهم مثل أفندة الطير ٢٨. (١) صحيح مسلم ٤: ٢٠١٧ كتاب البر والصلة والآداب باب (٣٢) باب النهي عن ضرب الوجه ح ١١٥. (٢) إرشاد الساري ١٠: ٤٩١. (٣) الأدب المفرد للبخاري: ٧٣ باب (٩١) باب لا تقل: قبح الله وجهك ح ١٧٣. (٤) أبو هريرة: ٥٥.

### [١٦٨]

لصورة الله وإثبات الوجوهية لله تعالى - ورد مكررا في التوراة كما ينص عليه في القسم الأول من الأصحاح الخامس من سفر التكوين... عندما خلق الله آدم، خلقه على صورة الله. وفسر بولس هذه الجملات الواردة في التوراة وشرحها بأن هذا التشابه بين الإنسان والرب هو في القدسية والعدالة والسيرة، وأما الصورة فالمراد منها الصورة الواقعية للإنسان لا الصورة الظاهرية (١). أقول: لو كان المقصود من التشابه الوارد في التوراة هو هذا المعنى الذي قاله بولس، كان وجيها تقريبا، وارتفعت عندئذ شبهة التجسيم والتشبيه، ولكن وللأسف إن أولئك الذين أخذوا ذلك من التوراة وأدرجوه في الصحيحين، أخذتهم العصبية العمياء، فسدوا جميع أبواب التأويل والتفسير وصاروا أراف من الام وأحر من الجمرة، ورووا هذه الحكاية الوهمية بكيفية بحيث يصعب ويستحيل تأويلها على معنى آخر، كما تشاهده في الحديث الثاني: (إذا قاتل أحدكم أخاه فليجنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته) إذ أنه يدفع أدنى احتمال لأي تأويل، ولا يبقى لك مجال في أن تعبر بالوجه بمعنى السيرة لا الصورة الظاهرية والعضو الخاص في البدن. كما أشار إليه بولس. كم كان عرض آدم (عليه السلام) ؟ قال العيني في شرحه على صحيح البخاري: جاء في الحديث إن طول آدم كان ستون ذراعا، ولم يبين عرضه هنا، وورد أن عرضه كان سبعة أذرع (٢). أقول: تدلنا عبارة العيني فضلا عن التشابه بين الإنسان وربه الذي ورد ذكره في تلكم الأحاديث أن طول آدم كان ستين ذراعا وعرضه سبعة أذرع. وهذا دليل واضح على كون هذه الأحاديث موضوعة ومختلقة، وذلك لأن:

(١) قاموس الكتاب المقدس مادة آدم. (٢) عمدة الفاري ٢٢: ٢٢٩.

### [١٦٩]

أولا: إذا كان طول الإنسان ستين ذراعا يلزم أن يكون طول الجمجمة أكثر من ذراعين، ولكن جماجم الإنسان البدائي في القرون الأولى التي تم اكتشافها والعتور عليها في علم الحفريات لم تكن بينها وبين جمجمة الإنسان في العصر الحالي اختلاف كثير وتفاوت كبير، وحتى أنه لم يعثروا إلى هذا التاريخ على أية جمجمة تكون على حجم ذراعين، ولم يحصلوا على أي أثر يدل على وجود إنسان ذي الستين ذراع. ثانيا: إذا كان طول الإنسان ستين ذراعا ولكي تتناسب أعضاؤه يجب أن يكون عرضه سبعة عشر ذراعا وسبع الذراع  $17 \times 1$ ، لا سبعة أذرع. لأن العرض إذا كان سبعة أذرع يجب أن يكون طوله أربعة



وعشرين ذراعا ونصف الذراع، لأن عرض الإنسان الطبيعي مع استواء خلقته بمقدار سبعمي طوله. وما أدري من أين عرف أبو هريرة: إن عرض آدم كان سبعة أذرع؟ ! وبناء على هذا، فإذا اخذنا الحسابات الأبوية بنظر الاعتبار ٦٠ \* ٧ أذرع يمكننا أن نتصور أنه قد حصل في أحد الحديثين، أو في تعيين مقدار طول الإنسان وعرضه خطأ وسهواً، أو نتصور أن آدم (عليه السلام) كان قبيح الهيكل وكريه المنظر أو أنه لم يكن مخلوقاً مستوي الخلق. وهذا الاحتمال الأخير نقيض للنص القرآني المنزل في قوله تعالى: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم) (١). ٢ - هل لله عين؟ الله ليس بأعور: ١ - عن نافع: قال عبد الله: ذكر النبي (صلى الله عليه وآله) يوماً بين ظهري الناس المسيح الدجال فقال: إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية (٢).

(١) التين: ٤. (٢) صحيح البخاري ٤: ٢٠٢ كتاب بدء الخلق باب (وإذكر في الكتاب مريم)، وج ٥: ٢٢٢ باب حجة الوداع، وج ٩: ٧٥ كتاب الفتن باب ذكر الدجال، صحيح مسلم ٤: ٢٢٤٧ باب (٢٠) باب ذكر الدجال وصفته وما معه ح ١٠٠.

### [١٧٠]

٢ - عن عبد الله قال: ذكر الدجال عند النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: لا يخفى عليكم أن الله ليس بأعور - وأشار بيده إلى يمينه - وقال: إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية (١). ويلاحظ فيهما: يتضح من خلال نظرة مجملية وفاحصة لهذين الحديثين وأمثالهما، أن الصحيحين قد أثبتا لله عزوجل عينا، وقد وصفا الدجال بأنه أعور العين، وأن الله ليس بأعور، وبحصل ذلك بعد المقارنة بين ثبوت البصر والعمى لهما، وإثبات أحدهما للأول - الله - والآخر للثاني - الدجال - وبعبارة أخرى تلاحظ في هذه الأحاديث - بعد المقارنة والمقايسة بين الله والدجال - ثبوت الأعورية للدجال وعدمها لله تعالى، وثبوت شئ لثبوت لثبوت المثبت له - العين - للثبوت - الله تعالى - ناهيك عن كل هذا، فلا بد أن نهلهل وترحب بالبخاري ومسلم اللذين قاما بهذه المقايسة والمقارنة النافهة والسخيفة بين الله تعالى وبين أكثر الموجودات شرا - الدجال - ٣ - هل لله يدين؟ ١ - عن أبي هريرة، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، رأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم ينقص ما في يمينه، وعرشه على الماء، ويده الأخرى الفيض والقبض يرفع ويقبض (٢). ٢ - عن أبي هريرة قال: يمين الله ملأى لا يغيضها شئ، سحاء الليل والنهار،

(١) صحيح البخاري ٩: ١٤٨ كتاب التوحيد باب ما يذكر في الذات والنوع وأسامي الله. (٢) صحيح البخاري ٦: ٩٢ كتاب التفسير تفسير سورة هود، وج ٩: ١٥٢ كتاب التوحيد باب (وكان عرشه على الماء).

### [١٧١]

ويده الأخرى الميزان، يرفع ويقبض، قال: رأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض؟ فإنه لم ينقص مما في يديه شئاً (١). ٣ - سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو على المنبر يقول: يأخذ الجبار سمواته وأرضه بيده - وقبض بيده فجعل يقبضها ويبسطها - ثم يقول: أنا الجبار أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟

ويتميل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن يمينه وعن يساره، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شئ منه حتى إنني أقول: أساقط هو برسول الله (صلى الله عليه وآله) (٢) ؟ ٤ - هل لله إصبع ؟ ١ - عن عبد الله قال: جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء على إصبع، والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي (صلى الله عليه وآله) حتى بدت نواجذه تصدقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله (صلى الله عليه وآله): (وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه ((٣)) (٤). أقول: إن إثبات الأصبع لله عزوجل كإثبات سائر الجوارح لله تعالى قد ورد الكلام حوله في كثير من أخبار الصحيحين والسنن الأخرى. ٢ - وأقرأ حديثاً آخر أخرجه الترمذي وابن ماجه في سننهما، عن الكلابي قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: ما من قلب إلا بين إصبعين من

(١) سنن ابن ماجه ١: ٧١ المقدمة باب (١٣) باب فيما أنكرت الجهمية ح ١٩٧. (٢) المصدر ح ١٩٨. (٣) الزمر: ٦٧. (٤) صحيح البخاري ٦: ١٥٧ كتاب التفسير باب تفسير سورة الزمر، وج ٩: ١٦٤ كتاب التوحيد باب ما جاء في قول الله إن رحمة الله قريب من المحسنين، وص ١٨١ باب كلام الرب، صحيح مسلم ٤: ٢٠٤٥ كتاب القدر باب (٣) باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء ح ١٧.

### [١٧٢]

أصابع الرحمن، إن شاء أقامه، وإن شاء أزاعه (١). الاستنتاج: يستفاد من هذه الأحاديث المروية حول ثبوت اليد والأصبع لله: أولاً: أن لله تعالى يد وإصبع كسائر الموجودات، تماماً كما للإنسان. ثانياً: إن الله تعالى محدود بحدود، له أطراف ووجهات، يدان يمينى ويسرى، كسائر المخلوقات والممكنات. ٥ - هل لله ظهر ؟ عن أبي هريرة: عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: خلق الله الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو (٢) الرحمن، فقال لها: مه ! قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك ؟ قالت: بلى، يا رب. قال: فذاك (٣). ٦ - هل لله ساق ؟ ١ - ذكرنا في الفصول السابقة حديثاً مضموناً أن الله تعالى يكشف عن ساقه للمؤمنين يوم القيامة، وأن هذا الكشف من الآيات والعلائم التي بها يعرف المؤمنون ربهم، ولذلك فإننا ندع تكرار ذلك الحديث جانباً ونلفت أنظار القراء الاعزاء الى حديث آخر غيره يشير إلى نفس الموضوع (٤). ٢ - قال أبو سعيد: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له

(١) سنن الترمذي ٤: ٢٩٠ كتاب القدر باب (٧) باب ما جاء في أن قلب المؤمن بين أصبعي الرحمن ح ٢١٤٠، سنن ابن ماجه ١: ٧٢ المقدمة باب (١٣) باب فيما أنكرت الجهمية ح ١٩٩. (٢) الحقو: قال في النهاية ١: ٢٧٩: والأصل في الحقو معقد الأزار، وقال الزمخشري في الفائق ١: ٢٩٨: الحقو: الأزار الذي يشد على الحقو وهو الخصر. المغرب. (٣) صحيح البخاري ٦: ١٦٧ تفسير الذين كفروا (سورة محمد). (٤) راجع ص: ١٢٥ الحديث الثالث.

### [١٧٢]

كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً (١). تأمل في حديث

الساق: يتضح من هذين الحديثين إن إحدى علامات معرفة الله في يوم القيامة هو الساق، وما دام الله تعالى لم يكشف عن ساقه يظل المؤمنون في حالة شك وتحير وترديد بالنسبة إلى وجوده تعالى، ويظهر لك الأمر جليا لو تأملت في نص الحديثين. تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا. ولما كان إثبات كشف الساق ذا ارتباط بالآية الكريمة (ويوم يكشف عن ساق) (٢) أخرجه البخاري بهذه المناسبة تفسيراً وبيانا لهذه الآية، كان لازماً علينا أن نشير إلى معنى الآية وأقوال المفسرين فيها ولو إجمالاً. قال الطبرسي في تفسير الآية (يوم يكشف عن ساق): أي فليأتوا بهم، في ذلك اليوم الذي تظهر فيه الأهوال والشدائد، وقيل معناه يوم يبدو عن الأمر الشديد الفظيع، عن ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير. قال عكرمة: سئل ابن عباس عن قوله تعالى: (يوم يكشف عن ساق) فقال: إذا خفي عليكم شئ في القرآن فابتغوه في الشعر فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر: (وقامت الحرب بنا على ساق) هو يوم كرب وشدة. وقال القتيبي: وأصل هذا إن الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجد فيه، يشمر عن ساقه فاستعير الكشف عن الساق في موضع الشدة، وقد روي هذا المعنى عن الامامين الباقر والصادق (عليهما السلام) (٣).

(١) صحيح البخاري ج ٦: ١٩٨ تفسير سورة ن والقلم. (٢) القلم: ٤٢. (٣) مجمع البيان ١٠: ٣٣٩.

#### [١٧٤]

رأي صاحب المنار: ذكر الشيخ محمد عبده في تفسيره - للآية بعد أن ذكر ذلك المعنى الكنائي الذي نقل عن مجمع البيان والمفسرين القدماء، ونقل هو رأي البيضاوي بالتفصيل فقال: وذهب بعضهم إلى أن لفظ الساق ورد بمعنى الذات - ذات الله - والنفس واستشهدوا له بقول أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه في حرب الشراة: لا بد من قتالهم ولو تلفت ساقى، قالوا: أي نفسي. وعليه فيصح أن يكون كشف الساق في الآية والحديث عبارة عن كشف الحجاب (١). أيها المطالع المنصف، هذا هو واقع العصبية ومعنى الذود الباطل عن أحاديث صحيح البخاري وتصحيح المطالب الموهومة والخرافية فيها وتأويلها، والتغاضي عن بيان الحقائق الذي ابتلي به الشيخ محمد عبده إذ انحرف عن الجادة الصائبة حتى بعد نقله لاقوال المفسرين والعلماء. ٧ - هل لله رجل؟ عن انس: عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: يلقي في النار، وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع الله قدمه فتقول قط قط. عن أبي هريرة: وأكثر ما يوقفه أبو سفيان: يقال لجهنم: هل امتلئت؟ وتقول: هل من مزيد؟ فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول: قط قط (٢). أخرج البخاري في صحيحه هذا الموضوع في عدة أحاديث بأسانيد متعددة

(١) تفسير المنار ٩: ١٤٤. (٢) صحيح البخاري ٦: ١٧٣ كتاب التفسير باب تفسير سورة ق، وج ٩: ١٤٣ كتاب التوحيد باب الحلف بعزة الله، وص: ١٦٤ كتاب التوحيد باب إن رحمة الله قريب من المحسنين، صحيح مسلم ٨: ٢١٨٦ كتاب الجنة وصفة نعيمها باب (١٢) باب النار يدخلها الجبارون ح ٣٥.

#### [١٧٥]

ومتون مختلفة، وكذا أخرجه مسلم في صحيحه ضمن خمس أحاديث وورد في بعضها كلمة (الرجل)، وفي بعضها الاخر كلمة (القدم). ولا يخفى أن في هذه الروايات - التي نقلناها إليك عن الصحيحين البخاري ومسلم اللذين يعتبران اهم المصادر عند أهل السنة بعد القرآن - دلالة تامة وواضحة على كونها من الأحاديث المزورة والموضوعة في مباحث التوحيد لأنها تحكي عن توصيف رب متحيز في مكان خاص فتارة يكون مستقر على العرش، وتارة اخرى تجده في السحاب، وتارة ثالثة تراه في جهة القبلة أمام المصلي، وأحياناً ينزل الى السماء الدنيا وذلك في بعض الليالي الخاصة، وأنه يرى كما ترى الأجسام المادية، ويضحك، وله أعضاء وجوارح كما للإنسان أعضاء وجوارح. فحينئذ فهل يعقل أن يتخذ مثل هذا الموجود ربا وإلهاً؟! فكما أن الدلائل النقلية تنفي التسليم والانقياد لمثل هذا الموجود فكذلك البراهين العقلية والفلسفية تبنى قبول هذا الرب المحتاج والمحدود والذي له آثار وعلامات المخلوقين - لا الخالق والصانع - ولا يقبل العقل أن يتعبد لمثل هذا الموجود كرب وإله وخالق. ولعل يوجد بعض من لم تكن له معرفة بعقائد أهل السنة وآراء علمائهم ومحدثهم في مسألة التوحيد فينتقدنا ويورد إشكاله علينا قائلاً: إن جميع الأقوال والآيات والأحاديث تحتمل التوجيه والتأويل، إذن فما الداعي أن تكون هذه الأحاديث التي رويتها عن كتب أهل السنة مما تقبل التأويل والتوجيه؟ ولماذا لا تلتزمون بهذه الطريقة ولم تأولوا هذه الأحاديث الى معان يتقبلها العقل؟ وأما الأجابة عن هذه الأسئلة نقول: إن في هذه الأحاديث أسباباً وعللاً عديدة تمنعنا من أن نأولها ونبررها وفي الحين ذاته أن هذه الاسباب قد غلقت جميع الطرق والمحاولات لتبرير وتوجيه تلكم الأحاديث. ولأن: أولاً: إن عملية التأويل والتوجيه تتم لو حصل المعارض والمخالف بينما لا نرى

### [١٧٦]

ولم نعثر على حديث واحد يخالف مفهوم أحاديث الرؤية والتجسيم المروية في الصحيحين وسائر الكتب المعتمدة عند أهل السنة، وحيث لم تحصل رواية تنفي التجسيم والرؤية فبماذا نأول الأحاديث؟ (١) ثانياً: إن متون تلك الأحاديث صريحة وواضحة عن أهداف ونوايا كانت مرادة لجاعلي الأحاديث وإن الفاظها وسياق عباراتها قد وضعت على نحو لا تدع للتأويل والتبرير مجالاً وسبيلاً إلا الأخذ بطواهر الأحاديث، فبما ترى كيف يمكن تأويل الأحاديث الحاكية - بأنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر - التي هي صريحة في الرؤية والمشاهدة؟ وبماذا يمكن توجيه الوجه في أحاديثهم التي تقول إذا قاتل أحدكم أخاه فليجنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته؟ وبماذا نأول الأحاديث التي تثبت المكانية والجهتية لله عزوجل وأنه تعالى فوق العرش والعرش على سماواته، أو إنه تعالى كان في غمء قبل أن يخلق الخلق وهكذا سائر الأحاديث الاخرى التي مر عليك بعضها؟ هل يمكنك أن تتصور معنى ومفهوماً آخر غير التجسيم والتشبيه وتحديد المكان لهذه الأحاديث التي تلونها عليك والأحاديث الاخرى التي أخرجوها في كتبهم في مباحث التوحيد؟ إذن كيف يسنح لنا ان نقوم بعملية التأويل والتوجيه؟ ثالثاً: إن ما احتوته هذه الأحاديث لم يكن بحثاً جديداً وحديثاً حتى نأولها ونقوم بتوجيه وتبرير ذلك على غير ظاهرها ليتناسب مع العقل، بل أنها امور ظهرت الى الساحة

(١) نعم، عثرنا على أحاديث وأقوال تخالف تلك الأحاديث ولكن ما أسرعهم أن أولوا هذه الأحاديث المعارضة أو أنهم ضعفوها بحيث تطابق مفهوم أحاديث الرؤية والتجسيم والتشبيه التي عليها المعتمد عند العامة، ولذلك ترى في أكثر كتب أهل السنة خاصة الكتب الحديثية والكلامية والتفسيرية عناوين تختص بالبحث في الرؤية وغيرها، وأن عقيدة الأغلبية الساحقة من علمائهم هي إثبات الرؤية والتجسيم

وغيرها من الأمور المتعلقة بالتوحيد حتى كتبوا كتباً كثيرة ومؤلفات عديدة في تقويم هذه العقيدة، بحيث أفتى علماء السنة وأئمتهم بكفر كل من لم يعتقد بالتجسيم والتشبيه، وقد ملئت كتبهم بهذه الفتاوى وتحريم تأويل ظواهر الحديث وإخراجه عن المعنى الظاهري منه. فعلى هذا فهل يبقى محل وموضع للتأويل والتوجيه؟ فتأمل جيداً. المعرب.

### [١٧٧]

منذ اللحظة الأولى من وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) وانسداد الأبواب العلمية والدينية، ومن بعد ذلك ثبتت واستقرت في الصحاح الستة في عهد البخاري حتى النسائي - عام ٢٥٦ - ٢٧٩ هـ. ونلاحظ أن هذه المسائل هي نفس المسائل التي كانت تطرح على أئمة أهل بيت رسول الله - منذ عهد الإمام الباقر (عليه السلام) حتى عهد الإمام الرضا (عليه السلام) - وقد تصدى الأئمة للاجابة عليها، ونفوها نفياً قاطعاً حتى انهم (عليهم السلام) انكروا صدورها عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأعلنوا صريحاً بأنها مزيفة ومختلفة - لأنهم أصحاب البيت وهم أعلم بما في البيت - . فعلى هذا فلو كان للتأويل والتبرير مجال وسبيل لتذرع به السائلون الذين سألوا الأئمة (عليهم السلام) واستفسروا منهم عن صحة تلك الأحاديث. رابعاً: إن أحد الأسباب التي تدفعنا عن تأويل هذه الأحاديث وتمنعنا من توجيهها هو الأقوال والآراء التي واعتقد بها أغلبية علماء العامة الذين أفتوا بمنع تأويل هذه الأحاديث وضرورة التمسك بظواهرها، حتى أن وصل بهم الأمر إلى تكفير المتأولين وحكموا عليهم بالكفر والزندقة والارتداد. وهاك أيها القارئ طرفاً من تلك الأقوال والفتاوى: عقيدة علماء السنة في هذه الأحاديث: ١ - مسلم بن حجاج النيسابوري: عقد في صحيحه باباً خاصاً للبحث في إثبات الرؤية وباباً آخر في كيفية الطريق إلى الرؤية، وأخرج في هذين الفصلين الأحاديث التي تحكي مسألة الرؤية وتصرح بمسألة الجهمية وتشير صريحاً إلى تجسيم الله تعالى (١). ومن الواضح أن تخريجه لهذه الأحاديث في هذين الفصلين من صحيحه يدل على القول بها والحكم بصحتها وإلزام المسلمين على الاعتقاد بظواهرها ونهيبهم عن تأويل وتفسير عباراتها على غير ظواهرها.

(١) صحيح مسلم ١: ١٦٣ - ١٧٢ كتاب الإيمان باب (٨٠ - ٨١).

### [١٧٨]

٢ و ٣ - ابن ماجة وأبي داود: - وهما من أرباب الصحاح الستة ومن العلماء المعتمد عليهم عند العامة - عقد ابن ماجة في سننه باباً خاصاً يتعلق فيما أنكرت الجهمية، وكذا أفرد أبو داود باباً في الجهمية (١) وأخرج أحاديثاً تمت إلى مبحث الرؤية والتجسيم والتشبيه وإثبات المكانية لله عزوجل كإثبات الضحك لله وأنه تعالى يقف إلى جنب عبده كتفا بكتفه، وتجليه وتستره عن أعين العباد ... و... ويعتقد هؤلاء أن الجهمية (٢) طائفة كالشيعة ينكرون رؤية الله، وينفون القول بالمكانية لله تعالى، ولا يرون بأن الله عزوجل شأنه أعضاء وجوارح وجسما كسائر الموجودات، وإنهم لا يعتقدون بظواهر هذه الأحاديث. وعنوان الباب في سننهما وتخرجهما للأحاديث في هذا الباب يدل على أن ابن ماجة وأبي داود يعتقدان في التوحيد حسيماً ورد في تلك الأحاديث وظواهرها، وحكما على مخالفيهما الذين لا يعتقدون بعقيدتهما بالكفر مثل الجهمية، وأن الذين يأولون ظواهر الأحاديث زنادقة ومرتدون وخارجون عن الدين. ٤ - ابن تيمية: قال: وأما أحاديث النزول إلى السماء الدنيا كل ليلة فهي الأحاديث

(١) سنن ابن ماجة ١: ٧٠ المقدمة باب (١٣) باب فيما أنكرت الجهمية، سنن أبي داود ٤: ٣٣١ كتاب السنة باب في الجهمية، وباب في الرؤية، وباب في الرد على الجهمية. (٢) الجهمية احدى الحركات الفكرية التي ظهرت على الساحة الاسلامية في القرنين الثاني والثالث وهم اتباع جهم بن صفوان الترمذي السمرقندي (المتوفى سنة ١٢٨ هـ) ويرمون الى ارجاع الامة الى الجاهلية وتعربها بعد الهجرة ومن عقائدها القول بالجبر والاضطرار، وأن الجنة والنار تبيدان وتفتيان وأن الايمان هو معرفة الله والكفر الجهل به، وأن العلم الالهي حادث وينفون الصفات مثل الحياة والقدرة والعلم والأرادة وغيرها عن الله ويقولون انها صفات المخلوقين ولا يجوز ان يصف الانسان الله تعالى بهذه الصفات. ومرتكز عقيدتهم على اصلين ١ - القول بالجبر. ٢ - تعطيل الصفات عن الله. فابن هذه الاباطيل عن عقائد الشيعة الامامية التي جاءت في كتبهم. والامة الاسلامية على اختلاف فرقها تعتقد بكفر هذه الفئة. ومن عقيدة الجهمية أيضا ان القرآن مخلوق. وقد عرفت فيما مر (ص ٧٤) عقيدة ائمة اهل السنة وخاصة أحمد بن حنبل في من يعتقد بخلق القرآن وتكفيره لهذه الفئة فراجع. المغرب.

### [١٧٩]

المعروفة الثابتة عند أهل العلم بالحديث، وكذلك حديث دنوه عشية عرفة رواه مسلم في صحيحه، وأما النزول ليلة النصف من شعبان ففيه حديث اختلف في اسناده، ثم إن جمهور أهل السنة يقولون: إنه ينزل ولا يخلو منه العرش كما نقل مثل ذلك عن إسحاق بن راهويه وحماد بن زيد وغيرهما، ونقلوه عن أحمد ابن حنبل (١). ٥ - محمد أشرف شارح سنن أبي داود قال في ذيل (وإنه لينط به اطيح الرجل بالراكب): إن العرش ليعجز عن حمله وعظمتته حتى يئط به، إذ كان معلوما ان أطيح الرجل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتمالها، ثم يذكر كلاما للخطابي وينكره وينتقده ويقول: كلام الأمام الخطابي فيه تأويل بعيد، خلاف للظاهر لا حاجة إليه، وإنما الصحيح المعتمد في أحاديث الصفات إمرارها على ظاهرها من غير تأويل ولا تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل كما عليه السلف الصالحون... (٢). ٦ - البغوي في شرح السنة: كل ما جاء في الكتاب والسنة من هذا القبيل في صفاته تعالى كالنفس والوجه والعين والأصبع واليد والرجل والياتيان والمجئ والنزول الى السماء والاستواء على العرش والضحك والفرح فهذه ونظائرها صفات الله تعالى ورد بها السمع فيجب الأيمان بها وإبقائها على ظاهرها معرضا فيها عن التأويل مجتنباً عن التشبيه (٣). هذا وقد تطرقنا آنفا الى آراء بعض العلماء حول التجسيم كالنووي والعيني والقسطلاني وأحمد محمد شاكر وعبيد والأسفراييني وأحمد بن حنبل وابن تيمية وأبي عمر والذهبي والشيخ عبد الرحمان (٤) وذكرنا عقيدتهم ورأيهم ورأي آخرين غيرهم بما يناسب ضرورة الالتزام بظواهر هذه الأحاديث وعدم جواز تأويلها وتوجيهها، وهذا

(١) منهاج السنة ١: ٢٦٢. (٢) عون المعبود في شرح سنن أبي داود ١٣: ١٥. (٣) سنن ابن ماجة ١: ٧١ في الهامش على حديث ١٩٨. (٤) راجع ص ١٢٨ - ١٤٤.

### [١٨٠]

الذي لاحظته أيها القارئ الكريم هو غيظ من فيض، ولو أردنا ان نورد جميع أقوال علمائهم لاحتجنا إلى موسوعة كبيرة من الكتب. تبصرة للبصير: عرفنا مما نقلناه من الأحاديث التوحيدية في الصحاح الستة أن مضمون هذه الروايات يحكي لنا إمكان رؤية الله وأثبات المكان له، وأنه تعالى ذو أعضاء وجوارح مختلفة تماما كالوجود الطبيعي والمادي، وأن علماء السنة يعتقدون في صفات الله حسب ما تقتضيه رواياتهم ويوصون أتباعهم بالاعتقاد بهذه الصفات والأفكار. ولا بد من

الأذعان بأن منشأ هذا الانحراف في العقيدة والضلالة عن الصراط المستقيم هو ما روته لهم هذه الأحاديث - التي يراها علماء السنة صحيحة ومعتمدة - حول مسألة التوحيد التي هي الدعامة الأولى في العقيدة الدينية. وقد اعترف بهذا الموضوع علماء السنة أنفسهم، واستنادهم الى هذه الأحاديث في بيان عقيدتهم مجمع عليه، ونحن في غنى عن تكرار البحث وعن ذكر الدلائل والشواهد الأخرى لأننا قد فصلنا البحث مسبقاً وفي هذا الفصل كذلك، ولكن ندعو القارئ ثانية الى مراجعتها مرة أخرى بدقة وتعمق أكثر ليقف على الارتباط الوثيق بين هذه الأحاديث وعقائد علماء أهل السنة. ومن خلال التأمل فيما مر من البحوث تتضح لنا المسألة التالية أكثر وأوفر: ما هو مدى التأثير السلبي الذي أوجدته هذه الأحاديث وهذه الكتب عبر القرون المتمادية على العقائد الإسلامية؟ أجل أن هذه الأحاديث والتمسك بصحتها خلقت بين المسلمين قضايا خرافية ومضحكة وأنتجت الضلالات والانحرافات في عقائد طائفة كبيرة منهم. ومن هنا: حكى عن مقاتل بن سليمان، وداود الجورابي ونعيم بن حماد أنهم قالوا: إنه تعالى في صورة الإنسان، وإنه لحم ودم، وله جوارح وأعضاء من يد ورجل

### [١٨١]

ولسان ورأس وعينين، واستثنوا عنه الفرج، ولكن معاذ العنبري قال: له - تعالى - فرج رجل، واستدل على قوله هذا بان لله تعالى آلة الذكران بالآية الكريمة (وليس الذكر كالأنثى) (١). وادعى بعض متكلمي أهل السنة، بأن له لحم وجلد وعظم كالإنسان. وقالوا: إنه سبحانه ينزل ليلة عرفة من السماء الى الأرض على جمل احمر في هودج من ذهب. وروى قوم منهم: انه تعالى نظر في المرأة فرأى صورة نفسه فخلق آدم (عليه السلام) عليها. ورووا: أنه يضحك حتى تبدو نواجذه... ورووا: أنه أمرد جعد قطط، في رجليه نعلان من ذهب، وأنه في روضة خضراء على كرسي تحمله الملائكة. ورووا: أنه يضع رجلا على رجل ويستلقي فإنها جلسة الرب. ورووا: أنه خلق الملائكة من زغب ذراعيه، وأنه اشتكى عينه فعادته الملائكة، وأنه يتصور بصورة آدم ويحاسب الناس في القيامة. ورووا: أنه ينزل الى السماء الدنيا في نصف شعبان، وأنه جالس على العرش قد فضل منه أربع أصابع من كل جانب، وأنه يأتي الناس يوم القيامة فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، فيقول لهم: أفتعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: بيننا وبينه علامة، فيكشف لهم عن ساقه، وقد تحول في الصورة التي يعرفونها، فيخرون له سجداً. ورووا أن النار تزفر وتتغيظ تغيظاً شديداً، فلا تسكن حتى يضع قدمه فيها فتقول: قط قط، أي حسبي حسبي (٢).

(١) آل عمران: ٣٦. (٢) شرح نهج البلاغة ٣: ٢٢٤ - ٢٢٧.

### [١٨٢]

هذه الأفكار والآراء تعتبر من أصول عقائد متكلمي أهل السنة في التوحيد، وقد أجمعوا على بعضها مثل لقاء الله ورؤيته، ومجيئ الله يوم القيامة عند الناس. ثم قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه على نهج البلاغة عقيب كلامه: وإن في التوراة نحو ذلك من العقائد، ومن ثم أشار المعتزلي الى ما ذكرناه آنفاً أن منشأ هذه العقائد المذكورة الباطلة هو الأحاديث المستخرجة في صحاحهم. وعند ما يذكر ابن أبي الحديد كلمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه

السلام): (يأتي على الناس زمان لا يبقى فيهم من القرآن إلا رسمه، ومن الإسلام إلا اسمه..). يقول شارحا: هذه صفة حال أهل الضلال والفسق والرياء من هذه الامة، لأنهم أهل ضلالة كمن يسكن المساجد الان ممن يعتقد التجسيم والتشبيه والصورة والنزول والصعود والأعضاء والجوارح ومن يقول بالقدر يضيف فعل الكفر والجهل والقبیح الى الله تعالى، فكل هؤلاء أهل فتنة - يردون من خرج منها إليها ويسوقون من لم يدخل فيها أيضا (١). أقول: نستفيد من صراحة مقولة ابن أبي الحديد إن هذه الاعتقادات الباطلة كانت مشاعة في عصره، وكان أكثر أئمة المساجد آنذاك يعتقدون بهذه الخرافات. (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود) (٢).

(١) شرح نهج البلاغة ١٩: ٢٩٩. (٢) هود: ٩٠.

### [١٨٣]

نظرة في أحاديث الشيعة سؤال لا بد منه: يحتمل أن يكون بين قرائنا الكرام من يقرأ فصل التوحيد في الصحيحين ثم يستشكل علينا ويتساءل: إن ما أوردتموه من الأحاديث والروايات المستخرجة من صحاح أهل السنة وامهات المصادر حول مسألة التوحيد قد كشف الصورة الحقيقية لهذه الكتب وعقيدة علمائهم بالنسبة إلى محتويات هذه الأحاديث، خاصة إذا اعتقد أحد انه عن طريقها يمكن أن يصل إلى التوحيد ومعرفة الله تعالى التي هي أهم المسائل العقائدية لم يحصد سوى نتائج واهية ومسائل لا أصل ثابت لها. وكذلك يشاهد في بعض كتب الحديث عند الشيعة ومضامين الروايات التي ترتبط بمسألة التوحيد ما يشعر بالتجسيم والرؤية، ولعل بعض المسائل المذكورة حول التوحيد في الصحيحين وكتب أهل السنة مطروحة كذلك في بعض كتب الشيعة وأحاديثهم، وعلى هذا فإن الأشكال والأبراد كما هو وارد على مصادر أهل السنة يرد على مصادر الشيعة أيضا. للجواب على السؤال المذكور لا بد من الإشارة إلى عدة موارد: ١ - إختلاف الرؤى والنظريات حول كتب الحديث: هناك فرق كبير وإختلاف شاسع بين نظرة علماء الشيعة وأهل السنة إلى كتب الحديث ومحتوياتها، إن أغلب علماء أهل السنة يعتقدون بأن كل ما ورد في صحيح البخاري فهو صحيح، وإنهم يقولون: لو أن أحدا حلف يمينا بأن كل ما في الصحيحين صحيح ومطابق للواقع وهو قول رسول الله لكان يمينه صحيحا ولا عليه الحنث. وأما علماء الشيعة فإنهم على عكس ذلك تماما لا يعتقدون في كتبهم الحديثية

### [١٨٤]

مثل عقيدة أهل السنة، فإنهم يرون أن أحاديث الكتب الأربعة تقبل البحث والنقد متنا وسندا، وأن بعض الأحاديث - وهو محدود عندهم - صحيح ومقبول، وباقي الروايات فهو إما موثق أو حسن أو ضعيف. هذه هي نظرة الشيعة إلى أحاديثهم ومحتويات كتبهم ومصادرهم (١). فعلى هذا فإن تخريج حديث ما في كتاب للشيعة ليس دليلا على صحته، وليس معيارا وملاكا للقبول عندهم، بحيث إذا كان ذلك الحديث غير صحيح يرد نفس الأشكال على علماء الشيعة ومحدثيهم وكتبهم. كما ورد على أهل السنة وعلمائهم وكتبهم. ٢ - أحاديث التوحيد في كتب الشيعة: زد على ما سبق في المورد الأول لا بد من التوجه إلى هذا المورد أيضا: إن في جميع الأحاديث المروية في كتب أهل السنة حول التوحيد نوع من الأبهام أو التصريح بإثبات التجسيم، ولم يكن هناك حتى حديث واحد ينفي التجسيم ويخالف



تلك الأحاديث مفهوما ومضمونا، وكما قلنا: إن التوحيد في هذه الكتب لم يكن سوى التجسيم والتشبيه. وأما كتب الشيعة فإذا لوحظ فيها حديث من هذا القبيل فإن هناك المئات من الأحاديث المعتبرة والموثوقة في الكتب الأصلية تفند مسألة التجسيم بشدة. وعناوين الأبواب والفصول في كتب الحديث عند الشيعة (٢) مثل إبطال الرؤية، النهي عن الجسم والصورة، نفي الحركة والانتقال، نفي التشبيه.... وغيرها أكبر شاهد وأقوى دليل على ما ذهبنا إليه، وهذا هو وجه الاختلاف والتمايز الموجود بين مصادر الفريقين والأحاديث المستخرجة فيها، وبهذا الجواب يمكن دفع كثير من الأسئلة الأخرى التي سوف تختلج في خلد أحد.

(١) راجع مرآة العقول للمجلسي، معجم رجال الحديث للخوئي، الذريعة لاقا بزرك الطهراني كلمة الكافي. (٢) راجع: اصول الكافي للكليني، التوحيد للصدوق وبحار الأنوار للمجلسي.

### [١٨٥]

٣ - رأي علماء الشيعة في أحاديث التوحيد: إن الأحاديث التي تنفي الرؤية وتفند التجسيم والتشبيه التي استخرجت في كتب الشيعة صريحة وبيّنة ومعتبرة سندا، بحيث إن علماء الشيعة ومتكلميهم اعتمدوا مضامينها وجعلوها أساسا وأصلا كبيرا من مباحثهم في علم الكلام، وكل حديث ورواية تناقض هذه الأحاديث الصحيحة والصريحة في نفي التجسيم فإنها مردودة ومرفوضة علميا. ومن هنا فلا يبقى طريق وسبيل للاشكال عليهم. ٤ - الروايات الموضوعية: إن البحث والتنقيب في أسانيد أكثر هذه الأحاديث التي سوف تكون مستمسكا للمستشككين تومي الى ضعف هذه الروايات سندا، وإن روايتها ليسوا بموثوقين عند علماء الرجال والتراجم ولا يعتمد أحد على أقوالهم لأنهم كذابون ووضاعون للحديث. وإن الأحاديث التي رويت في كتب الشيعة والتي تؤيد فكرة التجسيم، فهي موضوعية، وضعها الكذابون والوضاعون كمقاتل بن سليمان وغيره من القائلين بالتجسيم، وذلك لكي يصححوا عقيدتهم المنحرفة، واختلفوا لها أسانيد أيضا ونسبوها إلى أحد الأئمة المعصومين من آل بيت رسول الله (عليهم السلام). وبناء على هذا التوضيح يتحتم على كل من يريد التعرف على عقيدة الشيعة في التوحيد أن يأخذ ذلك عن أحد الطريقتين: ١ - مراجعة الأحاديث الصحيحة والمقبولة عند الشيعة كما يرجع إلى أحاديث العامة وصحاحهم السنة في هذا الموضوع. ٢ - مراجعة أقوال وآراء علماء الشيعة ومتكلميهم المشهورين كما نستخرج نظرية أهل السنة في هذا الموضوع من أقوال و آراء علمائهم المشهورين. أحاديث التوحيد عند الشيعة واليك نماذجاً من احاديث الشيعة:

### [١٨٦]

تطرقنا في بحث نفي الرؤية الى بعض أحاديث الشيعة في التوحيد، وهذه روايات اخرى اعتمد عليها الشيعة في إثبات عقيدتهم في التوحيد، وهي تشكل الدعامة الأساسية لعقيدتهم في مسألة التوحيد، ولكي تكون - اولا - جوابا أوفى للسؤال المذكور و - ثانيا - : نقارن بينها وبين ما ورد في ثانيا احاديث أهل السنة، ويعلم القراء الاعزاء بعد ذلك أهمية هاتين الرؤيتين - السنية والشيعة - نقارن بينهما وبين ما ورد في ثانياهما ثم يحكموا بالوعي التوحيدي وبأخذوا بالصحيح منهما. ١ - ..... عن أبي بصير: عن أبي عبد الله (عليه

السلام) قال: إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا مكان، ولا حركة ولا انتقال ولا سكون، بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا (١). ٢ -... عن داود الرقي قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عزوجل: (وكان عرشه على الماء) (٢) فقال: ما يقولون ؟ قلت: يقولون: إن العرش كان على الماء والرب فوقه. فقال: كذبوا، من زعم هذا فقد صير الله محمولا، ووصفه بصفة المخلوق، ولزمه أن الشئ الذي يحمله أقوى منه... (٣) ٣ - عن يعقوب السراج قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إن بعض أصحابنا يزعم أن الله صورة مثل الإنسان، وقال آخر: إنه في صورة امرئ جعد قطط. فخر أبو عبد الله (عليه السلام) ساجدا ثم رفع رأسه، فقال: سبحان الله الذي ليس كمثله

(١) بحار الأنوار ٣: ٣٣٠ كتاب التوحيد باب (١٤) باب نفي الزمان والمكان والحركة.. عن الله عزوجل ح ٣٣. توحيد الصدوق: ١٨٢ باب (٢٨) باب نفي المكان والزمان... عن الله عزوجل ح ٢٠. (٢) هود: ٧. (٣) توحيد الصدوق: ٣١٩ باب (٤٩) باب معنى قوله عزوجل وكان عرشه على الماء ح ١، أصول الكافي ١: ١٣٢ كتاب التوحيد باب (٢٠) باب العرش والكرسي ح ٧، بحار الأنوار ٥٧: ٩٥ كتاب السماء والعالم ح ٨٠.

#### [١٨٧]

شئ، ولا تدركه الأبصار، ولا يحيط به علم، لم يلد لأن الولد يشبهه أباه، ولم يولد فيشبهه من كان قبله، ولم يكن له من خلقه كفوا أحد، تعالى عن صفة من سواه علوا كبيرا (١). ٤ - عن يونس بن ظبيان قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) فقلت: يا ابن رسول الله، إني دخلت على مالك (٢) وأصحابه، فسمعت بعضهم يقول: إن لله وجها كالوجه، وبعضهم يقول: له يدان، واحتجوا لذلك بقوله تعالى: (خلقت يدي أستكبرت) (٣) وبعضهم يقول: هو كالشباب من أبناء ثلاثين سنة، فما عندك في هذا يا ابن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ قال: وكان متكئا فاستوى جالسا وقال (عليه السلام): اللهم عفوك عفوك، ثم قال (عليه السلام): يا يونس من زعم أن لله وجها كالوجه فقد أشرك، ومن زعم أن لله جوارح كجوارح المخلوقين فهو كافر بالله، فلا تقبلوا شهادته، ولا تأكلوا ذبيحته، تعالى الله عما يصفه المشبهون بصفة المخلوقين، فوجه الله أنبيائه وأوليائه، وقوله: (خلقت يدي أستكبرت) اليد القدرة كقوله: (وأيدكم بنصره) (٤). فمن زعم أن الله في شئ، أو على شئ، أو يحول من شئ إلى شئ، أو يخلو،

(١) توحيد الصدوق: ١٠٣ باب (٦) باب أنه عزوجل ليس بجسم ولا صورة ح ١٩، بحار الأنوار ٣: ٣٠٤ كتاب التوحيد باب (١٣) باب نفي الجسم والصورة... ح ٤٢. (٢) مالك بن أنس احد أئمة المذاهب الأربعة السنية ولد عام ٩٣، وتوفي عام ١٧٩ هـ، ودفن في مقبرة البقيع. وقد قيل: إنه ولد بعد موت أبيه بثلاث أو أربع سنوات وان أمه قد حملت به ثلاث سنوات أو أكثر بقليل، وهذا ما استدعى أن يقول بعض العلماء من أهل السنة بأن مدة الحمل يمكن أن تكون ثلاث سنوات أو أكثر ويفتي على خلاف النص القرآني الذي يعتبر مدة الحمل والرضاع معا ثلاثين شهرا أي سنتين ونصف السنة. ولهذا الأمام آراء ونظريات فقهية غريبة بحيث انتقدها علماء عصره والأمام الشافعي، المغرب. (٣) ص: ٧٥. (٤) الانفال: ٣٦.

#### [١٨٨]

منه شئ، أو يشغل به شئ، فقد وصفه بصفة المخلوقين، والله خالق كل شئ، لا يقاس بالقياس ولا يشبهه بالناس، لا يخلو منه

مكان، ولا يشتغل به مكان، قريب في بعده، بعيد في قربه، ذلك الله ربنا، لا إله غيره، فمن أراد الله وأحبه بهذه الصفة، فهو من الموحدين، ومن أحبه بغير هذه الصفة، فالله منه برئ ونحن منه براء (١). ٥- .... عن يعقوب بن جعفر الجعفري، عن أبي إبراهيم (عليه السلام): قال: ذكر عنده قوم يزعمون أن الله تبارك وتعالى ينزل الى السماء الدنيا. فقال (عليه السلام): إن الله لا ينزل ولا يحتاج الى أن ينزل، إنما منظره في القرب والبعيد سواء، لم يبعد منه قريب، ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج الى شئ، بل يحتاج إليه، وهو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم. أما قول الواصفين: إنه ينزل تبارك وتعالى، وإنما يقول ذلك من ينسبه الى نقص، أو زيادة، وكل متحرك محتاج الى من يحركه، أو يتحرك به، فمن ظن بالله الظنون هلك، فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حد تحدونه بنقص أو زيادة أو تحريك أو تحرك، أو زوال أو استئزال، أو نهوض أو قعود، فإن الله جل وعز عن صفة الواصفين، ونعت الناعتين، وتوهم المتوهمين (٢)، (وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) (٣).

(١) بحار الأنوار ٣٦: ٤٠٣ كتاب تاريخ أمير المؤمنين (عليه السلام) باب (٤٦) باب ما ورد من النصوص.... ح ١٥. (٢) بحار الأنوار ٣: ٣١١ كتاب التوحيد باب (١٤) باب نفى الزمان والمكان.... ح ٥. (٣) الشعراء: ٢١٧ - ٢١٩.

[١٨٩]

الفصل السادس النبوة في الصحيحين

[١٩١]

الأنبياء في القرآن الاستعداد للرسالة: النبوة والرسالة مرتبة لا يمكن تقييمها وقياسها بالمقاييس المادية والبشرية، وهذا المقام الشامخ بحاجة الى مقدمات عقلية وأخلاقية ونفسية، بحيث لو لم يتحلى الإنسان بهذه الكمالات لا يمكنه أن ينال هذا المقام الرباني، وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة في عدة آيات. وقد وصفت هذه الآيات أنبياء الله (عليهم السلام) بأنهم في أرقى درجة من الكمال، وذكرت لهم - على وجه العموم - صفات وخصائص، وخص لرسول الله (صلى الله عليه وآله) - على وجه الخصوص - ميزات وصفات خاصة. ولكي نستلهم مزيدا من التعرف على مقام النبوة والرسالة من وجهة نظر القرآن نذكر طرفا من هذه الآيات: ١ - قال تعالى: (الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس) (١). تؤكد هذه الآية بأن أنبياء الله (عليهم السلام) هم الصفوة والنخبة من البشر وقد انتجهم الله تعالى للنبوة وحملهم رسالته السماوية. ٢ - قال تعالى: (الله اعلم حيث يجعل رسالته) (٢). هذه الآية تقرير وتوضيح لاصطفاء الأنبياء، وتؤكد بأنهم كانوا ممهدين

(١) الحج: ٧٥. (٢) الأنعام: ١٢٤.

[١٩٢]

ومستعدين من جهات عديدة مثل العظمة والقوة الروحية والصفاء النفسي والشجاعة وجميع الفضائل الأخلاقية والتعاليم الألهية ومهيئين للاصطفاء والاجتباء لتلقي الرسالة الالهية وهداية الناس وارشادهم الى سبيل السعادة والكمالات الأنسانية ويخرجوهم من الظلمات الى النور.... وكلام قوم صالح (عليه السلام) شاهد على هذه الحقيقة المذكورة. ٣ - قال تعالى: (يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) (١). يحكي الله عنهم بأنهم قالوا: يا صالح إن قوم ثمود كانوا يرون فيك الكمال وعلقوا عليك الامال بأن تقودهم نحو المدنية والتقدم وتفيدهم وتسعدهم بخدماتك الاجتماعية. وتدل هذه الاية على أن الانبياء (عليهم السلام) كانوا - قبل بعثتهم - أفرادا متفوقين على اممهم وأقوامهم والمجتمع الذي كانوا فيه، بامتيازات خلقية، بحيث إن المجتمع لم يكن ينظر إليهم بكونهم أشخاصا عاديين كسائر الأفراد، وأن استعدادهم وسيرتهم الأخلاقية والعبادية هي التي كانت سببا لكي يتوقع منهم المجتمع أكثر من غيرهم، وقد أبدى قوم صالح توقعهم بقولهم: قد كنت فينا مرجوا. وأن هذه الكمالات والاستعدادات قبل بعثتهم بالنبوة هي التي جعلت اولئك الذين لم تشوبهم العصبية والعناد أن يستجيبوا لهم في بداية أمر دعوتهم ويلتزموا بأوامرهم. عصمة الانبياء: أكدت الكثير من الايات بأن الأنبياء (عليهم السلام) كانوا معصومين من الذنوب والخطأ ومنزهين من الضلال والانحراف. وإليك بعض الايات التي تدل على عصمة الأنبياء (عليهم السلام): ١ - قال تعالى: (اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (٢).

(١) هود: ٦٢. (٢) الانعام: ٩٠

### [١٩٣]

جاءت هذه الاية بعد أن ذكر الله عزوجل ثمانية عشر نبيا وسماهم بأسمائهم (١) وبعد أن قال: (ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم) (٢) قال تعالى: (اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) (٣) حيث أمر الله عزوجل بوجود الاهتداء والاتباع بهدى الانبياء وذلك لأن هذه الهداية الواجبة الاتباع ليست من نوع الهداية العامة، بل هي مختصة بالأنبياء والرسل (عليهم السلام). ويعلم بالضرورة والبداهة أن اختصاص الأنبياء بهذه الصفة لم يبق للذنوب والانحراف سبيلا إليهم، وبعبارة اخرى: إن الهداية المذكورة مصداق بارز لاية اخرى هي قوله تعالى: (ومن يهد الله فما له من مضل) (٤) وعندما نجمع بين مفهومي هاتين الايتين معا نحصل على أن الله تعالى هدى أنبياءه ورسله (عليهم السلام) على نحو ينفى عنهم أي سبيل للانحراف والضلالة والذنوب إليهم. وبهذا أوجب الله تعالى على الآخرين متابعتهم والانقياد إليهم والاهتداء بسيرتهم وهديتهم. وهنا لابد ان نطرح سؤالاً: ما هي حقيقة الضلالة والانحراف وماهيتهما اللتين نفاهما القرآن عن الأنبياء (عليهم السلام) ؟ بين القرآن حقيقة الضلالة في قوله تعالى: (الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين ولقد اضل منكم جبلا كثيرا) (٥) وفي خلال النهي الصريح في الاية عن عبادة الشيطان واتباعه ترى أن الاية قد اعتبرت أن جميع المعاصي والضلالات التي تحصل بواسطة إبليس هو انحراف وضلال، ولو أخذنا هذه الايات

(١) وهم: إبراهيم - إسحاق - يعقوب - نوح - داود - سليمان - أيوب - يوسف - موسى - هارون - زكريا - يحيى - عيسى - إلياس - إسماعيل - اليسع - يونس - لوط. الأنعام ٨٢ - ٨٦. المعرب (٢) الأنعام: ٨٧. (٣) الأنعام: ٩٠. (٤) الزمر: ٣٧. (٥) يس: ٦٢.

الثلاث بعين الاعتبار لاستنتاجنا بأن الأنبياء والرسل (عليهم السلام) منزهون من كل ذنب ومعصية المعبر عنها في القرآن ضلالة. وخلاصة القول: ١ - وصف القرآن الأنبياء (عليهم السلام) بأنهم يمتازون بهداية خاصة. ٢ - إنه ليس للضلالة والانحراف سبيل الى اولئك الذين نالوا هذه الهداية. ٣ - إن القرآن عبر عن الذنب والانحراف العام عن سبيل الله تعالى بأنهما ضلالة. وأما الاستنتاج: فعندما نتمسك بهذه الأصول الثلاثة المذكورة، نستطيع أن نجزم بأن القرآن الكريم نزه الأنبياء (عليهم السلام) عن ارتكاب الذنوب وزكاهم من الأخطاء. ٢ - قال تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) (١). المنشود في هذه الآية أن الغاية من إرسال الرسل هي إطاعتهم والانقياد لهم. ونستظهر من مضمون هذه الآية أن إرادة الله ومشيئته تعلقت بهذا الأمر، وهو: إن الأنبياء يجب أن يكونوا مطاعين من الجهة القولية والعملية، لان قولهم وفعلهم وسيلة لأرشاد وهداية الناس. فعلى هذا فإطاعة الرسل (عليهم السلام) والاستئذان بقولهم وفعلهم واجب. وذلك لان: لو افترضنا أنه بدرت منهم معصية لابد وأن تكون هذه المعصية مرادة عند الله ومحبوبة إليه، لأنه تعالى هو الذي أمر الناس وفرض عليهم طاعة الأنبياء واتباعهم. ومن جهة أخرى نشاهد ان المعصية منهية وممنوعة، وقد نهى الله عزوجل عن ارتكابها. وبتعبير آخر: إن القول بعدم عصمة الأنبياء (عليهم السلام) مستلزما للتناقض بأن يأمر الله بشئ وينهى عنه، أي يكون الشئ الواحد ذا جهتين مبعوضا ومحبويا لله تعالى في آن

(١) النساء: ٦٣. (\*)

واحد، وهذا الأمر باطل ومرفوض. ٣ - قال تعالى: (فيعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين) (١). هذه الآية تحكي قول الشيطان الذي حلف يمينا بأنه سيغوي العباد كلهم إلا المخلصين منهم، فلو كان الأنبياء (عليهم السلام) ممن تصدر منهم الذنوب حتى ولو كانت من الصغائر، فإنهم سوف يكونون في زمرة الغاوين والضالين، وليس من عباد الله المخلصين، وقد قرأنا خلال الآيات التي ذكرناها أنفاً، إن الأنبياء هم الناجون والمخلصون كما قال تعالى: (انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) (٢). وتلاحظ ايضا في ثنايا الآية المذكورة أن الشيطان اعترف وأقر بالعجز عن إضلال المخلصين من العباد وإغوائهم، وقد شهد الله تعالى لأنبيائه بأنهم من المخلصين، وضمن لهم منزلة الأخلص، وأيدها لهم. وهنا نستنتج: أن وساوس الشيطان وإضلاله لا سبيل لها الى الأنبياء (عليهم السلام)، ولا تمسهم ببنت شفة. وبناء على هذا فإننا نقطع بان القول بصور الذنوب من الرسل (عليهم السلام) وارتكابهم المعاصي قول باطل وسقيم وتحكم. هب إننا نشاهد في بعض الآيات استشعار وقوع الذنب من بعض الانبياء وارتكابهم المعصية، فإن ظاهر هذه الآيات يتعارض مع تلك الآيات الصريحة التي تنفي ارتكاب الأنبياء (عليه السلام) للذنب، بحيث لا يمكن الجمع بين هاتين الفتنتين من الآيات، وعلى هذا يقتصر الحل الوحيد بأن نأول هذه الآيات الى المعاني التي حددتها الآيات الصريحة من الفئة الأخرى والأحاديث الواردة في هذا الموضوع. وقد تصدى العلماء للموضوع فألفوا كتباً في عصمة الأنبياء وقد جمعوا بين كلا الطائفتين من الآيات ومن ثم تأويل الآيات

النافية الى معان تتناسب مع هذه الايات والروايات الصريحة في اثبات العصمة.

(١ و ٢) ص: ٨٣ و ٦٤.

### [١٩٦]

رسول الله (صلى الله عليه وآله) في القرآن والسنة مؤهلاً في نظر القرآن: يظهر من آيات القرآن الكريم أن محمداً (صلى الله عليه وآله) - قبل أن يبعث نبياً ورسولاً - كان متفوقاً على الآخرين وممتازاً عليهم من الجهات الأيمانية والأخلاقية والعقائدية، وكان ذا استعداد خاص وكفاءة مميزة، وإن آباءه وأجداده كانوا من الأنبياء والموحدين المؤمنين، الذين لا يشوبهم الشرك والوثنية، ولم يسجدوا لغير الله قط. وبدل على ذلك الآيات التالية: ١ - قال تعالى: (الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين) (١). عن ابن عباس في قوله تعالى: (وتقلبك في الساجدين) قال: من نبي إلى نبي ومن نبي إلى نبي حتى أخرجك نبياً (٢). يستفاد من هذه الآية وتفسيرها بأن نطفة النبي (صلى الله عليه وآله) كانت منذ عهد آدم (عليه السلام) حتى أبيه عبد الله (عليه السلام) تنتقل من صلب الأنبياء والمطهرين إلى أصلاب مثلهم من الأنبياء والساجدين، وهذا دليل على أن استعداد النبي لتلقي الوحي لم يختص به منذ طفولته بل كان قبلها ومن عهد آدم (عليه السلام). ٢ - ومن الآيات التي تدل على هذه الحقيقة أيضاً، وتكشف عن أن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان محظوظاً بهذا الاستعداد قبل بعثته، هي الآية التي نزلت في أواسط البعثة في مكة وذلك عندما انتقد زعماء ورؤساء قريش الرسول وقالوا: (لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما

(١) الشعراء: ٢١٧ - ٢١٨. (٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١ - ٢٥، تفسير ابن كثير ٣: ٣٦٥ (\*).

### [١٩٧]

أوتي رسل الله) (١). فقال النبي (صلى الله عليه وآله) في جوابهم: (الله أعلم حيث يجعل رسالته) (٢). تشير الآية إلى الحكمة والفلسفة التي من أجلها اصطفى الله عزوجل الأنبياء (عليهم السلام) عامة ورسول الله (صلى الله عليه وآله) خاصة، وتحكي بأن منصب تلقي الوحي والرسالة ليس من نوع المناصب التي تنال للجميع من دون مقدمة، ومن دون مؤهلات، وإنه منصب لا يعطى إلا لمن توفرت فيه مقدمات الكمال وشروطه، ويكون مؤهلاً لذلك، وإن الله أعلم بهم، وبمن توفرت فيهم الكفاءات. ٣ - قال تعالى: (إنك لعلى خلق عظيم) (٣). أجمع جل المفسرين على أنها نزلت في الأيام الأولى من البعثة النبوية (٤) تكشف عن الحالة النفسية والروحية التي امتاز بها النبي (صلى الله عليه وآله)، وتبين أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكفاءته واستعداده الروحي عموماً، وتوضح أن هذا الخلق العظيم نتيجة تلك المواهب والكفاءات التي كان يتحلى بها النبي (صلى الله عليه وآله) قبل أن يبعث نبياً، ويصطفيه الله لتبليغ رسالته إذا أخذنا تاريخ نزول الآية بعين الاعتبار. ولا ريب أنه لا بيان وتعبير أوسع نطاقاً وأجمع معنى من هذه الآية، ولا مدح وثناء أعلى وأشمل مما جاء في مفهوم هذه الآية، لأن الخلق يشمل الأعمال الفاضلة والعادات الحسنة، وكاشف لجميع صفات

النبي (صلى الله عليه وآله) النفسانية الشخصية والاجتماعية  
والأنسانية والعائلية والدينية، بحيث أثنى الله عليه بتلك الصفة  
المثالية - الخلق - ووصفها بالعظمة وأكد ذلك الله عزوجل بقوله: (الله  
أعلم حيث يجعل رسالته).

(١، ٢) الأنعام: ١٢٤. (٣) القلم: ٤. (٢) الأتقان ١: ١٧، تاريخ الخميس ١: ١٠ وقال فيه:  
ثاني سورة نزلت بمكة ن والقلم، وهذا الرأي اختاره الطباطبائي أيضا في الميزان ١٣:  
٢٣٣ - ٢٣٤ وأخرجه عن البيهقي عن ابن عباس ومجاهد.

### [١٩٨]

ومما يؤيد صحة هذا المعنى قول الأمام الصادق (عليه السلام): (إن  
الله عزوجل ادب نبيه فأحسن أدبه، فلما أكمل له الأدب قال: (إنك  
لعلى خلق عظيم) (١) ٤ - قال تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم  
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا) (٢). نزلت هذه الآية بحق  
رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام).... وتدل  
على طهارتهم وبراءتهم من الذنوب، صغيرها وكبيرها، لأنها أرحاس وردائل  
وهم منزهون عنها، كما نصت الآية على ذلك. اخرج الطبري في  
تفسيره عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: نزلت هذه الآية  
في خمسة: في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة (عليهم  
السلام). (٣) وكذا اخرج محب الدين الطبري في ذخائر العقبي (٤)  
وجلالات الدين السيوطي في تفسير الدر المنثور (٥) عن رسول الله  
(صلى الله عليه وآله). وقال الراغب الأصفهاني في معنى أراحه  
فمتى قيل: أراد الله كذا فمعناه حكم فيه إنه كذا وليس كذا نحو (إن  
إراد الله بكم سوءا أو أراد بكم رحمة) (٦) (٧). وقال أيضا الرجس:  
الشيء القدر، والرجس يكون على أربعة أوجه: إما من حيث الطبع،  
وإما من جهة العقل، وإما من جهة الشرع، وإما من كل ذلك كالميتة  
والميسر والشرك (٨).

(١) تفسير نور الثقلين ٥: ٢٨٩ - ٣٩٠ ح ١٤. (٢) الاحزاب: ٢٣. (٣) جامع البيان في  
تفسير القرآن ٢٣: ٥. (٤) ذخائر العقبي: ٢٤. (٥) تفسير الدر المنثور ٥: ١٩٨. (٦)  
الاحزاب ١٧. (٧) مفردات الفاظ القرآن: ٢٠٧ مادة رود. (٨) مفردات الفاظ القرآن: ١٨٨  
مادة رجس.

### [١٩٩]

ونستلهم من هذه الآية أن النبي وعترته (عليهم السلام) مطهرون  
ومنزهون عن كل الرذائل والصفات الذميمة. لأنها من الصفات التي  
تكون رجسا، ومبغوضة عند الله، واتصاف أولئك الذين هم مطهرون  
بإذن الله وإرادته بمثل هذه الصفات محال. ويستفاد أيضا من الآية أن  
العترة النبوية منزهون عن ارتكاب الحرام حتى ولو كان سهوا وخطأ،  
لأن المحرمات - كما تراه الشيعة والمعتزلة - تتبعها المفاسد التي  
هي السبب في النهي عنها. وأن السهو وإن كان رافعا لشرط القدرة  
والأرادة عن التكليف إلا إنه غير رافع للقبح والأثر الوضعي التابع  
للمحرم والرجس والقذارة الذاتية. ٥ - قال تعالى: (أرايت الذي ينهى  
عبدا إذا صلى) (١). ترى في الآية مدحا وثناء لرسول الله وتقريبا  
وذما لذلك الطاغية المغرور (٢) الذي ظل مراقبا لكي يمنع الرسول  
(صلى الله عليه وآله) عن العبادة والصلاة. نشير في هذه الآية إلى  
نقطتين: ١ - أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان قبل البعثة

والرسالة موحدًا وكان يعبد الله عزوجل وذلك ما دلت عليه هذه الايات  
من سورة العلق وهي اول سورة نزلت على الرسول (صلى الله  
عليه وآله) (٣) كما

(١) العلق: ١٠. (٢) وردت في الروايات الصحيحة التي رويت عن النبي واهل بيته  
(عليهم السلام) واخرجها الحفاظ والمفسرون والمؤرخون في مؤلفاتهم ان هذا  
الطاعى المغرور الذي فرعه الله تعالى وذمه في كتابه الكريم هو أبو جهل، حيث كان  
يراقب النبي (صلى الله عليه وآله) عند دخوله وخروجه المسجد حتى إذا قام النبي  
للصلاة قال أبو جهل لجلسائه من قريش: هل يعفر محمد (صلى الله عليه وآله) وجهه  
بين اظهركم؟ قالوا: نعم. قال: فيالذي يحلف به لئن رايته يفعل ذلك لاطان على  
رقبته. فقيل له: ها هو ذلك يصلي فانطلق ليطا على رقبته. فما فجاهم الا وهو ينكص  
على عقبيه ويتقي بيديه. فقالوا: مالك يا ابا الحكم؟ قال: ان بيني وبينه خندقا من نار  
وهو لا واجنحة. وقال النبي (صلى الله عليه وآله): والذي نفسي بيده لو دنا مني  
لاختطفته الملائكة عضوا عضوا، فانزل الله سبحانه (ارايتم الذي ينهى... المعرب. (٢)  
راجع الاحاديث المستخرجة والتي اجمع عليها المفسرون من الفريقين استندوا عليها  
في اثبات نظريتهم مثل تفسير نور الثقلين، البرهان في تفسير القرآن النباني، مجمع  
البيان، =

### [٢٠٠]

تدل عليها الأحاديث المتواترة والمتضاربة عن الائمة (عليهم السلام)  
وأقوال أكثر المفسرين. ٢ - إن عبادته (صلى الله عليه وآله) كانت  
على خلاف عبادة الناس في الجزيرة العربية آنذاك، ومخالفة  
لطريقتهم والطقوس المتخذة في العبادة عندهم، وهذا أحد الأسباب  
التي سببت مخالفة الناس ومنعهم إياه (صلى الله عليه وآله) عن  
إقامة الصلاة. يمكن استنباط هاتين النقطتين من الروايات التي  
تفصل كيفية عبادة النبي (صلى الله عليه وآله) قبل البعثة، حيث  
تروى لنا انه كان (صلى الله عليه وآله) يصلي احيانا في الخفاء وتارة  
اخرى في الملا والعلن. ونكتفي هنا بذكر حديث واحد مما روي بهذه  
المناسبة: نقل صاحب السرائر من جامع البرنطلي عن زرارَةَ قال:  
سمعت أبا جعفر وأبا عبد الله (عليهما السلام) يقولان: حج رسول  
الله (صلى الله عليه وآله) عشرين حجة مستسرا، منها عشر حجج  
أو قال: تسع - الوهم من الراوي - قبل النبوة، وقد كان صلى قبل  
ذلك وهو ابن أربع سنين، وهو مع ابي طالب في أرض بصرى (١).  
مؤهلات النبي (صلى الله عليه وآله) في الاحاديث: وردت أحاديث  
كثيرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) واهل بيته (عليهم السلام)  
في المصادر المعتمدة - لدى الفريقين - تؤيد مقولتنا الانفة، وتثبت  
كفاءة النبي (صلى الله عليه وآله) وتأهله، وتروي لنا كيفية صلاته  
وعبادته قبل أن يبعث نبيا، واليك بعض هذه الاحاديث: ١ - أخرج ابن  
سعد باسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه  
وآله): خرجت من لدن آدم من نكاح غير سفاح (٢).

= الدر المنثور، والميزان، الخازن ومحاسن التأويل، وغيره. وقد فصل العلامة  
الطباطبائي في تفسيره الميزان البحث وابد هذه النظرية. (١) بحار الانوار ١٥: ٣٦١  
كتاب تاريخ نبينا باب (٤) باب منشاه ورضاعه وما ظهر من اعجازه عند ذلك... ح ١٧.  
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١: ٦١ ذكر امهات النبي.

### [٢٠١]

٢ - قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في خطبته القاصعة  
وهي من أفصح خطب نهج البلاغة وأبلغها وأطولها، يذكر فيها رسول  
الله (صلى الله عليه وآله): ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيما



أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت معه أتبعه اتباع الفصيل أثر امه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علما، ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه، ولا يراه غيري ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة وأنا ثالثهما (١). ٣ - روي أن بعض أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) سأله: عن قول الله عزوجل: (إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) (٢). فقال (عليه السلام): يوكل الله تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم ويودون إليه تبليغهم الرسالة، ووكل بمحمد (صلى الله عليه وآله) ملكا عظيما منذ فصل عن الرضاع، يرشده إلى الخيرات، ومكارم الاخلاق، ويصده عن الشر ومساوئ الأخلاق، وهو الذي كان يناديه: السلام عليك يا محمد يا رسول الله، وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد، فيظن أن ذلك من الحجر والأرض، فيتأمل فلا يرى شيئا (٣). ٤ - وفي رواية أخرجه ابن ماجه في سننه (٤) وأحمد بن حنبل في مسنده (٥) والطبري في تاريخه (٦) باسنادهم عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: أنا عبد الله، وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر، صليت قبل الناس بسبع سنين.

(١) نهج البلاغة خطبة رقم ١٩٢، د. صبحي الصالح. (٢) الجن: ٢٧. (٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢٠٧. (٤) سنن ابن ماجه ١: ٤٤ المقدمة باب (١١) باب فضائل اصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فضل علي ابن أبي طالب (عليه السلام) ح ١٢٠. (٥) مسند احمد ١: ٩٩. (٦) تاريخ الطبري ٢: ٣١٠.

## [٢٠٢]

وأخرج النسائي قوله (عليه السلام): عبدت الله قبل أن يعبده احد من هذه الأمة تسع سنين (١). وقال ابن أبي الحديد: وإن كان قد ورد في كلامه إنه صلى سبعم سنين قبل الناس كلهم، فإنما يعني ما بين الثمان والخمس عشرة. ولم يكن حينئذ دعوة، ولا رسالة، ولا ادعاء نبوة، وإنما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتعبد على ملة ابراهيم (عليه السلام) ودين الحنيفية، ويتحنث، ويجانب الناس، ويعتزل ويطلب الخلوة، وينقطع في جبل حراء، وكان علي (عليه السلام) معه كالتابع والتلميذ (٢). أقول: إن تفسير ابن أبي الحديد وبيانه كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) صحيح بشكل عام، ولكن ادعائه بأن النبي (صلى الله عليه وآله) كان قبل بعثته يتعبد على دين ابراهيم (عليه السلام) مردود من وجهة نظر علماء الشيعة الذين يعتقدون أن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يتعبد على دين الاسلام، الذي جاء به فيما بعد، إلا إنه لم يؤمر بتبليغ تلك الأحكام الى الناس حتى بلغ الأربعين من عمره. أخلاق النبي (صلى الله عليه وآله) كل ما تقدم، كان البحث في مؤهلات النبي (صلى الله عليه وآله) وكفاءته لتلقي الوحي والرسالة، منذ أن كان طفلا، وبحث هنا في المؤهلات الأكثر ارضية لذلك، والتي هيأت الرسول (صلى الله عليه وآله) لكسب الفضائل والصفات، والمراتب العالية من الخلق الانسانية. ونذكر نبذا من أخلاق النبي العظيمة على نحو الإجمال حتى تتجلى لك عظمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وشخصيته أكثر، وتكون - ايها القارئ - مستعدا للمباحث التي نوافيك بها فيما يأتي: آيات عديدة في القرآن تبين الحالة الأخلاقية للنبي (صلى الله عليه وآله)، وكيفية معاشرته وتعامله مع الآخرين ننتخب لك من تلك الايات ثلاث:

### [٢٠٣]

١ - قال تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) (١). هذه الآية توضح مدى علاقة النبي (صلى الله عليه وآله)، وعطفه وحنانه على المسلمين، وتؤكد أيضا أن هذه العلاقة وهذا العطف كان تثقل على قلبه ثقلا كبيرا لما كان المسلمون يعانون من المصاعب. ٢ - قال تعالى: (فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم) (٢). تحكي هذه الآية عن أخلاق النبي الحميدة، وطبعه الحسن، ولين عريكته، ومداراته الرفيعة، التي هي صورة مصغرة لرحمة رب العالمين، وكلمة (لو) التي وردت في الجملة الثانية من الآية (ولو كنت فظا) تبين أن الخشونة والشدّة بعيدة عنه، لأن كلمة لو تستعمل غالبا في الأمور التي يستحيل وقوعها وتنفي ما بعدها. ٣ - قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إنيه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق) (٣). وهذه أيضا كاشفة عن خصلة أخرى من خصال النبي (صلى الله عليه وآله) وتبين خصلة الحياء عند النبي، حيث كان يستحي من أصحابه، وأن بعض أصحابه كان يدخل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) من دون أذنه، وكان يحب مجالسته قبل الطعام وبعده، والنبي (صلى الله عليه وآله) يحتل ذلك ويصبر على هذه المشقة من عامة أصحابه معه، فكان يتأذى منها ولم يخبرهم بذلك، حتى لا يجرح عواطفهم. وهذا الصبر الذي هو أنبل وأعلى صفة أخلاقية، لا تجده إلا في الأنبياء

(١) التوبة: ١٢٨. (٢) آل عمران: ١٥٩. (٣) الأحزاب: ٥٣.

### [٢٠٤]

والرسل (عليهم السلام). الوحي والاجتهاد: كيفية الوحي: يستفاد من العديد من آيات الذكر الحكيم أن بين الله عزوجل وبين رسله - الذين أكرمهم بوحيه وخطابه - اتصال (١)، وهذا الاتصال يتم عن طرق وأساليب ثلاث، وقد أشار القرآن إلى هذه الطرق في سورة الشورى في قوله تعالى: (وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم) (٢). ١ - القسم الأول: الألهام ويظهر من خلال آراء المفسرين حول هذه الآية، أن المراد بالوحي هنا - بقرينة التقسيم والمقابلة بين الأقسام - هو الألهام والتكلم الخفي، سواء كان في اليقظة أو الرؤيا، من دون أن يتوسط واسطة بينه وبين النبي المرسل، أو أنه تعالى يخلق صوتا من وراء حجاب، بحيث إن النبي يعرف أن هذا الصوت الهام ووحى من الله عزوجل، فيأتمر بما أوحى إليه، كما في قصة النبي إبراهيم الخليل (عليه السلام) وذبحه إسماعيل (عليه السلام)، حيث أنزل الله عزوجل عليه الوحي بصورة إلهام في رؤياه. ٢ - القسم الثاني: التكلم من وراء حجاب: والمراد منه الإيحاء والمحادثة عن طريق خلق الصوت، وإيجاده من دون أن يرى النبي الله عزوجل، وهو كالقسم الأول، لأن الوحي هنا يتم من دون أن يتوسط واسطة بينه تعالى وبين نبيه، ولكن حسب ما اعتاد عليه ذهن البشر وفكره، يتوهم أن مشاهدة طرفي المحادثة والمكالمة بعضهما

البعض حين المحادثة هي من مستلزمات المحادثة والمكالمة، بأن يرى كل من المخاطب والمتكلم الآخر، وهذا التقييد في الآية من وراء

(١) تحدثت آيات عديدة عن كيفية الوحي المنزل على الأنبياء (عليهم السلام) فراجعها في سور: البقرة: ٩٧، النحل: ٢ و ١٠٢، الشعراء: ١٩٣ - ١٩٤، فاطر: ١، النجم: ١ - ١٠، والتكوير: ١٩ - ٢١. (٢) الشورى: ٥١.

### [٢٠٥]

حجاب دفع للتوهم المذكور، ويدل على أن مشاهدة الله عزوجل ورؤيته حين المحادثة أمر مستحيل. وكان أكثر ما نزل على موسى (عليه السلام) هو هذا القسم من الوحي. ٣ - القسم الثالث: إرسال الرسل: وإن الله عزوجل إذا أراد أن يوحي إلى نبي من أنبيائه يرسل إليه الملائكة ليوجوهن إليه ثم إن الوحي إلى الأنبياء يتم أحيانا عن جميع الطرق الثلاثة، وتارة عن بعضها. ويمكن تقسيم الوحي باعتبار آخر إلى أن الوحي المنزل من الله عزوجل إلى نبيه الكريم (صلى الله عليه وآله)، تارة يكون اللفظ والمعنى كلاهما من عند الله عزوجل، ويسمى هذا النوع بالوحي القرآني، وإخرى يكون المعنى موحى من عند الله عزوجل، ولكن اللفظ من عند النبي (صلى الله عليه وآله)، بأن يكون الوحي ينزل على النبي حاويا المعنى فقط والنبي (صلى الله عليه وآله) يصيغه بألفاظه، ثم يبلغه إلى الناس، وهذا القسم من الوحي يسمى وحيا غير قرآني. وأن السنة والأحاديث النبوية هي من هذا القسم من الوحي. الوحي الغير قرآني: يظهر للمتدبر في آيات القرآن أن الوحي الذي ينزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) تارة يكون وحيا قرآني، وإخرى يكون وحيا غير قرآني، بحيث إن النبي (صلى الله عليه وآله) يؤمر بتبليغ أمر تلقاه في رؤياه أو يقظته من لدن العليم الحكيم. ربما أنزل الله عزوجل الوحي القرآني ليعطي الوحي الغير القرآني زخما من التأكيد والتأييد. واليك نماذج على ما ذكرناه إليك: ١ - قال تعالى في سورة الانفال: (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق.... واذ يعدكم الله إحدى الطائفتين إنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم....). تحتوي الآية (١) على بعض الأمور المتعلقة بغزوة بدر، وأجمع المفسرون على أنها

(١) الانفال: ٥ و ٧.

### [٢٠٦]

نزلت بعد بدر، وتؤكد مؤيدة وجود الوحي الغير قرآني الذي سبق الحرب والقتال (١). ٢ - قال تعالى: (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) (٢). أمر الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله) - في السنة السادسة من الهجرة - أن يخرج هو وأصحابه إلى مكة للحج، وكان هذا الأمر الألهي نزل على الرسول بنحو الألهام والرؤيا الصادقة، فائتمر الرسول وشد الرحال إلى مكة، ولكن واجه ممانعة قريش إياه، ومن ثم انعقدت معاهدة صلح الحديبية وكانت هذه سببا لاعتراض بعض الأصحاب عليه (صلى الله عليه وآله). فانزل الله تعالى هذه الآية تأييدا لرسوله (صلى الله عليه وآله) وتقريرا لهم. ٣ - قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع) (٣). وهذه أيضا من الآيات التي تؤيد الوحي الغير قرآني. سياق الآية

والأحاديث المروية في سبب نزول هذه الآية وتفسيرها تؤكد بأن صلاة الجمعة كانت تقام قبل نزول هذه الآية، ونزلت هذه الآية تعظيماً وتأكيداً لأهمية صلاة الجمعة، وتهديداً لبعض المسلمين الذين كانوا يتهاونون في الأحكام الإسلامية وذلك لفرط لهفهم على التجارة وجمع المال، لكي يرتدعوا عن التجارة والمعاملة، ويتجهوا نحو الصلاة وذكر الله عزوجل. والمتيقن أنه لم تنزل آية تدل على وجوب صلاة الجمعة سوى هذه الآية، وكان الأمر بالوجوب قبل نزول هذه الآية على صورة الوحي الغير قرآني. هذه نماذج من الوحي القرآني وغير القرآني ويمكن أن نجد العشرات من الأحكام

(١) لمزيد الاطلاع راجع التفاسير التالية: الطبري، البغوي، مجمع البيان، ابن كثير، الخازن، وغيرهم. (٢) الفتوح: ٢٧. (٣) الجمعة: ٩. (\*)

### [٢٠٧]

والتعاليم الدينية التي لم يشر إليها الوحي القرآني، بل صدر حكمها عن طريق الوحي الغير قرآني. هل كان الرسول (صلى الله عليه وآله) يجتهد: تعتقد الشيعة بأن الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يكن ليجتهد في الأحكام والتعاليم الدينية، وإنما كان يعمل وفقاً للوحي، وإذا لم ينزل الوحي فإنه يبقى منتظراً حتى ينزل. وثمة آيات وروايات تكشف لنا هذه الحقيقة، فإليك طرفاً منها: ١ - قال تعالى: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (١). تدل هذه الآية على أن كلام رسول الله (صلى الله عليه وآله) مستند إلى الوحي الألهي، وتنفي عنه القول الاجتهادي والنابع من تلقاء نفسه. ٢ - قال تعالى: (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا أتبع غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي... (٢). قال الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية: فهذا يدل على أنه (صلى الله عليه وآله) ما حكم إلا بالوحي، وهذا يدل على أنه لم يحكم قط بالاجتهاد (٣). ٣ - قال تعالى: (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول إنني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي) (٤). وقال الفخر الرازي في تفسيره: إن هذا النص يدل على أنه (صلى الله عليه وآله) لم يكن يحكم من تلقاء نفسه في شئ في الأحكام، وأنه ما كان يجتهد، بل جميع أحكامه صادرة عن

(١) النجم: ٣ - ٤. (٢) يونس: ١٥. (٣) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٧: ٥٦. (٤) الأنعام: ٥٠.

### [٢٠٨]

الوحي، ويتأكد هذا بقوله: (لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) (١). ٤ - قال تعالى: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله) (٢). قال الفخر الرازي: أعلم أنه ثبت بما قدمنا أن قوله: (لتحكم بين الناس بما أراك) معناه بما أعلمك الله، ويسمى ذلك العلم بالرؤية. لأن العلم اليقيني المبرأ عن جهات الرب يكون جارياً مجرى الرؤية في القوة والظهور... وكان عمر يقول: لا يقولن أحد: قضيت بما أراني الله تعالى، فإن الله تعالى لم يجعل ذلك إلا لنبيه. وأما الواحد منا فراهية يكون ظناً ولا يكون علماً. ثم يقول الفخر الرازي: إذا عرفت هذا فنقول: قال المحققون: هذه الآية تدل على أنه (صلى الله عليه وآله) ما كان يحكم إلا بالوحي والنص. وإذا عرفت

هذا فنقول: تفرع عليه مسألتان إحداهما أنه لما ثبت أنه (صلى الله عليه وآله) ما كان يحكم إلا بالنص، ثبت أن الاجتهاد ما كان جائزا له.... (٣). وهذا ما أقر به البخاري في صحيحه وأفرد له بابا خاصا وعنوانه: ما كان النبي (صلى الله عليه وآله) يسأل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول: لا أدري، لو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي، ولم يقل برأي ولا بقياس لقوله تعالى: (بما أراك الله) (٤).

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٢: ٢٣١. (٢) النساء: ١٠٦. (٣) التفسير الكبير للفخر الرازي ١١: ٢٣. (٤) صحيح البخاري ٩: ١٢٤ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما كان النبي (صلى الله عليه وآله) يسأل.

### [٢٠٩]

النبوة في العهدين والصحيحين النبوة في العهدين: كل ما قرأته - أيها القارئ الكريم - في الفصول السابقة هو ملخص الآيات والأحاديث الصحيحة الواردة عن الأئمة (عليهم السلام) حول الأنبياء عامة ورسول الله (صلى الله عليه وآله) خاصة، ومن خلالها يمكن أن نتعرف على الصورة الواقعية للأنبياء (عليهم السلام) الأخلاقية والأيمانية سواء قبل بعثتهم أو بعدها، ونفهم أيضا شخصيتهم، منزلتهم، قداستهم، طهارتهم، نزاهتهم، وعصمتهم من الذنوب والأرجاس. ولكن المحرفين للتوراة والأنجيل شوهوا الصورة الواقعية للأنبياء (عليهم السلام) وحرفوها، وذلك لأسباب ونوايا خاصة، والتطرق الى تفصيل وشرح تلك الأسباب خارج عن نطاق بحثنا وإجمالاً لذلك نقول: إن العهدين - التوراة والأنجيل - المحرفين فضلا عن أنهما نفيًا العصمة عن الأنبياء (عليهم السلام)، وسلبا عنهم الطهارة والقداسة والنزاهة، تراهم انهم نزلوا مقام الأنبياء وصغروا مرتبتهم، ونسبوا إليهم (عليه السلام) الأكاذيب وأنواع الأفك، حتى غيروا بذلك الصورة الواقعية والنزاهة لهم فأنزلوهم الى أدنى منزلة في المجتمع، وسأوهمم بالأفراد العاديين، وزادوا على ذلك حتى جعلوهم في صف أهل الهوى واللعب، الذين لا رادع أخلاقي ومعنوي يردعهم عن إتيان الشهوات، واتباع الأهواء. وإليك أمثلة من المرويات في التوراة والأنجيل - المحرفين - ١ - قصة لوط (عليه السلام) وابنتيه في التوراة: وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه، لأنه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه، وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاح وليس في

### [٢١٠]

الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلم نسقي أبانا خمرا، ونضطج معه فنحيي من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إنني قد اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلي اضطجعي معه، فنحيي من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضا، وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب وهو أبو الموابيين الى اليوم. والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بنى عمين وهو أبو عمون الى اليوم (١). ٢ - قصة داود (عليه السلام) وإمرأة اوريا في التوراة: إن داود قام عن سريرته وتمشى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت جميلة المنظر جدا، فأرسل داود، وسأل عن المرأة فقال واحد: هذه امرأة

اوريا الحثي، فأرسل داود رسلا فاخذها، فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئتها ثم رجعت الى بيتها وحبلت المرأة، فأرسلت وأخبرت داود وقالت: إنني حبلت فأرسل داود الي يوبأ يقول: أرسل الي اوريا الحثي، فأرسل يوبأ اوريا الي داود، فأتى اوريا إليه، سأل داود عن سلامة يوبأ وسلامة الشعب، ونجاح الحرب، وقال داود لاوريا: انزل الي بيتك واغسل رجلك. فقال اوريا لداود: إن التابوت وإسرائيل ويهوذا ساكنون في الخيام، وسيدي يوبأ وعبيد سيدي نازلون على وجه الصحراء، وأنا آتي الي بيتي لاكل وأشرب وأضطجع مع امرأتي، وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الامر. فقال داود لاوريا: أقم هنا اليوم أيضا وغدا أطلقك، فاقام اوريا، وفي الصباح كتب مكتوبا إلى يوبأ، وأرسله بيد اوريا، وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا اوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت. فمات اوريا الحثي، فلما سمعت امرأة اوريا أنه قد مات اوريا رجليها نذبت بعلها،

(١) توراة سفر تكوين إصاح ١٩ بند ٣٠ - ٣٨. (\*)

### [٣١١]

ولما مضت المناحة أرسل داود، وضمها الي بيته وصارت له إمراة وولدت له ابنا وأما الامر الذي فعله فقبح في عيني الرب. (١) وجاء في الأنجيل المحرف: ولد سليمان بن داود من المرأة التي كانت لاوريا (٢). ٣ - قصة المسيح (عليه السلام) صنعة الخمر: دعي يسوع (عيسى) إلى عرس، ولما فرغت الخمر، فصنع لهم المسيح ستة أجران من الخمر (٣). وفي إنجيل لوقا: لم يشرب عيسى الخمر فحسب، بل إنه كان محب للعشارين والخطاة (٤). هذه نماذج مما نسيه العهدان القديم والجديد - المحرفان - إلى الأنبياء (عليهم السلام) فصورا نبيا يسكر وتضطجع معه ابنتاه وتلدا منه ابنين اثنين، ونبيا آخر يزني بإمراة أحد قواده في الجيش، ولما حبلت منه خاف ذلك النبي - داود - الفضيحة، فأمر بقتل ذلك القائد العسكري، وبعد أن قتل تزوج إمراة الأرملة وولدت له في ذلك الحمل نبيا آخر وهو النبي سليمان. وتارة صورا صنع الخمر بأنه أعظم معجزة لنبي، وأنه كان من العشارين والمدمنين على الخمر. النبوة في الصحيحين: وترى هذا النوع من التحريف والتشويه لشخصية الأنبياء (عليهم السلام) الذي ورد في

(١) توراة سفر صموئيل الثاني ١١ - ١٢. (٢) إنجيل متى: الصاح: ١. (٣) إنجيل يوحنا: باب ٣. (٤) إنجيل لوقا: باب ٧ وإنجيل متى: باب ١١.

### [٣١٢]

العهدين القديم - التوراة - والجديد - الأنجيل - المحرفين ورد أيضا في الصحيحين البخاري ومسلم الذين نحن بصدد التحقيق فيهما، فهما عندما يأتیان على ذكر الأنبياء (عليهم السلام) يسطران الأساطير والقصص، التي كان يرويها قضاة اليهود وغيرهم، وينسبونها الي الأنبياء (عليهم السلام)، ودسوها بعد ذلك بين أوساط المسلمين بعنوان الأحاديث الصحيحة. والأطم من ذلك إن الصحيحين لم يشوها الصورة الحقيقية للأنبياء (عليهم السلام) عامة وحرفوها فحسب، حتى ظهرت صورتهم مضحكة ومستهترة، بل إنهما بدلا الصورة الواقعية والحقيقية للنبي محمد (صلى الله عليه وآله) من كونها

شخصية روحية ذات السمات الأخلاقية والربانية الى شخصية منافية للواقع ومباينة لما ورد في آيات الذكر الحكيم. متى نشأ الافتراء على النبي (صلى الله عليه وآله): عندما نراجع الأحاديث المروية في الصحيحين حول النبي (صلى الله عليه وآله) تنكشف لنا حقيقة ما، وتلك الحقيقة هي: إن الافتراء وبث الأشاعات حول شخصية النبي (صلى الله عليه وآله) بدأت في حياته، وذلك عندما نشر بعض الأشخاص - حبا للرسول (صلى الله عليه وآله) أو بغضا له أو لأسباب أخرى - أكاذيب اختلقوها وشابعات صنعوها حول شخصيته (صلى الله عليه وآله) حتى ضاق الرسول بها ذرعا، وإعلن هو للناس على المنبر عن وجود هؤلاء الوضاعين الكذابين بين الناس، وحذرهم بعاقبة عملهم الفاسد والمفسد قائلا: لا تكذبوا علي، من كذب علي فليلج النار (١). وإن سليم بن قيس الهلالي سأل أمير المؤمنين عليا (عليه السلام) عن الأحاديث التي في أيدي الناس، فأجابته الإمام علي (عليه السلام) بخطبة بليغة قسم فيها الأحاديث وروايتها إلى عدة أقسام فقال: إن في أيدي الناس حقا وباطلا، وصدقا وكذبا، وناسخا ومنسوخا،

---

(١) صحيح البخاري ١: ٣٨ كتاب العلم باب إنهم من كذب على النبي (صلى الله عليه وآله)، تحف العقول: ١٣٦.

### [٣١٢]

ومحكما ومتشابهها، وحفظا ووهما، ولقد كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عهده.... (١) ولكن بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) ازدادت أسباب جعل الحديث والكذب عليه (صلى الله عليه وآله)، وكلما ابتعد الناس عن عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) أكثر فأكثر، زادت الدواعي والأسباب واشتد الكذب والشائعات المنسوبة الى النبي (صلى الله عليه وآله). حتى شملت - هذه الأحاديث المفترية - تاريخ النبي (صلى الله عليه وآله) قبل البعثة، وبدء نزول الوحي، والحياة العائلية والداخلية، وكيفية معاشرته مع المسلمين، بل شوهوا جميع الشؤون والأمور التي تمت إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، حسب ما تملي عليهم أهواؤهم ومقاصدهم الخبيثة، ولذلك ترى كل واحد منهم إذا قصد الحصول على ما يرتئيه، أو الوصول الى هدفه يضع حديثا وينسئه الى النبي (صلى الله عليه وآله) وكان هذا دأبهم المقصود حتى عهد معاوية حيث اشتدت الدواعي أكثر. فأمر بتأسيس هيئة التحديث - مؤسسة وضعها معاوية لجعل الحديث - لغايات وأهداف عديدة، وكان يستخدم معاوية هذه المؤسسة وأعضاءها في سبيل تحقيق مآربه على احسن وجه مثل التعظيم على أعماله وأفعاله الغير شرعية، وتحجيم شخصية النبي (صلى الله عليه وآله) بواسطة الأحاديث التي اختلقها هذه المؤسسة حتى يوازرها بشخصيته وشخصية ابنه. وما كان هدفه في ذلك التحجيم والتعظيم على شخصية النبي (صلى الله عليه وآله) إلا أن يعد العدة ويمهد الأرضية لخلافة الفاسق الفاجر ابنه يزيد. ومن جهة أخرى كان هدفه من تأسيس الهيئة التزويرية اتهام مخالفيه، ليردعهم ويشفي غليله ويصب حقه وحقارته عليهم، ويملا بذلك نواقص ومعائب شخصيته وعشيرته، ويبرر ما جنته يده في عهد خلافته (٢). وبعد هلاك معاوية رأى الخلفاء الذين تزعموا المسلمين أن الأحاديث التي اختلقها مؤسسة معاوية مفيدة في تثبيت نظامهم وتقوية أركان سلطانهم، وتحكيم

---

(١) شرح نهج البلاغة ١١: ٣٨ خطبة ٢٠٣. (٢) يمكنك أيها القارئ أن تستلهم المزيد في هذا الموضوع عند مراجعة فصل الحديث في عهد معاوية.

خلافتهم، فلذلك سعوا في حفظ هذه الأحاديث وتنظيمها وتعديلها واجتهدوا في تقويتها. ومن بعد ذلك كانت هذه الأحاديث تنتقل من فم هذا الى اذن غيره، حتى استقرت وقرت في الكتب والمؤلفات، وفي مقدمتها صحيح البخاري وصحيح مسلم، ومن هذين الصحيحين انتقلت الى كتب الحديث والتاريخ والتفسير، بل وردت في بعض كتب الشيعة ايضا، وضبطها بعض مؤلفي الشيعة في كتبهم الحديثية والتاريخية والتفسيرية، من دون تحقيق وتحليل وتأمل، ولأثبت ما قلناه ننقل خمس نماذج من الأحاديث التي أخرجها البخاري ومسلم في صحيحهما ونسباها الى الأنبياء (عليهم السلام)، ومن ثم نقوم بتحقيقها ونقدها، ثم نتطرق بعون الله تعالى الى نقد وتحليل الأحاديث التي رواها الشيخان في كتابيهما مما تمت إلى شخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) بصلة. ١ - كذبة ابراهيم الخليل (عليه السلام) وحرمانه من الشفاعة عن أبي هريرة: ان النبي (صلى الله عليه وآله) قال: لم يكذب ابراهيم النبي (عليه السلام) قط إلا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله، قوله: (إني سقيم) (١)، وقوله: (بل فعله كبيرهم هذا) (٢) وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك إمرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبره أنك اختي، فإنك اختي في الإسلام، فإنني لا أعلم في الأرض مسلما غيرك وغيري، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار، فأتاه فقال: لقد قدمت أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك، فأرسل إليها فاتي بها، فقام ابراهيم (عليه السلام) الى الصلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها، فقبضت قبضة شديدة، فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك. ففعلت. فعاد، فقبضت أشد من القبضة الأولى. فقال لها: مثل ذلك ففعلت، فعاد. فقبضت أشد من القبضتين الأولىين. فقال: ادعي الله أن يطلق يدي فلك الله أن لا اضرك، ففعلت. واطلقت

(٢) الصافات: ٨٩. (٢) الأنبياء: ٦٣.

يده ودعا الذي جاء بها فقال له: إنك إنما أتيتني بشيطان، ولم تأتني بإنسان، فأخرجها من أرضي، وأعطها هاجر، قال: فأقبلت تمشي، فلما رآها ابراهيم (عليه السلام) انصرف فقال لها: مهيم ؟ قالت: خيرا، كف الله يد الفاجر، وأخدم خادما. قال أبو هريرة: تلك امكم يا بني ماء السماء (١). وقد ورد أيضا في الصحيحين في بيان مسألة شفاعة النبي ضمن رواية مطولة مروية عن أبي هريرة بالفاظ مختلفة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحكى بان أهل الحشر يأتون الأنبياء واحدا تلو الآخر، ليشفعوا لهم، وكل نبي يذكر فعلة من فعاله التي أغضب بها رب العالمين، ويعتذر للناس من طلب الشفاعة، ويوكلونهم الى النبي الذي أتى بعده، حتى ينتهي بهم الأمر الى خاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله) فيشفع لهم. وقد ذكر في هذا الحديث: أن الناس يأتون النبي ابراهيم (عليه السلام): فيقولون له: أنت نبي الله وخليله في الأرض اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات نفسي نفسي نفسي (٢). هذان حديثان مما رواه الصحيحان حول كذبة ابراهيم الخليل (عليه السلام)، وحرمانه من الشفاعة



بسبب تلك الأكاذيب. ولو أمعنا النظر ودققنا البصيرة فيهما لعرفنا أولاً: أن هذين الحديثين يتنافيان مع ما ورد عن الخليل إبراهيم (عليه السلام) في القرآن والأحاديث المروية عن أهل بيت النبي (عليهم السلام). وثانياً: أن هذا الموضوع من الأسرائيليات الواردة في التوراة، فأشبعوها بالآيات

(١) صحيح البخاري ٤: ١٧١ كتاب بدء الخلق باب قول الله: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، صحيح مسلم ٤: ١٨٤٠ كتاب الفضائل باب (٤١) باب من فضائل إبراهيم الخليل (عليه السلام) ح ١٥٤. (٢) صحيح البخاري ٦: ١٠٥ كتاب التفسير تفسير سورة بني إسرائيل، صحيح مسلم ١: ١٨٤ كتاب الأيمان باب (٨٤) باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ح ٣٣٧.

### [٢١٦]

القرآنية، وبعد ذلك دست في أذهان بعض المسلمين. وذلك لأن قول إبراهيم (عليه السلام): (بل فعله كبيرهم هذا) و (إني سقيم) جاء في مقام الاحتجاج والمنازعة، والاستنكار على الوثنيين، وأنها طريقة وأسلوب بديع ابتدعه إبراهيم (عليه السلام) في حوارهم معهم، حتى يأخذ الإقرار منهم على بطلان عقيدتهم، وانحرافهم عن الحق، وهي شبيهة لقوله الآخر لما رأى طلوع الشمس والقمر والكواكب فقال: (هذا ربي)، وعندما رآها تغرب، قال: (إني لا أحب الأفلين) ولم يصح عبادة الرب الأفلين. هذا ويتضح لك هذا جلياً عند التأمل والمطالعة في صدر الآية وذيلها. واضف على هذا، وضوح بطلان الحديث الثاني الذي يروي بأن النبي إبراهيم (عليه السلام) اعترف: بأن هذه المواضيع الثلاثة ذنوباً حرمته من الشفاعة، ولو سلمنا بأن النبي إبراهيم (عليه السلام) قال تلك الجملات الثلاثة عند الضرورة، فإنها لا منافاة بينها وبين الشفاعة، لأن واجبه آنذاك في تلك الموارد كان ذلك، بل إن هذه المواقف الثلاثة تعتبر من المحن والمصائب والاختبارات التي امتحن الله بها نبيه إبراهيم (عليه السلام) واجهها في سبيل الله وإحياء أوامره. وإن مثل هذه المحن ليست مانعة من الشفاعة فحسب بل تزيد في درجة شفاعة الأنبياء والصالحين. ويلزم أن نسعف ما ذكرناه ببيان مطلب آخر، هو أنه لو كانت جملتنا (إني سقيم) و (بل فعله كبيرهم) صدرتا كذبا من إبراهيم الخليل (عليه السلام)، لا بد أن تعد أكاذيب إبراهيم ستاً وليس ثلاث لأن إبراهيم كما نص القرآن على ذلك فإنه كلما رأى الشمس أو القمر أو كوكبا كان يقول: (هذا ربي) (١).

(١) راجع الآيات المنزلة في هذا الموضوع لتزداد علماً وفهماً: الأنعام ٧٥ - ٧٩ (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا أحب الأفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لآكونن من الصالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما افلت قال يا قوم انى برئ مما تشركون انى وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين).

### [٢١٧]

العلاقة بين هذا الحديث والتوراة: وأما ارتباط هذين الحديثين بالتوراة فواضح جلياً، لأن قصة النبي إبراهيم (عليه السلام) حسبما جاءت في التوراة بالتفصيل - لما تصل الى الحديث عن سارة والحاكم الجبار، تروي لنا أشياء تخالف النصوص الاسلامية الصحيحة تماماً، مثلما وردت في رواية أبي هريرة. فاقراً ما جاء في النص التوراتي

لتزداد يقينا: وحدث لما قرب - إبرام - أن يدخل مصر، أنه قال لساراي امرأته: إنني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر، فيكون إذا رآك المصريون إنهم يقولون: هذه امرأته فيقتلونني ويستيقونك. قولي: إنك اختي ليكون لي خيرا بسببك، وتحيا نفسي من أجلك، فحدث لما دخل إبرام الى مصر، أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا، ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فاخذت المرأة الى بيت فرعون فصنع إلى إبرام خيرا بسببها (١). سقوط اعتبارية هذا الحديث: يتضح لك أيها القارئ الكريم عدم اعتبار الحديث المذكور أكثر، إذا أمعنت النظر في النقطة التالية من الحديث: إن إبراهيم (عليه السلام) أمر زوجته سارة بأن تقول: بأنها اخت إبراهيم، حتى يتزوجها الملك الجبار، ويأمن إبراهيم (عليه السلام) من أذاه، ويتقرب الى الحاكم زلفى وينال منه ثروة كبيرة، وفي الواقع إن إبراهيم أراد أن يصل الى منفعة خيالية، وذلك عن طريق تمهيد أسباب لتملك الآخرين - زوجته سارة الى الغير - (حاشا النبي من هذا). وأما في الحديث المروي عن أبي هريرة وإن لم يكن الموضوع واضحا كما ورد في التوراة ولكن لاحظ أولا: بأن القول عن الزوجة بأنها أخت لم يكن له سبب وعلة

(١) التوراة: سفر التكوين الأصحاح ١٢ بند ١١ - ١٦.

### [٢١٨]

سوى ما ذكرناه. ثانيا: فإن حديث أبي هريرة صورة مجملة لما ورد في التوراة. وهنا ندع الحكم والقضاء للقارئ اللبيب والباحث عن الحقيقة، حتى يبدي رأيه في التطابق بين حديث أبي هريرة والنص التوراتي. ونختم بحثنا هذا بنكتة دقيقة ذكرها الفخر الرازي بهذا الصدد: قال في تفسيره: اعلم أن بعض الحشوية روى عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: ما كذب إبراهيم (عليه السلام) إلا ثلاث كذبات فقلت: الأولى أن لا نقبل مثل هذه الأخبار. فقال على طريق الاستنكار: فإن لم نقبله لزمنا تكذيب الرواية. فقلت له: يا مسكين إن قبلناه لزمنا الحكم بتكذيب إبراهيم (عليه السلام)، وإن رددناه لزمنا الحكم بتكذيب الرواية، ولا شك أن صون إبراهيم عن التكذيب أولى من صون طائفة من المجاهيل عن الكذب (١). ٢ - طواف سليمان بتسع وتسعون امرأة في ليلة عن عبد الرحمان بن هرمز قال: سمعت أبا هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين، كل منهن تأتي بفارس، يجاهد في سبيل الله، فقال له الملك - صاحبه -: قل: إن شاء الله، فلم يقل: إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل. والذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون. وفي هذه الرواية الصحيحة ! ! التي أخرجها البخاري ومسلم في الصحيحين عدة إبرادات: أولا: اضطراب نص الحديث: لأن عدة النساء اللاتي أراد سليمان (عليه السلام) ان يطوف عليهن في ليلة واحدة، ذكر تارة انهن مائة امرأة (٢) واخرى روي

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي ١٨: ١١٩. (٢) صحيح البخاري ٤: ٢٧ كتاب الجهاد باب من طلب الولد للجهاد، وج ٧: ٥٠ كتاب =

### [٢١٩]

أنهن تسع وتسعون (١)، وروي ثلاثة أنهن تسعون (٢)، وفي بعض الأحاديث أنهن سبعون (٣) وفي بعضها ستون (٤)، وكل هذه الأعداد مروية في صحيح البخاري ومسلم، وهذا الاضطراب في العدد دليل واضح على كون الحديث من المجعولات والموضوعات، وبدل أيضا على أن راوي القصة أراد أن يبدي رأيه في عدد النساء. حتى أن بعض شارحي الصحيحين لم يسعه الكتمان حتى أشار في شرحه إلى هذا الاضطراب (٥). ثانيا: فإن الأنسان مهما كان قويا، فإنه يعجز عن القيام بمثل هذا العمل الذي يشبه المعجزة والخوارق، بينما هذا الموضوع والقصة لا تمت الى المعجزة والأعجاز بشئ إطلاقا. ثالثا: من الناحية الزمنية فإن الليلة الواحدة في الغالب لقليلة للطواف على مائة امرأة. رابعا: إنه لا يجوز على سليمان النبي (عليه السلام) وهو من عباد الله المخلصين، أن يترك التعليق بقوله إن شاء الله، حتى ولو سلمنا إنه عرض عليه النسيان ! ! ولكن ما الذي يمنعه عن يقول: إن شاء الله وهو نبي هادي الخلق الى الحق ! ! لا سيما بعد أن ذكره ونبهه الملك بذلك.

= النكاح باب قول الرجل لأطوفن الليل على نسائه. (١) صحيح البخاري ٤: ٢٧ كتاب الجهاد باب من طلب الولد الجهاد. (٢) صحيح البخاري ٨: ١٦٢ كتاب الأيمان والنذور باب كيف كانت يمين النبي (صلى الله عليه وآله) وص ١٧٢ باب الاستثناء في الأيمان، صحيح مسلم ٣: ١٢٧٦ كتاب الأيمان باب (٥) باب الاستثناء ح ٢٥. (٣) صحيح مسلم ٢: ١٢٧٥ كتاب الأيمان باب (٥) باب الاستثناء ح ٢٣ و ٢٤. (٤) صحيح البخاري ٩: ١٦٩ كتاب التوحيد باب في المشيئة والإرادة، صحيح مسلم ٣: ١٢٧٥ كتاب الأيمان باب (٥) باب الاستثناء ح ٢٢. (٥) شرح صحيح مسلم للنووي ١١: ١٢٠.

### [٢٢٠]

وإنما يترك قول إن شاء الله الذين نسوا الله وجعلوا أن الامور بيد الله تعالى. ٣ - عزرائيل يفقد عينه عن أبي هريرة قال: ارسل ملك الموت الى موسى (عليه السلام) فلما جاءه صكه فرجع إلى ربه. فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، فرد الله عينه. وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده بكل شعرة سنة. قال: أي رب ثم ماذا ؟ قال: ثم الموت. قال: فالان. فسأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): فلو كنت ثم لأريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر (١). أخرج هذا الحديث البخاري ومسلم، إلا أن في لفظيهما تفاوت يسير حيث ورد في رواية مسلم: فلما جاءه صكه ففقا عينه. روى الثعالبي في كتابه (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب) القصة في باب لطمة موسى ثم قال: هذا الحديث في أساطير الأولين، ويضرب مثلا بين الناس، وقد اشتهر بعد ذلك بين العوام بأن عزرائيل أعور. وفيه قيل: يا ملك الموت لقيت مكرها \* لطمة موسى تركتك أعورا واختتم الثعالبي مقولته قائلا: وأنا برئ من عهدة هذه الحكاية (٢). أقول: فكما اعتبر الثعالبي هذه القصة أنها من أساطير الأولين فكذلك نحن نقول بأنها من الأساطير التي ينقلها العجائز للأطفال، وسوف نوافيك بالأدلة على كون هذا الحديث أسطورة يتناقضها العوام فقط، وذلك لما تشاهد فيه من المسائل المخالفة للناموس الألهي وشأن الأنبياء والملائكة:

(١) صحيح البخاري ٢: ١١٣ كتاب الجنائز باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة، وح ٤: ١٩٢ كتاب بدء الخلق باب وفاة موسى، صحيح مسلم ٤: ١٨٤٢ كتاب الفضائل باب (٤٢) باب من فضائل موسى (عليه السلام) ح ١٥٧. (٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: ٥٢ رقم ٦٢.

أولاً: كيف يليق بعبد اصطفاه الله للنبوّة ويصير كليم الله أن يبطش بطش الجبارين والمتكبرين، ويفقأ عيون الآخرين، من دون سبب وخاصة إذا كان ذلك مأموراً من قبله تعالى، ليوحى الى الكليم أمراً من أوامر الله قائلاً له: أحب ربك؟ ثانياً: إن الله عزوجل كافأ النبي موسى (عليه السلام) خيراً، لأنه ارتكب هذا الفعل المذموم، ولم يعاقبه على فعله، ولم يعتب عليه، بل شرفه بشرافة أكبر، وبشره بالعيش آلاف السنين. فيا عجباً بطشة واحدة، وآلاف الجوائز! ثالثاً: كيف يتصور أن تنسب هذه القصة الى موسى الذي اصطفاه الله بالنبوّة، وأئتمنه على وحيه، وانتجبه لمناجاته، وجعله نبياً من أنبياء اولي العزم، وقال تعالى مادحاً إياه: (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) (١). وقال تعالى: (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولا نبياً وناديناه من جانب الطور الايمن وقربناه نجياً) (٢). وقال تعالى: (وكان عند الله وحيها) (٣). فهل يتصور أن من نال هذه المرتبة الرفيعة والمنزلة الربانية، يفر من الموت فراراً يترك لقاء الله والوصول الى مرتبة أعلى العليين وذلك ببطشة واحدة؟ رابعاً: فهل يعقل أن الأنبياء وخاصة اولي العزم منهم (عليهم السلام) يهينون الملك الذي يأتيهم بالوحي من عند الله تعالى؟ بينما نحن نتبرأ من الكفار والمشركين والجبابرة كفرعون ونمرود وأبي جهل، ونعتبرهم أعداء لله عزوجل، لأنهم رفضوا أوامر الله وعاندوا،

(١) الأحزاب: ٧١. (٢) مريم: ٥١ - ٥٣. (٣) الأحزاب: ٦٩.

الأنبياء والرسول (عليهم السلام)، وأهانوهم واستكبروا عن ذلك. فلو صححنا هذا الحديث بمضمونه الوارد في صحيح البخاري ومسلم، فلم يبق هناك فرق بين موسى (عليه السلام) وفرعون، لأن الحديث المذكور، يروي لنا أن الاسلوب الذي اتخذه فرعون تجاه الرسول موسى (عليه السلام) والأهانة التي أهانها إياه، هو نفس الاسلوب الذي اتبعه موسى (عليه السلام) تجاه عزرائيل ملك الموت ورفض دعوة ربه. خامساً - أضف الى كل ذلك، ما هي حقيقة الملائكة؟ هل هي جسمانية ومادية؟ ولها عينان، كما هي عند الإنسان بحيث تعمى بمجرد بطشة واحدة؟ إن الجواب عن هذه الأسئلة ليس صعباً ومشكلاً خاصة للوضاعين وجعال الأحاديث الذين يروون أحاديث يخرجونها من اكياسهم حينما يواجهون الانتقادات، فيقرون بأنفسهم من المأزق. ولذا نرى أبا هريرة - جاعل الحديث - عندما واجه الانتقاد أجاب على ذلك وقال: إن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى فلطمه ففقأ عينه... جاء الى الناس خفية بعد موت موسى (١). بناء على هذه الإشكالات الموجودة في الحديث لم أدر واني لحائر هل أن بطش موسى وضربه ملكاً مقرباً الى الله - عزرائيل (عليه السلام) - وهو في لحظة تبليغ أمر الله، ويفقأ عينه ويعميها تعتبر فضيلة وكرامة لموسى حتى يخرج مسلم ضمن فضائل موسى؟! - سياق موسى والحجر أخرج الشيخان في صحيحيهما عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن موسى كان رجلاً حياً ستيراً، لا يرى من جلده شئ استحياءاً منه، فأذاه من آذاه من بني

(١) مسند الأمام احمد بن حنبل ٢: ٥٢٢. مستدرك الصحيحين ٢: ٥٧٨، تاريخ الطبري ١: ٤٢٤ تاريخ موسى (عليه السلام)....، تلخيص المستدرك للذهبي ذيل المستدرك ٢: ٥٧٨.

### [٢٢٢]

إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب بجلده، أما برص وأما أدرة وأما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يوما وحده، فوضع ثيابه على الحجر، ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر، فجعل يقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر، حتى انتهى الى ملأ من بني إسرائيل فأروه عريانا، أحسن مما خلق الله وأبراه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ بثوبه فلبسه، وطفق بالحجر ضربا بعصاه، فوالله إن بالحجر لنديا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعاً أو خمسا فذلك قوله: (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وحيها) (١) (٢). قبل أن نقوم بالبحث والتحقيق حول هذا الحديث ندعو القراء الكرام الى أن يلقوا نظرة في ما قاله اثنين من شارحي الصحيحين بهذا الصدد: قال بدر الدين العيني في شرحه على صحيح البخاري: وفيه - أي في الحديث - ١ - جواز المشي عريانا للضرورة، وكذا جواز النظر الي العورة عند الضرورة. ٢ - وفيه معجزة ظاهرة لموسى، ولا سيما تأثير ضربه بالعصا على الحجر مع علمه بأنه ما سار بثوبه إلا بأمر من الله تعالى (٣). وقال النووي في شرحه على صحيح مسلم: إن فيه - الحديث - معجزتين ظاهرتين لموسى: إحداهما مشى الحجر بثوبه الى ملأ من بني إسرائيل. والثانية حصول

(١) الأحزاب: ٦٩. (٢) صحيح البخاري ١: ٨٧ كتاب الغسل باب من اغتسل عريانا وحده في الخلوة، وج ٤: ١٩٠ كتاب بدء الخلق باب حديث الخضر مع موسى، صحيح مسلم ١: ٢٦٧ كتاب الحيض باب (١٨) باب جواز الاغتسال عريانا في الخلوة ح ٧٥، وج ٤: ١٨٤٢ كتاب الفضائل باب (٤٢) باب فضائل موسى ح ١٦٥ - ١٥٦. (٣) عمدة القاري ١٥: ٣٠٢.

### [٢٢٤]

الندب في الحجر (١). أقول: إن في هذا الحديث - وهو عندهم صحيح ومعتبر - انتقادات واستفسارات عدة تطرح نفسها: ١ - هل أن تشهير كليم الله (عليه السلام) بإبداء سوائته على مرأى من قومه يبقي موسى على مقامه، ويحفظ شخصيته التي كان عليها قبل الواقعة أم لا ؟ ولا سيما إذا راه القوم بتلك الحالة المضحكة، وهو يعدو خلف حجر لا يسمع ولا يدرك شيئا ويناديه: ثوبي حجر ثوبي حجر. ٢ - لو سلمنا بصحة الحديث ! فلا بد أن نقول بأن حركة الحجر من مكانه كانت إجبارية وبأمر من الله، ففي هذه الحالة فما يعني غضب موسى (عليه السلام) ؟ وأي أثر لعقوبة الحجر وعتابه ؟ ٣ - إن فرار الحجر بثياب موسى (عليه السلام) لا يبيح لموسى ان يبدي عورته ويهتك نفسه، بل كان في إمكانه عقلا وشرعا أن يستتر في مكان ما ويستتر عورته عن أعين الناس. وما ادعاه العيني والنووي من كون عمل موسى (عليه السلام) هذا معجزة، فعلى فرض صحة دعواهما فلا بد أن يعلمنا أن المعجزة لا تأتي إلا إذا كان المقام مقام التحدي والتعجيز، وما نسب إلى موسى (عليه السلام) بهذا الشأن لم يكن في مقام التحدي والتعجيز. وأما براءته من الادرة وغيره، فليست من الامور التي يباح في سبيلها هتكه وتشهيره، ولا هي من المهمات التي تصدر بسببها الايات والمعجزات، ولو فرض ابتلاؤه بهذا المرض، فأى بأس عليه ؟ ألم يصاب النبي شعيب (عليه

السلام) في بصره، وأيوب (عليه السلام) بجسمه، وأنبياء الله قد مرضوا وماتوا بذلك. فهل هتكوا أنفسهم؟ هذا على فرض ابتلائه بالإدرة، فإن هذا الداء كان مستورا على أكثر الناس ولم يكونوا يعلمون بذلك.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٥: ١٢٧.

### [٢٢٥]

وأما واقعة ابداء بني إسرائيل موسى (عليه السلام) - التي أشير إليها في الآية وفسرها أبو هريرة برأيه، وطبقها ضمن قصته الخرافية التي أفرزتها ذهنيته - هو اتهام موسى بقتل هارون، كما أخرجه العيني (١) ورواه عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وابن عباس. ونقل بعض المفسرين إنها قضية المومسة التي أغراها فارون يقذف موسى بنفسها، وقيل: أذوه من حيث نسبهه إلى السحر والكذب والجنون (٢). وهذا التفسير الذي رووه عن أبي هريرة لا يخرج إلا من كيس أبي هريرة، بل إنه من مميزات الخاصة به. ٥ - انتقام موسى (عليه السلام) من النمل قال أبو هريرة: قرصت نملة نبيا من الأنبياء، فأمر بقرية النمل فاحرقت، فأوحى الله إليه أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله! أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما (٣). وحسب ما ورد في مضمون حديث آخر أخرجه الترمذي (٤) وصححه القسطلاني (٥) وابن حجر (٦) أن هذا النبي القاسي الذي أحرق الوفا من النمل ذات أرواح بسبب قرصة نملة واحدة هو النبي موسى (عليه السلام). ويظهر من الحديث الذي رواه أبو هريرة ولم نعلم من أي قصاص أخذ، أن النبي موسى (عليه السلام) انتقم من مجموعة كبيرة من النمل بسبب ذنب ارتكبه نملة واحدة! ! بينما نرى

(١) عمدة القارئ ١٥: ٣٠٢. (٢) راجع كتب التفسير. (٣) صحيح البخاري ٤: ٧٥ كتاب الجهاد والسير باب بلا عنوان. صحيح مسلم ٤: ١٧٥٩ كتاب السلام باب (٣٩) باب النهي عن قتل النمل ح ١٤٨. (٤) سنن الترمذي كما أشار إليه القسطلاني. (٦) ارشاد الساري للقسطلاني ٦: ١١٤. (٦) فتح الباري لابن حجر ٧: ١٦٨.

### [٢٢٦]

أن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) يقول: والله لو اعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها، على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته (١). هذه الحكاية التي نسبت إلى نبي من أنبياء أولي العزم (عليه السلام) علامة على أنها مذمومة وغير مندوحة عند الله عزوجل فإنها لم تتماش مع الاحساسات البشرية خاصة رافة الأنبياء وعطفهم ولكن أبا هريرة صور موسى (عليه السلام) في روايته هذه بالقساوة والخشونة، حتى أنزله مرتبة أدنى من منزلة الشاعر - الفردوسي - (٢) القائل: لا تؤذي النملة الجالبة حبة \* لها نفس، ونفس الشئ محبوبة لفته نظر: هذه خمس قصص عن الأنبياء السابقين (عليهم السلام) ذكرها البخاري ومسلم في صحيحهما، وقد رأيت تعليقنا على كل واحدة منها، وذكرنا أيضا نقاط الوهن والضعف في كل منها. والجدير بالذكر أن هذه القصص الخمس لم يكن لها إلا راو واحد وهو أبو هريرة، وكل هذه الافتراءات على الأنبياء (عليهم السلام) لم تسفر إلا من كيس شيخ المضيرة وتاجر

(١) شرح نهج البلاغة ١١: ٢٤٥ خطبة ٢١٩ ونهج البلاغة خطبة ٢٢٤ صبحي الصالح.  
(٢) هو الحكيم أبو القاسم الحسن بن محمد الطوسي الشاعر المعروف، له يد في تمام فنون الكلام من التسيب والغزل والحكمة والاعذار والمدح والهجاء والرتاء... وغيرهما من أغراض الشعر، ولد سنة ٢٢٢، وتوفي بطوس سنة ٤١١ هـ، وهو أكبر شعراء إيران وأشهرهم، وعلاوة على تعلقه في الأدب الفارسي كان ذا إطلاع على الأخبار والأحاديث الإسلامية وعارفا بالعلوم البرهانية في الفلسفة والرياضيات. وله ديوان شعري معروف يسمى بالشاهنامه وقد أجمع علماء الشرق والغرب على رأي واحد تجاه كتابه هو اعتباره أدبا عاليا وشعرا في أسمى طبقه. واسلوبه في نظم الشاهنامه مقتبس من اسلوب القرآن الكريم، وكذلك الكنايات المقبولة التي في أشعار العرب يأتي بها بنفسها أو بترجمتها وقد تكون أحسن من الأصل أحيانا، ومن هنا يعلم أن الفردوسي كانت عنده مادة غزيرة من أشعار العرب. المغرب.

### [٢٢٧]

الأحاديث أبي هريرة الدوسي. وقد ذكرتنا هذه الأحاديث مقالة العلامة المحقق فقيد مصر المرحوم محمود أبو رية إذ يقول: ما كاد أبو هريرة يرجع الى المدينة معزولا عن ولايته بالبحرين، حتى تلقفه الحبر الأكبر كعب الاحبار اليهودي (١)، وأخذ يلقنه من إسرائيليته، ويدس له من خرافاته، وكان المسلمون يرجعون إليه فيما يجهلون، وبخاصة بعد أن قال لقيس بن خريشة هذه الاكذوبة: وما من الأرض شبر إلا مكتوب في التوراة التي أنزلت على موسى ما يكون عليه وما يخرج منه. ومن أجل ذلك هرع أبو هريرة إليه، ليأخذ منه ويتلمذ عليه، ولم يتوقف سبل روايتهما، ولا سيما بعد أن خلا الجو لهما، بموت عمر واختفاء درته، ولا يزال هذا السيل

(١) هو كعب بن ماعة الحميري، ويكنى أبا إسحاق، وهو من أحبار اليهود ومعروف بكعب الأحبار، أسلم في عهد أبي بكر، وقيل: في عهد عمر. وذاع صيته أكثر وأوفر في عهد عثمان لما استصفاه معاوية بن أبي سفيان وجعله من مستشاريه لكثرة علمه وهو واحد من أعضاء مؤسسة معاوية لجعل الحديث. أظهر كعب إسلامه ليخضع المسلمين، بما بثه هو وزميله وهب بن منبه وعبد الله بن سلام اليهوديين من الاسرائيليات والأخبار اليهودية في الإسلام، فهؤلاء توسلوا بالمكر والدهاء ابتغاء ما يتبعون فزرعوا في نفوس المسلمين الأحاديث المزورة والأخبار المزيفة. وكان الخليفة عمر بن الخطاب معجبا به وبما يرويه من الأخبار مما جاء في كتبه التي كانت في حيازته، وكان كعب يجالس الخليفة كثيرا ولعل وصل به الأمر أن يخلو بالخليفة، والخليفة يستمع إلى أحاديثه حتى ترخص الناس في استماع ما عنده غثه وسمينه. وكان أكثر أحاديث كعب في تفسير آيات القرآن حتى امتلأت كتب التفسير من منقولاته، وحيث كان كعب وزميله وهب وعبد الله بن سلام من خواص بلاط الخلفاء عمر وعثمان ومعاوية بعدهم لم يجرء أحد أن يحس بشخصيتهم إلا وواجهته كتل من الضرب والشتم والتهم وقد كان الكثير من رواة الجمهور يأخذون منهم ويروون عنهم أحاديث، ومن هؤلاء أبو هريرة الدوسي. هذه كانت مقتطفات عن كعب الأحبار اليهودي، وراجع التفاصيل في أضواء على السنة المحمدية للشيخ أبو رية، وضحي الإسلام لأحمد أمين، وأبو هريرة شيخ المضيرة لأبي رية، وكتب التراجم والرجال. المغرب.

### [٢٢٨]

يتدفق بالأحاديث الخرافية والمشكلة. وقد سمعت مرة من أحد أحرار الفكر المحققين، أن أبا هريرة وكعبا هما اللذان أفسدا الإسلام، بما بثا فيه من الخرافات والأوهام. ومن عجيب أمر هؤلاء الذين يطلق عليهم جمهور المسلمين أنه على رغم ما قيل فيهما، وما ثبت من أكاذيبهما ثبوتا بينا، لا يزالون يثقون بهما، ويأخذون بما يرويانه، وفيهما ما لا يقبله عقل صريح، ولا نقل صحيح، ثم يجعلون الأول من خيار التابعين، ويجعلون الاخر راوية الإسلام من بين جميع المسلمين (١).

[٢٢٩]

الفصل السابع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الصحيحين

[٢٣١]

النبى قبل البعثة ١ - إيمان أبويه: تعرفنا في الفصول السابقة على الصورة التي رسمها أرباب الصحيحين للأنبياء (عليهم السلام)، وتعرف هنا على الصورة التي رسمها للنبي محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) ولذلك قسمنا بحثنا حول حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) الى قسمين: النبي قبل البعثة والنبي بعد البعثة. فاما الصورة المرسومة للنبي (صلى الله عليه وآله) قبل البعثة والأكاذيب التي نسيوها إليه ندرجها واحدا بعد الآخر في فصول مستقلة. ونستفتح البحث في هذا الفصل بما أخرجه مسلم في صحيحه بأن أبوا النبي فارقا الدنيا وهما مشركان. وهما النص: ١ - روي عن أنس: أن رجلا قال: يا رسول الله أين أبي؟ قال (صلى الله عليه وآله): في النار، فلما قفى دعاه، فقال: إن أبي وأباك في النار (١). ٢ - روي عن أبي هريرة قال: زار النبي (صلى الله عليه وآله) قبر امه فبكى وأبكى من حوله، فقال: استأذنت ربي في أن أستغفر لها، فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي، فزوروا القبور فإنها تذكروا الموت (٢).

(١) صحيح مسلم ١: ١٩١ كتاب الايمان باب (٨٨) باب بيان من مات على الكفر فهو في النار ولا تناله شفاعة ولا تنفعه قرابة المقربين ح ٢٤٧، سنن ابن ماجه ١: ٥٠١ كتاب الجنائز باب (٤٨) باب ما جاء في زيارة قبور المشركين ح ١٥٧٢، سنن ابي داود ٤: ٢٣٠ كتاب السنة باب في ذراري المشركين ح ٤٧١٨. (٢) سنن ابن ماجه ١: ٥٠١ كتاب الجنائز باب (٤٨) باب ما جاء في زيارة قبور المشركين ح ١٥٧٢، صحيح مسلم ٢: ٦٧١ كتاب الجنائز باب (٣٦) باب استئذان النبي (صلى الله عليه وآله) ربه عزوجل في زيارة قبر امه ح ١٠٨، سنن ابي داود ٣: ٢١٨ كتاب الجنائز باب في زيارة القبور ح ٣٢٢٤.

[٢٣٢]

لا يخفى ان مختلقي هذه الأحاديث أرادوا إثبات كفر أبوي النبي (صلى الله عليه وآله)، فدلسوا حديثا ونسبوه الى الرسول (صلى الله عليه وآله) على أنه قال: إن أبي كذلك في النار، وحيث كان الدعاء وطلب الغفران للمشركين غير جائز، فلذلك نهى الرسول (صلى الله عليه وآله) أن يدعو لأمه ويستغفر لها، لأنها توفيت على الشرك !! أقول: الدلائل التي ذكرناها أنفاً وهكذا الروايات الصحيحة والمصادر التاريخية اليقينية تثبت كون هذان الحديثان من المفتريات والموضوعات، لأن الأخبار الصحيحة تبين بأن الكثير من العرب في الجاهلية، كانوا موحدون ومؤمنين بالله الواحد، وأشهرهم في هذا الأيمان بنو هاشم - عبد المطلب وأبو طالب وعبد الله والد النبي -، حيث كانوا يعبدون الله عزوجل، ويجتنبون عبادة الأصنام، وينكرون ما كان أكثر العرب يعتقدون به (١)، وهؤلاء المؤمنون كانوا يعبدون الله عزوجل تارة على مرأى من كفار قريش، وتارة أخرى في مغارات الجبال. والدليل على إيمان أجداد النبي (صلى الله عليه وآله) وآبائه نذكر حديثين كنموذج لا الحصر: ١ - عن الأصمغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: والله ما عبد أبي ولا جدي عبد



المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنما قط، قيل: فما كانوا يعبدون؟ قال (عليه السلام): كانوا يعبدون - يصلون الى - البيت على دين ابراهيم (عليه السلام) متمسكين به (٢). ٢ - قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا علي إن عبد المطلب كان لا يستقسم بالازلام، ولا يعبد الأصنام، ولا يأكل ما ذبح على النصب، ويقول: أنا على دين أبي ابراهيم (عليه السلام) (٣).

(١) سيرة ابن هشام ١: ٢٥٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ١٢٠، المحير لمحمد بن حبيب البغدادي: ١٧١. (٢) كمال الدين للصدوق: ١٧٤ باب (١٢) باب في خير عبد المطلب وأبي طالب ح ٣٢، بحار الأنوار للمجلسي ١٥: ١٤٤ كتاب تاريخ نبينا (صلى الله عليه وآله) باب (١) باب بدء خلقه وما جرى له... ح ٧٦ (٣) بحار الأنوار ١٥: ١٢٧ كتاب تاريخ نبينا (صلى الله عليه وآله) باب (١) باب بدء خلقه... ح ٦٧، الخصال: ٣١٢ باب الخمسة باب سن عبد المطلب في الجاهلية خمس سنن ح ٩٠، من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٦٥ كتاب النوادر ح ٥٧٦٢.

### [٣٣٣]

ونقل أحمد بن حنبل في مسنده (١)، وكذا ابن سعد في طبقاته (٢): إن أبا ذر كان في الجاهلية موحدا ومؤمنا بالله. أما الذين اختلفوا هذين الحديثين لم تكن غايتهم إلا محو الخزي والعار الذي أحرق بهم وبقبيلتهم - الذين حاربوا الإسلام، حفظا للوثنية والشرك وتثبيتا لهما -. وقاوموا القرآن والرسول (صلى الله عليه وآله)، وماتوا وهم مشركين كافرين. أو أنهم اظهروا إسلامهم مكرهين، وطمعا في المال والدنيا وهم في الواقع كفار ومشركين. نعم إن مختلفي هذه الأحاديث أرادوا بوضعهم حديث كفر أبوي النبي (صلى الله عليه وآله) أن يشبهونهما بأبائهم، وأن يزيلوا العار المطبق على أجدادهم وضامدا لحقارتهم. ولكن المؤسف أن أكثر المسلمين يعتبرون هذه الروايات الموضوعية صحيحة، وعليها بنوا أسس عقائدهم. ٢ - الرسول يأكل الحرام يمكنك أيها القارئ العزيز بعد أن عرفت الكلام حول الموضوع السابق - عدم إيمان والدي النبي - أن تتعرف الان على اعتبار حديث آخر، وضع نكاية بالرسول (صلى الله عليه وآله) نفسه، يحكي لنا هذا الحديث ان النبي كان وثنيا قبل ان يبعث نبيا، فعلى هذا يمكنك بعد قراءتك للحديث أن تحكم بصحته أو سقمه وضعفه. أخرج البخاري باسناده عن سالم أنه سمع عبد الله بن عمر يحدث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) انه لقي زيد بن عمرو بن نفيل، بأسفل بلدح، وذاك قبل أن ينزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيها لحم، فابى أن يأكل منها، ثم قال: اني لا أكل مما تذبحون على أنصابكم (٣) ولا أكل إلا مما ذكر اسم الله عليه (٢).

(١) مسند الإمام أحمد ٥: ١٧٤. (٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤: ٢١٩. (٣) كان العرب في الجاهلية ينصبون تماثيل وصخورا وصورا يعبدونها، وهذه هي الأصنام والأوثان وأحيانا كانوا ينصبون صخورا حول الكعبة وهي ليست على اشكال وهينات معينة وكانوا يسمونها =

### [٣٣٤]

وروى في موضع آخر من صحيحه حديثا آخر بنفس المضمون إلا أن فيه بعض الزيادات (٥). ويستفاد من الحديث المذكور: أولا: أن زيد بن عمرو بن نفيل كان أعرف وأعلم في معرفة التوحيد من رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل البعثة! ثانيا: أن الرسول (صلى الله عليه وآله)

وآله) لا يمتاز عن سائر العرب الجاهليين، لأنه كان يملك صنما ونصبا، وكان يأكل اللحم الذي ذبح على النصب، وأما زيد بن عمرو بن نفيل فقد كان موحدا ومؤمناً، وكان يرفض الأصنام وعبادتها، كما ورد في الحديث إنه قال: فأني لا أكل مما تذبحون على أنصابكم. والأطم من الحديث الأول ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده باسناده عن نوفل بن هشام بن سعيد بن زيد، عن أبيه، عن جده فإنه قال: ومر بالنبى (صلى الله عليه وآله) - يعني زيد بن عمرو بن نفيل - ومعه أبو سفيان بن الحرث، يأكلان من سفرة لهما، فدعواه الى الغداء. فقال: يا ابن أخي، إني لا أكل ما ذبح على النصب، قال: فما رؤي النبي (صلى الله عليه وآله) من يومه ذلك يأكل مما ذبح على النصب حتى بعث (٦). وقد ذكر المؤرخون هذه القصة نقلا عن هذين الكتابين - المعترين والصحيحين !! - كابن عبد البر (٧) ينقل عن ابن حنبل، وينقل أبو الفرج الأصفهاني (٨) عن البخاري.

= بالنصب أو الانصاب حيث كانوا يذبحون قرابينهم امامها ويمسحون الصخور بدم القربان. (٤) صحيح البخاري ٧: ١١٨ كتاب الذبائح والصيد باب ما ذبح على النصب والأزلام. (٥) صحيح البخاري ٥: ٥٠ كتاب فضائل أصحاب النبي باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل. (٦) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٨٩. (٧) الاستيعاب لابن عبد البر ٢: ٦١٥ ترجمة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رقم ٩٨٢. (٨) الأغاني لابي الفرج الأصفهاني ٢: ١٢٦ خبر زيد بن عمرو ونسبه.

### [٢٢٥]

من هو زيد بن عمرو بن نفيل؟ من هو زيد الذي نال هذه المرتبة من القدسية والتكريم؟ وكما روى البخاري في ميثاق التوحيد أن زيد نال مرتبة من التوحيد لم ينلها النبي (صلى الله عليه وآله) قبل البعثة!! ! وأما زيد هذا هو ابن عم الخليفة عمر بن الخطاب وأبو زوجته (١)، وقد أطراه الكثير من المؤرخين وأصحاب التراجم، فقالوا: إنه في الجاهلية كان موحداً، وكان يعبد الله وهو على دين ابراهيم (عليه السلام) الحنيف، وعمما يعتقد عرب الجاهلية، ويصلي ويسجد لله تعالى، وذكره في السجود دليل على ايمانه وحنيفيته (٢). أقول: قد ذكرنا في أول الكتاب ما استنتجناه من الايات والروايات حول الأنبياء عامة ورسول الله (صلى الله عليه وآله) خاصة، وبيننا أيضا في الفصل السابق سيرة اباى النبي (صلى الله عليه وآله)، وأثبتنا بالدلائل النقلية الثابتة قطعية أن عبد المطلب وأبو طالب كانا موحدين، وكانا يجتنبان أكل ما ذبح على الأنصاب وإن النبي (صلى الله عليه وآله) علاوة على مسألة النبوة واستعداده لتلقي الوحي، كما تطرقنا إليه سابقا فإنه عاش ونشأ في هذا البيت، وتربى في أحضان ورعاية هؤلاء الأفراد. فعلى هذا فهل يعقل أن النبي (صلى الله عليه وآله) ترك سيرة آبائه وعقائدهم والتعاليم والآداب العائلية - وقد كانوا يجدون ويسعون في حفظ تلك الشعائر - ويرفض (صلى الله عليه وآله) كل ذلك، ويتمسك بسيرة الوثنيين؟ فهل يتصور أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم ينل ما ناله زيد بن عمرو بن نفيل وأمثاله من الوصول الى مدارج التوحيد الرفيعة، وعبادة الله، والامتناع عن أكل ما ذبح على النصب، وينهى الرسول (صلى الله عليه وآله) عن أكل ذلك، ويرشده الى ترك هذا العمل، وتراه أحيانا يدعو النبي الى هذا

(١) هو أبو عاتكة بنت زيد بن نفيل زوجة عمر بن الخطاب. راجع: أسد الغابة ٤: ٧٨، الفقرات الاخيرة من ترجمة عمر بن الخطاب. (٢) راجع ترجمة زيد بن عمرو بن نفيل في أسد الغابة ٢: ٢٣٦ - ٢٣٨.

العمل - الاجتناب عن أكل ما لم يسم عليه اسم الله - لأن المحبوب عند الله عزوجل، والنيبي بدوره يستجيب له فيمتنع من الأكل حتى أن بعثه الله نبيا. وأعتقد أن هذين الحديثين وضعا لتبيين فضائل أحد أبناء عمومة الخليفة عمر بن الخطاب، كما اختلقوا مئات الأحاديث والروايات في بيان الفضائل للخلفاء وقبائلهم، وما أرى دافعا وداعيا لاختلاق مثل هذه الروايات غير التعصب القبلي المفرط، ومما يؤيد رأينا إنه لم يرو هذا الحديث أحد سوى عبد الله بن عمر، ونوفل ابن هشام بن سعد وهذا الآخر هو حفيد زيد بن عمرو بن نفيل. ولكن رواة الحديثين ووضعاهما لم يدركا أن مضامين قولهما مباينة لما جاء في القرآن والروايات الصحيحة والصريحة، وكذا لم يعلما أنهما قد أهانا بحديثيهما النبي (صلى الله عليه وآله)، وأساءا إلى منزلة النبوة إساءة لم يمحصها شئ. ولا يتوهم أحد إننا ننكر كون زيد بن نفيل من الموحدين في العهد الجاهلي، لانه كما ورد في الأحاديث المروية عند الشيعة أيضا إنه كان يسعى لمعرفة التوحيد، ويتبرأ من الوثنية (١)، ولكننا نقول: ان ما ورد في الحديثين من المقايسة بينه وبين الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يكن إلا مبالغة وتقديسا لزيد، وأن لواضعي الحديثين نوايا ومقاصد لا يمكنهما الوصول إليها إلا عن طريق جعل أحاديث مثل ما ذكر، وودسها في المصادر وكتب الحديث عند أهل السنة، والعجب أن المسلمين قبلوها قبول المسلمات حتى إعتبرتها العامة أحاديث صحيحة وقطعية. ٣ - قصة شق الصدر عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: فرج عن سقفي بيتي وأنا بمكة، فنزل جبرئيل ففرج صدري، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من

(١) كمال الدين: ١٩٨ باب (٢٠) باب خير زيد بن عمرو بن نفيل وفي الباب خمس أحاديث، بحار الأنوار ١٥: ٢٠٤ - ٢٠٦ تاريخ نبينا (صلى الله عليه وآله) باب (٢) باب البشائر بمولده ونبوته ح ٢٠ - ٢٣

ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فافرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء الدنيا (١). أخرجه البخاري متكررا في مواضع عديدة (٢) وبألفاظ مختلفة ومتناقضة، وكذا أخرجه مسلم في صحيحه بتفاوت. وأيضا... عن أنس بن مالك: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتاه جبرئيل، وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره. فقالوا: إن محمدا قد قتل فاستقبلوه، وهو منتقع اللون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره (٣). وهذا الحديث هو من الأحاديث الغربية وقد أخرجه البخاري ومسلم في كتابيهما، وتبعهما أكثر المؤرخين، إذ ذكروه في كتبهم (٤). والمفسرون اعتمدوا على أحاديث الصحيحين اعتمادا كبيرا، فذكروا هذه الاسطورة في تفاسيرهم (٥) عند ما جاءوا على تفسير قوله تعالى: (ألَمْ نشرح لك صدرك) (٦). ولكن هذا الحديث جدير بالنقاش والنقد من عدة جهات حتى تتجلى الحقيقة،

(١) صحيح البخاري ١: ٩٧ كتاب الصلاة باب كيف فرضت الصلوات. (٢) صحيح البخاري ٤: ١٦٥ كتاب بدء الخلق باب ذكر إدريس (عليه السلام) وص ١٣٣ باب ذكر الملائكة وج ٥: ٦٧ باب حديث الاسراء، وج ٩: ١٨٢ كتاب التوحيد باب قوله تعالى: (وكلم الله

موسى تكليما)، صحيح مسلم ١: ١٤٨ كتاب الايمان باب (٧٤) باب الاسراء برسول الله (صلى الله عليه وآله) الى السموات وفرض الصلوات ح ٢٦٢. (٢) صحيح مسلم ١: ١٤٧ كتاب الايمان باب (٧٤) باب الاسراء برسول الله (صلى الله عليه وآله)... ح ٣٦١. (٤) راجع التواريخ، مثل: الطبري، تاريخ الخميس، الطبقات الكبرى، مروج الذهب، سيرة ابن هشام... وغيرهم. (٥) راجع التفاسير نحو: الدر المنثور للسيوطي، الخازن، ابن كثير، الألويسي... وغيرهم. (٦) الانشراح: ١.

### [٢٢٨]

وينكشف ما اسدل عليه من الستار. ١ - الجهة الزمنية: هذا الحديث روي متواترا، ولكن اضطرب فيه تعيين عمر النبي (صلى الله عليه وآله)، والزمان الذي وقعت فيه القصة اضطرابا كبيرا، بحيث لا يمكن الجمع بينهما، فبعض الأحاديث تروي أن قصة شق الصدر حدثت في زمان طفولية النبي (صلى الله عليه وآله)، عندما كان يلعب مع الغلمان (١)، وجاء في بعضها أن هذه العملية الجراحية اجريت للنبي (صلى الله عليه وآله) بعد أن بعثه الله نبيا رسولا، وفور ذلك عرج به جبرئيل إلى السماء الدنيا (٢). وعلى كل حال فإن الاختلاف الحاصل في الأحاديث المروية حول هذه القصة خلال مدة تتراوح أربعين عاما. ٢ - الجهة المكانية: وترى أيضا التناقض والاختلاف الكبير في هذه الأحاديث التي تعين محل وقوع القصة، فبعض الأحاديث تروي أن الحدث وقع في المسجد الحرام (الحطيم أو حجر إسماعيل) (٣)، وروايات أخرى تقول إن الواقعة حدثت في الصحراء (٤)، ومجموعة ثالثة تقول بأن النبي كان في بيته فانشق عليه سقف الدار (٥)، وصرحت بعض الأحاديث أنه جئ بطست من ماء زمزم فاستخرج قلب الرسول وغسل في ذلك الطست (٦). وتقول روايات أخرى: إن الرسول (صلى الله عليه وآله) اخذ إلى بئر زمزم (٧). عندما نشاهد الاختلاف والتناقض الفاحش بين هذه الأحاديث، يا ترى أي مجموعة منها صحيحة ومعتبرة لكي نأخذ بها ونعتمد عليها وندع الباقي جانبا ؟ أو أن

(١) راجع ص ٢٢٧ هامش ٣. (٢) راجع ص ٢٢٧ هامش ١. (٣)، (٤)، (٧) راجع ص ٢٢٧ هامش ٢. (٥)، (٦) راجع ص ٢٢٧ هامش ١.

### [٢٢٩]

جميعها صحيحة ومقبولة ؟ ٣ - التناقض بين الموضوع والعصمة: إن قصة شق الصدر بناء على رواية أنس بن مالك إذا قورنت وقيست بموضوع عصمة النبي (صلى الله عليه وآله). تبدو ضعيفة وغير مقبولة، وخاصة تنزيهه (صلى الله عليه وآله) عن الارجاس الشيطانية، وذلك لأن ليس لابليس حظ في النفوذ إلى قلب النبي (صلى الله عليه وآله) حتى يشق صدره (صلى الله عليه وآله)، ويستخرج ما كان فيه من حظ الشيطان. ٤ - الشر ليس غدة مترشحة: أضف إلى ما مر ذكره من الموارد الثلاثة السابقة، أن الشر في ذات الإنسان ليس شبيها بالغدة المترشحة في الجسم، بحيث لو استئصلت الغدة انقطعت الترشحات، وهكذا الخير والبر لم يكونا من نوع الامور المادية والظاهرة كالمواد المأكولة التي يتغذى جسم الانسان بها بواسطة الأبرة، وهكذا العلم والحكمة ليست من نوع الاجسام المادية المحسوسة التي يمكن انتقالها من إناء إلى إناء آخر (١). معنى انشراح الصدر: وأما شرح الصدر المذكور في قوله تعالى: (لم نشرح لك صدرك) (٢) لا تمت إلى شق الصدر بأية صلة، وإنما معناه انبساط قلب النبي وانشراحه، حتى يتمكن الرسول بواسطة هذا الانشراح أن يتحمل الشدائد، ويصبر على المصاعب والأهوال، التي سوف يلاقها عند تبليغ رسالته، ويستعد لها. وهذا

المعنى هو نفس الانشراح الذي كان يرجوه النبي موسى (عليه السلام) من الله، عندما

(١) ذكر هذا الأشكال الفخر الرازي في تفسيره عند تفسير سورة الانشراح نقلا عن القاضي عبد الجبار ج ٣٢: ٢ ثم أجاب عليه، وكذا أجاب عن الاشكال النيسابوري والالوسي في روح المعاني، فراجع. (٢) الانشراح: ١.

### [٢٤٠]

كان يناجي ربه، ويسأله (رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري) (١). شق الصدر من منظار الحديث والتاريخ: إذا دققنا في هذه الأشكال المذكورة، والأسئلة المطروحة، يتضح لنا بأن الاعتماد على ما أفادته هذه الأحاديث غير سديد، ولا يمكن أن نعتبر قصة شق الصدر قصة حقيقية وواقعية. وأشرنا سابقا بأن هذه القصة الوهمية والخرافية، قد ذكرت في كثير من كتب العامة ومصادرهم، وتلقوها بكونها من المسلمات الضرورية. ولعل نواتر روايتها ونقلها كان سببا في نقلها أن يتأمل بعض علماء الشيعة ومحققيهم فيها، مع اعترافهم بأن القصة لم تصلهم بأسانيد موثوقة ومعتبرة. قال العلامة المجلسي رحمة الله عليه: اعلم أن شق بطنه (صلى الله عليه وآله) في صغره ورد في روايات كثيرة مستفيضة عند العامة، كما عرفت، وأما رواياتنا وإن لم يرد فيها بأسانيد معتبرة، لم يرد نفيه أيضا، ولا ياباه العقل أيضا، فنحن في نفيه وإثباته من المتوقفين كما أعرض عنه أكثر علمائنا المتقدمين (٢). وإن كان يغلب على الظن وقوعه، والله تعالى يعلم وحججه (٣). كلمة صريحة: لو لاحظنا الأدلة الأربعة التي ذكرناها، وهكذا لو تمعنا في إعراض علمائنا المتقدمين من الولوج في هذه المسألة، لم يبق محل للتوقف أو موضع للقول باحتمال

(١) طه: ٢٥. (٢) لعل عدم تعرض المتقدمين إلى البحث لا نفيًا ولا إثباتًا ناجم عن شذوذ الخبر وغرابته ولذلك أعرضوا عن ذكره، وثانيا لعل عدم وروده في المتون الشيعية والأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام). المغرب (٣) بحار الأنوار ١٦: ١٤٠.

### [٢٤١]

وقوع هذه القصة، ولو كان لهذه القصة حقيقة كسائر القضايا لذكرها أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، الذين هم أدري بما في البيت، بينما تراهم (عليهم السلام) لم يدعوا صغيرة ولا كبيرة مما تمت بحياة الرسول وتاريخه إلا وذكرها، فكيف بهذه القصة التي تعد من قضايا التاريخ الإسلامي؟ ولو فرضنا أنهم تطرقوا إليها فلم لم نر لها أثرا في أحاديثهم الصحيحة التي وصلتنا؟ وزد على كل ما ذكرناه، ما أقر به العلامة المجلسي من أن القصة لم تصلنا بسند موثوق ومعتبر. وإن أحد المحققين المعاصرين ذكر هذه الأحاديث في تفسيره على سبيل التمثيل، وصحح الروايات المنقولة في الموضوع، وفسرها على كونها قضية خارجة عن حيز الماديات. ولكن هذا التأويل مخالف لظاهر هذه الأحاديث وهو غير قابل للتوفيق بينها، لأن: أولا: ورد في الأحاديث إن الغلمان الذين كانوا يلعبون مع الرسول (صلى الله عليه وآله) أخبروا حليلة السعدية بخبر قتل النبي (صلى الله عليه وآله)، ولما عادوا إلى المحل رأوا الرسول (صلى الله عليه وآله) منتقع اللون مضطرب الحال. ثانيا: إن أنس بن مالك راوي الحديث يقول: إني رأيت أثر ذلك الشق في صدره، ورأى أيضا أثر

المخيط الذي أجرته الملائكة في صدره، وذلك بعد مضي عدة سنوات. ويلاحظ إن هاتين المسألتين تنافيان موضوع التمثل، ولا يقبل الجمع بينهما. وعلى هذا يمكن القول صراحة بأن هذه القصة هي شبيهة لقصة موسى (عليه السلام) وسياقه مع الحجر، وكذلك شبيهة لقصة عزرائيل عندما فقد عينه، وهذه القصص كلها لا أصل ولا حقيقة لها.

### [٢٤٢]

النبى بعد البعثة ١ - شكه وترديده في نبوته: قصة بدء الوحي حدث ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: أول ما بدأ به رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الوحي، الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد ليالي عديدة، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود بمثلهما، حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ. قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الله الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم) (١)... فرجع بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع. فحدث خديجة بذلك وأخبرها الخبر، وقال: لقد خشيت على نفسي. فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة، حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرءا تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الأنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي. فقالت له خديجة: يابن عم ! اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا،

(١) العلق: ١ - ٣.

### [٢٤٢]

ترى ؟ فأخبره رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما رأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أو مخرجي هم ؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي (١). في هذا الحديث الذي أخرجه الصحيحان فإن جملة (وإني خفت على نفسي) مبهمة ومجملية، ومتعلق الخوف فيها محذوف. وأما ابن سعد أخرج هذه القصة في حديثين بشكل واضح وصريح، وذكر متعلق الخوف فيه أيضا وقال: وإني خشيت أن أكون كاهنا وإني أخشى أن يكون في جنن (٢). ونقلها الطبري كذلك في تاريخه عن عبد الله بن زبير قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ولم يكن من خلق الله أبغض إلي من شاعر أو مجنون، كنت لا اطيق أن أنظر إليهما. قلت: إن الأبعد يعني نفسه لشاعر أو مجنون لا تحدث بها عني قريش أبدا لأعمدن إلى حالق من الجبل، فلأطرحن نفسي منه، فلأقتلها ولأستريحن، قال:

فخرجت أريد ذلك، حتى إذا كنت في وسط الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول: يا محمد أنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) (٣).  
ويظهر من تصريح ابن سعد والطبري وما ورد في صدر الحديث الذي أخرجه

(١) صحيح البخاري ١: ٣ باب كيف كان بدء الوحي، وج ٤: ١٤١ كتاب بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين، وج ٦: ٢١٤ كتاب التفسير باب تفسير (اقرأ باسم ربك الذي خلق) وج ٩: ٣٧ كتاب التعبير باب التعبير وأول ما بدئ به رسول الله (صلى الله عليه وآله)، صحيح مسلم ١: ١٣٩ كتاب الأيمان باب (٧٣) باب بدء الوحي إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ح ٢٥٢. (٢) الطيقات الكبرى ١: ١٩٤ - ١٥٠ ذكر نزول الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وآله). (٣) تاريخ الطبري ٢: ٣٠١.

### [٢٤٤]

البخاري وذيله تأييد للمعنى المراد من إنه خشى على نفسه من التكهن والشعر والجنون. معايب القصة: وإن كان المؤرخون قد نقلوا هذه الاسطورة ولكن أكثر العتب والمؤاخظة ترد على البخاري ومسلم - اللذان أخرجا هذا الحديث في صحيحهما معتقدين بصحته - ويستفاد من هذا الحديث: أولاً: إن النبي (صلى الله عليه وآله) كان شاكاً ومتردداً في نبوته حتى بعد نزول الوحي والقرآن عليه، وهبوط جبرئيل إليه، وكان يخيل إليه أن الجن قد حل فيه. وهؤلاء المخرجون للحديث أرادوا بذلك تثبيت ما كان عرب الجاهلية يعتقدونه بعد نزول الوحي من أن النبي (صلى الله عليه وآله) كاهن أو شاعر، - مع أنه كان يكره الكهان والشعراء والجنون - وحاول الانتحار بأن يطرح نفسه من جبل شاهق ليريح نفسه، ولكن خديجة وابن عمها ورقة بن نوفل ساعده حتى أذهب عنه ما كان فيه من الخوف والروع، وذكره بأن هذه المسألة لا علاقة لها بالأجنة بل هي وحي ونبوة. فعلى هذا، كيف يعقل أن النبي (صلى الله عليه وآله) لا يعلم أنه نبي ورسول حتى بعد نزول الوحي عليه، في حين أن الكهنة والرهبان كانوا على علم برسالاته منذ امد بعيد. وهل يعقل أن يبعث الله نبياً وليس للرسول خبر عن هذه الرسالة الملقاة على عاتقه؟ حتى أنه لا يستطيع أن يميز بين الوحي الالهي والوساوس الشيطانية؟ بينما نقرأ في القرآن بأن النبي عيسى (عليه السلام) أعلن بكل صراحة عن نبوته، وهو ما زال في المهدي: (أتاني الكتاب وجعلني نبياً) (١). ونقرأ أيضاً عن النبي موسى (عليه السلام) أنه علم بنبوته في بداية نزول الوحي عليه واعد نفسه للدعوة الالهية وقال: (رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري) (٢).

(١) مريم: ٣٠. (٢) طه: ٢٥ - ٢٦.

### [٢٤٥]

واما بالنسبة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) الذي خشى على نفسه، ولم يدر شيئاً عما حدث له حتى اخبرته زوجته خديجة وورقة بن نوفل فاطمئن بقولهما، فزال عنه ما تداخله من الرعب والخوف، فما كانت نوعية الرسالة والنبوة التي اعطيت إليه وبعث بها؟ وبناء على هذا ولا يخفى فإن هذه المرأة - خديجة - وهذا النصراني - ورقة - كانا أنسب وأليق من رسول الله في التصدي لأمر النبوة والرسالة، وحسب ما تتضمنه الرواية من المعنى أن خديجة وورقة كانا أقدم إيماناً واعتناقاً للإسلام من رسول الله. ٢ - أن جواب

الرسول لجبرئيل الأمين لما قال له: (اقرأ) فقال النبي (صلى الله عليه وآله): (ما أنا بقارئ). يفهم منه أن النبي لم يعلم ولم يفهم مقصود جبرئيل، لأن جبرئيل كان يقصد من قوله: (اقرأ) أي رتل وكرر ما أتله عليك، ولكن النبي فهم عكس هذا القول وإن مقصود جبرئيل هو أن يقرأ ما كان مكتوباً على اللوح، وعلم الرسول ما قصده الملك في المرة الثالثة لما كرر جبرئيل قوله وأنهى ما كان فيه النبي من المعضل والترديد. ولكن يتبادر سؤال: هل أن جبرئيل كان ضعيف البيان والاداء، بحيث لا يستطيع أن يؤدي الرسالة حق الأداء؟ أم أن الرسول كان قاصر الفهم ولم يعلم المقصود؟ (١) ٣ - ورد في الحديث إن الملك المنزل بالوحي أخذ النبي ثلاث مرات يهزه بشدة حتى أحس الرسول (صلى الله عليه وآله) بالوجع، وهذه الأخذة والهزة كما أشار إليها القسطلاني لم يفعل بأحد من الأنبياء (عليهم السلام) ولم ينقل عن أحدهم إنه جرى له عند ابتداء الوحي إليه مثله (٢).

(١) هذا الاشكال والسؤال المتبادر الى الذهن هو مما يستخرج ويستفاد من مضمون الاحاديث المروية عند اهل السنة بما يمت الى موضوع بدء الوحي على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، واما الشيعة فتعتقد بان المراد من الامر بالقراءة عند نزول جبرئيل على النبي (صلى الله عليه وآله) في غار حراء هو بداية النبوة والبعثة وهذا الامر هو انطلاقة نزول الوحي عليه وليس القراءة اللفظية كما يقال. (٢) ارشاد الساري ١: ٦٣.

#### [٢٤٦]

إذن فما تعني هذه الأخذة الشديدة بالنسبة إلى النبي (صلى الله عليه وآله) خاصة من بين الأنبياء؟ وهل العقل يعتبر هذا الرعب والخوف الذي أوجده جبرئيل (عليه السلام) عند النبي (صلى الله عليه وآله) في مقابل عمل لم يطقه النبي عملاً صحيحاً؟ وهل إن جبرئيل (عليه السلام) بفعله هذا أراد أن يظهر عضلته للنبي؟ وهل كان النبي (صلى الله عليه وآله) فاقداً لتلك القوة التي كانت عند موسى لما لطم عزرائيل فأعماه وفقاً عينه (١) كما قرأته أنفاً؟ هذا ما نقله الصحيحان في موضوع بدء الوحي، وهو ك (شق الصدر) وقد أثبتته المفسرون والمؤرخون والمحدثون في كتبهم في تفسير سورة العلق (٢) من دون أن يبدوا أي نقد وتحليل، حتى تسرب ذلك إلى بعض كتب الشيعة (٣). والوحيد من بين المفسرين الذين ردوا هذا الحديث وانتقدوه نقداً علمياً هو العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان (٤). ٢ - سهو النبي في الصلاة ثمة أحاديث متواترة أخرجها الشيخان في صحيحيهما تفيد بأن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يسهو في صلاته فينقص ركعاتها أو يزيد عليها، وإنه كان أحياناً يصلي ركعتين بدل أربع، ولم يلتفت إلى سهوه، حتى ذكره المأمومون بذلك فتدارك ما أنقصه أو ما أضافه. ولسنا الآن بصدد إثبات مسألة عصمة الأنبياء وهل أنهم يتعرضون للسهو أم لا؟ ولسنا كذلك بصدد تمحيص هذه الأحاديث التي رويت في موضوع سهو النبي (صلى الله عليه وآله) وإثبات ضعفها وركاكتها، لأن هذا الأمر بحاجة إلى أفراد بحث مستقل وكتاب

(١) راجع ص. ٢٢. (٢) راجع تفاسير العامة، مثل: تفسير ابن كثير، الدر المنثور، الطبري، الخازن، محاسن التأويل، روح المعاني، والمراغي وغيرهم في تفسير سورة العلق. (٣) مثل: تفسير منهج الصادقين للكاشاني. (٤) الميزان في تفسير القرآن ٣٠: تفسير سورة العلق.



مستقل. بل ان ما نقصده هنا هو: أن نعرف الفارئ ركافة بعض هذه الروايات وضعفها، ونبين له بعد ذلك إنه كيف تسربت في شتى أبواب الصحيحين الأحاديث الموضوعية والمدسوسة التي تمس الشريعة والدين بسوء، حتى شملت حياة النبي (صلى الله عليه وآله) الشخصية وعباداته. واليوم... وقد مرت على دس تلك الأحاديث قرون من الزمن وكثيراً من أتباع القرآن والمسلمون ينظرون إليها نظرة قبول واعتبار، بكونها أحاديث صحيحة، واعتقدوا بمضامينها اعتقاداً راسخاً وانقادوا إليها عملياً. واليك من تلك الأحاديث الموضوعية ما رواه أبو هريرة حول موضوع سهو النبي (صلى الله عليه وآله) في الصلاة قال: صلى بنا رسول الله إحدى صلاتي العشاء - قال ابن سيرين سماها أبو هريرة ولكن نسيت أنا - قال: فصلى بنا ركعتين، ثم سلم، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد فأتى عليها كأنه غضبان، ووضع يده اليمنى على اليسرى، وشبك بين أصابعه ووضع خده الأيمن على ظهر كفه اليسرى، وخرجت السرعان من أبواب المسجد. فقالوا: قصرت الصلاة؟ وفي القوم أبو بكر وعمر، فهابا أن يكلماه، وفي القوم رجل في يديه طول يقال له ذو اليدين، قال: يا رسول الله أنسيت أم قصرت الصلاة؟ قال (صلى الله عليه وآله): لم أنس ولم تقصر فقال: أكما يقول ذو اليدين؟ فقالوا: نعم. فتقدم فصلى ما ترك ثم سلم ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول، ثم رفع رأسه وكبر. أخرج البخاري هذا الحديث في مواضع متعددة من صحيحه (١) ورواه مسلم أيضاً

(١) صحيح البخاري ١: ١٢٩ كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد، وج ٢: ٨٥ باب إذا سلم في ركعتين أو في ثلاث، وص ٨٦ باب من لم يتشهد في سجدي السهو وياب من يكبر في سجدي السهو، وج ٨: ٢٠ كتاب الأدب باب ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم الطويل والقصير، وج ٩: ١٠٨ كتاب الأحكام باب ما جاء في إجازة خير الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصيام....

في صحيحه (١) وضبطها أصحاب الصحاح في كتبهم. وفي الحديث مسائل قابلة للنقاش من عدة جهات: ١ - يستفاد من هذا الحديث أن أبا هريرة كان حاضراً في الصلاة التي سها فيها النبي (صلى الله عليه وآله)، وذكره ذو اليدين !! ولو لم يكن حاضراً لما صور القصة بهذه الكيفية وفصل فيها حركات النبي (صلى الله عليه وآله) وحالاته، كما قال: فقام إلى خشبة معروضة في المسجد فأتى عليها كأنه غضبان ووضع يده اليمنى على اليسرى وشبك بين أصابعه، ووضع خده الأيمن على ظهر كفه اليسرى.... ومما يجدر بالذكر، أن ذا اليدين المذكور في الحديث هو ذو الشماليين (٢) الذي استشهد في غزوة بدر (٣) وذلك قبل أن يسلم أبو هريرة بخمس سنوات (٤). وبناء على هذا كيف يدعي أبو هريرة رؤية ذي اليدين مع الفارق الزمني الطويل بين استشهاده ذي اليدين

(١) صحيح مسلم ١: ٤٠٣ كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب (١٩) باب السهو في الصلاة والسجود له ح ٩٧. (٢) أخرج مالك في الموطأ ١: ٩٣ - ٩٤ كتاب الصلاة باب (١٥) باب ما يفعل من سلم من ركعتين ساهياً ح ٥٨ - ٦٠، وكذا أخرج النسائي في سننه ٢: ٢٠ كتاب الصلاة باب ما يفعل من سلم من ركعتين ناسياً وتكلم، وكذا أخرجه الدارمي في سننه ١: ٤١٩ - ٤٢٠ كتاب الصلاة باب ١٧٥ باب سجدة السهو من الزيادة ح ١٤٩٦ - ١٤٩٧، وجميعهم رووا بأسنادهم عن أبي هريرة، ولكن يلاحظ في هذه الأحاديث أن المذكر للنبي (صلى الله عليه وآله) تارة ذو اليدين وتارة ذو الشماليين. وعلق مالك والسيوطي على الحديث قائلين: قال ابن عبد البر: لم يتابع الزهري على قوله إن المتكلم ذو الشماليين لأنه قتل يوم بدر وقد اضطرب الزهري في

حديث ذي اليدين اضطرابا أوجب على أهل العلم بالنقل تركه روايته خاصة وقد غلط فيه مسلم ولا أعلم أحدا من أهل العلم بالحديث المصنفين فيه عول على حديث الزهري في قصة ذي اليدين وكلهم تركوه لاضطرابه، وإنه لم يقر له إسنادا ومثنا... المعرب (٣) راجع الطبقات الكبرى ٢: ١٦٧ ترجمة ذي اليدين أو ذي الشمالين، والأصابة ٢: ٢٣٣ ترجمة الخرياق السلمى رقم ٢٢٤٢، الاستيعاب ٢: ٤٥٨ ترجمة خرياق السلمى رقم ٦٨٦. (٤) أسلم أبو هريرة بعد غزوة خيبر أي بعد السنة السابعة من الهجرة، راجع ص ٩٩.

### [٢٤٩]

وإعلان أبي هريرة إسلامه فهذا أمر مريب. ٢ - مؤدى الحديث يبين أن الرسول (صلى الله عليه وآله) والمسلمين قد محوا صورة صلاتهم، بحيث إن النبي قام عن مصلاه وتحرك واتكأ على خشبة في المسجد، والمسلمون بعضهم خرج من المسجد، بطنهم أنهم قد أتموا الصلاة، ولما التفت النبي إلى سهوه رجع إلى مصلاه وتدارك ما فاته من الصلاة، ثم سجد سجدي السهو. والمتيقن أن كل ما يغير صورة صلاة الانسان فهو من المبطلات، وهذا العمل الصادر من رسول الله (صلى الله عليه وآله) - تحركه عن مصلاه وعوده إليه مرة أخرى وإتمام صلاته - مناقض ومخالف للحكم الذي شرعه هو بنفسه. قال ابن رشد: قد انعقد الأجماع على أن المصلي إذا انصرف إلى غير القبلة أنه قد خرج من الصلاة (١). ٣ - إن هذا السهو الفاحش ونسيان نصف أركان الصلاة إنما يصدر من أولئك الساهين في صلاتهم، اللاهين عن مناجاة ربهم، ويستحيل أن تصدر هذه الغفلة والسهو الذي هو مناف ومضاد لحالتي الخشوع والخضوع لله عزوجل عباد الله المخلصين والأنبياء (عليهم السلام) ولا سيما سيدهم وخاتمهم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله). ولا يقع ذلك إلا لمن كان مصداقا لقول الشاعر: اصلي فما أدري إذا ما ذكرتها \* اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا ٤ - جاء في الحديث المذكور أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما سها وذكره ذو اليدين أنكرك ذلك وقال: لم أنس ولم تقصر، وهذا يدل دلالة قطعية على أنه لا سبيل للسهو إلى النبي (صلى الله عليه وآله). ولو سلمنا وقوع ذلك من النبي (صلى الله عليه وآله) وافترضنا كذلك عدم العصمة في الأنبياء (عليهم السلام) في السهويات، فإن عصمته (صلى الله عليه وآله) عن المكابرة والتسرع وتكذيب الآخرين من الضروريات، والمسلمات عند المسلمين.

(١) بداية المجتهد ١: ١٨٢.

### [٢٥٠]

فعلى هذا، فكيف يمكن أن يقول الرسول (صلى الله عليه وآله): لم أنس ولم تقصر، ولكن عندما شهد بعض الأصحاب - ذي اليدين - تراجع النبي (صلى الله عليه وآله) عن قوله الأول، وعلم فيما بعد أن ذلك كان خلافا للواقع؟ قال السيوطي في شرحه على سنن النسائي وهو ينقل هذه الأشكال عن القرطبي: قال القرطبي: هذا - قبول السهو - مشكل بما ثبت من حاله (صلى الله عليه وآله) - وحياته كلها - فإنه يستحيل عليه الخلف - وصدور خلاف الواقع عنه - والاعتذار عنه (١). ٣ - النبي يصلي جنباً بعد أن قمنا بالتمحيص والتحقيق في الحديث السابق - سهو النبي (صلى الله عليه وآله) - الذي أخرجه الصحيحان عن أبي هريرة، وعرفت أيها المطالع الكريم أنه من الموضوعات والأحاديث المختلفة، يمكنك الآن أن تتطلع وتتعرف على موضوعية حديث آخر يرويه الشيخان عن أبي هريرة أيضاً. يقول أبو هريرة: أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياماً فخرج إلينا

رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلما قام في مصلاه ذكر انه جنب. فقال لنا: مكانكم. ثم رجع فاعتسل ثم خرج البينا وأرأسه بقطر فكبر فصلينا معه (٢). وجدير بنا أن نذكر عقيب هذا الحديث - الذي رواه أبو هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) - كلمة أبي هريرة التي قالها عن نفسه واعتراف في جعل الحديث. أخرج البخاري في صحيحه حديثا حول النفقات يرويه أبو هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولما كان في الحديث المناكير التي تعجب منها سامعوها، فقالوا: يا أبا هريرة

(١) شرح سنن النسائي للسيوطي ٣: ٢٢. (٢) صحيح البخاري ١: ٧٧ كتاب الغسل باب إذا ذكر في المسجد أنه جنب وص ١٦٤ كتاب بدء الأذان باب أنه هل يخرج من المسجد لعله. وباب إذا قال الأمام مكانكم حتى يرجع، صحيح مسلم ١: ٤٢٢ كتاب الصلاة باب (٢٩) باب متى يقوم الناس للصلاة ح ١٥٧ - ١٥٨، سنن أبي داود ١: ٦٠ كتاب الطهارة باب في الجنب يصلي بالقوم وهو ناس ح ٢٢٣ - ٢٢٥.

### [٢٥١]

سمعت هذا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ قال: لا. هذا من كيس أبي هريرة (١). وبناءا على هذا الأقرار والاعتراف من أبي هريرة وأنه كان يخرج من كيسه أباطيل وأراجيف وينقلها إلى الناس على أنها قول الرسول (صلى الله عليه وآله) وسيرته، فما ندري ! ولعل هذين الحديثين هما أيضا من نبع كيس أبي هريرة، والقرائن التي ذكرناها هناك - في حديث سهو النبي (صلى الله عليه وآله) - تؤيد ما أبديناه هنا. وأما هذا الخبر، فلو كان صحيحا لرواه غير واحد من الصحابة والرواة بالتواتر، بينما لم يسمع هذا إلا من أبي هريرة وأبي بكر (٢). والعجب العجيب أن علماء أهل السنة قد بهرتهم هذه الأحاديث الموضوعة والمجعولة إلى حد أن بنوا عقائدهم وأحكام دينهم على أساس هذا النوع من المختلقات والموضوعات الهزيلة واعتبروها جميعا أحاديثا صحيحة لا تقبل الخدش والشك فيها. وعلى هذا الأصل قال العيني في شرحه على الحديث المذكور: ومما يستفاد من هذا الحديث جواز النسيان على الأنبياء (عليهم السلام) في أمر العبادة للتشريع (٣).

(١) صحيح البخاري ٧: ٨١ كتاب النفقات باب وجوب النفقة على الأهل والعيال... وقد مر علينا أنفا في ص ١٠٠. (٢) أخرج هذا الحديث المزور أرباب الصحاح، وقد قرأت مصادره من الصحيحين، وأما سائر الصحاح: سنن ابن ماجه ١: ٢٨٥ كتاب إقامة الصلاة باب (١٣٧) باب ما جاء في البناء في الصلاة ح ١٢٢٠، سنن النسائي ٢: ٨١ كتاب الأمامة باب الأمام يذكر بعد قيامه في مصلاه أنه على غير طهارة، وكذا رواه أحمد بن حنبل في مسنده ٢: ٢٢٧ و ٢٨٢ و ٣٢٩ و ٤٤٨ و ٥١٨. وجميع هؤلاء أخرجوا الحديث عن راو واحد ألا وهو أبو هريرة الدوسي، وأخرج أبو داود حديثا آخر غير ما رواه أبو هريرة عن أبي بكر، راجع سنن أبي داود ١: ٦٠ - ٦١ كتاب الطهارة باب في الجنب يصلي بالقوم وهو ناس ح ٢٢٣ - ٢٢٥. (٣) عمدة القاري ٥: ١٥٦.

### [٢٥٢]

٤ - الرسول يلعن ويؤذي المؤمنين: عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر، وإني قد اتخذت عندك عهدا لم تخلفنيه، فأيا عبد أذيته أو سببته أو جلدته، فأجعلها كفارة وقربة تقربها إليك (١). وفي حديث آخر قال: اللهم إنما أنا بشر فأبشر رجلا من المسلمين لعنته أو سببته فأجعل له زكاة وأجرا (٢). وقال أيضا: اللهم إنما أنا بشر، أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر فأبشر فأبشر أحد دعوت عليه من امتي

بدعوة ليس لها بأهل أن تجعلها له طهورا وزكاة و قرية تقر به بها منه يوم القيامة (٣). مؤدى هذه الروايات المستخرجة في أبواب مختلفة من صحيح البخاري وخص لها مسلم في صحيحه لها بابا خاصا وعنوانه: باب من لعنه النبي (صلى الله عليه وآله) وليس هو اهلا. أن النبي (صلى الله عليه وآله) هو كسائر البشر، تعتريه حالات فيغضب ويؤذي المسلمين من دون سبب ويسبهم ويلعنهم. توجيه الأحاديث: إن القرآن الكريم وصف النبي (صلى الله عليه وآله) بأنه على خلق عظيم ولكن البخاري ومسلم اخرجوا في كتابيهما احاديث منافية تماما للقرآن ونقلوا احاديث حول اخلاق النبي (صلى الله عليه وآله) على عكس ما يصفه القرآن. وننقل من تلكم الأحاديث ثلاثا منها كمثال:

(١ و ٢) صحيح البخاري ٨: ٩٦ كتاب الدعوات باب قول النبي: من آذنته فاجعله له زكاة ورحمة، صحيح مسلم ٤: ٢٠٠٨ كتاب البر والصلة والاداب باب (٢٥) باب من لعنه النبي (صلى الله عليه وآله) أو سبه أو دعا عليه وليس هو اهلا لذلك كان له زكاة واجرا ورحمة ح ٩٠ و ٩١. (٣) صحيح مسلم ٤: ٢٠٠٩ كتاب البر والصلة والاداب باب (٢٥) باب من لعنه النبي (صلى الله عليه وآله) أو سبه أو دعا عليه وليس هو اهلا لذلك كان له زكاة واجرا ورحمة.... ح ٩٥.

#### [٢٥٣]

١ - خصص البخاري في صحيحه في كتاب الأدب بابا عنوانه: لم يكن النبي (صلى الله عليه وآله) فاحشا ولا متفحشا، جمع فيه الاحاديث التي تصف اخلاق النبي (صلى الله عليه وآله) الفاضلة. وإليك حديث واحد منها: قال ابن أبي مليكة عن عائشة: أن يهودا أتوا النبي (صلى الله عليه وآله) فقالوا: السام عليكم، فقالت عائشة: عليكم ولعنكم الله وغضب الله عليكم. قال (صلى الله عليه وآله): مهلا يا عائشة، عليك بالرفق، وإياك والعنف والفحش، قالت: أو لم تسمع ما قالوا؟ قال (صلى الله عليه وآله): أو لم تسمعي ما قلت؟ رددت عليهم، فيستجاب لي فيهم، ولا يستجاب لهم في (١). ٢ - أخرج مسلم في صحيحه أحاديث متعددة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه نهى عن أن يكون المسلم لعانا وفحاشا ونهاهم حتى من لعن الدواب والحيوانات (٢). ٣ - وروى مسلم أيضا حديثا فيه: قيل: يا رسول الله ادع على المشركين، قال (صلى الله عليه وآله): إني لم ابعث لعانا وإنما بعثت رحمة (٣). نعم ان الرسول (صلى الله عليه وآله) ليس كبعض أفراد البشر الذي تعتريه حالة الغضب، من دون سبب ومن غير حق، ويسب ويلعن المسلمين، فكيف يتمكن من كان فحاشا يؤذي الآخرين ظلما وعدوانا، ويضربهم بالسياط وبالدرة جورا، أن يهدي المجتمع البشري إلى الخير والصلاح والصدق والعدل؟ فكيف يكون النبي فحاشا ولعانا وهو يمنع عائشة من أن تحيب اليهود الذين هم ألد خصماء الإسلام، ووجودهم أكبر مانع لتقدم الدين الحنيف، والذين قالوا للنبي (صلى الله عليه وآله)

(١) صحيح البخاري ٨: ١٠٦ كتاب الدعوات باب قول النبي (صلى الله عليه وآله) يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم فينا. وص ١٥ كتاب الأدب باب لم يكن النبي فاحشا ولا متفحشا. (٢) صحيح مسلم ٤: ٢٠٠٤ كتاب البر والصلة والاداب باب (٢٤) باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ح ٨٠ - ٨٧. (٣) نفس المصدر ح ٨٧.

#### [٢٥٤]

واصحابه: السام عليكم، فاجابتهم عائشة بمثل ما قالوا، ونهاها الرسول (صلى الله عليه وآله) وامرها بالرفق والمدارة معهم ويقول: اني لم ابعث لعانا وإنما بعثت رحمة. هذا نموذج من أخلاق النبي (صلى الله عليه وآله) الذي نهى الناس أن يلعنوا حتى الدواب فهل يعقل أن يكون هو يؤدي مؤمنا ويسبه أو يلعنه من غير حق؟ أسباب وضع هذه الأحاديث: ثبت في التاريخ إن النبي (صلى الله عليه وآله) كان في بعض الأحيان يلعن بعض الفئات المعينة، ويلعن بعض الناس، وما كان ذلك إلا بأمر من الله عزوجل، وتارة كان ينفى بعض الأفراد إلى المناطق النائية. هؤلاء الملعونون على لسانه كان عداءهم للدين والرسول (صلى الله عليه وآله) أشد من اليهود، وكان خطرهم على المسلمين أكثر من المشركين، ولما كان لعن النبي (صلى الله عليه وآله) اياهم يعتبر وصمة عار كبير على جباههم، بحيث كان يزلزل مقامهم الاجتماعي، ولذلك حاولوا بواسطة اناس مثل أبي هريرة وغيره، او عزوا إليهم أن يختلقوا أحاديثا مثل هذا الحديث لكي يمحوا ذلك العار عن جباههم، وبعد أن أدى أبو هريرة وظيفته، قام أتباع أولئك الملعونين بنشر تلك الأحاديث وضبطها والاستفادة منها لخدمة عقيدتهم وقادتهم. واليك يا قارئ المنصف بعض هذه التزويرات والتحويلات: ١ - أخرج مسلم حديثا لابن عباس قال: كنت العب مع الصبيان فجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتواريت خلف باب. قال: فجاء فحطاني حطاة وقال (صلى الله عليه وآله) اذهب وادع لي معاوية، قال: فجئت فقلت: هو يأكل. فقال (صلى الله عليه وآله): لا اشبع الله بطنه (١). اعلم أيها القارئ الكريم أن تخريج مسلم النيسابوري لهذا الحديث بعد أن ذكر أكثر من عشرة أحاديث بينها وبين صريح القرآن والسنة الصحيحة منافاة ومباينة واضحة

(١) صحيح مسلم ٤: ٢٠١ كتاب البر والصلة والاداب باب (٢٥) باب من لعن النبي (صلى الله عليه وآله) وليس هو اهلا لذلك ح ٩٦.

### [٢٥٥]

وما تخريجه لهذه الاحاديث الا ان تكون مقدمة لتحريف المفهوم الحقيقي للحديث المشهور لدى جميع المسلمين - والذي هو بمثابة وصمة عار على جبين معاوية -، فعلى هذا فإن لعن النبي (صلى الله عليه وآله) إياه هو وسيلة تقربه إلى الله وكفارة لجرائمه وأجرا لجناياته. ٢ - أورد ابن حجر - في كتابه تطهير الجنان - الذي ألفه في فضائل معاوية عند تأويله للحديث (لا اشبع الله بطنه) إجابات عديدة ثم قال: إن هذا الدعاء جرى على لسانه (صلى الله عليه وآله) من غير قصد، وقد أشار مسلم في صحيحه إلى أن معاوية لم يكن مستحقا لهذا الدعاء، وذلك لانه أدخل هذا الحديث في باب من سبه النبي (صلى الله عليه وآله) أودعا عليه وليس هو أهلا لذلك كان زكاة وأجرا ورحمة (١). ٣ - قال الحافظ الذهبي في تذكرته في ترجمة النسائي صاحب السنن: قيل له: ألا تخرج فضائل معاوية؟ فقال: أي شئ أخرج حديث (اللهم لا تشبع بطنه)؟ فسكت السائل. قال الذهبي: هذا الحديث أورده النسائي ذما لمعاوية. أقول: لعل هذه منقبة لمعاوية لقول النبي (صلى الله عليه وآله) اللهم لا تشبع بطنه (٢). ٤ - أخرج ابن حجر روايات عديدة بأسانيد وطرق مختلفة نقلها من كتب ومصادر أهل السنة حول لعن النبي الحكيم بن العاص وابنه مروان ثم يقول: لعنته (صلى الله عليه وآله) الحكيم وابنه - مروان - لا تضرهما لانه (صلى الله عليه وآله) تدارك ذلك بقوله مما بينه في الحديث الآخر: إنه بشر يغضب كما يغضب البشر، وأنه سأل ربه أن من سبه أو لعنه أو دعا عليه أن يكون ذلك رحمة وزكاة وكفارة وطهارة له (٣).

أقول: ترى في مقولة ابن حجر - الذي عرف بتأثره بالعصبية، والذي  
أثر رجلين

(١) تطهير الجنان بذيل الصواعق المحرقة: ٢٩. (٢) تذكرة الحفاظ ٢: ٦٩٩ ترجمة  
النسائي رقم الترجمة ٧١٩. (٣) تطهير الجنان بذيل الصواعق المحرقة: ٦٥.

### [٢٥٦]

حقيرين وذليلين مثل مروان وأبيه الحكم على النبي (صلى الله عليه  
وآله) وانتصر لهما ودافع عنهما - نوعا من التحجيم والتصغير لمرتبة  
النبوة، وتصوير النبي (صلى الله عليه وآله) بأنه كسائر البشر  
العاديين. وتشاهد أن بين هذا الكلام الذي تقوله ابن حجر وبين  
النصوص القرآنية التي تقول: (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي  
يوحى) (١) تفاوت كبير وتعارض واضح. نعم، رسول الله (صلى الله  
عليه وآله) بشر ولكن يمتاز عليهم بما يوحى إليه، قال تعالى: (قل  
إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي) (٢). إذن فإذا أوحى الله عزوجل إلي  
النبي (صلى الله عليه وآله) أن يلعن أحدا فإنه يلعن بأمر من الله  
عزوجل. وعليه، فمن يلعن على لسان النبي (صلى الله عليه وآله)  
فلا يغنيه دفاع أحد عنه شيئا، وانتصار الآخرين له. ٥ - نهى الرسول  
(صلى الله عليه وآله) عن تلقيح النخيل: روى مسلم في صحيحه،  
وابن ماجه في سننه، ثلاث أحاديث تتضمن: أن النبي (صلى الله  
عليه وآله) مر يقوم يلقحون النخيل فقال: لو لم تفعلوا لصلح. قال  
ثابت بن أنس: فخرج شيصا، فمر (صلى الله عليه وآله) بهم. فقال  
(صلى الله عليه وآله): ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا. قال (صلى  
الله عليه وآله): أنتم أعلم بأمور دنياكم (٣). وفي حديث آخر قال:  
إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشئ من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم  
بشئ من رأيي فإنما أنا بشر (٤). وفي ثالث قال: أنتم أعلم بأمور  
دنياكم (٥).

(١) النجم: ٤. (٢) الكهف: ١١٠، فصلت: ٦. (٣ - ٥) صحيح مسلم ٤: ١٨٣٦ كتاب  
الفضائل باب (٢٨) باب وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره (صلى الله عليه وآله)  
من معاش الدنيا على سبيل الرأي ح ١٣٩ - ١٤١، سنن ابن ماجه ٢: ٨٢٥ كتاب  
الرهون باب (١٥) باب تلقيح النخل ح ٢٤٧٠ - ٢٤٧١.

### [٢٥٧]

دلائل اختلاق القصة: إن كون هذا الحديث من السخافات الموضوعية  
هو من أوضح الواضحات، بحيث يغنيا عن البحث والتكلف في جهات  
الحديث، لأن إحدى الروايات تقول: إن القصة وقعت في المدينة، فيا  
ترى أن نبيا عاش في الجزيرة العربية خمسين عاما وعاشر أهلها،  
وبراهم يلقحون النخيل في كل عام، هل يعقل بمجرد أن هاجر إلى  
يثرب نسي هذا الأمر - التلقيح - ؟ ولم يعلم مدى تأثير التلقيح على  
النخلة ورشدها حتى منع أهل يثرب عن هذا العمل، ولما رأى أن  
المسألة صارت معكوسة ندم على قوله، ثم أعلن للناس أنتم أعلم  
بأمور دنياكم ؟ لا يخفى أن الغاية من جعل هذا الحديث هي فتح باب  
المخالفة للنبي (صلى الله عليه وآله) بحيث لو أراد الخلفاء وأصحاب  
السلطة يوما أن يحكموا على خلاف تعاليم النبي (صلى الله عليه  
وآله) وينقضوا أوامره، فهم يملكون دليلا، ويستدلون على مخالفتهم  
بأن النبي قد ارتكب خطأ في مسألة تلقيح النخيل وبعدها قال: أنتم  
أعلم بأمور دنياكم. ومما يجدر ذكره أن هؤلاء عاجوا هذه المسألة

بتلبيسها الوجهة العلمية والفنية واسموها بالاجتهاد، وادعوا بأن الرسول إذا أمر بحكم ولم يكن هذا الحكم في القرآن ولا علاقة له بالوحي فإنه يكون من اجتهاداته (صلى الله عليه وآله). ومخالفة المجتهدين بعضهم بعضاً في المسائل العلمية أمر عادي ولا يرد عليه إشكال. وإليك آراء علماء العامة في هذا الموضوع: هل كان الرسول (صلى الله عليه وآله) يتعبد بالاجتهاد؟ قال الامدي: اختلفوا في أن النبي هل كان متعبداً بالاجتهاد فيما لا نص قرآني فيه؟ فقال أحمد بن حنبل والقاضي أبو يوسف: إنه كان متعبداً، وجوز ذلك الامام الشافعي في رسالته، وبه قال أصحابه والقاضي عبد الجبار وأبو الحسين البصري: نعم،

### [٢٥٨]

كان النبي يتعبد باجتهاده فيما لا نص صريح من القرآن فيه. ثم يقول الامدي: المختار عندنا جواز ذلك عقلاً ووقوعه سماعاً (١). ثم يضيف: إن القائلين بجواز الاجتهاد للنبي (صلى الله عليه وآله) اختلفوا فيما هل يمكن أن يخطأ النبي في اجتهاده ام لا؟ فذهب بعض أصحابنا إلى منع وقوع الخطأ في اجتهاداته، وذهب أكثر أصحابنا والحنابلة وأصحاب الحديث والجبائي وجماعة من المعتزلة إلى جواز ذلك (٢). وقال الدكتور موسى توانا (٣) في كتابه الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه في هذا العصر: بدء الاجتهاد في الإسلام منذ عهد رسول الله، فقد كان النبي (صلى الله عليه وآله) يجتهد في الامور التي لا تتعلق بالرسالة. ثم يذكر قصة التلقيح دليلاً على ما ذهب إليه. قال الشيخ محمد عبده: وقد كان الاذن المعاتب عليه اجتهاد منه (صلى الله عليه وآله) فيما لا نص فيه من الوحي، وهو جائز وواقع من الأنبياء (عليهم السلام)، وليسوا بمعصومين من الخطأ فيه، وإنما العصمة المتفق عليها خاصة بتبليغ الوحي ببيانه والعمل به.... ويؤيده حديث طلحة في تأبير النخل إذ راهم يلقحونها (٤). وقال المحقق المتكلم الفاضل القوشجي عند ذكره مسألة تحريم عمر للمتعة ومخالفته لحكم رسول الله فيها: واجيب عن ذلك: بأن ذلك ليس مما يوجب قدحا فيه - أي عمر - فإن مخالفة المجتهد لغيره في المسائل الاجتهادية ليس ببدع (٥).

(١) الاحكام في اصول الاحكام ٤: ٣٩٨ المسألة الاولى. (٢) المصدر السابق ص ٤٤٠ المسألة الحادية عشر. (٣) وهو من علماء العامة ومن الاساتذة الافغان وكتابه المذكور هو رسالته الجامعية طبع من قبل جامعة الازهر بمصر. (٤) تفسير المنار ١٠: ٤٦٥ - ٤٦٦. (٥) شرح تجريد الاعتقاد للقوشجي: ٣٨٤ فصل الامامة. (\*)

### [٢٥٩]

وقال قاضي القضاة في المغني: إن الرسول (صلى الله عليه وآله) إنما يأمر بما يتعلق بمصالح الدنيا من الحروب ونحوها عن اجتهاده، وليس بواجب أن يكون ذلك عن وحي، كما يجب في الأحكام الشرعية، وإن اجتهاده يجوز أن يخالف بعد وفاته، وإن لم يجز في حياته لأن اجتهاده في الحياة اولى من اجتهاد غيره. ثم ذكر: أن العلة في احتباس عمر عن الجيش حاجة أبي بكر إليه، وقيامه بما لا يقوم به غيره. وأن ذلك أحوط للدين من نفوذه (١). أقول: ذكرنا في فصل هل الرسول كان يجتهد (٢)؟ وأثبتنا عدم تعبد النبي (صلى الله عليه وآله) بالاجتهاد واستدللنا على ذلك بالآيات المتظافرة، ونقلنا آراء بعض علماء أهل السنة من المحدثين والمفسرين الذين ذهبوا إلى ما قلناه بعدم التعبد بالاجتهاد، وأن هناك نوعاً آخر من الوحي غير الوحي القرآني فكلامه كله وحي إلهي. فعلى هذا فلو

حكم النبي (صلى الله عليه وآله) بحكم لم يرد نصه في القرآن الكريم لم يكن دليلاً على عدم وجود الوحي في الحكم، بل حكمه وحي من النوع الثاني القرآني. وعلى هذا فكما أن أساس قصة تأيير النخل فاقدة الصحة فكذلك عقيدة اولئك العلماء من أهل السنة الذين نسبوا إلى رسول الله التعبد بالاجتهاد وجواز الخطأ في اجتهاده تكون باطلة ومردودة، وإن التمسك بقصة تأيير النخل ذريعة ودليلاً لعقيدتهم ليست لها قيمة علمية، كما أن عدم وجود حكم واضح في القرآن ليس دليل على عدم وجود الوحي والحكم الالهي في المسألة. وأما ما ذكره الفاضل القوشجي عن مقولة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب في تحريمه للمتعتين واعتبر مخالفته للرسول مخالفة في مسألة اجتهادية فهو مردود ومرفوض أيضاً، ولم يقبله أي محقق لبيب، لأن هذا القول هو قياس مع الفارق ولا يوجد

(١) شرح نهج البلاغة ١٧: ١٧٦. (٢) راجع ص: ٢٠٧.

### [٣٦٠]

من يقيس الرسول ويقارنه بأحد أفراد هذه الأمة، وقول النبي (صلى الله عليه وآله) هو نفس الحكم الثابت في اللوح المحفوظ: (إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى) (١) أليس الاجتهاد هو رد الفروع على الاصول والاستفادة من الأدلة الظنية عن طريق استنباط الحكم الواقعي؟ فهل يبقى للمقايسة بين النبي (صلى الله عليه وآله) وغيره محل؟ فأين الثرى وأين الثريا؟ وأما ما ادعوه من جواز الاختلاف في الاجتهاد فهذا صحيح إذا اختلف مجتهدان ووقع اجتهاد أحدهما في مقابل اجتهاد الآخر وأما أن يجتهد أحد في مقابل نص الرسول والوحي والقانون الالهي فهذا ليس باجتهاد وسميه بما تشاء. ٦ - النبي (صلى الله عليه وآله) يعاقب من دون ذنب هذا الحديث هو الآخر من الأحاديث الموضوعية والمختلفة على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهو مروى في كتب العامة كالصحيحين وغيرهما بأسانيد ونصوص مختلفة، ويحكى لنا هذا الحديث قصة نسبت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودلست عليه بأنه عاقب - في اللحظات الاخيرة من عمره - اناساً أبرياء عقاباً ملؤه السخرية والهزل. والقصة اشتهرت بحديث اللدود، وخلصتها: انه اشتد المرض بالرسول (صلى الله عليه وآله) في أواخر حياته حتى اغمى عليه وغشي، فتشاورن زوجاته وأصحابه أن يصنعوا له دواء - وهو عجينة مرة تعطى لمن اصاب بداء ذات الجنب - فأعطوه وهو مغمى عليه، فلما أفاق وشعر بمرارة الدواء، حلف يميناً بأن يصب الدواء في فم كل من هو حاضر في المجلس عدا عمه العباس. فأعطوا الحاضرون حتى جاء دور زوجته، فكانت ميمونة ذلك اليوم صائمة فأصرت على كونها صائمة، ولكن الرسول (صلى الله عليه وآله) عليه وآله) لم يلتفت إلى قولها وأكد إعطاءها الدواء عملاً ووفاء باليمين. وهذه القصة أخرجها الشيخان في الصحيحين مختصرة ومجملة عن عائشة أنها

(١) النجم: ٤ - ٥.

### [٣٦١]



قالت: لدنانه في مرضه فجعل يشير إلينا: أن لا تلدونني، فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: ألم أنهكم أن تلدونني؟ قلنا: كراهية المريض للدواء، فقال: لا يبقى أحد في البيت إلا لد وأنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم (١). تحقيق حول الحديث: لما كانت دراسة جميع الأحاديث التي رويت بشأن حديث اللدود على ما احتوت من التفصيل والتطويل سواء من حيث النص أو السند، خارج عما نحن عليه في هذا الكتاب من الأجمال وعدم الأطناب. لذا اقتصرنا على تبيين نصوص هذه الأحاديث والألفاظ الغريبة التي تتضمنها مع الإشارة إلى المصادر: أولاً: أول ما يتبادر إلى الذهن ويثبت اختلاقية هذه الأحاديث وكذبها هو التضاد والتناقض بين ألفاظها، ونشير هنا فقط إلى ثلاثة موارد من هذه التناقضات: ١ - متى أحس النبي (صلى الله عليه وآله) باللد؟ فأكثر الأحاديث صريحة بأنه لما أفاق من غشوته على أثر مرارة الدواء عرف بأنه قد لد... (أفاق فعرف أنه قد لد ووجد أثر اللدود (٢)). ولكن حسب مضمون الحديث الذي ذكرناه في بداية هذا الفصل والمروي في الصحيحين عن عائشة بأن الرسول عرف بأنه يلد قبل أن يعطى الدواء ولذلك أشار بيده أن يمتنعوا من ذلك. (فجعل يشير إلينا أن لا تلدونني.... فلما أفاق قال: ألم أنهكم أن تلدونني؟). ٢ - موقف العباس في القصة: حسب ما يتضمنه الحديث الذي رواه الترمذي

(١) صحيح البخاري ٦: ١٧ باب كتاب النبي (صلى الله عليه وآله) إلى كسرى وقيصر باب مرض النبي (صلى الله عليه وآله) ووفاته، ج ٧: ١٦٤ كتاب الطب باب اللدود، ج ٩: ١٠ كتاب الديان باب إذا أصاب قوم من رجل هل يعاقب منهم كلهم، صحيح مسلم ٤: ١٧٣٣ كتاب السلام باب (٣٧) باب كراهة التداوي باللدود ج ٨٥. (٢) مسند الأمام أحمد بن حنبل ٦: ١١٨.

### [٣٦٢]

وغيره من علماء العامة بأن العباس عم النبي كان ممن صب الدواء بغم النبي (صلى الله عليه وآله) لده العباس وأصحابه (١). ويروي ابن أبي الحديد عن عائشة أنها قالت: اغمي على رسول الله (صلى الله عليه وآله) والدار مملوءة من النساء، وعندنا عمه العباس بن عبد المطلب فأجمعوا على أن يلدوه فقال العباس: لا ألد، فلدوه (٢). ولكن مضمون رواية الصحيحين يفيد بأن العباس لم يكن حاضراً وبعد أن لد النبي (صلى الله عليه وآله) دخل المجلس (إلا العباس فإنه لم يشهدكم). ٣ - من الذي شملته العقوبة: حسب ما نقله الأمام أحمد بأن بعض الصحابة كانوا في المجلس فلدوا حتى جاء دور زوجات النبي (صلى الله عليه وآله) (٣). ولكن هذا الأمام أحمد نفسه يروي حديثاً آخر بأنه لم يكن في المجلس ذاك اليوم سوى زوجات النبي ولم يلد غيرهن. عن العباس أنه دخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعنده زوجاته فاستترن منه إلا ميمونة، فقال: لا يبقى في البيت أحد شهد اللد إلا لد (٤). فهل يمكن تصور الانسجام بين هذا الحكم ومنزلة النبوة؟ أضف إلى ما في نصوص الأحاديث من التناقضات الثلاث التي ذكرناها، هذا السؤال الذي يطرح على أصل القصة، وأنه هل أن صدور مثل هذا الأمر والحكم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) يتناسب مع منزلة الرسالة والنبوة وشخصية النبي (صلى الله عليه وآله)؟ فظاهر مضمون الأحاديث وصريح منطوق بعضها يدل على أن هذا الأمر المؤكد واليمين على لد كل

(١) سنن الترمذي ٤: ٣٤٢ كتاب الطب باب ١٢ باب ما جاء في الحجامة ج ٢٠٥٣، الفائق للزمخشري ٢: ٢١٢. (٢) شرح نهج البلاغة ١٢: ٢١. (٣) مسند الأمام أحمد بن حنبل ٦: ١١٨. (٤) مسند الأمام أحمد بن حنبل ١: ٢٠٩.

الحاضرين في المجلس والدار هو رد وجزاء للعمل بمثله. لقسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) عقوبة لهم بما صنعوا (١) ويرد على هذا: أولاً: كما أشرنا إليه أنفاً ودلت عليه مضامين بعض الأحاديث أن النبي (صلى الله عليه وآله) عرف موضوع اللد بعد أن أفاق، فعلى هذا فلم يكن نهى قبل ارتكابهم هذا العمل حتى تتحقق المخالفة ويجزون عقاباً على ارتكابه. ثانياً: وعلى فرض قبول الحديث بأن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان عالماً بأنه يلد فأشار إليهم ناهياً إياهم بأن يمتنعوا من ذلك، فعملهم ليس بذنب حتى يعاقبون عليه، ويحق له أن يعاقبهم على مخالفتهم له، لأن هذه المخالفة مبتنية على اعتقادهم بكرهية المريض للدواء وهذه الكراهية للدواء هو دأب كل مريض. وثالثاً: لو سلمنا أن الحاضرين في البيت أجمعوا جميعهم على اللد، ولكن المباشر في إعطاء الدواء للرسول (صلى الله عليه وآله) هو واحد لا الجميع لماذا عاقب النبي الجميع بفعل واحد أو اثنين منهم؟ والقرآن صريح في قوله: (لا تزر وازرة وزر أخرى) (٢)، وهذا النوع من الحكم يشبه الحكم بقصاص اناس رضوا بالقتل، فهل من عاقل تسمح له نفسه أن يعاقب من عمل بواجبه الشرعي والأنساني تجاهه، فأحسن إليه وأنقذه من الموت؟ فالجواب حتماً لا، فكيف بسيد الأنبياء وخاتم المرسلين الذي وصفه ابن حجر: بأنه ما اقتص ولا انتقم من أحد حتى من عدوه إذا تعدى على حقوقه الخاصة (٣). لقد بينا في الفصلين السابقين أن الغاية من اختلاق ووضع مثل هذه الأحاديث التي مر ذكرها هي تركية أولئك الذين لعنوا على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) - كمن تخلف عن جيش اسامة، وقوله (صلى الله عليه وآله): لا أشيع الله بطنه، فجعلوا لعن النبي إياهم فخراً وتركية ورفعة لمقامهم ورتبهم وصيروا ذلك اللعن أعلى رتبة من الدعاء والثناء.

(١) شرح نهج البلاغة ١٢: ٣٢. (٢) الانعام: ١٦٤. (٣) فتح الباري ٨: ١٢٠.

واختلقوا قصة تلقيح النخل التي أصدر فيها الرسول (صلى الله عليه وآله) حكمة خطأ ثم تدارك خطأه بالندم والتأسف، لينبتوا أصل الاجتهاد للنبي (صلى الله عليه وآله) وجواز عدم إصابته في اجتهاده ويصححوا شطحات الآخرين بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله)، ومخالفتهم للسنة وأصولها على أنها مخالفة مجتهد لغيره، ولا بأس بهذه المخالفة. وأما حديث اللدود فإنه وضع توهيناً وتطاولاً على النبي (صلى الله عليه وآله) بحيث أصبح بعد ذلك ذريعة ووسيلة بأيدي أعداء الإسلام للنيل من الدين، وبناء على هذا فإن الدواعي في جعل الحديث كثيرة أهمها اثنان: الأول: خلق فضائل لبني العباس: كانت سياسة بني العباس واهتمامهم منكب على تمهيد وسائل الخلافة سواء قبل وصولهم للخلافة أو بعدها، وهذا الأمر يستدعي أن يخلقوا فضائل ومفاخر لذويهم بدوا من عباس عم النبي (صلى الله عليه وآله) حتى آخرهم، حتى ولو كان هذا الوضع يستوجب تحجيم شخصية النبي والنبوة، كما نراه واضحاً في قصة اللدود. فسعوا لاثبات فضيلة وكرامة للعباس جدهم، حيث إننا نقرأ في جميع أحاديث اللدود مع تطافر التناقضات فيما بينها أنها قد اتحدت في مسألة واحدة وهي، إن ظاهر الأحاديث المروية في هذا الباب تدل على أن كل من كان في البيت من الصحابة وزوجات النبي (صلى الله عليه وآله) حتى ميمونة التي كانت صائمة وأهل البيت

وسبوا الرسول (عليهم السلام) قد شملتهم العقوبة، لأن أمير المؤمنين والزهراء والسبطان (عليهم السلام) علي فرض صحة الحديث كانوا في الدار عند أبيهم رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأنهم قد لدواكرها وبأمر من رسول الله (صلى الله عليه وآله) والوحيد الذي لم يلد وكان حاضرا واستثنى من عقوبة الرسول هو العباس بن عبد المطلب. الثاني: تأييد نظرية عمر، الغاية الثانية التي استهدفوها وضاع هذا الحديث المختلق، هي إثبات وتأكيد صحة مقولة الخليفة عمر التي قالها في اللحظات الأخيرة من حياة النبي (صلى الله عليه وآله) ونسبها إليه (انه يهجر) (١)، وأرادوا باختلاقهم ذلك تصحيح كلمة عمر بأن

(١) سنوافيك البحث في هذا الموضوع في فصل الوصية التي لم تكتب.

### [٣٦٥]

النبي كان يصدر أوامر في اواخر حياته هذيا ومن دون تعقل، لأنه تارة يقول: لدوا الحاضرين في البيت بتلك العجينة المرة وأنا أنظر إليهم، وتارة أخرى يقول: ائتوني بكتف ودواة لأكتب لكم ما إن تمسكنم بهما لن تضلوا بعدي. النقيب وحديث اللدود: ومن العلماء الذين نفوا صحة حديث اللدود، وحكم عليه بكونه مختلقا وموضوعا هو أبو جعفر النقيب أستاذ ابن أبي الحديد. يروي ابن أبي الحديد كلام استاذه مع انه كان مؤيدا للحديث ومخالفا لرأي استاذه فيقول: سألت النقيب أبا جعفر عن حديث اللدود، فقلت: ألد علي بن أبي طالب ذلك اليوم. فقال: معاذ الله لو كان لد لذكرت عائشة ذلك فيما تذكره وتتعاها عليه. قال: وقد كانت فاطمة حاضرة في الدار وابناها معها، أفتراها لدت ولد الحسن والحسين ؟ ! كلا، وهذا أمر لم يكن. وإنما هو حديث ولده من ولده تقربا إلى بعض الناس (١). وأما النتيجة: فهذا الذي قرأته هو اسطورة حديث اللدود، وتلك هي التناقضات والاختلافات في أحاديث اللدود والأسئلة التي ترد على مضامينها، وقرأنا أيضا الغاية من اختلاقهم هذه الاسطورة الخرافية، حتى أن واحدا من محققين العامة صمد في مقابل جميع محدثيهم ومؤرخيهم وأعلن اختلاقية وزيف هذه القصة. ولما كانت هذه الاسطورة الخرافية برأي علماء الشيعة وفقهائهم موضوعة ومختلقة، وهي مبينة لعقيدتهم في النبوة، لم يروها أحد من محدثيهم ومؤرخيهم، بل إنهم لم يتصدوا للرد والجواب عن ذلك، ومروا عليها مروراً غير معنيين بها وتركوها نسيا منسيا خلافا لعلماء العامة الذين بذلوا جهودا كثيفة في إثباتها (٢).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣: ٢٢. (٢) رايت في الاونة الاخيرة ان احد مؤلفي العامة كتب كتابا وسطر فيه بعض الخزعبلات منها هذه الاسطورة و نمقها بعبارات وكلمات ادبية، و ثم حكم على علماء الشيعة الذين لم يروون هذه الرواية الاسطورية بانهم ليسوا مطلعين ومضطلعين في المسائل التاريخية، وللاسف ان =

### [٣٦٦]

٧ - النبي ونسيانه بعض آيات القرآن عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: سمع النبي (صلى الله عليه وآله) رجلا يقرأ في المسجد فقال (صلى الله عليه وآله): (رحمه الله) أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها في سورة كذا وكذا. روى هذا الحديث البخاري ومسلم في صحيحهما (١). وفي حديث آخر أخرجه الصحيحان ذكرت كلمة

أنسيتها بدلا عن أسقطتها أي أذكرني تلك الايات التي أنسيتها (٢). وهذا من الاكاذيب الواضحة والصريحة التي لا تناسب والعقل والقرآن والسنة لان النبي - حاشاه - الذي ينسى ما يوحى إليه من الايات ولم يستطع أن يحفظ معجزة دينه الخالدة، لا شك أنه لا يمكن الاعتماد عليه والوثوق به في مجال تبليغ الدعوة، بل لم يكن صالحا لتلقي الوحي والرسالة. ومن هنا يمكننا أن ندرك مدى خطورة هذا الحديث للطعن على أصل النبوة، ولما كانت هذه المسألة من المواضيع الهامة نفى القرآن صريحا صدور أي غفلة ونسيان من النبي (صلى الله عليه وآله) بقوله: (سنقرئك فلا تنسى) (٣) فالاية تنفي صحة الحديث وتنكره، وتثبت أن الرسول حافظ للقرآن وغير نساء له. وأضف إلى هذا أن تخريج مسلم لهذا الحديث في باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت وتخريجه حديثا قريبا لمضمون عنوان الباب (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): بتسما

= هذا الحكم والتحكم قد أثر في بعض السذج والغافلين فاتخذوا الموقف السلبي تجاه علماء الشيعة !! (١) صحيح البخاري ٣: ٢٢٥ كتاب الشهادات باب شهادة الأعمى ونكاحه، وج ٦: ٢٢٨ كتاب فضائل القرآن باب نسيان القرآن، وج ٨: ٩١ كتاب الدعوات باب قول الله وصل عليهم. (٢) صحيح البخاري ٦: ٢٣٩ كتاب فضائل القرآن باب نسيان القرآن، صحيح مسلم ١: ٥٤٢ كتاب فضائل القرآن باب (٢٣) باب الأمر بتعهد القرآن وكراهة قول نسيت ح ٢٢٥. (٣) الأعلى: ٦.

#### [٢٦٧]

للرجل أن يقول نسيت سورة كيت وكيت أو نسيت آية كيت وكيت (١). وبناء على هذا فكيف يعقل أن يذم النبي (صلى الله عليه وآله) أحدا على شئ وهو متصف به ؟ أو يكره عملا للآخرين ويذمه لهم وهو مبتلى به ؟ ٨ - النبي يبول واقفا: نيز تهمة ١ - روى البخاري ومسلم عن حذيفة قال: أتى النبي (صلى الله عليه وآله) سباطة قوم خلف حائط فبال قائما (٢). ٢ - وروى أيضا عن أبي وائل قال: كان أبو موسى الأشعري يشدد في البول ويقول: إن بني إسرائيل كان إذا أصاب ثوب أحدهم قرصه فقال حذيفة: لو ددت أن صاحبكم لا يشدد هذا التشديد، فلقد رأيتني أنا ورسول الله (صلى الله عليه وآله) نتماشى، فأنى سباطة، خلف حائط فقام كما يقوم أحدكم فبال فانتبذت منه فأشار إلي فجئت فقمته عقبه حتى فرغ (٣). مؤدى هاتين الروايتين اللتين رواهما البخاري ومسلم: أن رسول الله - حاشاه - هو مثل الأشخاص السذج الذين أنسوا السنن الجاهلية، ولما يتعرفوا على التعاليم والاداب الإسلامية، وإنه كمثل هؤلاء يقف على السباطة خلف الجدران ويبول وهو واقف (قام رسول الله كما يقوم أحدكم فبال قائما)). اعتراف بقبح هذه التهمة: إننا في هذا البحث الموجز نغض النظر عن التحقيق والبحث العلمي حول هذه الفرية التي الصقوها برسول الله (صلى الله عليه وآله).

(١) صحيح مسلم ١: ٥٤٤ كتاب فضائل القرآن باب (٢٣) باب الأمر بتعهد القرآن... ح ٢٢٨. (٢ و ٣) مفاد ما ورد في صحيح البخاري ١: ٦٦ كتاب الوضوء باب البول عند صاحبه والتستر بالحائط وباب البول قائما وقاعدا وباب البول عند سباطة قوم، وج ٣: ١٧٧ كتاب المطالم باب الوقوف والبول عند سباطة قوم، صحيح مسلم ١: ٢٢٨ - ٢٣٠ كتاب الطهارة باب (٢٢) باب المسح على الخفين ح ٧٢ - ٨٠.

#### [٢٦٨]

ولا اريد أن أقول: ان النظافة مسألة فطرية وغريزية مودعة حتى في الحيوانات بحيث تشعر بها بشعورها الذاتي، وأنها تسعى عند البول أن لا تتلوث به. ولا اريد أن أقول: ان النظافة من البول مسألة بديهية يعرفها حتى أبو موسى الأشعري وكان يشدد فيها. ولا اريد أن أقول: ان مسألة البول عند بني إسرائيل - كما حدثنا أبو موسى - كانت مهمة للغاية بحيث إنهم كانوا يقرضون ثيابهم إذا أصابها بول. إنا نغض النظر عن كل هذه المسائل لأن قبح المسألة بديهي، حتى أن علماء العامة وشراح الصحيحين أذعنوا لذلك، واعترفوا بكون هذه المسألة ونسبتها إلى النبي هي إهانة واستخفاف بشأن النبوة، ولذا عمدوا إلى توجيهه وتأويل الأحاديث المذكورة، وذكروا لها معاذير واهية التمسوا عذرا هو أقبح من الذنب. أعدار أقبح من الفعل: قال شراح صحيحي مسلم والبخاري في تبريرهم لهذين الحديثين: ١ - ان العرب كانت تستشفي لوجع الصلب بالبول قائما، فلعل كان به (صلى الله عليه وآله) وجع الظهر فتأسى بأداب الجاهلية فبال قائما. ٢ - أنه بال قائما لعله بما يرضه - أي باطن الركبة - بحيث تمنعه من الجلوس. ٣ - أنه لم يجد مكانا للقعود فاضطر إلى القيام. ٤ - البول قائما يحصن الأنسان من خروج الحدث من مخرج الغائط، ولكن هذه الحصانة غير مأمونة عند الجلوس، ولذا قال عمر: البول قائما أحسن للذبر (١)، ولعل النبي بال قائما عملا بهذا الاحتمال. ٥ - أنه (صلى الله عليه وآله) كان يبول قائما أحيانا لكي يبقى حكمه الجواز.

(١) شرح صحيح مسلم ٣: ١٦٦.

### [٣٦٩]

ذكر هذه التبريرات الركيكة شارحو صحيحي البخاري ومسلم كابن حجر في فتح الباري (١)، والقسطلاني في ارشاد الساري (٢)، والنووي (٣) في شرح صحيح مسلم نقلا عن الخطابي والبيهقي وغيرهما من أهل السنة. واذف السيوطي إلى هذه الوجوه وجوها أخرى (٤). لم هذه التوجيهات ؟ هذه تبريرات مؤيدي البخاري ومسلم وتأويلهم لهاتين الروايتين، وقد عرفت أيها القارئ الكريم هزال هذه التبريرات وخفتها، إنها أعدار أقبح من الذنب، وإنها لأشأم من نفس التهمة التي ألصقوها بالنبي (صلى الله عليه وآله). وأعتقد أن قبول هذه الأحاديث ثم تبريرها وتأويلها بتأويلات فارغة المعنى وسخيفة لم تكن إلا لعلتين وسببين: ١ - الجهل بمقام النبوة. ٢ - الاعتقاد الأعمى بصحة كل حديث أورده البخاري ومسلم في صحيحيهما وكما يروي السيوطي: إن البول قياما صار عادة اعتاد عليها المسلمون من العامة في مدينة هرات وإحياء لهذه السنة المبتدعة، وعدم مخالفتهم لما جاء في صحيح البخاري ومسلم، تراهم أنهم يستنون بهذه السنة فكانوا يبولون عن قيام حتى ولو مرة واحدة في كل عام (٥). ونقل لي أحد العلماء المعاصرين: إن بعض المسلمين من أهل السنة في العراق اليوم، يبولون قياما نأسيا بهذه الأحاديث الموضوعة.

(١) فتح الباري ١: ٣٦١ - ٣٦٢. (٢) ارشاد الساري ١: ٢٩٢. (٣) شرح صحيح مسلم للنووي ٣: ١٦٥ - ١٦٦. (٤) و (٥) شرح سنن النسائي ١: ١٩ - ٢٦.

### [٣٧٠]

دحض هذه الاباطيل: فلو كان لهؤلاء أدنى معرفة بالنبوة والرسالة، ولو أنهم فرغوا عقولهم من السذاجة والتعصب المفرط، وحسن ظنهم الشديد وتعلقهم بالصححين، وتأملوا قليلا فيهما لعرفوا أن هذا الموضوع الذي لفقوه على النبي (صلى الله عليه وآله) ليس فقط لا يتلاءم ومقام النبوة فحسب، بل انه يشين بأي فرد من الأفراد ممن له معرفة سطحية بالمعارف الدينية أو يكون محترما عند نفسه. وإنما نرفض جميع هذه الروايات الملفقة على النبي (صلى الله عليه وآله) ولا نقول بصحتها أبدا - كما يعتقد بأن الحديث الصحيح هو كل ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما - بل نأخذ بالأحاديث الصحيحة التي تروي لنا: كنت مع النبي (صلى الله عليه وآله) في سفر فأتى النبي حاجته فأبعد في المذهب (١)، وانه كان يرتاد لبوله مكانا كما يرتاد منزلا (٢). وإنما نقبل الأحاديث التي تقول: مر النبي (صلى الله عليه وآله) على قبرين فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير. ثم قال: بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله (٣). دواعي وضع هذه الأحاديث: يبدو أن هناك بين اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) من ترسخت فيه عادات الجاهلية مثل البول قياما فهو لا يستطيع ترك هذه العادة السافلة، وحتى لا يكون مشجوبا عند الناس، ولا

(١) سنن الترمذي ١: ٣١ كتاب الطهارة باب (١٦) باب ما جاء أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان إذا أراد الحاجة أبعده في المذهب ح ٢٠ و سنن النسائي ١: ١٨ كتاب الطهارة باب الأبعاد عند إرادة الحاجة. (٢) سنن الترمذي نفس المصدر. (٣) صحيح البخاري ٢: ١٢٤ كتاب الجنائز باب عذاب القبر من الغيبة والبول، صحيح مسلم ١: ٢٤٠ كتاب الطهارة باب (٣٤) باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه ح ١١١، سنن أبي داود ١: ٦ كتاب الطهارة باب الاستبراء من البول ح ٢٠. سنن النسائي ١: ٢٨ كتاب الطهارة باب التنزه عن البول.

### [٣٧١]

يحط شأنه وشخصيته في الأنظار، فلذا تراه يختلق مثل هذه السخافات، ويتهم فيها رسول الله بالبول قائما لكي تمكنه ممارسة هذا العمل القبيح ويقلل من قبح عاداته المخزية. وتتجلى لك حقيقة قولنا إذا راجعت وتمعننت في الروايات المروية في كتب العامة المعتبرة. أخرج ابن ماجة في سننه: وكان من شأن العرب البول قائما (١). وخرج مالك في الموطأ عن عبد الله بن دينار قال: رأيت عبد الله بن عمر يبول قائما (٢). وحول تبول الخليفة عمر قائما ورد حديثان: ١ - عن ابن عمر، عن عمر قال: رأيت النبي (صلى الله عليه وآله) وأنا أبول قائما. فقال: يا عمر لا تبل قائما، فما بليت قائما بعده (٣). ٢ - وعن ابن عمر قال عمر: ما بليت قائما مذ أسلمت (٤). ونجد ان الراوي الوحيد الذي حدث وروى حديثا في البول قائما هو عمر بن الخطاب. الذي روى حديثا وبين فيه الحكمة والفلسفة للبول في حال القيام فقال: البول قائما احفظ للدبر (٥). وعلى أي حال فإن كلام عبد الله بن دينار في ابن عمر وكذا نفي موضوع التبول في حالة القيام عن الخليفة عمر بن الخطاب ونسبته إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلسفة عمر في هذا،

(١) سنن ابن ماجة ١: ١١٢، كتاب الطهارة باب (١٤) باب في البول قاعدا ذيل ح ٣٠٩. (٢) موطأ مالك ١: ٦٥ كتاب الطهارة باب (٣١) باب ما جاء في البول قائما وغيره ح ١١٢. (٣) سنن الترمذي ١: ١٧ كتاب الطهارة باب (٨) باب ما جاء في النهي عن البول قائما ح ١٢، و سنن ابن ماجة ١: ١١٢ كتاب الطهارة باب (١٤) باب في البول قاعدا ح ٣٠٨. (٤) سنن الترمذي ١: ١٨ كتاب الطهارة باب (٨) باب ما جاء في النهي عن البول قائما ح ١٢. (٥) فتح الباري ١: ٣٦٢، إرشاد الساري ١: ٢٧٧ وشرح صحيح مسلم ٣: ١٦٥.

الموضوع، كل ذلك يدلنا على أن هذه الموارد المذكورة علاقة وثيقة. والجدير بالذكر أن هذه المسألة قد طرحت بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) وفي حياة عائشة، وقد دار النقاش حوله فبعض نفى نسبتها إلى الرسول، والآخر أثبتته، وأما عائشة فقد التزمت بالدفاع عن الرسول وقامت تغند وتستنكر هذه الأحاديث وتقول: من حدثكم أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يبول قائما فلا تصدقوه، ما كان يبول إلا قاعدا (١). وقال الترمذي بعد تخريجه لهذا الحديث: حديث عائشة أحسن شئ في الباب وأصح (٢). ومن الذين صادق على صحة رواية عائشة وأكدها ابن حجر العسقلاني في شرحه على صحيح البخاري (٣). ٩ - قصة سحر النبي (صلى الله عليه وآله): ومن مفتريات الصحيحين على رسول الله (صلى الله عليه وآله) رواية لم يروها أحد سوى عائشة بنت أبي بكر وصارت بعد ذلك ذريعة وحرية بأيدي أعداء الاسلام (٤) للنيل من الاسلام ورسوله، هي قصة سحر النبي (صلى الله عليه وآله). وخلاصة القصة هي: أن الساحر اليهودي لبيد بن الأعصم من بني زريق سحر النبي (صلى الله عليه وآله) حتى كان الرسول (صلى الله عليه وآله) يتخيل أنه يعمل عملا ما، بينما هو لا يعمل، وتارة يتصور أنه قد أتى إحدى زوجاته في حين لم يكن هكذا، وإليك النص: عن عائشة قالت: سحر النبي (صلى الله عليه وآله) حتى أنه يخيل إليه أنه يفعل الشئ وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي، دعا الله ودعاه ثم قال (صلى الله عليه وآله): أشعرت يا عائشة إن الله قد

(١) سنن الترمذي ١: ١٧ كتاب الطهارة باب (٨) باب ما جاء في النهي عن البول قائما ح ١٢، سنن ابن ماجه ١: ١١٢ كتاب الطهارة باب (١٤) باب في البول قاعدا ح ٣٠٧، سنن النسائي ١: ٣٦ كتاب الطهارة باب البول في البيت جالسا. (٢) سنن الترمذي ١: ١٧ كتاب الطهارة ذيل حديث ١٢. (٣) فتح الباري ١: ٢٦١. (٤) للمؤلف كتاب آخر باسم الإسلام... يرد فيه على شبهات أعداء الدين.

أفتاني فيما استفتيته فيه. قلت: وما ذاك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال (صلى الله عليه وآله): جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب. قال: وما طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زريق. قال: في ماذا؟ قال: في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر. قال: فإين هو؟ قال: في بئر ذي أروان. قال: فذهب النبي (صلى الله عليه وآله) في أناس من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها وعليها نخل، ثم رجع إلى عائشة، فقال: والله لكان ماءها نقاعة الحناء، ولكان نخلها رؤوس الشياطين. قلت: يا رسول الله فأخرجته؟ قال (صلى الله عليه وآله): لا، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أثور على الناس منه شرا، وأمر بها فدفنت (١). رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن عائشة، وأخرج البخاري حديثا آخر في الموضوع نفسه عن عائشة أنها قالت: سحر الرسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى كان يرى يأتي النساء ولا يأتيهن. قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان (٢). أقول: نرجع الجواب والتحقيق في هذه القصة التي وردت في كثير من الكتب التاريخية والتفسيرية، وحتى أنها دست أحيانا في بعض كتب الشيعة، إلى محله وأوانه

(١) صحيح البخاري ٤: ١٤٨ كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده، وج ٧: ١٧٧ كتاب الطب باب هل يستخرج السحر وص ١٧٦ و ١٧٨ باب السحر، وج ٨: ٢٢ كتاب الأدب باب قول الله تعالى: (إن الله يأمر بالعدل)... وص ١٠٣ كتاب الدعوات باب تكرير الدعاء، صحيح مسلم ٧: ١٧١٩ كتاب السلام باب (١٧) باب السحر ح ٤٢. (٢) صحيح البخاري ٧: ١٧٧ كتاب الطب باب هل يستخرج السحر.

### [٢٧٤]

المناسب، وأما هنا فنكتفي بما ذكره أحد المحققين المعاصرين في هذا الشأن فقال: والأحاديث المروية حول هذا الموضوع كلها تنص على أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد أثر به السحر إلى حد أصبح يخيل إليه أنه قد صنع الشئ وما صنعه، ولازم ذلك أن يكون قد فقد رشده، ومن الجائر عليه في تلك الحالة أن يتخيل أنه قد صلى ولم يصل، وأن يتخيل شيئاً يتنافى مع نبوته بل مع إنسانيته فيفعله، وبالرغم من أني قد أخذت على نفسي أن لا اهاجم أحداً في هذا الكتاب، ولكنني أراني مضطراً في هذا المورد وأرى لزوماً علي أن أقول: إن الذين رووا هذا الحديث ودونوه هم المسحورون لأنهم لا يفكرون بما يكتبون، ويروون ولا يتثبتون، وكيف يصح على نبي لا ينطق عن الهوى - كما وصفه ربه - أن يكون فرية للمشعوذين؟ فيفقد شعوره ويغيب عن رشده ومع ذلك يصفه القرآن بأنه لا ينطق إلا بما يوحى إليه، ويفرض على الناس أجمعين أن يقتدوا بأقواله وأفعاله، والمسحور قد يقول غير الحق ويفعل ما لا يجوز فعله على سائر الناس، وقد يخرج عن شعوره وإدراكه (١). مفتريات على النبوة! ! تقدمت - في الصفحات الأولى من الكتاب - الإشارة إلى الأيادي الخفية والقائمة التي شوهت صورة الأنبياء الحقيقية في التوراة والإنجيل وحرفوها حسب أهوائهم وشهواتهم، وتبريرا لأعمالهم وأفكارهم الجائرة والفاصلة فإنهم صوروا الأنبياء بانهم زناة وجناة، خمارين وشهوانيين. فاتهموا نبياً بأنه تعدى على امرأة محصنة وذات بعل، فحملت منه سفاحاً، ولكي يدفن ما اقترفه من ذنب ويحفظ حيثيته.... خطط جريمة قتل زوجها... (٢)

(١) دراسات في الكافي وصحيح البخاري: ٢٤٧، (٢) راجع ص ٢١٠ هامش ١.

### [٢٧٥]

وافتروا على نبي آخر بأنه سكر وزنى بابتنتيه وحملتا منه سفاحاً ووضعنا ابنتين (١). وكذبوا على نبي آخر بأنه صنع للخمر واعتبروا هذه معجزة له (٢). ومما يجدر الأيماء إليه أن رسول الإسلام لم يخرج عن دائرة التهم والافتراءات، حتى نسبوا إليه أكاذيب صنعتها أيدي الجائرين المتسلطين، فلفقوا عليه المفتريات وعتموا عنه الحقائق والفضائل. وحيث كان الله قد ضمن صيانة القرآن من التحريف والتغيير فثبتت تلك الاتهامات بين المسلمين على هيئة الحديث لا أي القرآن فتقبلها أكثر المسلمين - العامة - بقبول حسن واعتمدوا عليها واعتبروها جميعها صحيحة. ونسرد إليك أيها القارئ هذه المفتريات على نبينا (صلى الله عليه وآله) من خلال أربعة مجموعات، وبعد ذلك نختم بحثنا بتفنيدها ونوضح لك دواعي وضعها: ١ - الغناء في بيت النبي (صلى الله عليه وآله) روى البخاري ومسلم أحاديثاً تتضمن أن الجواري كن يطربن ويعزفن في بيت الرسول (صلى الله عليه وآله) وهو جالس يستمع اليهن، فدخل أبو بكر فتأذى من هذا المشهد فزجرهن. فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): دعهن يا أبا بكر فإن اليوم يوم عيد وسرور. وكذلك يرويان بأن عائشة كانت تلعب بالدمية ورسول الله (صلى الله عليه وآله)



حاضر في البيت، وكانت بعض صديقاتها يأتينها ويلعبن معها، فما أن يدخل الرسول (صلى الله عليه وآله) في بعض الأحيان داره، حتى يقمن ويتسترن حياء منه، ولكن الرسول يدعوهن ويرغيهن بمواصلة اللعب، وأحيانا كان يرسل واحدة تلو أخرى للعب مع عائشة. وهالك - أيها العزيز - النصوص المشيرة التي أخرجها مؤلفا الصحيحين:

(١) راجع ص ٢١٠ هامش ١. (٢) راجع ص ٢١١ هامش ٣ و ٤.

### [٢٧٦]

١ - عن عائشة: ان أبا بكر دخل عليها والنبي (صلى الله عليه وآله) عندها يوم فطر أو أضحى، وعندها قينتان تغنيان بما تقاذفت الأنصار يوم بعث. فقال أبو بكر: مزمار الشيطان - مرتين - ؟ فقال النبي (صلى الله عليه وآله): دعهما يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدا، وإن عيدنا هذا اليوم (١). بيان: وردت في الحديث كلمة القينة أي الأمة غنت أولم تغن كما صرح بذلك ابن الأثير (٢). وكذا وردت لفظة تقاذفت الأنصار أي كن يقرآن تلك الأشعار التي كان الأنصار قبل الهجرة يتقاذفونها ويسبون بها بعضهم بعضا. ٢ - وأيضا رويت هذه الرواية بلفظ آخر عن عائشة أنها قالت: دخل علي أبو بكر وعندي جاريتان من جوارى الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعث. قالت: وليستا بمغنيتين. فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ وذلك في يوم عيد. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) وآله: يا أبا بكر إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا (٣). ٣ - وقالت أيضا: إن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان في أيام منى، تدفغان وتضربان، والنبي (صلى الله عليه وآله) متغش بثوبه، فانتهرهما أبو بكر، فكشف النبي (صلى الله عليه وآله) عن وجهه فقال: دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد، وتلك الأيام أيام منى (٤). ورواها عنها عروة بلفظ آخر فقال:

(١) صحيح البخاري ٥: ٨٦ كتاب الفضائل فضائل أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) باب مقدم النبي وأصحابه المدينة، مسند احمد بن حنبل ٦: ٩٩. (٢) النهاية ٤: ١٢٥ مادة فين. (٣) صحيح البخاري ٢: ٢١ كتاب العيدين باب سنة العيدين لأهل الإسلام، صحيح مسلم ٣: ٦٠٧ كتاب صلاة العيدين باب (٤) باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد ح ١٦. (٤) صحيح البخاري ٤: ٢٢٥ كتاب المناقب باب قصة الحبش وقول النبي (صلى الله عليه وآله) يا بني أرفده، وح ٢: ٢٩ كتاب العيدين باب إذا فاته العيد يصلي ركعتين، صحيح مسلم ٢: ٦٠٨ كتاب صلاة العيدين باب (٤) باب الرخصة في اللعب... ح ١٧.

### [٢٧٧]

٤ - عن عائشة قالت: دخل علي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعث فاضطجع على الفراش وحول وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني، وقال: مزمار الشيطان عند النبي (صلى الله عليه وآله) ! فأقبل عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: دعهما، فلما غفل، غمزتهما فخرجتا (١). ٥ - وقالت أيضا: كنت ألعب بالبنات عند النبي (صلى الله عليه وآله) وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا دخل يتقمعن منه، فيسربهن الي فيلعبن معي (٢). وروى البخاري هذا الحديث في موضعين من كتابه الأدب المفرد (٣). نكتة توضيحية: روى البغوي حديثا آخر في كتابه المصابيح (٤): عن عائشة أنها قالت: رجع رسول الله (صلى الله عليه وآله): من غزوة تبوك أو حنين ومعها بنات

لعب. ولا يخفى إن كلتا الغزوتين تبوك وحنين وقعتا بعد فتح مكة وفي الأيام الأخيرة من حياة الرسول (صلى الله عليه وآله). ولو سلمنا صحة الحديث لكان عمر عائشة آنذاك خمسة عشر سنة إلى عشرين. ٢ - النبي (صلى الله عليه وآله) يدعو عائشة لمشاهدة الرقص أخرج الصحيحان أن بعض مهاجري الحبشة كانوا يلعبون في فناء مسجد الرسول، فدعا النبي (صلى الله عليه وآله) زوجته عائشة لتشاهد الأحباش، وتارة كانت عائشة هي التي تسال

(١) صحيح البخاري ٢: ٢٠ كتاب العيدين باب الحراب والدرق يوم العيد، وج ٤: ٤٧ كتاب الجهاد باب الدر، صحيح مسلم ٢: ٦٠٩ كتاب صلاة العيدين باب (٤) باب الرخصة في اللعب... ح ١٩. (٢) صحيح البخاري ٨: ٣٧ كتاب الأدب باب الانبساط الى الناس، صحيح مسلم ٤: ١٨٩٠ كتاب فضائل الصحابة باب (١٣) باب في فضل عائشة ح ٨١، مصابيح السنة ٢: ٤٤٢ كتاب النكاح باب (١٠) باب عشرة النساء... ح ٢٤٢٠. (٣) الأدب المفرد للبخاري: ١٣ باب (١٧٢) باب مسح رأس الصبي ح ٣٧٠ وص ٤٢٧ باب (٦٢٧) باب لعب الصبيان بالجوز ح ١٢٠٤. (٤) مصابيح السنة للبقوي ٢: ٤٥٢ كتاب النكاح باب (١٠) باب عشرة النساء، ح ٢٤٤٢.

### [٢٧٨]

رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليسمح لها بذلك. والرسول (صلى الله عليه وآله) تارة يجعل رداءه حائلا بينها وبين من كان في المسجد من الرجال، وتارة اخرى كان يقف هو أمامها وكانت عائشة ترتقي كتف الرسول وتنتظر مشهد الأحباش الذين كانوا يرقصون. ولكن الخليفة عمر بن الخطاب لم يكن يرض بلعب الأحباش، ورقصهم حتى ورد أنه رآهم فأهوى إلى الحصى في فناء المسجد ليرميهم بها ويصدهم عن لعبهم، فمنعه الرسول (صلى الله عليه وآله) وقال لهم: أمنا بني أرفدة، فشجعهم الرسول (صلى الله عليه وآله) ورغبهم إلى ما كانوا يفعلون. واليك بعض النصوص التي رويت في الصحيحين: ١ - إن عائشة قالت: لقد رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوما على باب حجرتي، والحبشة يلعبون في المسجد، ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يسترني بردائه لكي أنظر إلى لعبهم، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف. فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو (١). ٢ - وقالت عائشة: رأيت النبي (صلى الله عليه وآله) يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة: وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم عمر. فقال النبي (صلى الله عليه وآله): دعهم، أمنا بني أرفدة يعني من الأمن، وأنا جارية، فاقدروا الجارية العربة الحديثة السن (٢). والجملة الأخيرة في الرواية (وأنا جارية فاقدروا الجارية العربة الحديثة السن) أوردتها مسلم (٣).

(١) صحيح البخاري ١: ١٢٢ كتاب الصلاة باب اصحاب الحراب في المسجد، وج ٧: ٤٨ كتاب النكاح باب نظر المرأة إلى الحبش ونحوهم من غير ربية، صحيح مسلم ٢: ٦٠٩ كتاب صلاة العيدين باب (٤) باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه... ح ١٨. (٢) صحيح البخاري ٢: ٣٩ كتاب العيدين باب إذا فاته العيدين يصلي ركعتين، وج ٤: ٢٢٥ كتاب المناقب باب قصة الحبش، صحيح مسلم ٢: ٦٠٨ كتاب صلاة العيدين باب (٤) باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد ح ١٧. (٣) انظر صحيح مسلم في الهامش السابق.

### [٢٧٩]

وفي حديث آخر أخرجه البخاري وردت جملة: فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو (١). ٣ - وعن عروة عن عائشة قالت:

وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب، فإما سألت النبي (صلى الله عليه وآله) وإما قال (صلى الله عليه وآله): تشتبهين تنظرين؟ فقلت: نعم، فأقمني وراءه، خدي على خده، وهو يقول: دونكم يا بني أرفدة، حتى مللت، قال: حسبك؟ قلت: نعم، فقال: فذهبي (٢). ٤ - وعنهما أيضا قالت: جاء حبش يزفنون في يوم عيد في المسجد، فدعاني النبي (صلى الله عليه وآله)، فوضعت رأسي على منكبه، فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى كنت أنا التي أنصرف عن النظر إليهم (٣). بيان وتوضيح: قال النووي في شرحه علي صحيح مسلم: يزفنون: من الزفن يعني الرقص (٤). وقال ابن من يابى في كتابه فتح المنعم: دونكم أي الزموا لعبكم، وأرفدة هم أجداد الحبش (٥). قال القسطلاني: إن ذلك - رقص الأحباش وضربهم الدف - بعد قدوم وفد الحبشة وإن قدومهم كان سنة سبع ولعائشة يومئذ ست عشرة سنة (٦). أقول: في مقولة عائشة التي قالت: (فأقمني وراءه وخدي على خده لكي أنظر

(١) راجع ص ٢٧٨ هامش ٢. (٢) صحيح البخاري ٢: ٢٠ كتاب العيدين باب الحراب والدرق يوم العيد، وج ٤: ٤٧ كتاب الجهاد باب الدرقي، صحيح مسلم ٢: ٦٠٩ كتاب صلاة العيدين باب (٤) باب الرخصة في اللعب... ح ١٩. (٣) صحيح مسلم ٢: ٦٠٩ كتاب صلاة العيدين باب (٤) باب الرخصة في اللعب... ح ٢٠. (٤) شرح صحيح مسلم للنووي ٦: ١٨٦. (٥) زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم لابن من يابى ١: ١٩٧ ح ٤٤٧. (٦) إرشاد الساري ٨: ١١٨.

#### [٢٨٠]

لعب الأحباش) سؤال وهو: هل كانت عائشة أطول من النبي حتى وضعت خدها على خده، أم أنها وضعت شينا تحت قدميها، أم كانت تصعد منكب النبي (صلى الله عليه وآله) حتى تضع الخد على الخد؟ ولما كانت عائشة قد سكتت من بيان ذلك ونحن كذلك لم تكن حاضري الواقعة ولذلك فإننا نعتذر عن الجواب الصريح. ٥ - وكذلك قالت عائشة: للعاينين، وددت أني أراهم. قالت: فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقمت على الباب انظر بين اذنيه وعاتقه، وهم يلعبون في المسجد (١). ٦ - وعن أبي هريرة قال: بينما الجبشة يلعبون عند رسول الله بحرابهم، إذ دخل عمر بن الخطاب. فأهوى إلى الحصاء يحصهم بها. فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): دعهم يا عمر (٢). ٣ - اشتراك النبي (صلى الله عليه وآله) في الحفلات النسائية يظهر من أحاديث أخرى وردت في الصحيحين متظافرة بأن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يشترك في الأعراس والحفلات النسائية، ويستمتع إلى أغاني الفتيات اللاتي كن يمتعن المستمعين الحاضرين بصوتهن العذب. وتارة كان يشترك في الأعراس التي تقوم العروس بخدمة الرجال واستقبالهم وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحظى بخدمة العروس له. وإليك النصوص في ذلك: ١ - خالد بن ذكوان قال: قالت الربيع بنت معوذ بن عفراء، جاء النبي (صلى الله عليه وآله) فدخل حين بنى على، فجلس على فراشي كمجلسك مني، فجعلت جويزات لنا يضرين بالدف

(١) صحيح مسلم ٢: ٦١٠ كتاب صلاة العيدين باب (٤) باب الرخصة في اللعب... ح ٢١. (٢) صحيح البخاري ٤: ٤٦ كتاب الجهاد والسير باب اللهو بالحراب، صحيح مسلم ٢: ٦١٠ كتاب صلاة العيدين باب (٤) باب الرخصة في اللعب... ح ٢٢.

#### [٢٨١]

ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر. إذ قالت إحداهن: وفيما نبي يعلم ما في غد. فقال (صلى الله عليه وآله): دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين.... (١) أخرجه البخاري في موضعين من صحيحه ونقله المؤرخون وأصحاب التراجم عن البخاري في ترجمة الربيع بنت معوذ بن عفراء (٢). تبريرات سخيفة: ولما شوهد الحديث محفوظ بالفاهة والركاكة وتباينه لمقام النبوة والنبي (صلى الله عليه وآله) ما لا يقبله العقل بدا القوم في تبرير هذه الحكايات التافهة، وذلك لانه لا يعقل ان يشترك مؤمن ملتزم أو عالم ديني حتى لو كان في أدنى درجة من العلم والدين في الأعراس، ويجالس النساء اللاتي تزين بوسائل التجميل من الملابس وغيرها - الماكياج -، وهن يعزفن ويرقصن أمامه وهو يراهن ويستمتع إلى ما يغنين ويبدن رأيه في ما عزفن. نعم، إن الانسان العادي الذي لم يملك تلك المعنوية العالية والغيرة الدينية الشديدة يمتنع من هذا المشهد فكيف بنبي ورسول ؟ ولذا ترى ابن حجر يخطط أعذارا هي أقبح من الذنب نقلها عن الكرمانلي. تبريرا وتوجيها لهذا الحديث فقال: قال الكرمانلي للحديث احتمالات ووجوه عديدة منها أن هذه القصة محمولة على أن ذلك كان من وراء حجاب، أو كان قبل نزول آية الحجاب، أو جاز النظر للحاجة أو الأمن من الفتنة، انتهى. وإضاف ابن حجر: والأخير هو المعتمد والذي وضح لنا بالأدلة القوية أن من خصائص النبي (صلى الله عليه وآله) جواز الخلوة بالأجنبية والنظر إليها (٣).

(١) صحيح البخاري ٥: ١٠٥ كتاب الفضائل باب في ذيل باب شهود الملائكة بدرا، وح ٧: ٢٠ كتاب النكاح باب ضرب الدف في النكاح والوليمة. (٢) الطبقات الكبرى ٨: ٤٤٧ قسم ذكر نساء بني مالك بن النجار ترجمة الربيع بنت معوذ الاستيعاب ٤: ١٨٣٧ ترجمة الربيع بنت معوذ بن عفراء الانصارية رقم ٣٣٣٦. (٣) فتح الباري ٩: ١٦٦.

## [٢٨٢]

أقول: أما الاحتمال الاول الذي أورده ابن حجر - أي اشتراك النبي (صلى الله عليه وآله) في تلك الحفلات من وراء حجاب - ففي غاية البطلان، وأن منطوق الحديث (فجلس على فراشي كمجلسك هذا) يكشف زيف هذا الاحتمال. وأما الاحتمال الثاني: أن القصة وقعت قبل نزول آية الحجاب، وبدل كلام ابن حجر هذا على أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يكن متورعا من الأعمال المشينة والقبائح التي كانت متداولة في أيام الجاهلية. وهذه السخافة مردودة بالأدلة والشواهد التاريخية وغيرها مما ذكرناها في ما سبق، وسنورد عليك شواهدا اخرى فيما يأتي بأن النبي (صلى الله عليه وآله) حتى في أيام طفولته وقبل البعثة كان يتبرأ من أعمال وعادات العرب في الجاهلية فكيف بعد أن بعث نبيا وفي أواخر حياته ؟ وأضف إلى هذا فإنه لم نستكشف من كلام الربيع أن القصة وقعت قبل نزول آية الحجاب أو بعده. وأما الاحتمال الأخير الذي احتمله وقواه ابن حجر (بأنه من خصائص النبي (صلى الله عليه وآله) جواز الخلوة بالمرأة الأجنبية والنظر إليها فهو مرفوض وغير مقبول خاصة على رأي الشيعة الذين أنكروا ذلك عليهم، وفندوا هذه الأفكار. وهذه الفكرة من الناحية الاجتماعية أصبحت ذريعة وجرية بيد أعداء الدين للأغارة على الإسلام وشخصية النبي (صلى الله عليه وآله). قال سهل بن سعد: دعا أبو أسيد الساعدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) في عرسه، وكانت امرأته يومئذ خادمهم وهي العروس، قال سهل: تدرين ما سقت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، انقعت له تمرات من الليل فلما أكل سقته إياه (١).

(١) صحيح البخاري ٧: ٣٢ كتاب النكاح باب حق إجابة الوليمة والدعوة، وص ٣٢ باب النقيع والشراب الذي لا يسكر في العرس، وص ١٢٨ كتاب الأشربة باب الانتياز في الأوعية والتور، وص ١٣٩ باب نقيع التمر ما لم يسكر، صحيح مسلم ٣: ١٥٩٠ كتاب = (\*)

### [٢٨٣]

وأخرج البخاري أيضا عن أبي حازم، عن سهل قال: لما عرس أبو أسيد الساعدي دعا النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه، فما صنع لهم طعاما ولا قرية إليهم إلا إمرأته أم أسيد، بلت تمرات في تور من حجارة من الليل فلما فرغ النبي من الطعام أمأته له فسقته تتحفه بذلك (١). ٤ - شغف النبي (صلى الله عليه وآله) بالغناء. ومجموعة رابعة من تلك الأحاديث الموضوعة، تحدثنا بأن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان مولعا بالغناء واستعمال آلات الغناء في حفلات العرس إلى حد الشغف، وإذا اشترك في حفلة ولم يكن فيها من الغناء شيء، فكان يتدخل في الموضوع ويؤكد عليهم الغناء والتغني في الأعراس. ويظهر من الروايات أنه كان يرحب بالجواري والنساء المغنيات اللاتي كن مقبلات من عرس، ويقوم لهن واقفا ويقول: قسما بالله أنتن من أحب الناس إلي. ولنقرأ معا هذه النصوص: عن عائشة قالت: أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار. فقال نبي الله (صلى الله عليه وآله): يا عائشة ما كان معكم لهن، فإن الأنصار يعجبهم اللهو (٢). أخرجه البخاري. وأما ابن ماجة أخرجه حديثا آخر بإسناده عن ابن عباس قال: أنكحت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار. فجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: أهديتم الفتاة؟ قالوا: نعم. قال: أرسلتم معها من يغني؟ قالت: لا. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الأنصار قوم فيهم غزل، فلو بعثتم معها من يقول: اتيناكم اتيناكم فحيانا وحياكم (٣). وعن أنس بن مالك قال: ابصر النبي (صلى الله عليه وآله) نساء وصبيانا مقبلين من عرس فقام

= الأشربة باب (٩) باب إباحة النبيذ الذي لم يشتم ولم يعد مسكرا ح ٨٦. (١) صحيح البخاري ٧: ٣٢ كتاب النكاح باب قيام المرأة على الرجال في العرس وخدمتهم بالنفس. (٢) صحيح البخاري ٧: ٣٨ كتاب النكاح باب النسوة اللاتي يهدين المرأة إلى زوجها. (٣) سنن ابن ماجة ١: ٦١٢ كتاب النكاح باب (٢١) باب الغناء والدف ح ١٩٠٠.

### [٢٨٤]

ممتنا فقال: اللهم أنتم من أحب الناس إلي (١). وأخرج ابن ماجة حديثا قريبا إلى الحديث المذكور رواه عن أنس بن مالك أنه قال: أن النبي (صلى الله عليه وآله) مر ببعض المدينة فإذا هو بجوار يضربن بدفهن ويتغنين ويقلن: نحن جوار من بني النجار\* يا حبيبا محمد من جار فقال النبي (صلى الله عليه وآله): الله يعلم أنني لأحبكن (٢). تقييم الأحاديث المذكورة نظرة في ما سلف: لقد ذكرنا في الفصول الأربعة المذكورة بعض التهم القبيحة والأكاذيب التي افتروها على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وشوهوا بها شخصية الرسول الطاهرة ولطخوا بها كرامته وقدسيته، إن هذه الأحاديث المزورة رويت جميعها في الصحيحين وسائر المراجع المعتبرة والمعتمدة عند أهل السنة والجماعة، وصححوها على أنها أصول إسلامية قطعية لا تقبل النقد والخذش، حتى انتشرت وشاعت بين أتباعهم فقبلوها بالرضا، وعلى أساسها اصدروا فتاويهم. وقد رتبناها على أربعة مجموعات وتعرضنا لذكر أحاديث كل مجموعة منها في فصل مستقل. ١ - الغناء في بيت الرسول (صلى الله عليه وآله). ٢ - الرسول يدعو زوجه

عائشة إلى حفلة الرقص. ٣ - اشتراك الرسول في الحفلات النسائية.

(١) صحيح البخاري ٥: ٤٠ كتاب فضائل أصحاب النبي باب قول النبي للأنصار أتم احب الناس الي، وج ٧: ٣٢، كتاب النكاح باب ذهاب النساء والصبيان الي العرس، صحيح مسلم ٤: ١٩٤٨ كتاب فضائل الصحابة باب (٤٣) باب من فضائل الأنصار ح ١٧٤. (٣) سنن ابن ماجه ١: ٦١٢ كتاب النكاح باب (٣١) باب الغناء والدف ح ١٨٩٩.

[٢٨٥]

٤ - شغف الرسول بالطرب والغناء. وفي هذا الفصل نتعرض حسب الترتيب المسبق إلى تقييم هذه المواضيع. فضيحة روايتها: في البدء نسأل رواة هذه المختلقات: من هو هذا النبي الذي تغني الفتيات والنساء في داره وبمراى منه، ويطربن بأشعار وقصائد هجائية مما كانت تهجو كل طائفة خصمها، وتنسب كل واحدة منها إلى الأخرى الأباطيل والأراجيف، والنبي يدعوهم إلى المزيد من التغني وإذا أراد أحد مثل أبي بكر ان يمنعهم يقول له: دعهم يا أبا بكر وشأنهم؟ ومن هو هذا النبي الذي يرى اناسا يرقصون في فناء مسجده، وعوضا من منعهم وردعهم يحثهم على الأكثر وإذا أراد عمر بن الخطاب أن يصددهم عن فعلهم قال له: دعهم يا عمر وشأنهم؟ ومن هو هذا الرسول الذي يدعو زوجته الشابية إلى مشاهدة الرقاصين الأجانب فتتظر إليهم إلى أن تشبع عينها من مشاهدتهم؟ ومن هو هذا الرسول الذي يتصدر الحفلات النسائية ويجلس بينهن ويستمتع غنائهن وربما أبدي رأيه في اغنيتهن؟ وأي مبعوث هذا الذي يشترك في حفلة زواج، والعروس بنفسها تقوم بخدمة الرجال؟ وأي رسول هذا الذي يتناسى وظائفه الرسالية ويفكر في الأعراس التي تقام هل أنهم دعوا مغنية أم لا؟ وإذا لم يدعوا أحدا يحثهم على ذلك، ومن ثم هو الذي يقوم بتعيين نوع الاغنية: أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم؟ ومن هو هذا النبي الذي يقف ممثلا أمام نساء راجعات من العرس ويخاطب الفتيات اللاتي يعزفن ويغنين ويقول لهن: والله إنني لاحبكن وانكن لاحب الناس الي؟

[٢٨٦]

وأي وأي..... هذه القصص وأمثالها - التي حيكمت حول الرسول (صلى الله عليه وآله)، وأخرجوها على شكل حديث صحيح، وتناقولها عبر قرون متمادية - فإنها مصداق واضح لقول الشاعر: إذا كان رب البيت بالدف مولعا \* فشيمة أهل البيت كلهم الرقص ولكن الحق والحق أقول: وما أفة الأخبار إلا روايتها. البراهين القطعية تفند صحة الأحاديث: فلو رجعت - أيها المطالع البصير - إلى المواضيع التي أسلفنا ذكرها في أول بحثنا حول الأنبياء عامة ورسول الله (صلى الله عليه وآله) خاصة، وبرهنا بالآيات والأحاديث الصحيحة، على إثبات زيف هذه الأحاديث وجعليتها، ولرأيت أن سيرة الرسول قبل بعثته التي تطرقنا إليها بالأجمال هي الأخرى تدل على بطلان صحة هذه الأحاديث الموضوعية، واستنكرت هذه الأباطيل التي نسبت إليه (صلى الله عليه وآله). ولكي يتجلي اختلاقي هذه الأحاديث التي دلست ونسبت إلى النبي (صلى الله عليه وآله) أكثر وضوحا، نذكر لك بعض الأحاديث الأخرى التي تشير إلى سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله)، واهمية المساجد في الاسلام، وتتطرق أيضا إلى سرد بعض الروايات المروية في حرمة الغناء، وحرمة النظر إلى الاجانب والأجنبيات، في مصادر العامة المعتمدة عليها والمعتبرة عندهم في هذه المسألة. حول الرسول (صلى الله عليه وآله): روي في المصادر

التاريخية المعتبرة عن محمد بن الحنفية عن أبيه الأمام علي (عليه السلام) قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: ما هممت بشئ مما كان اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين، كل ذلك يحول الله تعالى بيني وبين ما اريد من ذلك، ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته. قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي بأعلى مكة: لو أبصرت لي غنمي حتى،

#### [٢٨٧]

أدخل مكة، فأسمر بها كما يسمر الشباب، فخرجت اريد ذلك حتى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفا بالدف والمزامير. فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذا فلان تزوج ابنة فلان. فجلست أنظر إليهم، فضرب الله على أذني ففتمت، فما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما صنعت شيئا، ثم أخبرته الخبر. ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، فقال: افعل. فخرجت فسمعت حين دخلت مكة مثل ما سمعت حين دخلتها تلك الليلة، فجلست أنظر فضرب الله على أذني، فما أيقظني إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبي فأخبرته الخبر. ثم ما هممت بعدها بسوء حتى أكرمني الله برسالته (١). أقول: إن هذا النبي الذي حضني في صغره بالطاق وعنايات ربانية، ومنع بالفعل عن الأشتراك في مجالس اللهو، ولم يخطر على باله ولو للحظة واحدة أن يشارك أهل الجاهلية في عملهم، فكيف به بعد أن نال رتبة النبوة وبعث رسولا وهو يشرف على الشيب أن يغير سيرته، فيشترك في حفلات النساء وتخدمه العروس الشابة، ويدعو زوجته لمشاهدة الأجنبي؟ أليست هذه الأعمال من تراث الجاهلية وعاداتها؟ أليست هذه الأعمال قد منعت شرعا، وجاء تحريمها في الإسلام وعلى لسان النبي الكريم (صلى الله عليه وآله)؟ الغناء في القرآن: ثمه آيات عديدة ومتطافرة تدل دلالة واضحة على حرمة الغناء والموسيقى، وقد اشار إلى ذلك المفسرون، نذكر منها ثلاث آيات على سبيل التمثيل لا الحصر: ١ - قوله تعالى: (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل به عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزا أولئك لهم عذاب مبين) (٢).

(١) مستدرک الصحیحین ٤: ٢٤٥ كتاب التوبة والاناية، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ١٢: ٢٠٧، تاريخ الطبري ٢: ٢٧٩، الكامل في التاريخ لابن اثير ٢: ٢٨، البداية والنهاية ٢: ٢٨٧، السيرة الحلبية ١: ١٢٢. (٢) لقمان: ٦.

#### [٢٨٨]

سئل ابن مسعود عن قوله تعالى: (لهو الحديث)، فقال: الغناء والله الذي لا إله إلا هو - يرددها ثلاثا - . وورد أيضا تفسير لهو الحديث بالغناء عن: ابن عباس، ابن عمر، عكرمة، سعيد بن جبير، مجاهد، مكحول، ميمون بن مهران، قنادة، النخعي، عطاء والحسن البصري (١). ٢ - قوله تعالى: (واستغفر من استطعت منهم بصوتك) (٢). قال ابن عباس ومجاهد: المراد من صوت الشيطان هو الغناء وآلاته (٣). ٣ - قوله تعالى: (أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون) (٤). عن عكرمة، عن ابن عباس أنه قال عقيب الاية: أن المراد من سامدون هو الغناء والتغني. وذلك لان سمد في لغة بني حمير هو الغناء، يقولون: سمد لنا اي غنى لنا (٥). الغناء في السنة: وأما الروايات الدالة على حرمة الغناء فهي متواترة ومتطافرة أيضا نكتفي بذكر بعضها على سبيل المثال:

(١) تفسير الطبري ٢١: ٣٩ - ٤١، تفسير القرطبي ١٤: ٥١ - ٥٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣: ٤٥٠ - ٤٥١، تفسير الدر المنثور ٥: ١٥٩ - ١٦٠، إرشاد الساري ٩: ١٧١. (٢) الاسراء: ٦٦. (٣) تفسير الطبري ١٥: ٨١، تفسير القرطبي ١٠: ٢٨٨، تفسير ابن كثير ٣: ٤٩، تفسير الألوسي ١٥: ١١١. (٤) النجم: ٦٠. (٥) تفسير الطبري ٢٨: ٤٨، تفسير القرطبي ١٧: ١٢٢، تفسير ابن كثير ٤: ٣٦٠، تفسير الدر المنثور ٦: ١٢٢.

### [٢٨٩]

١ - عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً: من استمع إلى صوت غناء، لم يؤذن له أن يستمع الروحانيين. فقيل: ومن الروحانيون يا رسول الله؟ قال (صلى الله عليه وآله): قراء أهل الجنة (١). ٢ - عن علي (عليه السلام) مرفوعاً: تمسخ طائفة من أمتي قرده، وطائفة خنازير، ويخسف بطائفة، ويرسل على طائفة الريح العقيم، بأنهم شربوا الخمر ولبسوا الحرير واتخذوا القيان وضربوا بالدقوق (٢). ٣ - عن أنس مرفوعاً: بعثني الله رحمة وهدى للعالمين وبعثني بمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية (٣). ٤ - روى ابن ماجه في سننه عن مجاهد: كنت مع ابن عمر فسمع صوت طبل، فأدخل إصبعيه في أذنيه. ثم تنحى. حتى فعل ذلك ثلاث مرات. ثم قال: هكذا فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) (٤). وقريب منه رواه أبي داود في سننه (٥). هذه كانت خلاصة ما ورد في ذم الغناء وحرمة من الآيات والروايات. ولكن سؤال يطرح: ان مثل هذا الرسول الذي نزلت عليه هذه الآيات، وجاء بسنة تحرم الغناء، وهو القائل: من يستمع الغناء يحرم من صوت قراء الجنة، وإن استماع الغناء والتغنى سبب لمسوخ الفضائل الإنسانية، وتراه يسد أذنيه بإصبعيه بمجرد أن يطرق أذنه صوت الغناء، ويتنحى عن ذلك المكان بسرعة. فهل يعقل لمثل هذا الرسول أن يسمح للفتيات بالغناء، وضرب الدف في داره، بحيث لو أراد أحد أن يصدهن عن ذلك يمنعه ويقول: دعهن وشأنهن؟

(١) تفسير القرطبي ١٤: ٥٤. (٢) تفسير الدر المنثور ٢: ٣٢٤. (٣) المصدر: ص ٣٢٣. (٤) سنن ابن ماجه ١: ٦١٣ كتاب النكاح باب (٢١) باب الغناء والدف ح ١٩٠١. (٥) سنن أبي داود ٤: ٢٨١ كتاب الأدب باب كراهية الغناء والزمر ح ٤٩٢٤.

### [٢٩٠]

حول المساجد: للمساجد في الاسلام شأن كبير ومقام رفيع وأهمية قصوى، وأية بقعة في الأرض اطلق عليها اسم المسجد يحرم على المسلمين تنجيسه، والمكث فيه جنباً، والقيام بأي عمل ينافي حرمة المسجدية. ولقد شرع رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحكاماً في المساجد مما تدل على رفعة شأنها وأهميتها: ١ - قال (صلى الله عليه وآله): جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسل سيفكم (١). والمراد من ذلك تمكين هؤلاء من المسجد، وأما جلب الأطفال إلى المساجد لتعويدهم على العبادة ومراقبتهم فليس فيه منع، بل إنه مستحسن وإنه من اصول التعليم والإرشاد. ٢ - وفي مراعاة حرمة المساجد قال (صلى الله عليه وآله): من سمع رجلاً ينشد ضالة في المسجد، فليقل: لا أداها الله إليك، فإن المساجد لم تبني لذلك (٢). ٣ - وقال (صلى الله عليه وآله): إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين (٣).



(١) سنن ابن ماجة ١: ٢٤٧ كتاب المساجد والجماعات باب (٥) باب ما يكره في المساجد ح ٧٥٠. (٢) سنن أبي داود ١: ١٢٨ كتاب الصلاة باب في كراهية إنشاد الضالة في المسجد ح ٤٧٣، السنن الكبرى للبيهقي ٢: ٤٤٧ كتاب الصلاة باب كراهية إنشاد الضالة في المسجد... (٣) صحيح البخاري ١: ١٢١ كتاب الصلاة باب إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين، وج ٢: ٧٠ كتاب الصلاة باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، صحيح مسلم ١: ٤٩٥ كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب (١١) باب استحباب تحية المسجد بركعتين... ح ٦٩ - ٧٠، سنن الترمذي ٢: ١٢٩ كتاب الصلاة باب (٢٣٣) باب إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين ح ٣١٦.

### [٢٩١]

مسجد النبي (صلى الله عليه وآله): هذه الأحاديث التي ذكرناها ومئات غيرها، كلها تبين مكانة المسجد بشكل عام في شتى بلاد العالم، وأما مكانة مسجد النبي (صلى الله عليه وآله)، فإنه يمتاز على غيره بكثرة الفضيلة والقداسة وأن بعض المذاهب الإسلامية يعتبرون أن مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) هو ثاني مساجد المسلمين بعد المسجد الحرام من حيث المكانة والفضيلة، وهناك مذاهب أخرى تعتقد بأن مكانة المسجد النبوي أجل وأرفع شأنًا حتى من المسجد الحرام (١). ولهذه القداسة والفضيلة نقرأ في تاريخ حياة النبي (صلى الله عليه وآله) أن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يقضي أوقات مناجاته مع الله ونفحات الدعاء في مسجده الذي هو أشرف بقاع الأرض، والذي كان ينزل فيه جبرئيل على النبي بالوحي الألهي، حتى أنه كان له ورد خاص ودعاء خاص حين دخول المسجد وعند الخروج منه. روى الترمذي بإسناده عن فاطمة بنت الحسين (٢) عن فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا دخل المسجد صلى على محمد وآله وسلم وقال: رب اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج صلى على محمد وآله وسلم وقال: رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك (٣). وأخرج البخاري أن النبي إذا قدم من سفر دخل المسجد وصلى ركعتين ثم يدخل داره (٤).. وإذا عرفت أيها القارئ الكريم أحكام المساجد ومكانتها وخاصة مسجد

(١) الفقه على المذاهب الأربعة ١: ٢٨٤ - ٢٩١ كتاب الصلاة باب ما يكره فعله في المساجد وما لا يكره. (٢) هي فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمية، وزوجها هو ابن عمها الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي. (٣) سنن الترمذي ٢: ١٢٧ كتاب الصلاة باب (٢٣٤) ما يقول عند دخول المسجد ح ٢١٤. (٤) صحيح البخاري ٤: ٩٤ كتاب الجهاد والسير باب الصلاة إذا قدم من سفر.

### [٢٩٢]

النبي (صلى الله عليه وآله) من خلال مطالعتك للأحاديث التي مرت عليك، فهل يعقل أن سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) يسمح للأحباش أن يشنغولوا بالرقص واللعب في فناء مسجده؟ فيا ترى أن النبي الذي خص دعاء مأثورًا - احترامًا لكيان المسجد - لدخوله والخروج منه، هل يسمح لأحد أن يعلن في المسجد بفقد ضالة له؟ هذا النبي (صلى الله عليه وآله) الذي أمر الناس بإقامة ركعتي صلاة التحية في المسجد إجلالًا للمسجد وحفظًا لقداسته ومكانته، ومنع الأطفال والمجانين والأشرار الذين يخلون بنظم المسجد ولا يراعون آداب المسجد من دخولهم المساجد، و... و... فهل من عاقل يعقل ويقبل بأن حفلة رقص وأعمال الشعبة أقيمت في هذا المسجد الذي هو انبل بقاع الأرض شرفًا وأعلىها كرامة والنبي (صلى الله عليه وآله) يقف متفرجًا عليهم بل ويحث الرقاصين على فعلهم ويشجعهم بقوله: (دونكم يا بني أرفدة)، حتى إذا أراد أحد مثل

الخليفة أبي بكر أو عمر أن يصدّهم عن الرقص واللعب ويحثو في وجوههم حصب المسجد ينهاه النبي. ويقول له: دعهم يا... وشأنهم؟ النظر إلى الأجنبي والأجنبية: نظر الرجل إلى المرأة الأجنبية ونظر المرأة إلى الرجل الأجنبي من المسائل التي حرمها الدين الإسلامي، وهذه من الأمور الفطرية التي لا يحتاج إثباتها إلى آية أو حديث، ومع هذا الوضوح البين نورد لك - أيها القارئ - حديثين استخرجناهما من كتب العامة ومصادرهم المعتبرة: ١ - أخرج السيوطي في تفسيره عن سنن أبي داود (١) والترمذي (٢) والنسائي (٣)

(١) سنن أبي داود ٤: ٦٣ كتاب اللباس باب في قوله تعالى: (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) ح ٤١١٢. (٢) سنن الترمذي ٥: ٩٤ كتاب الادب باب (٢٩) باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال ح ٣٧٧٨. (٣) السنن الكبرى للنسائي ٥: ٣٩٣ كتاب عشرة النساء باب (١٠٨) نظر النساء الأعمى =

[٢٩٢]

والبيهقي (١) بسندهم عن ام سلمة قالت: كنت وميمونة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ أقبل ابن ام مكتوم فدخل عليه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): احتجبا عنه. فقالت ام سلمة: قلت: يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا؟ فقال (صلى الله عليه وآله): أفعميا وان أنتما؟ ألستما تبصرانه؟!! (٢) - أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: إياكم والدخول على النساء. فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرايت الحمى - زوجة الأخ -...؟ قال (صلى الله عليه وآله): الحمى الموت (٣)، لعل الحماة تكون سببا في الأنزلاق إلى المعاصي والذنوب. فأنت - أيها المطالع العزيز - بإمكانك بعد التمعن في أهمية هذا الموضوع، ومعرفة حرمة النظر إلى الأجنبي أو الأجنبية، أن تقيم هذه الأحاديث المزورة على النبي (صلى الله عليه وآله) بأنه كان يجتمع مع النساء في حفلات العرس، والعروس بنفسها تقوم بخدمته وخدمة الرجال، أو أنه كان يشجع زوجته الشابة - عائشة بنت أبي بكر - ويدعوها للتفرج على الرقاصين. فهل هذه القضايا الملفقة على النبي تبدو صحيحة؟ بينما تراه هو الذي أمر زوجته العجوزتان ام سلمة وميمونة أن تحتجبا حتى عن رجل ضرير وأعمى حتى لا تقع عينيهما عليه وإن كان هو لا يراهما.؟!! هذا النبي الذي ينهى المسلمين أن يدخلوا على النساء الأجنبية حتى ولو كن حماة لهم، ويمنعهم من أن يتوسطوهن، كيف يسوغ لنفسه أن يتوسط النساء في حفلاتهن؟ أو يبيح للعروس وهي في ليلة زفافها أن تخدمه وتخدم أصحابه الكرام؟!!

= ح ٩٢٤١ / ١. (١) السنن الكبرى للبيهقي ٧: ٩١ كتاب النكاح باب مساواة المرأة الرجل في حكم الحجاب والنظر إلى الأجنبي. (٢) تفسير الدر المنثور للسيوطي ٥: ٤٢. (٣) صحيح البخاري ٧: ٤٨ كتاب النكاح باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذمحرم... صحيح مسلم ٤: ١٧١١ كتاب السلام باب (٨) باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها.

[٢٩٤]

عائشة تلعب بالنبات عند الرسول (صلى الله عليه وآله): جاءت أحاديث عديدة في كتب أهل السنة تؤكد النهي القاطع عن التماثيل وصناعتها، وهذه الأحاديث داحضة للحديث المشهور عندهم بأن

عائشة كانت تلعب بالنبات بمرأى من النبي (صلى الله عليه وآله). ولكي تقف على حقيقة التزييف في أحاديث عائشة نورد بعضها: ١ - أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما بسندهما عن ابن عباس، عن أبي طلحة قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تصاوير (١). ٢ - وانفرد البخاري بالتخريج بسنده عن الأعمش، عن مسلم قال: كنا مع مسروق في دار يسار بن نمير فرأى في صفته تماثيل فقال: سمعت عبد الله قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: ان أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون (٢). ٣ - وأخرجنا معا باسنادهما عن عائشة انها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فقام النبي (صلى الله عليه وآله) بالباب فلم يدخل، فقلت: أتوب مما أذنبت. قال (صلى الله عليه وآله): ما هذه النمرقة؟ قلت: لتجلس عليها وتوسدها. قال (صلى الله عليه وآله): إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: احيوا ما خلقتم، وإن الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصورة (٣).

(١) صحيح البخاري ٧: ٢١٤ كتاب اللباس باب التصاوير، صحيح مسلم ٣: ١٦٦٥ كتاب اللباس والزينة باب (٢٦) باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب وصورة ح ٨٤. (٢) صحيح البخاري ٧: ٢١٥ كتاب اللباس باب عذاب المصورين يوم القيامة، صحيح مسلم ٣: ١٦٧٠ كتاب اللباس والزينة باب (٢٦) باب تحريم تصوير صورة الحيوان وإن الملائكة لا تدخل... ح ٩٨ - ٩٠. (٣) صحيح البخاري ٣: ٨٢ كتاب البيوع باب التجارة فيما يكره لبسه للرجال والنساء، وج ٧: ٢١٦ كتاب اللباس باب من كره القعود على الصورة وباب لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة، صحيح مسلم ٣: ١٦٦٩ كتاب اللباس والزينة باب (٢٦) باب لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة ح ٩٦.

#### [٢٩٥]

وأخيرا أيتها القارئ النبیه، ماذا تقول في نبي قال: إن ملائكة الرحمة لا تدخل بيتا فيه التماثيل والصور، وقال: إن المصورون الذين يصنعون التماثيل هم أشد الناس عذابا يوم القيامة، وأن هذا النبي الذي رأى صوراً على نمارق في بيته فأبى أن يدخله فهل يصح لهذا النبي أن يجيز لزوجته أن تمتلك بنانا وتلعب بهن، ويجلس هو شاهداً على حضور بنات الجيران في بيته، وهن يلعبن مع زوجته بهذه المجسمات والتماثيل؟ أسباب جعل هذه الأحاديث وهكذا فرغنا من سرد مجموعة كبيرة من آيات القرآن الكريم والروايات التي تفند وتدحض الأحاديث المدسوسة في كتب أهل السنة والتي تكيل الأكاذيب والافتراءات التي لفتت على النبي (صلى الله عليه وآله). والان نقف معا على معرفة الدواعي والأسباب لجعل هذه الأحاديث والأكاذيب حتى ينكشف الغل والغش أكثر وضوحاً، ويتعرف القارئ على أحاديث أهل السنة المترامية في كتبهم، حسب ما تسمح لنا ظروف كتابنا. ونذكر من بين جميع العلل والأسباب والدواعي ثلاثة منها فقط: ١ - تبرير الفساد الخلقي في البلاط الخلفي: عندما يدرس الواحد منا التاريخ دراسة متقنة ودقيقة، يعرف أن الحكومات التي تسلطت على رقاب المسلمين وخاصة منذ خلافة عثمان كانت تعيش فساداً أخلاقياً وإنهياراً دينياً كبيراً، وأن الزمرة التي تشكل منهم بلاط الحكم وتقلدوا أكثر المناصب وإمارة الولايات هم في الغالب من المنتسبين لعثمان الخليفة، الذين لم يتورعوا من الولوج في أي عمل فاسد ومخالف لاصول الدين والأخلاق. وما كانوا يمتنعون من ذلك حتى طغت عليهم الملاهي بشكل ملحوظ، من معاقرة الخمر وتعاطياها وسهرات الطرب والغناء بحيث شاع الانتهاء بالطرب والغناء في أكثر البلاد الإسلامية خاصة مكة والمدينة اللتان تعتبران أهم مدن الاسلام، ومنهما انتقلت الى سائر المدن الأخرى. ولما كانت الطغمة الحاكمة وبلاط الخلافة تحكم باسم الدين والشريعة، وترى

نفسها ممثلاً ونائباً عن المتقلد خلافة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وحيث كانت تتظاهر بتلك الامور وهم خلف الستار ملتهمون بالعيش المرفه ويستمتعون بالبذخ ومجالس الانس والطرب وحفلات معاقرة الخمر والتشدد بها، فلذلك رأيت أن تتذرع بخلق أخبار مفتراة وأحاديث مختلقة وينسبونها الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحجماً لمقامه وتصغيراً لشأنه حتى تبرر أعمالها وجرائمها التي كانت تمارسها. وهكذا خدشوا شخصية النبي (صلى الله عليه وآله) وطعنوا فيها وأنزلوها إلى أدنى مرتبة لكي تسنح لهم الامور، ويتقبلهم المسلمون من دون خلاف. فعلى هذا فإذا كان النبي (صلى الله عليه وآله) يشترك في الحفلات النسائية ويسمع الغناء، بل ويشجع الجوارى على ذلك، أو أنه يدعو زوجته الشابة لمشاهدة حفلات رقص الرجال، أو يحضر هو وأصحابه الأعراس وتقوم العروس بنفسها بخدمته واستقباله و... فما المانع من أن يشترك خلفاؤه وممثلوا الخليفة في مجالس الانس والطرب الليلية وينصتوا الى أصوات المغنيات؟ وهذه الامور التي نسبوها الى النبي (صلى الله عليه وآله) على مصراعيه، وذلك مع حرصهم على التصدي للزعامة وزمام المسلمين. فهذه المفتريات على النبي تسد افواه الرجال الذين يشجبون هذه المناكير ويحتجون على فاعلها لان بزعمهم الرسول كان كذلك - حاشاه (صلى الله عليه وآله) - صور من مناكير بلاط الخليفة: بالرغم من المحاولات التي قام بها المحدثون والمؤرخون لأخفاء مساوئ أصحاب رسول الله ومخازيرهم، ويستتروا معائب الخلفاء والامراء، ويعتموا على نقاط ضعفهم، فإن بعض الهفوات والنقاط التي تحكي هذه المخازي قد تسربت منهم ووصلت اليينا.

ونستعرض لك - أيها القارئ النبيه - نماذجاً وصوراً مما نقلته كتب الحديث والتاريخ، والتي تعطيك لمحة واضحة وصورة كاشفة عن الأوضاع السائدة في عهد ذي النورين عثمان ومعاوية. ١ - ظهر في عهد عثمان ومعاوية عشرات المغنين والمطربين، كابن سيحان، طويس، ابن عائشة، ذي الأصبع، وسائب خاثر و... ويمكنك ان تعبر عنهم بمغنيي ومطربي البلاط الخلفي، إذ أنهم كانوا مخصوصين بالبلاط أو بذات الخليفة (١). ٢ - قال أبو الفرج الاصفهاني في ترجمة ابن سيحان المطرب المعروف: وهو أحد المعافرين للشراب والمحدودين فيه وكان مع بني أمية كواحد منهم، إلا أن اختصاصه بأبي سفيان وأل عثمان خاصة كان أكثر، الوليد بن عثمان ابن الخليفة ومؤانسته إياه أكثر من سائرهم لأنهما كانا يتنادمان علي الشراب. وقال: كان الوليد بن عثمان يشرب مع الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وابن سيحان، وكان يخمر، فأصابه من ذلك شئ شديد حتى خيف عليه، وشق النساء عليه الجيوب، فدعي له ابن سيحان، فلما رآه قال: اخرجني عنى وعن أخي، فخرجن فقال له: الصبح يا أبا عبد الله - أي حان وقت شراب الصبح - فجلس مفيقاً. فذلك حيث يقول ابن سيحان: بأبي الوليد وأم نفسي كلما \* بدت النجوم ودر قرن الشارق (٢) ٣ - روى أبو الفرج أيضاً قصة مجالسة معاوية مع ابنه يزيد وسائب خاثر المغني المعروف بالمدينة ثم أوصى ابنه يزيد أن يكثر بره وصلته لسائب خاثر، ولا تفوته مجالسته، وهكذا روى: بأن أشرف معاوية على منزل يزيد ابنه فسمع صوتاً أعجبه، واستخفه السماع فاستمع قائماً حتى مل، ثم دعا بكرسي فجلس عليه واشتهى الزيادة

(١) راجع ترجمتهم في موسوعة الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني الأجزاء ١ و ٢ و ٣.  
(٢) الأغاني ٢: ٢٤٢ و ٢٤٤.

### [٢٩٨]

فاستمع بقية ليلته حتى مل، فلما أصبح غدا عليه يزيد فقال له: يا بني من كان جليسيك البارحة؟ قال: سائب خاثر. قال: فاختر له يا بني من برك وصلتك فما رأيت بمجالسته بأساً (١). ٤ - ويروي كذلك عن ابن الكلبي يقول: قدم معاوية المدينة في بعض ما كان يقدم، فأمر حاجبه بالأذن للناس. فخرج الأذن ثم رجع فقال: ما بالباب أحد. فقال معاوية: وأين الناس؟ قال: عند أبي جعفر، فدعا ببغلته فركبها ثم توجه إليهم، فلما جلس فغنى سائب خاثر فسمع منه معاوية وطرب، وأصغى له حتى سكت وهو مستحسن لذلك (٢). ٥ - أخرج الامام أحمد بن حنبل في مسنده عن عبد الله بن بريدة قال: دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفريش، ثم اتينا بالطعام فأكلنا، ثم اتينا بالشراب فشرب معاوية، ثم ناول أبي ثم قال: ما شربته منذ حرمه رسول الله (صلى الله عليه وآله) (٣). ٦ - روى المسعودي في تاريخه: وغلب على أصحاب يزيد بن معاوية وعماله ما كان يفعل من الفسوق، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي وأظهر الناس شرب الشراب (٤). ٧ - روى أحمد بن حنبل: أن الوليد بن عقبة - والي عثمان على الكوفة وأخوه من أمه - كان معاقراً ومدمناً للشراب، ومولعاً بالزنا ومشهوراً بذلك، فشرب الخمر ليلة ودخل المسجد ليؤم الناس لصلاة الصبح، فصلى بهم أربعاً ثم التفت الى المأمومين فقال: هلا أزيدكم؟ حتى إنه كان في الصلاة - الكذائية - فأنشد أبياتا عشقية قال: علق القلب الربابا \* بعد ما شابت وشابا

(١ و ٢) الأغاني ٨: ٢٢٤. (٣) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٢٤٧. (٤) مروج الذهب ٢: ٧٧.

### [٢٩٩]

ومن ثم تقياً في مجراه، فوصل خبره هذا الى أخيه الخليفة عثمان في مركز الخلافة الإسلامية، فأمر أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب أن يجري عليه الحد، بمحض من أخيه الخليفة عثمان. فلما تولى سعيد بن العاص إمارة الكوفة من بعده أبى سعيد أن يصعد المنبر إلا أن يغسل ويطهر، لأنه قد صعد الوليد الفاسق والنجس (١). نعم، فما دام ابن الخليفة - الوليد بن عثمان - يروم السهرات معاقراً الشراب والطرب، أو أخ الخليفة - الوليد بن عقبة - وواليه على الكوفة يؤم الناس في صلاة الصبح وهو سكران وأن الخليفة ذاته - معاوية - في مركز الدولة الإسلامية ومهبط الوحي وعند المسجد النبوي يحضر مجالس السمر والطرب، ويصغي الى صوت المغني ويطرب به، ويشرب الشراب على مائدته ويدعو ضيفه الى أخذ نخب من الخمر وما دام هذا هو دأب الخلفاء وبلاطهم وذويهم، حيث يأتون بالمنكرات على مرأى من الناس فلا سبيل الى توجيهه وتبرير هذه المخازي - وتلطيف الرأي العام لقبول هذه المساوئ - إلا لبس الفرو مقلوباً واتهام الرسول (صلى الله عليه وآله) والافتراء عليه بمثل ما هم يعملون حتى يتلقى الناس فعلهم بالمشروعية، وإليك - أيها القارئ - بعض المفتريات على النبي (صلى الله عليه وآله) لكي يبرروا معاقرتهم للخمر: إهداء الشراب الى النبي (صلى الله عليه وآله) عليه (صلى الله عليه وآله): عند ما كنت أقوم بدراسة المفتريات التي حيكمت ضد النبي (صلى الله عليه وآله) تأملت في السياسة التي اتخذها الخلفاء، ومن ناحية اخرى كنت افكر في السبب لتفشي الخمر ومعاقرتة

وشربه بين الزمرة الحاكمة آنذاك، فبدت إلي فكرة لا بد أنهم أباحوا كل ذلك بعد أن اختلقوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذا المجال كما هو ذابهم - في جعل الحديث - حديثا ينسبون إليه شرب الخمر !!

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٤٤، أنساب الأشراف للبلاذري ٥: ٣٣، مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٤٤ - ٣٤٦، الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٥: ١٣٦.

### [٣٠٠]

ولذلك قمنا بالفحص والتنقيب في كتبهم الحديثية حتى تمكنا من العثور على حديث في هذا المجال يرويه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، وعرفنا أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم ينج من هذه الفرية والتهمة أيضا، ولكن وضاعي الحديث والدساسين لما وجدوا أن اكدويتهم بان الرسول (صلى الله عليه وآله) قد عاقر الخمر في أواخر حياته لم تتفق مع الايات المحكمة الصريحة التي نزلت بشأن تحريم الخمر، لذلك تراهم نسبوا الفرية لرسول الله (صلى الله عليه وآله) الى عهد ما قبل التحريم. ورووا عن نافع بن كيسان أنه قال: إن أباه كيسان اخبره أنه كان يتجر في الخمر في زمن النبي (صلى الله عليه وآله)، وأنه أقبل من الشام ومعه خمر في الزقاق يريد بها التجارة، فأتى رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: يا رسول الله جئتك بشراب جيد، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا كيسان إنها حرمت بعدك (١). هذا ما رووه في مجال معاقرة النبي (صلى الله عليه وآله) الخمر وافتروا عليه ذلك بأسلوب رزين ودقيق !! تبريرا لما كانوا يتسامرون ويتعاطون الخمر. وربما نوافيك في الفصول القادمة أيضا بعض الأخبار المدسوسة على رسول الله (صلى الله عليه وآله). ٢ - تضخيم دور عائشة أما السبب الآخر في الافتراء وجعل الأكاذيب ونسبتها الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو تضخيم دور عائشة، ونفوذها وتقويته، وذلك لأنه وقعت في أيامها حوادث وقضايا كبيرة، مثل قتل الخليفة عثمان ذي النورين في عقر داره، ونشوب حرب كبرى فرضتها على خليفة آخر راح ضحيتها آلاف المسلمين، ولا يكون لها شبيه في تاريخ الإسلام (٢)، وكان المحرك الأول من وراء هذه الحوادث هو عائشة بنت أبي بكر وزوجة

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٣٢٥. (٢) ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد أن عدد قتلى واقعة الجمل ٢٥٠٠٠ مسلم. وزاد يعقوبي على ٣٠٠٠٠٠ مسلم، بينما نلاحظ أن عدد قتلى المسلمين في جميع حروبهم إلى قبل اندلاع هذه الواقعة لم يصل إلى عدد قتلى هذه الواقعة، ولمزيد الاطلاع على نتائج هذه الواقعة راجع كتاب عائشة على عهد علي.

### [٣٠١]

النبي (صلى الله عليه وآله) !! . أفترى إن قيادة واقعة الجمل وسائر الحوادث، والأفناء بقتل الخليفة (١) وانقياد الناس لهذه القيادة والتزامهم بأوامرها، وفتح جبهة اخرى ضد إمام عصرها أي الخليفة الحق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فهل كل هذه الامور تستدعي أن تضخم شخصية عائشة وموقعها عند الناس، الى حد بحيث إذا أمرت بشئ كان لأمرها التأثير الكبير في نفوس المسلمين، ويتلقوا أمرها فريضة دينية، والدفاع عن عائشة وحماتها جهاد في سبيل الله ؟ وهكذا ترفعوا في تضخيم شخصية

عائشة وعظموها شأنها بحيث اختفت مخالفتها لصريح القرآن وأمره (٢)، ومعاندتها لأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) (٣) خلف أستاذ هذا التضخيم، حتى أن برؤوها وعملها عن النقد والمؤاخاة... وأفضل ذريعة تمسكوا بها في هذا المجال هو أن يصوروا لعائشة صورة مضخمة، ويرسموا شخصيتها مكبرة بحيث قالوا: إن النبي (صلى الله عليه وآله) كان ينقاد لها، وكان يتحمل الصعاب والمتاعب في سبيل رغباتها، وكان يقف لتضع عائشة رأسها على كتفه لتتفرج على رقص الأحباش، وأنه لم يكشف عن تعبه حتى تمل هي وتنزل !! وإن دل هذا على شيء فإنه يدل على أنهم يريدون بذلك إبراز العلاقة الشديدة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالنسبة إلى عائشة، وكان يسعى أن يلبي رغباتها ولم يبرز أي نوع من الضجر والملل، حتى وإن بلغت ثمانية عشر عاما فإنها كانت تلعب بالبنات، ولكي يطيب قلبها ويرضيها فكان يدعو الجواري ويشجعهم على اللعب مع عائشة.

(١) الفتوى التاريخية التي أصدرتها أم المؤمنين عائشة إذ أعلنت على الملأ بأن عثمان قد كفر، وخرج عن الدين، وارتد بعد إسلامه، فلا بد من قتله وإعدامه، وهذه الفتوى هو قولها: اقتلوا نعتلا فقد كفر. وسيأتيك فيما بعد مصدر هذه الفتوى، فراجع. (٢) قال تعالى مخاطبا نساء النبي: (وقرن في بيوتكن ولا ترحن ترحن الجاهلية الأولى). الأحزاب: ٣٣. (٣) راجع كتب الحديث والتاريخ والعقائد فيما ورد الكلام حول حرب الجمل وخروج عائشة محاربة خليفة رسول الله علي بن أبي طالب (عليه السلام).

## [٣٠٢]

وبناء على هذه الامور فلا يحق لأي أحد أن ينتقدها ويشجب اعمالها، خاصة بالنسبة الى فتواها في قتل الخليفة: اقتلوا نعتلا فقد كفر (١)، إذ أنها حكمت على عثمان بالارتداد والتهور، فلذلك يجب إعدامه، وما كان أحد يتردد فيما قالته عائشة ورأته، أو يبدى معارضته لرأيها. وبعد فترة من الزمن - وبعد أن تم العمل بفتوى عائشة بقتل عثمان - تغيرت الامور على عكس هواها فنهضت ثائرة لدم عثمان - الذي أفتت بكفره بالأمس - وأعلنت حربا ضد أمير المؤمنين، واستنفرت الناس بفتواها الثانية التاريخية: ألا إن عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتلته فإذا ظفرتهم بهم فاقتلوهم (٢). وبعد هذا التضخيم لشخصية عائشة هل يجوز لأحد أن يتخلف عن فتواها ولا يقاتل الأمام علي (عليه السلام) ؟ فهل يحق لأحد ان يشجب حكمها ويستنكر عليها بأنك بالأمس حكمت بارتداد عثمان وفرضت قتله واليوم تطالبين بثأره ؟ و... و.... ؟ هذا العامل الذي ذكرناه ضمن دواعي جعل الأحاديث ونسبتها الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليس امرا يمكن دركه وفهمه من خلال التأمل في الاحاديث المذكورة فحسب بل ثمة أحاديث اخرى تدل على ذلك - تضخيم دور عائشة - بوضوح وعيان، ولكي يتضح ذلك أكثر نذكر حديثين على سبيل المثال مما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما والترمذي في سننه: ١ - أخرج الصحيحان باسنادهما عن عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) أنها قالت: كنت أنام بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورجلاي في قبلته - مزاحمة لسجده - فإذا سجد غمزني فقبضت رجلي، فإذا قام بسطتهما (٣).

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٧٧، الفتوح لابن اعثم الكوفي: ٣: ٢٢٥، تاريخ ابن اثير ٣: ٨٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٧٧، النهاية لابن اثير ٤: ١٥٦. (٢) الامامة والسياسة ١: ٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٤٩٩. (٣) صحيح البخاري ١: ١٠٧ كتاب الصلاة باب الصلاة على الفراش وص ١٣٦ باب التطوع =

وأخرج ابن سعد في طبقاته الكبرى عن عائشة قالت: فضلت على نساء النبي (صلى الله عليه وآله) بعشر قيل: وما هن يا أم المؤمنين ؟ فعددت فضائلها ثم قالت: وكان (صلى الله عليه وآله) يصلي وأنا معترضة بين يديه ولم يكن يفعل ذلك باحد من نسائه غيري (١). نستفيد من هاتين الروايتين: أولاً: إن استلقاء عائشة وتمدها أمام النبي (صلى الله عليه وآله) وهو في حال الصلاة وغمزه إياها لم يكن على سبيل الصدفة والاتفاق، بل يظهر من قول عائشة بكونه فضيلة لها دون سائر نسائه، وإن هذا العمل كانت تؤديه دائماً وباستمرار، ولو كان مرة واحدة لم تكن فضيلة تفتخر بها أم المؤمنين على ضرتها. ثانياً: إن هذا الفعل يدل على إساءتها الأدب تجاه النبي (صلى الله عليه وآله) وعدم إكرامها وإجلالها للصلاة والعبادة. ومن ناحية أخرى ترى أن هذا العمل هو تنزل وتحجيم لمقام النبوة والرسالة. لأن المؤمن والمؤمنات يأنف أن يمزح ويتفكه وهو في الصلاة التي هي معراج المؤمن ومقام الابتهاج إلى الله، ويمزح زوجته وهو في حال السجود، فكيف بخاتم الانبياء (صلى الله عليه وآله) ؟ والجدير بالذكر إن هذه الفرية مع انحطاط مفهومها وركاكتها، فيها إساءة أدب للنبي (صلى الله عليه وآله) حين تعتبر إحدى الفضائل التي فضلت عائشة على سائر نساء النبي (صلى الله عليه وآله) وعلاقة النبي الشديدة بعائشة ! ٢ - أخرج الترمذي بإسناده عن عروة، عن عائشة قالت: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) جالسا فسمعنا لغطا وصوت صبيان، فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإذا حبشية تزفن والصبيان حولها، فقال: يا عائشة تعالي فانظري، فجئت فوضعت لحيي على منكب رسول الله (صلى الله عليه وآله)

= في خلف المرأة وص ١٢٨ باب هل يغمز الرجل امرأته عند السجود لكي يسجد، وح ٢: ٨١ كتاب الصلاة باب ما يجوز من العمل في الصلاة، صحيح مسلم ٢: ٣٦٧ كتاب الصلاة باب (٥١) باب الاعتراض بين يدي المصلي ح ٢٧٢، وسنن النسائي ٢: ٦٧ كتاب الصلاة باب الرخصة في الصلاة خلف الناظم. (١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨: ٦٤ ترجمة عائشة. (\*)

فجعلت انظر إليها ما بين المنكب إلى راسه، فقال لي: أما شبيعت أما شبيعت ؟ قالت: فجعلت أقول: لا، لأنظر منزلتي عنده إذ طلع عمر. قالت: فانفض الناس عنها قالت: فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنني لأنظر إلى شياطين الجن والأنس قد فروا من عمر قالت: فرجعت (١). وقد عرفت أيها القارئ أن هذه الرواية المزيفة والمختلقة تشير إلى نقطتين: الأولى: اختبار رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أن كم لعائشة من منزلة واحترام عنده، وقد صرحت الرواية: كلما كان يقول النبي (صلى الله عليه وآله): أما شبيعت من مشاهدة الحبشية ورقصهن ؟ تقول: لأمتحنه وأعرف منزلتي عنده. الثانية: اختلاق فضيلة للخليفة عمر بن الخطاب الذي فر منه الناس وتفرقوا لما رأوه قادمًا، حتى أن النبي يشيد بهذه الفضيلة تكريماً لعمر يقول: إنني لأنظر إلى شياطين الجن والأنس قد فروا من عمر. ٣ - اختلاق الفضائل للخلفاء: العامل الثالث الوضع هذه الافتراءات السخيفة على النبي (صلى الله عليه وآله)، وخلق هذه الخزعبلات، هو خلق فضائل للخلفاء وإظهارهم بأنهم الأفضل. ولتوضيح هذا نقول: لقد مر عليك في الجزء الأول من كتابنا (٢) أن معاوية بن أبي سفيان لما تسلط على الحكم ودامت خلافته عشرون عاماً ولم يكن هناك منازع له في الحكم، أسس لجنة وكلفها وضع الأحاديث لصالح



الخلفاء، وأمر ولاته وعماله في أقصى البلاد الى أقصاها أن يقرؤوها على الناس في خطب صلاة الجمعة وينشروها بينهم. ولم يدع معاوية في هذا المجال ذريعة إلا استفاد منها، واستفرد كل ما كان في وسعه من فكر وقوى في تحقيق هذه الأمنية، حتى أن مرتقته وعملاءه لم يهنوا لحظة من مساعدته في ذلك، فاختلقوا فضائل للخلفاء حتى ولو كانت هذه الفضائل المزيفة تؤدي إلى الأمانة بالرسول (صلى الله عليه وآله) وتحجيم منزلته.

(١) سنن الترمذي ٥: ٥٨٠ كتاب المناقب باب (١٨) باب مناقب عمر بن الخطاب ح ٣٦٩١. (٢) راجع ص: ٥١.

### [٣٠٥]

والهدف من وضعهم هذه الاحاديث المزورة ان تكون بديلة عن الاحاديث النبوية الصحيحة التي تروي فضائل أمير المؤمنين الأمام علي (عليه السلام) (١). وطبقا لهذه الخطة تراهم يصورون الخليفة أبا بكر ذا قدسية وطهارة، وأنه ذو معنوية عالية، وأنه من المطهرين والصالحين، وأنه لما دخل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله) والفتيات يعزفن ويطربن أظهر انزجاره وانزعاجه للغناء، ويخاطب ابنته بحدة ورسول الله (صلى الله عليه وآله) حاضر: (امزمارة الشيطان في بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله))؟ ومع ان النبي نهاه عن ذلك وقال: دعهن يا أبا بكر وشأنهن، إلا أنه أظهر ورعه وتقواه في الموضوع، حتى قامت عائشة تشير على الفتيات أن يخرجن من البيت (٢). واختلقوا للخليفة عمر بن الخطاب فضيلة بأنه لما دخل المسجد النبوي رأى الحبشة يلعبون ويرقصون، فازدرا من ذلك، فهوى الى الأرض وأخذ حصاء ليحصيهم بها فصدته النبي (صلى الله عليه وآله) وقال له: دعهم يا عمر (٣) ! فعلى هذا أليس يحق لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يقول بشأن هؤلاء الذين بلغوا من الورع والقدسية والأيمان والمتانة أعلى مراتبها ! !: عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين (٤) ؟ أليس يحق لرسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يقول بشأن الخليفة عمر بن الخطاب كلاما يعزز مقامه ويقدر منزلته ويعظم شخصيته حتى يقدمه على رتبة النبوة والرسالة ؟ ! !: ان الشيطان ليخاف منك يا عمر ! ! (٥)

(١) وفي هذا المجال لنا بحث طويل ومفصل في كتاب البديل نرجو من الله الموفق ان يوفقنا لاتمامه وطبعه. المغرب (٢) راجع المصادر ص: ٢٧٦ - ٢٧٧. (٣) راجع المصادر ص: ٢٨٠ هامش ٢. (٤) سنن ابن ماجه ١: ١٥ المقدمة باب (٦) باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ح ٤٢ و ٤٣، سنن ابي داود ٦: ٢٠١ كتاب السنة باب لزوم السنة ح ٤٦٧٠ مستدرک الصحيحين ١: ٩٦ كتاب العلم باب عليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي، سنن الدارمي ١: ٥٧ المقدمة باب (١٦) باب اتباع السنة ح ٩٥، مسند احمد بن حنبل ٤: ١٢٦. (٥) سنن الترمذي ٥: ٥٨٠ كتاب الفضائل باب (١٨) باب مناقب عمر ح ٣٦٩٠.

### [٣٠٦]

ويمكنك من خلال دراسة هذه الأخبار والأحاديث المنسوبة الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ان تقف على فضائل مختلقة بحق الخلفاء اكثر من ذلك.... واننا نشاهد أحاديث مختلقة وأكثر توهينا وازدراء من ذلك وضعتها أيدي العصبية المفرطة للحط من مقام النبي (صلى الله عليه وآله) وتشويه شخصيته وفي هذا المجال نضيف على ما ذكر واحدة منها: أخرج الترمذي والأمام أحمد بن حنبل

باسنادهما عن بريدة قال: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت: يا رسول الله إني كنت نذرت إن رذك الله سالما أن أضرب بين يديك بالدف وأتغنى. فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن كنت نذرت فاضربي، وإلا فلا. فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدف تحت استنها، ثم قعدت عليه، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالسا وهي تضرب فدخل أبو بكر وهي تضرب ثم دخل علي وهي تضرب ثم دخل عثمان وهي تضرب فلما دخلت أنت يا عمر ألقت الدف (١) ! فترى أن وضاعي هذه الأحاديث أرادوا تضخيم رتبة عمر بن الخطاب من الناحية التقوائية والمعنوية لتصيح أكبر من رتبة النبي (صلى الله عليه وآله) ! وتراهم أنهم يوحون بوضعهم هذه الأحاديث أن النبي (صلى الله عليه وآله) وكذا زوجه وأصحابه لم يتورعوا عن الأعمال السيئة، وكان (صلى الله عليه وآله) راضيا بأفعال شيطانية و أن الشياطين يلعبون بين يديه وهو ينظر إليهم، ولكن ما أن دخل عمر حتى اختل نظم المجلس وفرت الشياطين من عمر فرارا.

(١) سنن الترمذي ٥: ٥٨٠ كتاب المناقب، باب (١٨)، باب المناقب مناقب عمر ح ٣٦٩٠، مسند أحمد بن حنبل ٥: ٣٥٢.

#### [٢٠٧]

موافقات عمر بينا فيما سبق إن إحدى دواعي تليفق الافتراءات على الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله) هي خلق فضائل للخلفاء، والتعظيم على مثالبهم ومساوئهم، وتطرقنا أيضا الى بعض الأكاذيب التي كانت تتناقلها الألسن، وبروبها البسطاء والتي تشكل نوعية الثقافة والتفكير في المجتمعات الملوثة بالمغامرات المسائية، والليالي الحمراء التي كان يحييها الفساق وأهل الفساد، وفي هذا الفصل يتعرف القارئ المحقق، والباحث على فضائل موضوعة أخرى أرقى درجة وأرفع رتبة علميا، والمشتهرة في علوم الحديث والتاريخ (موافقات عمر). وملخص القول في الموافقات العمرية: هو إن الخليفة عمر كان يقترح مسائل عديدة على الله تعالى ورسوله، ومن ثم ينزل جبرئيل بأية تؤيد ما اقترحه الخليفة عمر، وإننا قد سمينا هذه الفضائل (بالفضائل العلمية) لأن الوضاعين أرادوا بوضعهم هذا النوع من الفضائل أن يرفعوا رتبة الخليفة، ويقربوها الى النبوة ويشركونه مع النبي في مسألة الوحي، ولما كان نزول الوحي القرآني من مختصات النبي ولا يشركه في ذلك أحد فتوسلوا الى اختلاق طريقة أخرى غير النبوة ليشاركوا عمر في مسألة الوحي مع النبي فقالوا: إن الخليفة عمر إذا أحب أن يشرع حكما في مسألة ما، فما يبرح حتي ينزل الوحي على النبي (صلى الله عليه وآله) موافقا ومطابقا للرأي الذي أحب عمر تشريعه. وقالوا: إن الخليفة كان عالما بالأحكام مسبقا فييدي رأيه، وبعدها ينزل الله آية تؤيد فكرة عمر، وتصحح رأيه، وإحيانا ينزل الله طبقا لما قاله عمر بتمام ألفاظه وكلماته. فعلى هذا فإن حرام الخليفة من تلقي الوحي القرآني مباشرة، لكنه لم يحرم من

#### [٢٠٨]

وحي من نوع آخر غير الوحي القرآني. وإليك أيها القارئ نماذج من تلك الموافقات العمرية نذكرها على سبيل المثال: ١ - صلى النبي

(صلى الله عليه وآله) على منافق مات، فنهاه الخليفة عن ذلك، فلم يتعبد النبي بقوله، فانزل الله تعالى: (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) (١) تأييدا لقول عمر وتقريبا لفعل النبي (صلى الله عليه وآله) (٢). ٢ - كانت مضاجعة الزوجة في ليالي شهر رمضان محرمة كنهاره، فاضطجع الخليفة مع زوجته في إحدى الليالي من شهر رمضان، وبعد أن استيقظ من نومه أنزل الله تعالى: (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) (٣) موافقة لرأي عمر وجوازا للجماع ليلا في شهر رمضان (٤). ٣ - دخل أحد غلمان الخليفة عمر عليه منزله بدون أن يستأذن منه، فساء عمر هذا الفعل من غلامه، فجعل يدعو ربه أن يمنع ويحرم دخول الغلمان بدون إذن مولاهم عليهم، فانزل الله تعالى في ذلك آية الاستيذان (٥). (٦) ٤ - كان رسول الله يدعو الله كثيرا ليغفر الله لبعض المنافقين، فقال له عمر: يا رسول الله سواء عليهم، أي إن استغفارك وعدم استغفارك لهم سواء، فانزل الله تعالى: (سواء عليهم أستغفرت لهم أو لم تستغفر لهم) (٧) تأييدا وتصديقا لقول عمر، ونزل

(١) التوبة: ٨٤. (٢) قال السيوطي: أخرج الحديث البخاري، مسلم، والبيهقي في الدلائل، الطبراني، ابن ماجه، البيهقي، ابن جرير، أبو يعلى وغيرهم. راجع الدر المنثور ٣: ٢٦٦ ذيل الآية. (٣) البقرة: ١٨٧. (٤) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ١: ١٩٧، عن الأمام أحمد وابن جرير وابن المنذر. (٥) النور: ٥٨. (٦) فتح الباري ١: ٤٠١. (٧) المنافقون: ٦.

### [٣٠٩]

الوحي بنفس الألفاظ التي قالها عمر (١). وحسب ما تضمنه روايات أهل السنة أن الله عزوجل أنزل آيات عديدة مؤيدة لرأي الخليفة عمر، أو مطابقة للمعنى الذي قصده عمر، أو أنزلها بنفس الألفاظ التي تفوه بها عمر، وقد وردت هذه (الموافقات العمرية) في موارد عديدة من كتب الحديث والتاريخ والتفسير (٢) وما ذكرناه في بحثنا هو نماذج فقط، وإلا فالموافقات العمرية المروية في كتب الجمهور هي أكثر بكثير مما أوردناه لك هنا. قال ابن حجر العسقلاني: وهذا دال على كثرة موافقته وأكثر ما وقفنا منها بالتعيين على خمسة عشر موافقة ولكن ذلك بحسب المنقول (٣). وقد جمع ابن حجر المكّي سبعة عشر موردا من موافقات عمر (٤). وقال السيوطي: وقد أوصلها بعضهم إلى أكثر من عشرين (٥). وقال العسقلاني أيضا: وصحح الترمذي من حديث ابن عمر أنه قال: ما نزل بالناس أمر قط فقالوا فيه، وقال فيه عمر، إلا نزل القرآن فيه على نحو ما قال عمر، وهذا دال على كثرة موافقته. وذكر قبله بأسطر والمعنى وافقني ربي فانزل القرآن على وفق ما رأيت لكن لرعاية الأدب

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣: ٢٦٤ عن الأمام أحمد والبخاري والترمذي والنسائي وابن أبي حاتم والنحاس وغيرهم. (٢) نحو مسند أحمد بن حنبل ١: ٢٤ و ٣٦ و ٥٣ و ٤٥٦، و ٢: ١٤٨، و ٦: ٢٢٣ و ٢٧١، مسند الطيالسي: ٩ ج ١، تاريخ الخلفاء: ١٢٢، تفسير الدر المنثور ٣: ١٧٠، و ٥: ٢١٢ و ٢١٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٤٢٣، سيرة ابن هشام ٤: ١٩٦. (٣) فتح الباري ١: ٤٠١. (٤) الصواعق المحرقة: ٩٩ - ١٠١. (٥) تاريخ الخلفاء: ١٢٢.

### [٣١٠]

أسند الموافقة إلى نفسه (١). أقول: لا فرق في مقام الاستخفاف وتحجيم نبوة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومرتبة الوحي والنبوة

بين تلغيق الأكاذيب والافتراءات التي نقلناها مسبقا وبين هذه الأكاذيب المسماة بموافقات عمر. ولا يخفى أن رواية حضور النبي في حفلات النساء ونزول آية الحجاب تلبية لرغبة عمر، أو ترغيب النبي الفتيات للغناء ونزول آية الاستيذان تأييدا لرأي عمر وإن النبي أجاز لزوجته أن تنظر الى رقص الأجنبي وإن آية (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) (٢) نزلت تلبية لما رجاه عمر... كل هذه منافية ومناقضة لمرتبة النبوة ولا تتناسب مع الرسالة. ولما كان التحقيق في جميع الموافقات العمرية ودراستها دراسة معمقة يحتاج الى كتاب مستقل وكبير وخارج عما نحن عليه من الأيجاز، اكتفينا بدراسة وتحقيق حديثين فقط مما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما في باب الموافقات العمرية. الايات الثلاثة: حدثنا هشيم، عن حميد، عن أنس قال: قال عمر: وافقت ربي في ثلاث فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى)، وآية الحجاب، قلت يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجن فإنه يكلمهن البر والفاجر فنزلت آية الحجاب (٣) واجتمع نساء النبي عليه في الغيرة عليه فقلت لهن: (عسى ربه إن يطلقك أن يبده أزواجا خيرا منكن) (٤) فنزلت هذه الآية (٥).

(١) فتح الباري ١: ٤٠١. (٢) البقرة: ١٢٥. (٣) الاحزاب: ٥٣. (٤) التحريم: ٥. (٥) صحيح البخاري ١: ١١١ كتاب الصلاة باب ما جاء في القبلة وح ٦: ٢٤ كتاب التفسير =

### [٣١١]

نقل البخاري هذا الحديث في صحيحه في موردين بتفاوت يسير بينهما، في كتاب الصلاة وكتاب التفسير. وكذا رواه مسلم في صحيحه باختلاف يسير. ترى في هذا الحديث إن الله أنزل ثلاث آيات في قرآنه تلبية لرجاء الخليفة عمر ورغبته: ١ - آية الحجاب. ٢ - آية (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى). ٣ - آية (عسى ربه إن يطلقك). وأما بالنسبة الى هذا الحديث فسوف نقوم بدراسة ما يرتبط بآية الحجاب فقط، وندع الحكم حول صحة القسمين الاخرين وسقمهما الى القارئ الباحث، وذلك لأنه عندما يتضح ضعف شطر من حديث فإن سائر الموارد تتبعه في الضعف والسقم... تقييم الموافقة في آية الحجاب: إن الحديث المذكور وإن لم يتطرق الى ذكر نص الآية المنزلة الموافقة لرأي عمر في مسألة الحجاب، إلا أن بعض الأحاديث الاخرى المروية بهذا الشأن والمنقولة ضمن فضائل عمر قد ذكرت نص آية الحجاب، أي (فإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب) (١). (٢) ولكن الشواهد والأدلة التي نذكرها تفند هذا الزعم بأن تكون آية الحجاب نزلت تأييدا لقول عمر، وتثبت كون هذا الحديث موضوعا ومن اختلاقات الوضعيين، وضعوه تشبيدا وتضخيما لمقام الخليفة عمر وتفضيلا له.

= أبواب تفسير سورة البقرة باب (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى). صحيح مسلم ٤: ١٨٦٥ كتاب الفضائل باب (٢) باب فضائل عمر ح ٢٤. (١) الاحزاب: ٥٣. (٢) مسند أحمد بن حنبل ١: ٤٥٦، شرح نهج البلاغة ١٢: ٥٧، الرياض النضرة ٢: ٢٩١.

### [٣١٢]

١ - التضارب في الأحاديث: إحدى الأدلة التي تثبت سقم القضية وضعفها هو التضارب والتناقض الموجود بين الأحاديث التي رويت بشأن نزول آية الحجاب. ففي حديث عن عائشة قالت: كنت أكل مع

رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيسا قبل أن تنزل آية الحجاب، ومر عمر، فدعاه فأكل فاصابت يده إصبعي. فقال: حس ! لو اطاع فيكن ما رأتن عين، فنزلت آية الحجاب (١). قال الطبري، حس بكسر السين والتشديد كلمة يقولها الانسان إذا اصابه ما مضه وأحرقه كالجمرة والضرية ونحوهما (٢). وفي حديث آخر أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما عن عروة بن الزبير معللا سبب نزول آية الحجاب، وفيه أن عائشة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) قالت: كان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله (صلى الله عليه وآله): احجب نساءك. قالت: فلم يفعل، وكان أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) يخرجن ليلا الى ليل قبل المناصع خرجت سودة بنت زمعة و كانت إمراة طويلة فرأها عمر وهو في المجلس. فقال: عرفتك يا سودة ! حرصا على أن ينزل الحجاب قالت: فانزل الله آية الحجاب (٣). يظهر من هذين الحديثين أن الخليفة عمر كان على علم واطلاع مسبق بنزول آية الحجاب ولكن دعا الله عزوجل لتعجيل وتسريع نزوله، ولذا كان يسعى في سبيل ذلك. ولكن هنا سؤال يبقى مختلجا في الذهن: في أي مكان نزلت آية الحجاب تلبية لرغبة عمر ؟

(١) شرح نهج البلاغة ١٢: ٥٨، الرياض النضرة ٢: ٢٩١. (٢) الرياض النضرة ٢: ٢٩١. (٣) صحيح البخاري ٨: ٦٦ كتاب الاستئذان باب آية الحجاب، وح ١: ٤٩ كتاب الطهارة باب خروج النساء الى البراز، صحيح مسلم ٤: ١٧٠٩ كتاب السلام باب (٧) باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الأنسان ح ١٨.

### [٣١٢]

فالأحاديث في هذا الشأن متضاربة أيضا، فبعضها يشير إلى أن الآية نزلت بعد أن كرر عمر قوله لرسول الله (صلى الله عليه وآله): إن رجالا يدخلون عليك بيتك، فكيف لا تأمر زوجاتك بالاستتار عنهم ؟ وأخرى تقول: إنها نزلت عندما لبي عمر دعوة النبي (صلى الله عليه وآله) للأكل، وأصابته يده إصبع عائشة. فقال عمر: حس ! لو اطاع فيكن ما رأتن عين ؟ وأحاديث أخرى تروي: أنها نزلت عندما أرادت سودة بنت زمعة زوجة الرسول (صلى الله عليه وآله) الخروج لقضاء الحاجة، ورأها عمر، وحيث كان حريصا على نزول آية الحجاب ناداها: عرفتك يا سودة. فهذه التناقضات في قصة واحدة - نزول آية الحجاب موافقة لرأي عمر - مصداق بارز ودليل بين على صحة المثل المعروف الذي يقول: الكذاب كثير النسيان ولا حافظة للكذاب. ٢ - أحاديث أخرى تفند صحة هذا الحديث: أخرجت في كتب أهل السنة ومصادرهم أحاديث أخرى رويت بشأن نزول آية الحجاب تنكر وتفند نسبة نزول الحجاب تأييدا لقول عمر وتثبت كون الحديث العمري مزورا وموضوعا. ونكتفي هنا بذكر حديث واحد اتفق عليه البخاري ومسلم ونقل ذلك عن أنس: عن أبي مجلز، عن أنس قال: لما تزوج رسول الله (صلى الله عليه وآله) زينب ابنة جحش، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون فإذا هو كأنه يتهيأ للقيام، فلم يقوموا. فلما رأوه يقوم، قام من قام من القوم، وقعد بقية القوم، وإن النبي جاء ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا، فانطلقوا فأخبرت النبي (صلى الله عليه وآله) فحجاء حتى دخل، فذهبت أدخل، فألقى الحجاب بيني وبينه وانزل الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا... وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن

### [٣١٤]

من وراء حجاب) (١). (٢) وأخرجه كذلك السيوطي عن الأمام أحمد والنسائي وابن جرير وابن منذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي

(٣). وفي حديث آخر رواه البخاري عن أنس قال: إنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) المدينة، فخدمت رسول الله عشرًا حياته، وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين انزل، وقد كان أبي بن كعب يسألني عنه، وكان أول ما نزل في مبتني رسول الله (صلى الله عليه وآله) بزینب ابنة جحش..... ثم ساق الحديث حسيما ذكرناه أنفاً وقال: انزلت آية الحجاب في ليلة ابتداء النبي (صلى الله عليه وآله) (٤) بزینب. والجدير بالذكر إن في الحديث المستخرج عن أنس بن مالك نقطة مهمة تجب الإشارة إليها وهي: أن أنس كان يدأب في الاستنكار وانتقاد من كان يعلق نزول آية الحجاب بحسب رغبة عمر، ويا ترى فلو كان هدف أنس وغايته غير تفنيد ودحض هذا القول، أتراه يؤكد في كلامه المتأخم للشدة والقوة في اللحن والتأكيد الزائد في بيان سبب نزول الآية ويقول: إني أعلم الناس بشأن نزول آية الحجاب وذلك لأنني خدمت رسول الله عشر سنوات وحتى أن أبي بن كعب المعروف بتضله في التفسير، والمشهور أنه أعلم المفسرين كان يسألني عن شأن نزول الآية. ولما نقارن بين هذه الأحاديث، نرى أن أنس بن مالك يقول: نزلت آية الحجاب

(١) الأحزاب: ٥٣: (٢) صحيح البخاري ٦: ١٤٨ كتاب التفسير تفسير سورة الأحزاب، وج ٨: ٦٦ كتاب الاستئذان باب آية الحجاب، صحيح مسلم ٢: ١٠٥٠ كتاب النكاح باب (١٥) باب زواج زينب بنت جحش ونزول الحجاب ح ٩٣. (٣) الدر المنثور ٥: ٢١٢. (٤) صحيح البخاري ٨: ٦٥ كتاب الاستئذان باب آية الحجاب.

### [٣١٥]

على رسول الله في ليلة ابتداءه وزفافه بزینب بنت جحش، ولا علاقة له - اصلاً - باقتراح الخليفة عمر على الرسول أن يحجب نساءه، وكذلك لا علاقة له بالقصة التي تقول عندما كان الخليفة يأكل مع النبي (صلى الله عليه وآله) فأصابته يده إصبع عائشة، أو عندما رأى سودة وهي خارجة لحاجة في إحدى الليالي. ٣ - سياق الآية: وما يشهد على صحة قول أنس بشأن نزول آية الحجاب - في ليلة ابتداء النبي بزینب وعدم ارتباطها برغبة عمر - هو سياق الآية، حيث إن الشطر الأخير من الآية الذي يشير إلى مسألة الحجاب يتناسب مع الشطر الأول منها، ومجموع الآية يدل على أنها نزلت في ليلة زواج النبي، وقد ذكرت الآية ما يتعلق بشأن النبي (صلى الله عليه وآله) وزوجاته، وتعرضت لبيان أحكام تتعلق بالمؤمنين وتعاملهم مع النبي (صلى الله عليه وآله) وأزواجه حيث قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن) (١). فالملاحظ في الآية تناسب صدرها مع ذيلها حيث تذكر مسائل أخلاقية نحو الحضور في مجلس النبي وغيرها، فعلى كل حال فإن المفهوم الكلي للآية ومجموع ما في الآية يؤيد قول أنس بن مالك ورأيه. الصلاة على المنافقين: رويت في الصحيحين موافقة أخرى من موافقات عمر وهي قصة تحريم الصلاة على المنافقين، وذلك عند ما لبى النبي (صلى الله عليه وآله) دعوة ابن عبد الله بن أبي للصلاة على جنازة أبيه - عبد الله بن أبي رأس المنافقين في المدينة - فمنع عمر بن الخطاب النبي (صلى الله عليه وآله) عن

ذلك، ولكن النبي أبى ولم يعتن بقوله واتجه للصلاة، فأنزل الله آية تؤيد رأي عمر وتمنع الرسول من الصلاة على المنافقين. قال تعالى: (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) (١). وهك نص الحديث: عن ابن عمر قال: إن عبد الله بن أبي لما توفي جاء ابنه إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال: يا رسول الله أعطني قميصك اكفنه فيه، وصل عليه واستغفر له. فأعطاه النبي (صلى الله عليه وآله) قميصه، وقال: إذا فرغت فأذننا، فلما فرغ أذنه. فجاء ليصلي عليه فجزبه عمر، فقال: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ فقال (صلى الله عليه وآله): أنا بين خيرتين. قال: استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، فصلى عليه، فنزلت (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) (٢). وروى عمر نفسه حديثا بهذا الشأن فيه اختلاف يسير عما نقله ابنه. عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي بن سلول، دعي له رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ليصلي عليه، فلما قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وثبت إليه فقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أبي، وقد قال يوم كذا وكذا وكذا وكذا - اعدد عليه قوله - ؟ فتبسم رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: أخر عني يا عمر فلما أكثرت عليه، قال: إني خيرت فاخترت، لو أعلم أنني زدت على السبعين فغفر له لزدت عليها، قال: فصلى عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيرا حتى نزلت الايات من براءة (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا - الى - وهم فاسقون).

(١) التوبة: ٨٤. (٢) صحيح البخاري ٢: ٩٦ كتاب الجنائز باب الكفن في القميص الذي يكف أولا يكف، وج ٦: ٨٥ كتاب التفسير باب تفسير براءة، وج ٧: ١٨٥ كتاب اللباس باب ليس القميص، صحيح مسلم ٤: ١٨٦٥ كتاب فضائل الصحابة باب (٢) باب من فضائل عمر ح ٢٥ وص ٢١٤١ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ح ٣.

قال: فعجبت بعد، من جرأتي على رسول الله (صلى الله عليه وآله) يومئذ. والله ورسوله أعلم (١). يستفاد من هذين الحديثين: ١ - إن الرسول (صلى الله عليه وآله) صلى على جنازة عبد الله بن أبي، فقال له عمر بن الخطاب: يا رسول الله إنك منعت من الصلاة على المنافقين. ٢ - كان جواب النبي لقول عمر هو: إن الله قد خيرني في الاستغفار للمنافقين وإنني قد اخترت الجانب الأيجابي منهما. ولكن عندما نتمعن في الأدلة التي سوف نذكرها ينكشف لنا زيف هذا الحديث وكونه من الموضوعات والمدلسات. ١ - منافاته للعقل: وذلك لأن قبوله يستلزم أن يكون هناك من هو أعلم من النبي (صلى الله عليه وآله) بالأحكام والتعاليم السماوية، وأدرى منه في معرفة فلسفة الأحكام الألهية وأسرارها وأعرف بالمصالح والمفاسد المترتبة على التعاليم الإسلامية. لأننا نشاهد في الحديث إن الله عزوجل قد أنزل آية تؤيد فكرة فرد ما غير النبي (صلى الله عليه وآله)، وتغند عمل رسول الله وتنهيه وتمنعه. فعلى هذا، ألم يكن من الأفضل أن ينزل الوحي على هذا الرجل بدلا من رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ ٢ - نزول الايات كان قبل موت ابن أبي: إن سياق الايات والشواهد النقلية صريحة في أن هذه الآية (ولا تصل على أحد منهم) إنما نزلت في السنة الثامنة من الهجرة والنبي في سفره إلى تبوك ولما يرجع إلى المدينة، وقد وقع موت عبد الله بن أبي بالمدينة سنة تسع من الهجرة، كل ذلك ثابت

[٣١٨]

ومسلم من طريق النقل، فعلى هذا فليس للآية أي ارتباط وعلاقة بموت ابن أبي واقتراح الخليفة عمر في ذلك. ٣ - نص الحديث يدل على كونه موضوعاً: ١ - ورد فيه انه لما أراد النبي أن يصلي على جنازة عبد الله بن أبي قال له عمر: أتصلي عليه وقد قال كذا وكذا؟ ليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين؟ ويدل مضمون الحديث على أن النهي عن الصلاة على المنافقين الذي ورد في (ولا تصل على أحد منهم مات) نزل بعد هذه القصة التي دارت بين النبي (صلى الله عليه وآله) وعمر. والسؤال الذي يطرح هنا هو: من أين عرف عمر أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد نهى عن الصلاة على المنافقين حتى يذكره بها؟ ومن أين أتى عمر بهذا النهي؟ فقد أجاب علماء أهل السنة على هذا السؤال إجابات مختلفة ومتعددة، فهذا القرطبي يقول: لعل ذلك وقع في خاطر عمر، فيكون من قبيل الالهام (١). ٢ - أن النبي أجاب عمر: إن الله قد خيرني في ذلك بين الاستغفار وعدم الاستغفار لهم فقال: (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم)... فمن الواضح إن هذه الآية لا تدل على التخيير في الاستغفار، بل أن الغاية في الآية هي إن الاستغفار لا يجدي للمنافقين شيئاً، لو أن الله لن يغفر لهم أبداً، وأن الآية تشير إلى حالة اليأس التام عند المنافقين وأن ليس للاستغفار أي أثر في حقهم. وإن عدد السبعين ليس فيه أية دلالة على تعيين التعددية، بل هو بيان للتأكيد والكثرة، والمراد منه عدم جدوى كثرة الاستغفار للمنافقين وتعدده. فكيف يتصور أن يحمل رسول الله الآية على التخيير ويقول: إن الله قد خيرني؟ وكذا العبارات الأخيرة في الآية (إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم

[٣١٩]

ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين) (١) تشير إلى أنه ليس في الآية أي دلالة على التخيير، وهذه العبارات نزلت لبيان فلسفة الحكم، حيث إن المنافقين كانوا كافرين وفاسقين وإن الله لا يهدي الفاسقين الكافرين إلى الفلاح، فعلى هذا إن التعليل والبيان يناسب عدم تأثير الاستغفار بحق المنافقين، ولا مناسبة بينها وبين التخيير. آراء علماء العامة في الحديث: عندما واجه علماء أهل السنة هذه الاشكالات الواردة حول الحديث الذي رواه الصحيحان تنبه بعضهم فأبدى عدم قبوله ورده. قال القاضي أبو بكر الباقلاني منكرًا لصحة الحديث: لا يجوز أن يقبل هذا ولا يصح أن الرسول قاله، أي فهم منه التخيير (٢). وقال إمام الحرمين في البرهان، لا يصححه - الحديث المذكور - أهل الحديث (٣). وقال الغزالي: الأظهر أن هذا الخبر غير صحيح (٤). وقال الداودي: هذا الحديث غير محفوظ (٥). هذه هي الأحاديث التي رواها البخاري ومسلم في صحيحيهما - اللذين يعتبران أهم مصدر ومرجع عند أهل السنة بعد القرآن - حول الأنبياء (عليهم السلام) عامة، وحول نبينا (صلى الله عليه وآله) خاصة. ومن خلال مراجعة هذه المسائل يمكن للباحث المحقق أن يعرف حقيقة إيمان تابعي الصحيحين وعقيدتهم



في الانبياء (عليهم السلام) وبالنبي (صلى الله عليه وآله) ومسألة النبوة.

(١) التوبة: ٨٠. (٢ - ٤) فتح الباري ٨: ٢٧٢.

[٢٢١]

الفصل الثامن الخلافة في الصحيحين

[٢٢٢]

قال أمير المؤمنين الامام علي (عليه السلام): زرعوا الفجور، وسقوه الغرور، وحصدوا الثبور، لا يقاس بال محمد (صلى الله عليه وآله) من هذه الامة أحد، ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفئ الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة، الان إذ رجع الحق الى أهله ونقل إلى منتقله (١). منهج البحث وهدفه يبدو جليا من عنوان الفصل أن المواضيع التي سنطرحها ونبحثها في هذه الصفحات وما بعدها، هي الأحاديث والروايات التي أخرجها الشيخان البخاري ومسلم في أبواب عديدة من صحيحهما حول مسألة الخلافة. والهدف الوحيد في هذا الفصل هو نقل الاحاديث فقط، وليس دراسة أصل مسألة الخلافة. وبعبارة أخرى: إن كتابنا هذا ليس من نوع الكتب الكلامية، ولسنا بصدد دراسة مسألة الخلافة والاستدلال فيها على إثبات صحة عقيدة فئة معينة أو رد ونقد عقيدة مذهب آخر، بل غايتنا الوحيدة هي تخرج الأحاديث المروية في الخلافة ونقلها، خاصة الأحاديث التي رويت في أهم مصادر أهل السنة والجماعة وأوثقها وأصحها عندهم، يعني صحيحي البخاري ومسلم. وبناء على هذا، فإننا لا نرى أنفسنا ملزمين باستعراض كل الجزئيات والحقائق التاريخية ولو كانت تتعلق بهذه الاحاديث، وكذا لم نكن ملزمين بالرد والنقد والدراسة العميقة في جوانب هذا الموضوع، لان هذا النوع من البحث خارج عن نطاق ما نحن فيه

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ١: ١٢٨.

[٢٢٤]

وانه يحتاج الى كتاب مستقل، وقد كتب في هذا الموضوع كتب كثيرة. وأما لو ذكرنا بعض المقتطفات في بعض الموارد فإنها لم تكن إلا لبيان وتوضيح مضامين ومفاهيم الأحاديث وبلورتها. أسئلة حول الخلافة: تعتبر مسألة الخلافة من أهم المسائل الدينية التي وقع فيها الاختلاف بين المسلمين، ولم يكن هذا الاختلاف وليد عصور متأخرة نحو قرن أو قرنين بل أنه نشأ منذ أن التحق الرسول (صلى الله عليه وآله) بالرفيق الأعلى وغربت شمس النبوة... قال الشهرستاني: وأعظم خلاف بين الامة خلاف الأمامة، إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الأمامة في كل زمان.... (١). فنحن الان لسنا بصدد معرفة كيفية نشوء هذا الاختلاف وتاريخه....، ولكننا وكمقدمة للأحاديث التي سنخرجها هنا

نطرح تساؤلات ثلاثة: ١ - لقد بين الله عزوجل ورسوله (صلى الله عليه وآله) للمسلمين الأحكام التي تخص جميع القضايا، الجزئية منها والكلية، نحو القصاص والتعزيرات، وحكام حرمة حقوق الآخرين وأموالهم، وأحكاما في النظر الى الأجنبية ولو نظرة واحدة، وأحكام الغيبة ولو بكلمة و... بحيث إن هذه الأحكام على كثرتها والتي تتجاوز العد والحصر تنقسم الى الواجب والحرام، والمندوب والمكروه. فعلى هذا: فهل يعقل أن الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) لم يتعرضا لتبيين مسائل الامامة والخلافة التي تعتبر من أهم المواضيع الإسلامية؟ فلو أن الله والرسول (صلى الله عليه وآله) قد جعلنا حل هذه المسألة المهمة بعهدة المسلمين أنفسهم، فلماذا لم يفعلوا ذلك بالنسبة الى المسائل الجزئية والفرعية وبينا أحكامها؟ فلو كان الأعماض والأهمال في بيان أبسط المسائل الجزئية مثل الحلق والتقصير

(١) الملل والنحل: ٣٠.

### [٣٢٥]

في الحج، أو آداب التخلي والاستنجاء، أو آداب النكاح وغيرها... غير جائز حسب ما تقتضيه قاعدة اللطف فهل يجوز لهما الأعماض والسكوت في مسألة مهمة كهذه؟ فإذا كان الجواب: لا. فهل عينا أحدا لتصدي هذه المرتبة والمنصب؟ وما هي مواصفاته؟ ٢ - يطلعنا التاريخ وسيرة النبي (صلى الله عليه وآله) وكذا استفاد من آيات الذكر الحكيم والأحاديث، إن المسلمين في الصدر الأول من تاريخ الاسلام كانوا يسألون النبي (صلى الله عليه وآله) عن كل شئ من احكام دينهم، ويرجعون إليه في تفسير الايات وبيانها، ويلجأون إليه في كل صغيرة وكبيرة، فيستفتون فيها منه حتي في العلل والأمراض كانوا يطلبون دواء دائهم من النبي (صلى الله عليه وآله) (١). فعندئذ يتبادر الى الذهن سؤال: هل يتصور أن أحدا من المسلمين وأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يخطر على باله في تلك المدة التي عاش الرسول (صلى الله عليه وآله) بينهم - ثلاثة وعشرين سنة - أن يسأل النبي عن مسألة الخلافة ومن يكون الأمام والخليفة من بعده (صلى الله عليه وآله)؟ هذا مع أنهم على علم بأن الرسول (صلى الله عليه وآله) بشر ولا بد إنه سوف يرسل عنهم الى جوار ربه، وقد سمعوا منه يرتل عليهم (إنك ميت وإنهم ميتون) (٢) و (وما محمد إلا

(١) اخرج الترمذي ومسلم حديثا بما يناسب التطيب وطلب الناس دواء مرضهم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال أبو سعيد: جاء رجل الى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: ان اخي استطلق بطنه. فقال: اسقه عسلا. فسقاه ثم جاء، فقال: يا رسول الله قد سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اسقه عسلا، فسقاه ثم جاء فقال: يا رسول الله قد سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا. قال: فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): صدق الله وكذب بطن اخيك اسقه عسلا، فسقاه عسلا فبرأ. سنن الترمذي ٤: ٢٥٦ كتاب الطب باب (٢١) باب ما جاء في التداوي بالعسل ح ٢٠٨٢، صحيح البخاري ٧: ١٥٩ كتاب الطب باب الدواء بالعسل، صحيح مسلم ٤: ١٧٣٦ كتاب السلام باب (٢١) باب التداوي بسقي العسل ح ٩١. (٢) الزمر: ٣٠.

### [٣٢٦]

رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم (١). وإنهم كانوا يعلمون أن مسألة الخلافة والأمامة ترتبط بمصيرهم وحياتهم الدنيوية والآخرية، وهي تماما كمسألة النبوة، لها آثارها في جميع الأمور، فهل يعقل أن أحدا لم يسأل النبي (صلى الله عليه وآله) عن ذلك ؟ ٣ - قال الله تعالى بشأن كتابة الوصية وضرورتها: (كتب عليكم إذا حضر احدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين) (٢). وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ما حق امرئ مسلم، له شيء يوصي فيه، بييت ليلتين، إلا ووصيته مكتوبة عنده (٣). ويقول عيد الله بن عمر: ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال ذلك إلا وعندي وصيتي (٤). إذن، فكيف يسوغ للنبي (صلى الله عليه وآله) أن يكون هو أول من يجيد عن أمر الله الذي أنزل عليه مؤكدا لزومه ووجوبه، ويترك العمل بما أوجبه هو على المسلمين بالنسبة الى موضوع كتابة الوصية، بينما تراه أنه أحوج الناس الى كتابة الوصية ؟ وهل هناك أحد من المسلمين تكون تركته وأرامله وأيتامه أكثر مما تركه وخلفه

(١) آل عمران: ١٤٤. (٢) البقرة: ١٨٠. (٣) صحيح البخاري ٤: ٢ كتاب الوصايا، صحيح مسلم ٣: ١٢٤٩ كتاب الوصية ح ١، مسند أحمد بن حنبل ٢: ٢ و ٤ و ٥٧ و ٨٠، سنن أبي داود ٣: ١١٢ كتاب الوصايا باب ما جاء في ما يؤمر به من الوصية ح ٢٨٦٢، سنن الدارمي ٣: ٤٩٥ كتاب الوصايا باب (١) باب من استحب الوصية ح ٣١٧٥، سنن النسائي ٦: ٢٣٩ كتاب الوصايا باب الكراهية في تأخير الوصية، سنن الترمذي ٤: ٢٧٥ كتاب الوصايا باب (٣) باب ما جاء في الحث على الوصية ح ٢١١٨، سنن ابن ماجه ٢: ٩٠١ كتاب الوصايا باب (٢) باب الحث على الوصية ح ٢٦٩٩. (٤) صحيح مسلم ٣: ١٢٥٠ كتاب الوصية ح ٤.

## [٢٢٧]

رسول الله (صلى الله عليه وآله) من التركة والأيتام والأرامل ؟ فهل يمكن للعقل والضمير البشري أن يتصور أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خلف ما تركه وراءه من التركة - التعاليم الدينية والاصول الإسلامية - من دون تولية عليها، وأنه ودع أيتامه وأرامله - جميع الناس - من دون أن ينصب لهم قيما ووليا ؟ ومن المستحيلات أن هذه المسألة لم تخطر بباله قط. وفضلا عن حكم العقل والوجدان فإن الشواهد التاريخية صريحة بأن الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يدع امرا - حتى وإن كان جزئيا - الا وعين فيه من ينوب عنه ويقوم مقامه إذا عارضه أمر ما، كما ثبت ذلك من خلال تعيينه قادة العسكر. وثبت في التاريخ أيضا أنه (صلى الله عليه وآله) قد أوصى الى أمير المؤمنين الأمام على (عليه السلام) أن يباشر تغسيله وتكفينه وقضاء ديونه، الشخصية، بينما هذه من الأمور الجزئية والبسيطة التي لم تفتته. فكيف تغيب عنه الوصية في أمر الخلافة والأمامة التي هي من أهم المسائل والقضايا المصيرية ؟ والجواب على هذا التساؤل من وجهة نظر الشيعة فهو في غاية اليسر والسهولة. ولا حاجة عندهم على الاستدلال عليها والاحتجاج فيها الى أدنى تكلف وتعب. لأن الشيعة يعتقدون بأن موضوع الخلافة لم يغيب حتى للحظة واحدة عن ذهن الناس إلا وقد سألوا عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يكن الوصي مبهما لديهم لما كان الله عزوجل ورسوله بيينا بين أن وآخر، منذ أن بعث الله محمدا (صلى الله عليه وآله) بالنبوة، وأمره بان يعلن الرسالة على ملاء، حملة مسؤولية تبليغ الخلافة ونصب الخليفة، ولم يدع رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تبليغ هذا الامر مجالاً للأبهام والأبهام عند الناس، فبينه بأبلغ وجه، فما مر عليه موقف إلا وتطرق الى الخلافة وأخبر الناس عن من يتولى هذا المنصب من بعده. يروي ابن الأثير: لما نزل قوله تعالى: (وانذر عشيرتک الاءقربین) (١) في أول البعثة دعا أقرباءه من بني عبد المطلب وأعمامه إلى مادية أقامها لهم، وما أن فرغوا منها، ورام

## [٣٢٨]

النبي (صلى الله عليه وآله) أن يتكلم حتى ابتدره أبو لهب وغالط في الكلام، فتفرق القوم ولم يكلمهم النبي (صلى الله عليه وآله)، وفي اليوم الثاني صنع ما صنع بالأمس ولكن أسرع النبي (صلى الله عليه وآله) في الكلام وأوضح لهم مسألة الوحي والبعثة وقال: وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فايكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟ فأحجم القوم، وأعادها النبي ثلاثاً، وفي كل مرة كان علي (عليه السلام) يقوم ويقول: أنا يا نبي الله. ثم قال (صلى الله عليه وآله): إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ويقولون: إنا لم نقبله نبياً فيجعل لنا وصياً (١). وفي آخر سنين حياته وعندما كان النبي (صلى الله عليه وآله) عائداً من آخر سفر للحج إلى المدينة، وصل إلى تلك البقعة الحارة المسماة بغدير خم أمر الحجاج أن يمكثوا فيها، فعاد المتقدمون إليه، والتحق المتأخرون به، فقام واقفاً أخذاً بيد علي (عليه السلام) ليعلن للجمع: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه). وهكذا عند ما كان مستلقياً على فراش الموت، ويتنفس الأنفاس الأخيرة من حياته وقد تصب عرق الموت من جبينه، تراه في هذه اللحظات أيضاً لم ينس قضية الخلافة ومستقبل دينه والشريعة التي جاء بها، ومصير أمته التي قاسى الأمرين في سبيل هدايتها، فكل هذه الأمور قد تجسدت أمامه ولذلك أمر الحاضرين قائلاً: ائتوني بكتف ودواة اكتب لكم ما لم تضلوا بعده أبداً. وشوهد أحياناً وهو على المنبر يقول: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً. وأحياناً تسمع منه وهو يعلن عن خلفائه ويعدددهم قائلاً: الخلفاء بعدي اثنا عشر. وأحياناً أخرى يذكر الناس بالآيات التي نزلت بشأن أوصيائه ويخاطب علياً

(١) الكامل في التاريخ لأبن أثير ٢: ٦٣ - ٦٤، تاريخ الطبري ٢: ٣١٩ - ٣٢١.

## [٣٢٩]

يقول: يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. وترى أحياناً أخرى ينوه بالبدع والتحريفات التي ستظهر من بعده ويبرز أسفه وتأثره من هذه الوقائع التي ستحدث بعد وفاته بدءاً بالتحريف في أصل الخلافة الذي هو أساس كل البدع والتحريفات وجذور الضلالات. ولكن الحكومات التي تعاقبت الواحدة تلو الأخرى في غضون الأربعة عشر قرناً، سعت واجتهدت بكل قواها في طمس الحقائق، وإظهارها بصورة غير التي كانت عليها، ولكن يمكن معرفة هذه الحقائق التي تعتقد بها الشيعة من خلال بعض زوايا الأحاديث المروية في صحيح البخاري ومسلم اللذين يعتبران أهم مصدرين من مصادر العامة ولهذا السبب قد جعلناهما مرتكز بحثنا ودراستنا. وهناك أيها القارئ الكريم باقة من الأحاديث التي انفلتت من مؤلفي الصحيحين في بيان فضائل أهل البيت (عليهم السلام) اقتطفناها من الصحيحين ومن ثم نعقب بذكر الصفات التي لا بد وأن تتوفر في من يخلف النبي (صلى الله عليه وآله) مما ورد في هذين الكتابين.

فضائل اهل البيت (عليهم السلام) في الصحيحين ١ - آية التطهير:  
 قالت عائشة: خرج النبي (صلى الله عليه وآله) غداة وعليه مرط -  
 كساء - مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم  
 جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي  
 فأدخله. ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت  
 ويطهركم تطهيرا) (١) (٢). وقد ورد هذا الحديث متواترا في مصادر  
 أهل السنة والمجاميع الحديثية والتفسيرية فضلا عن صحيح مسلم،  
 ونزول هذه الآية في شأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعترته  
 أهل بيته (عليهم السلام). ليس محل نقاش وترديد، وقد أشرنا فيما  
 سبق في فضل الرسول في القرآن والسنة الى بعض المصادر  
 والمجاميع السننية وقلنا: ان هذه الآية الكريمة صريحة في عصمة  
 أهل البيت (عليهم السلام) من جميع الذنوب وأنهم مطهرون من  
 الرجس والمعاصي، صغيرها وكبيرها. وذكرنا كذلك بان الآية الكريمة  
 تدل دلالة تامة على نفي ارتكابهم المعصية حتى في حالة السهو  
 ومن غير القصد، لأن السهو والخطأ وان كان يرفع الحكم التكليفي  
 والعقاب عن مرتكبه إلا أنه لا يرفع قبح الرجس والحرام ولا يدفع الأثر  
 الوضعي المترتب عليه (٣).

(١) الأحزاب: ٣٣. (٢) صحيح مسلم ٤: ١٨٨٢ كتاب الفضائل باب (٩) باب فضائل اهل  
 بيت النبي (عليهم السلام) ح ٦١. (٣) راجع ص: ١٩٩.

٢ - آية المباهلة: أخرج مسلم باسناده عن عامر بن سعد بن أبي  
 وقاص، عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال: ما  
 منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول  
 الله (صلى الله عليه وآله) فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب  
 الي من حمر النعم. سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول  
 له وقد خلفه في بعض مغازيه. فقال له علي (عليه السلام): يا  
 رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان؟ فقال له رسول الله (صلى  
 الله عليه وآله): أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا  
 أنه لا نبوة بعدي. وسمعت يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحب  
 الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال: فتناولنا لها فقال: ادعوا لي  
 عليا. فأتي به أرمد فيصق في عينه ويدفع الراية إليه ففتح الله عليه.  
 ولما نزلت هذه الآية (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم).. دعا رسول الله  
 (صلى الله عليه وآله) عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال: اللهم  
 هؤلاء أهلي (١). ٣ - حديث يوم الغدير: حدثني يزيد بن حيان قال:  
 انطلقت أنا وحصين بن سيرة وعمر بن مسلم الى زيد ابن أرقم، فلما  
 جلسنا إليه، قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا، رأيت رسول  
 الله (صلى الله عليه وآله) وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت  
 خلفه لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول  
 الله (صلى الله عليه وآله). قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سنني،  
 وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعني

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٧١ كتاب فضائل الصحابة باب (٤) باب فضائل علي بن أبي  
 طالب (عليه السلام) ح ٣٢.

من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا، فلا تكلفوني، ثم قال: قام رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوما فينا خطيبا بقاء يدعى خما بين مكة والمدينة، فحمد الله واثني عليه ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي، اذكركم الله في أهل بيتي. فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساءه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم (١). اقول: أخرج مسلم هذا الحديث في صحيحه بأسانيد متعددة، ولكنه أسقط الشق الأخير منه، الذي يختص بقصة الغدير المختصة بأمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)، بينما زيد بن أرقم هو من جملة المنات من رواية حديث الغدير يقول: ثم قام فأخذ بيد علي (عليه السلام) فقال: يا أيها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله اعلم. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم عاد من عاداه ووال من والاه (٢). ولا يخفى أن زيد بن أرقم عندما حدث بهذا الحديث، فقد حرف المفهوم الصحيح والواقعي لأهل البيت (عليهم السلام) وأدخل فيهم آل عقيل وآل جعفر وآل عباس، بينما الحديثان اللذان نقلناهما ذيل آية التطهير وآية المباهلة نرى أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد عرف أهل البيت (عليهم السلام) بحيث لم يجعل مجالاً لزيد بن أرقم وأشباهه أن يبدوا رأيهم الخاص وحسب

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٢ كتاب فضائل الصحابة باب (٤) باب فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) ح ٣٦. (٢) مستدرک الصحیحین ٢: ٥٢٣ كتاب معرفة الصحابة ذكر زيد بن الأرقم الانصاري، مسند الإمام احمد بن حنبل ٤: ٣٧٢ نقلهما عن زيد بن أرقم.

أهوائهم. العصبية العمياء: إن موضوع غدير خم وحديث الثقلين من الأمور والقضايا التي ورد ذكرها بالتفصيل في كتب أهل السنة ومصادرهم، وفي المنات من كتب محدثيهم ومؤرخيهم ومفسريهم وبأسانيد متعددة، ولكن البخاري ومسلم وكما أشرنا سابقا في الجزء الأول من هذا الكتاب ثقل عليهما تخريج أمهات فضائل الإمام علي (عليه السلام) وأشهرها مثل هذا الحديث وذلك لتعصيبهما المفرط، وهذا المقدار الذي أخرج مسلم في صحيحه من حديث الغدير محرفا وناقضا إنما هو جزء ضئيل من واقعة الغدير التاريخية. وبهذه المناسبة نورد ما ذكره أبو حامد الغزالي: أجمع جمهور العلماء على أن قول النبي (صلى الله عليه وآله): من كنت مولاه فعلي مولاه، وكذا قول عمر لعلي: يخ بخ لك يا أمير المؤمنين أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، فهذا يعني تسليم ورضا وتحكيم، ثم بعد هذا غلب الهوى لحب الرئاسة وحمل عمود الخلافة وعقود النبوة وخفقان الهوى في قعقة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول وفتح الأمصار وسقاهاهم كأس الهوى، فعادوا إلى الخلاف الأول فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا (١). ٤ - أهل البيت (عليهم السلام) قرناء الرسول (صلى الله عليه وآله): دلت روايات متواترة من كتب أهل السنة والجماعة، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمر المسلمين بأن يصلوا على أهل بيته وعترته (عليهم السلام) ويجعلونهم قرناء له، إذا أرادوا أن يصلوا عليه (صلى الله عليه وآله)

ويسلموا عليه، وإذا قصدوا تكريم النبي وتعظيمه يجب عليهم أن يقرنوا أهل بيته (عليهم السلام) معه (صلى الله عليه وآله) ولم يفرقوا بينه وبين عترته، وإليك ما أخرجه الصحيحان بهذه المناسبة: ١ - حدثنا الحكم قال: سمعت عبد الرحمان بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن

(١) سر العالمين: ٢١.

### [٢٣٤]

عجزة، فقال: ألا أهدي لك هدية؟ إن النبي (صلى الله عليه وآله) خرج علينا فقلنا: يا رسول الله لقد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ فقال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد (١). ٢ - أخرج البخاري في صحيحه حديثاً آخر قريباً من هذا المعنى عن أبي سعيد الخدري (٢). ٣ - وأخرج مسلم أيضاً بأسناده عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونحن في مجلس سعد بن عبادَةَ. فقال له بشير بن سعد: أمرنا الله عزوجل أن نصلي عليك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فكيف نصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى تمنينا أنه لم يسأله. ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، والسلام كما علمتم (٣). اقول: ثمة العشرات من الأحاديث - رويت في صحاح أهل السنة ومسانيدهم وتفاسيرهم وأكملهن جمعاً تفسير الدر المنثور - تعلم المسلمين كيفية الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) والتسليم عليه، وتأميرهم أن يجعلوا أهل بيته (عليهم السلام) قرناء له في الصلاة (٤).

(١) صحيح البخاري ٨: ٩٥ كتاب الدعوات باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله)، وج ٦: ١٥١ كتاب التفسير باب تفسير سورة الأحزاب، وج ٤: ١٧٢ كتاب بدء الخلق باب يزفون النسلان في المشي، صحيح مسلم ١: ٢٠٥ كتاب الصلاة باب (١٧) باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) ح ٦٦. (٢) صحيح البخاري ٦: ١٥١ كتاب التفسير باب تفسير سورة الأحزاب. (٣) صحيح مسلم ١: ٢٠٥ كتاب الصلاة باب (١٧) باب الصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) ح ٦٦. (٤) الدر المنثور للسيوطي ٥: ٢١٥.

### [٢٣٥]

ولكن ما أن توفي الرسول (صلى الله عليه وآله) حتى راحوا يسترون ويعتمون على نقل مناقب آل الرسول (عليهم السلام) وذلك حسب ما كانت تقتضيه سياستهم آنذاك، ولذلك بادروا إلى ترك الصلاة على العترة (عليهم السلام)، وعمدوا شيئاً فشيئاً إلى الاكتفاء باسم الرسول (صلى الله عليه وآله) والصلاة البتراء والناقصة، وإلزام ذلك نرى سيرة السلف تتبع، ومع أن هذه الأحاديث نصب أعينهم، وملئت كتبهم منها، تراهم يخالفون أمر الرسول ويتبعون آباءهم وأسلافهم عوضاً عن اتباع الرسول (عليهم السلام) (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) (١). ٥ - الأئمة الاثنا عشر (عليهم السلام): وردت في كتب أهل السنة أحاديث حول الأئمة الاثني عشر (عليهم

السلام) والأمام المهدي (عج) وأوصافه، نقلا عن النبي (صلى الله عليه وآله)، ولما كانت الأحاديث في هذا الموضوع متواترة ومستفيضة، عمد بعض علمائهم الى تعيين بابا خاصا لذكره، والبعض الآخر الف بهذه المناسبة كتابا مستقلا. ونورد إليك طرفا من هذه الأحاديث التي أخرجها الشيخان في صحيحيهما: ١ - عن عيد الملك: سمعت جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: يكون بعدي اثنا عشر أميراً. فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش (٢). أخرجهم مسلم أيضا في جامعه بثمانية أسانيد مختلفة (٣) وورد في أحدها: وعن جابر بن سمرة قال: انطلقت الى رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعى أبي فسمعت يقول: لا يزال هذا الدين عزيزا منيعا الى اثني عشر خليفة. فقال كلمة صمئها الناس فقلت لأبي: ما قال ؟ قال: كلهم من قريش (٤).

(١) لقمان: ٢١. (٢) صحيح البخاري ٩: ١٠١ كتاب الاحكام باب الاستخلاف. (٣) صحيح مسلم ٢: ١٤٥١ كتاب الامارة باب (١) باب الناس تبع لقريش... (٤) صحيح مسلم ٢: ١٤٥٢ كتاب الامارة باب (١) باب الناس تبع لقريش والخلافة في =

### [٢٣٦]

اقول: ورد هذا الحديث متواترا في كتب أهل السنة وصحاحهم، وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أنه إحدى الدلائل على أحقية الشيعة الاثني عشرية وصحة معتقداتهم، ودليل على بطلان المذاهب الأخرى، لأن مضمون هذا الحديث لا ينطبق البتة على ما يعتقدونه، لأنهم يعتقدون بأربعة خلفاء (الخلفاء الراشدون)، أو بخمسة خلفاء إذا أضفنا الأمام الحسن المجتبي (عليه السلام) الى الأربعة، فعلى هذا يكون عددهم أقل من اثني عشر. أو أنهم يعتقدون بخلافة خلفاء بني امية وبني العباس، فيكون حينئذ العدد أكثر من اثني عشر، هذا مع أن أكثر خلفاء بني امية وبني العباس كانوا فساق وفجرة، وأفنوا حياتهم في معاقرة الخمر وإراقة الدماء والمعاصي، فكيف يمكن أن نجعل من كان هذا ديدنه خليفة النبي (صلى الله عليه وآله)؟ وكذلك نرى أن هذا الحديث لا يتطابق مع ما تعتقده باقي الفرق من الشيعة مثل الأسماعيلية والزيدية والفتحية لأن أئمتهم أقل عددا من اثني عشر. فعلى هذا إن الحديث يوافق فقط ما تعتقده الشيعة الاثني عشرية التي توالي اثني عشر نقيبا أولهم الأمام على بن أبي طالب (عليه السلام) وآخرهم المهدي (عج). ٢ - جابر بن عبد الله وأبو سعيد قالا: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده (١). ٤ - عن أبي سعيد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): من خلفاكم خليفة يحثو المال حثيا ولا يعده عدا (٢). قال النووي بعد بيان معاني ألفاظ هذا الحديث: وهذا الحثو الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الاموال والغنائم والفتوحات مع سخاء نفسه (٣).

= قريش ح ٩. (١) صحيح مسلم ٤: ٢٢٢٥ كتاب الفتن وأشراف الساعة باب (١٨) باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى ان يكون مكان الميت من البلاء ح ٦٩. (٢) المصدر ح ٦٨. (٣) شرح صحيح مسلم ١٨: ٤٠.

### [٢٣٧]



ثم قال: إن اسمه المهدي كما رواه الترمذي وأبي داود وروى الترمذي عن الرسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه إسمي (١). وقال الترمذي: وهذا حديث حسن وصحيح. وزاد أبو داود في آخر هذا الحديث إنه (صلى الله عليه وآله) قال: يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً (٢). ٥ - وأخرج البخاري بإسناده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم (٣). وقال ابن حجر في شرحه على هذا الحديث: قال الشافعي في مناقبه: تواترت الأخبار بأن المهدي من هذه الأمة وأن عيسى يصلي خلفه (٤). وقال العيني بعد كلام طويل وبحث مفصل حول الحديث: وفي صلاة عيسى (عليه السلام) خلف رجل من هذه الأمة مع كونه في آخر الزمان وقرب قيام الساعة دلالة للصحيح من الأقوال إن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة (٥).

(١) سنن الترمذي ٤: ٤٢٨ كتاب الفتن باب (٥٢) ما جاء في المهدي ح ٢٢٣٠، سنن أبي داود ٤: ١٠٦ كتاب المهدي ح ٤٢٨٢. (٢) راجع الهامش ١. (٣) صحيح البخاري ٤: ٢٠٥ كتاب بدء الخلق باب نزول عيسى بن مريم. (٤) فتح الباري ٦: ٢٨٥. (٥) عمدة القاري ١٦: ٤٠. والجدير بالذكر أن كثيراً من العلماء والمحدثين عكفوا على جمع الأحاديث المروية حول الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وأجمعها معجم احاديث الامام المهدي (عليه السلام) في خمس مجلدات تحقيق وتاليف مؤسسة المعارف الاسلامية فقد جمع في هذا المعجم القيم الاحاديث المروية حول الامام المنتظر (عليه السلام) بلغ عددها حوالي ٣٠٠٠٠ حديث من ٤٢٠ مصدر من مصادر أهل السنة. المغرب.

### [٣٢٨]

وقال النووي في ترجمته في تهذيب الأسماء: إذا نزل عيسى كان مقرراً للشريعة المحمدية، لا رسولا إلى هذه الأمة ويصلي وراء إمام هذه الأمة تكريماً من الله لها من أجل نبينا (١). وهذه الأحاديث التي تلونها عليك، تكشف الستار عن الحقيقة الساطعة في العقيدة السليمة التي يعتقد بها الشيعة، ظلت بمثابة أكبر وأعظم مأساة واجهها شراح الصحيحين من السلف وبعض الكتاب من أهل السنة في هذا العصر، وحيث سمعوا تأنيب وجدانهم وصرخات الضمير من باطنهم عمدوا إلى التبرير وتأويل هذه الأحاديث حتى يجيبوا تأنيب ضميرهم، وما هذه التبريرات والتأويلات إلا تفاهة وركاكة وذلك لما فيها من التناقضات والمبائنات والتضارب. ولكن أحد الكتاب بعد إذعانه بتفاهة هذه التبريرات سلك دربا ثالثاً فقال: وهناك أخبار من هذا القبيل كثيرة، أعرضنا عنها لعدم فائدتها (٢). أقول: ومن الواضح إن هذا الحديث وأمثاله لما كان على خلاف عقيدة هؤلاء وهو على عكس ما يروونه أعرضوا عنه لأنهم لم يفهموا ولم يدركوا المفهوم الصحيح للحديث.

(١) الأصابة في تمييز الصحابة ٤: ٦٢٨ ترجمة عيسى المسيح بن مريم رقم ٦١٦٤. (٢) أضواء على السنة المحمدية للشيخ محمود أبو رية: ١٩٢.

### [٣٢٩]

فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام) في الصحيحين الى هنا استعرضنا الأحاديث التي رواها الصحيحان في بيان فضائل أهل بيت النبي (عليهم السلام) والأئمة الاثني عشر (عليهم السلام)، والان نذكر ما أخرجه الشيخان في صحيحهما من الحديث حول كل امام

بصورة مستقلة. ونبدأ بذكر فضائل أمير المؤمنين الأمام علي (عليه السلام)، ثم فضائل سيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وبعدها فضائل سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين (عليهما السلام) معا، ثم فضائل كل منهما منفردا. ١ - عدو علي عدو الله: عن أبي ذر (رحمه الله) قال: نزلت: (هذان خصمان اختصموا في ربهما) (١) في ستة من قريش: علي وحزمة وعبيدة بن الحارث - جبهة الأيمان والتوحيد - وشيبة بن ربيعة وعتبة والوليد بن عتبة - جبهة الشرك والكفر - (٢). وعن قيس بن عباد، عن علي (عليه السلام) قال: فينا نزلت هذه الآية: (هذان خصمان اختصموا في ربهما) (٣). ٢ - حب علي إيمان وبغضه نفاق: عن عدي بن ثابت، عن زر قال: قال علي (عليه السلام): والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الامي (صلى الله عليه وآله) الي أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق (٤).

(١) الحج: ١٩، (٢) صحيح البخاري ٥: ٩٥ باب قصة غزوة بدر باب قتل ابي جهل، وج ٦: ١٢٣ كتاب التفسير باب تفسير سورة الحج. (٣) صحيح البخاري ٥: ٩٥ باب قصة غزوة بدر باب قتل ابي جهل، ج ٦: ١٢٣ كتاب التفسير باب تفسير سورة الحج. (٤) صحيح مسلم ١: ٨٦ كتاب الايمان باب (٣٣) باب الدليل على ان حب الانصار وعلي من =

#### [٢٤٠]

انفرد به مسلم في صحيحه. ٣ - صلاة علي (عليه السلام) صلاة النبي (صلى الله عليه وآله): أخرج الشيخان البخاري ومسلم بسندهما عن مطرف، قال: صليت أنا وعمران بن حصين خلف علي بن أبي طالب فكان إذا سجد كبر وإذا رفع رأسه كبر وإذا نهض من الركعتين كبر، فلما انصرفنا من الصلاة قال: أخذ عمران بيدي ثم قال: بقدر صلى بنا هذا صلاة محمد (صلى الله عليه وآله)، أ قال: لقد ذكرني هذا صلاة محمد (صلى الله عليه وآله) (١). ٤ - أبو تراب الكنية المهداة: عن أبي حازم أن رجلا جاء الى سهل بن سعد فقال: هذا فلان (أمير المدينة) يدعو عليا عند المنبر. قال: فيقول: ماذا قال؟ يقول: له: أبو تراب فضحك. قال: والله ما سماه إلا النبي (صلى الله عليه وآله) وما كان له اسم أحب إليه منه (٢). اقول: يفهم من متن هذا الحديث ان تلقيب أمير المؤمنين (عليه السلام) بابي تراب كان مفخرة له، وكان الأمام علي (عليه السلام) يحب هذا اللقب أكثر من سائر ألقابه وأسمائه، وحيث كانت هذه المفخرة باهرة كوضوح الشمس ولذا فلم يستطع أعداء علي (عليه السلام) ومناوئيه أن ينكروها فلذلك حرفوها وزوروا حقيقتها، واختلفوا أحاديث تشعرون بأن تلقيب الأمام علي (عليه السلام) بهذه الكنية كان مذمة له. وسوف نوفي التحقيق حول هذا الحديث وكذا الأحاديث الموضوعة في ذم الأمام

= الايمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق ح ١٣١. (١) صحيح البخاري ١: ١٩٩ كتاب الصلاة باب إتمام التكبير في الركوع، وباب إتمام التكبير في السجود، صحيح مسلم ١: ٣٩٥ كتاب الصلاة باب (١٠) باب إثبات التكبير في كل خفض ورفع في الصلاة ح ٢٣. (٢) صحيح البخاري ١: ١٢٠ كتاب الصلاة باب نوم الرجال في المسجد، وج ٥: ٢٢ كتاب فضائل أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) باب مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وج ٨: ٥٥ كتاب الأدب باب التكني بابي تراب، وص ٧٧ كتاب الاستئذان باب القائلة في المسجد، صحيح مسلم ٤: ١٨٧٤ كتاب فضائل الصحابة باب (٤) باب من فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) ح ٣٨.

#### [٢٤١]

علي (عليه السلام) في الجزء الثالث من كتابنا هذا إن شاء الله. ه - علي (عليه السلام) أفضى الناس: أخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: إن عمر بن الخطاب كان يقول: أفضانا علي (عليه السلام) (١). أقول: هذه الكلمة التي أقر بها الخليفة الثاني واعترف بها، اقتبسها من كلمة النبي (صلى الله عليه وآله) التي طالما كان يكررها في مواقف عديدة، فمرة قال (صلى الله عليه وآله): أفضاهم علي (٢) ... - أي أفضى الأصحاب - وأخرى قال (صلى الله عليه وآله): أفضاها علي (٣) - الأمة جمعاء - . ولا يخفى أن مسألة القضاء وإن كانت تستلزم التقوى والورع، فإنها تحتاج ضرورة إلى العلم الكافي والمعرفة التامة بالمسائل، بحيث لو لم تحصل تلك العلوم لاستحال القضاء الصحيح. وبناءً على هذا إن معرفة الأمام علي (عليه السلام) التامة بعلم القضاء، الذي أمضاه الرسول وهو في الواقع إشارة إلى أن الأمام علي له المعرفة التامة بجميع العلوم، وكان كلمة الرسول (أفضاهم علي) حلت محل (علي أعلمهم وأتقاهم و... و...). ٦ - الحب المتبادل بين الله ورسوله وعلي: عن سهل بن سعد قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله) يوم خيبر: لأعطين الراية غدا رجلاً يفتح على يديه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فبات الناس ليلتهم، أيهم يعطى، فعدوا كلهم يرجوه. فقال: أين علي؟ فقيل: يشتكي عينيه، فيصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه. فقال: اقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال (صلى الله عليه وآله): أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم

(١) صحيح البخاري ٦: ٢٣ كتاب التفسير باب قوله تعالى: (ما ننسخ من آية أو ننسها). (٢) مسند احمد ٥: ١١٢. (٣) الاستيعاب ١: ١٦ المقدمة.

### [٢٤٢]

بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم (١). أخرجه الشيخان البخاري ومسلم. وروى مسلم الحديث بلفظ آخر عن أبي هريرة: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله على يديه. قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الأمانة إلا يومئذ، فتساورت (٢) لها رجاء أن ادعى لها. قال: فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله) علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فأعطاه إياها. وقال (صلى الله عليه وآله): (إمش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك). قال: فسار شيئاً ثم وقف، ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول الله على ماذا اقاتل الناس؟ قال (صلى الله عليه وآله): اقاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله (٣). ٧ - علي هارون الأمة: عن مصعب بن سعد، عن أبيه: أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) خرج إلى تبوك واستخلف علياً. فقال (عليه السلام): أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال (صلى الله عليه وآله): أله: ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس نبي بعدي (٤).

(١) صحيح البخاري ٤: ٧٣ كتاب الجهاد والسير باب فضل من أسلم على يديه رجل وص ٦٤ باب ما قيل في لواء النبي (صلى الله عليه وآله)، وج ٥: ٢٢ كتاب فضائل أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) باب مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام) وص ١٧١ باب غزوة خيبر، صحيح مسلم ٢: ١٤٤١ كتاب الجهاد والسير باب (٤٥) باب غزوة ذي قرد وغيرها ذيل ح ١٢٢، وج ٤: ١٨٧٢ كتاب فضائل الصحابة باب (٤) باب من فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) ح ٣٣ - ٣٤ - ٣٥. (٢) قول عمر: (فتساورت لها) معناها: تناولت لها، أي حرصت عليها، أي أظهرت وجهي وتصديت لذلك ليتذكرني.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٠ كتاب فضائل الصحابة باب (٤) باب من فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) ح ٣٣. (٤) صحيح البخاري ٥: ٢٤ كتاب فضائل اصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) باب من فضائل علي بن ابي =

### [٣٤٢]

أقول: هذا الحديث أجمع على صحته أهل السنة والشيعة، وحتى أن ألد أعداء علي (عليه السلام) - أي معاوية بن أبي سفيان - لم يستطيع أن ينكره (١). وفيه أن الرسول (صلى الله عليه وآله) شبه ومثل خلافة علي (عليه السلام) وولايته بهارون، واستثنى منه فقط مسألة النبوة. وهذا التشبيه والتمثيل من الرسول (صلى الله عليه وآله) هو تثبيت لجميع ما تحلى به هارون من المقام والمنزلة، لأمر المؤمنين علي (عليه السلام). وأما المنازل التي كانت لهارون وهي كما يلي: ١ - الوزارة: أن موسى (عليه السلام) كما حكى عنه القرآن، دعا الله أن يهب هارون منزلة الوزارة قال تعالى: (واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري) (٢). ٢ - الأخوة: كان هارون أخاً لموسى (عليه السلام) (هارون أخي) وعلي (عليه السلام) كان مثل هارون أخاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله). ٣ - الخلافة: عندما أراد موسى أن يذهب لميقات ربه جعل هارون خليفة لنفسه، قال تعالى: (وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي) (٣) وكان هارون نائباً وخليفة لموسى (عليه السلام)، وقد فرض موسى طاعته على بني إسرائيل، وأوصاه أن يبلغ دعوته ويوطد رسالته.... وبناء على مضمون هذا الحديث فإن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) هو خليفة الرسول والقائم مقامه ونائبه.

= صحيح مسلم ٤: ١٨٧٠ كتاب فضائل الصحابة باب (٤) باب فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) ح ٣١. (١) راجع ص: ٣٣١. (٢) طه: ٣٠. (٣) الاعراف: ١٤٢.

### [٣٤٤]

٤ - الوصاية: كما أشرنا إليه أن هارون كان خليفة موسى ووصيه في حياته وعند غيابه، ولو كان هارون حياً بعد وفاة موسى (عليه السلام) لكان أولى بالتصدي لمقام النيابة والخلافة والوصاية، ولكن هارون توفي قبل موسى (عليه السلام). وبهذا الدليل تثبت أحقية أمير المؤمنين علي (عليه السلام) لمقام وصاية الرسول (صلى الله عليه وآله). ٥ - النيابة والمؤازرة: أشرنا فيما سبق أن أحد مناصب هارون هي مؤازرته واشتراكه مع موسى في أمره. وقد نص القرآن على طلب موسى هذه المنزلة لهارون من الله حيث قال تعالى: (اشدد به أزري وأشركه في أمري) (١) وكان جوابه تعالى لموسى: (قال قد أوتيت سؤالك يا موسى) (٢). فعلي (عليه السلام) يحكم هذا النص الصريح كهارون خليفة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ووزيره وشريكه في أمره على سبيل الخلافة عنه لا على سبيل النبوة. ويستفاد من الحديث أيضاً: أن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كان أولى الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله) حياً وميتاً، وأفضلهم وأقربهم إليه (صلى الله عليه وآله)، وله (عليه السلام) على الأمة من فرض الطاعة في حياة النبي وبعد وفاته، كما كان لهارون على أمة موسى في حياته، وإنه (عليه السلام) أفضل الناس جميعاً والناصر والحامي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخليفته في غيبته وبعد وفاته. لفتة نظر: يلزم أن نذكر للقراء الكرام أن بعض علماء أهل السنة توهم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يقل لعلي: (انت مني بمنزلة هارون من موسى...) إلا

مرة واحدة، وذلك عند خروجه في غزوة تبوك، ولذلك قام بالتأويل والتوجيه بأن الخلافة هنا منحصرة بـمورد خاص. بينما نلاحظ في طيات الكتب وثنايا المجاميع، وثبت بالأدلة القطعية أن الرسول (صلى الله عليه وآله) كرر هذه الكلمة ست مرات ولم تنحصر بغزوة تبوك (٣).

(١) طة: ٣١ - ٣٢. (٢) طة: ٣٦. (٣) راجع في ذلك المراجعات للعلامة شرف الدين وكفاية الطالب للكنجي. (\*)

### [٢٤٥]

فضائل فاطمة الزهراء (عليها السلام) ١ - فاطمة سيدة النساء: عن عائشة قالت: أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشي النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): مرحبا بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسر إليها حديثا فبكت. فقلت لها: لم تبكين؟ ثم أسر إليها حديثا فضحكت. فقلت: ما رأيت كالיום فرحا أقرب من حزن. فسألتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حتى قبض النبي (صلى الله عليه وآله) فسألتها. فقالت: أسر إلي أن جبرئيل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي، وإنك أول أهل بيتي لحاقا بي، فبكت. فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين؟ فضحكت لذلك (١). ٢ - فاطمة أول من تلتحق بالنبي (صلى الله عليه وآله): أخرج البخاري ومسلم عن عائشة قالت: دعا النبي (صلى الله عليه وآله) فاطمة ابنته في شكواه الذي قبض فيه، فسارها، فبكت، ثم دعاها فسارها، فضحكت. قالت: فسألتها عن ذلك؟ فقالت: سارني النبي (صلى الله عليه وآله) فأخبرني أنه يقبض في وجهه الذي توفي فيه، فبكت، ثم سارني فأخبرني أنني أول أهل بيته أتبعه، فضحكت (٢).

٣ - فاطمة بضعة الرسول (صلى الله عليه وآله): أخرج البخاري عن مسور بن مخزومة، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: فاطمة بضعة مني

(١) صحيح البخاري ٤: ٢٤٨ كتاب بدء الخلق باب علامات النبوة، وج ٨: ٧٩ كتاب الاستئذان باب من ناجى بين يدي الناس، صحيح مسلم ٤: ١٩٠٥ كتاب فضائل الصحابة باب (١٥) باب من فضائل فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله) ح ٩٩. (٢) صحيح البخاري ٤: ٢٤٨ كتاب بدء الخلق باب علامات النبوة، وج ٥: ٢٦ كتاب فضائل أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) باب مناقب قرابة الرسول، صحيح مسلم ٤: ١٩٠٤ كتاب فضائل الصحابة باب (١٥) باب فضائل فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله) ح ٩٧.

### [٢٤٦]

فمن أغضبها أغضبني (١). وأخرج أيضا عنه، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: فأنما هي بضعة مني يربيني ما أرابها ويؤذيها ما أذاها (٢). وكذلك أخرجه مسلم في صحيحه باختلاف يسير (٣).

٤ - تسبيح فاطمة (عليها السلام): أخرج الشيخان البخاري ومسلم في جامعيهما عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): أن فاطمة شكت ما تلقى من أثر الرحى، فأتى النبي (صلى الله عليه وآله) سبي، فانطلقت، فلم تجده، فوجدت عائشة فأخبرتها، فلما جاء النبي (صلى الله عليه وآله) أخبرته عائشة بمجيئ فاطمة، فجاء النبي (صلى الله عليه وآله) إلينا وقد أخذنا مضاجعنا، فذهبنا نقوم،

فقال: على مكانكما فقعدي بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري، وقال: ألا أعلمكما خيرا مما سألتما، إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعاً وثلاثين، وتسبحاه ثلاثاً وثلاثين، وتحمداه ثلاثاً وثلاثين فهو خير لكم من خادم (٤). ٥ - حنان فاطمة على أبيها: أخرج الشيخان عن ابن مسعود قال: بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله) يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس. فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا جزور بني فلان فيأخذه فيضعه في كتفي محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه.

(١) صحيح البخاري ٥: ٣٦ كتاب فضائل أصحاب النبي باب مناقب قرابة الرسول (صلى الله عليه وآله). (٢) صحيح البخاري ٧: ٤٧ كتاب النكاح باب ذب الرجل من ابنته... (٣) صحيح مسلم ٤: ١٩٠٣ كتاب فضائل الصحابة باب (١٥) باب فضائل فاطمة بنت النبي (صلى الله عليه وآله) ح ٩٤. (٤) صحيح البخاري ٤: ١٠٢ كتاب الخمس باب الدليل على أن الخمس لنوائب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وج ٥: ٢٤ كتاب فضائل أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) باب مناقب علي بن أبي طالب، وج ٧: ٨٤ كتاب النفقات باب عمل المرأة، صحيح مسلم ٤: ٢٠٩١ - ٢٠٩٢ كتاب الدعاء باب (١٩) باب التسبيح أول النهار وعند النوم ح ٨٠ - ٨١.

### [٢٤٧]

فلما سجد النبي (صلى الله عليه وآله) وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا قائم أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله) والنبي (صلى الله عليه وآله) ساجد، ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم فلما قضى النبي (صلى الله عليه وآله) صلاته رفع صوته ثم دعا عليهم... (١). وكذلك أخرج مسلم بإسناده عن أبي حازم، عن أبيه أنه سمع سهل بن سعد يسأل عن جرح رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم أحد. فقال: جرح وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأله، وكسرت ربايعيته، وهشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) تغسل الدم وكان علي بن أبي طالب (عليه السلام) يسكب عليها بالمجن، فلما رأت فاطمة (عليها السلام) أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رمادا، ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم (٢). ٦ - فاطمة (عليها السلام) تبكي لفقد أبيها (صلى الله عليه وآله): أخرج البخاري في صحيحه بإسناده عن أنس قال: لما ثقل النبي (صلى الله عليه وآله) جعل يتغشاه، فقالت فاطمة (عليها السلام): واكرب أباه. فقال لها: ليس علي أبوك كرب بعد اليوم. فلما مات، قالت: يا أبتاه أجب ربا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبرئيل تنعاه، فلما دفن قالت فاطمة (عليها السلام): يا أنس - أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله (صلى الله عليه وآله) التراب؟

(١) صحيح البخاري ١: ٦٩ كتاب الوضوء باب إذا القى على ظهر المصلي قدرا، صحيح مسلم ٣: ١٤١٨ كتاب الجهاد والسير باب (٣٩) باب ما لقي النبي (صلى الله عليه وآله) من أذى المشركين ح ١٠٧. (٢) صحيح البخاري ١: ٧٠ كتاب الوضوء باب غسل المرأة أباهما الدم عن وجهه، وج ٤: ٤٨ كتاب فضل الجهاد والسير باب ليس البيضة، صحيح مسلم ٣: ١٤١٦ كتاب الجهاد والسير باب (٣٧) باب غزوة أحد ح ١٠١. (٣) صحيح البخاري ٦: ١٨ باب مرض النبي ووفاته.

### [٢٤٨]

فضائل الحسن والحسين (عليهما السلام) ١ - الحسنان وحرمة الصدقة عليهما: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يؤتى بالتمر عند صرام النخل، فيجئ هذا بتمره وهذا من تمره، حتى يصير عنده كوما من تمر، فجعل الحسن والحسين (عليهما السلام) يلعبان بذلك التمر، فأخذ أحدهما ثمرة فجعله في فيه، فنظر إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأخرجها من فيه. فقال: أما علمت أن آل محمد (عليهم السلام) لا يأكلون الصدقة (١). وكذلك أخرج عنه: إن الحسن بن علي (عليه السلام) أخذ ثمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): كخ كخ ليطرحها، ثم قال: أما شعرت إننا لا نأكل الصدقة (٢). ٢ - الحسنان أشبه الناس بالنبي (صلى الله عليه وآله): ١ - أخرج البخاري عن أنس بن مالك: لم يكن أحد أشبه بالنبي (صلى الله عليه وآله) من الحسن بن علي (عليه السلام) (٣). ٢ - وكذا أخرج عن ابن جحيفة قال: رأيت النبي (صلى الله عليه وآله) وكان الحسن يشبهه (٤). ٣ - وروى أيضا عن عقبة بن حارث قال: رأيت أبا بكر (رضي الله عنه) وحمل الحسن وهو يقول: بأبي شبيهه بالنبي ليس شبيهه بعلي (عليه السلام)، وعلي يضحك (٥). ٤ - وأيضاً أخرج عن أنس بن مالك: أتني عبيدالله بن زياد برأس الحسين (عليه السلام) فجعل في طست فجعل ينكت، وقال في حسنه شيئا فقال أنس: كان أشبههم برسول

(١) صحيح البخاري ٢: ١٥٦ كتاب الزكاة باب أخذ صدقة التمر عند صرام النخل. (٢) صحيح البخاري ٢: كتاب الزكاة باب ما يذكر في الصدقة للنبي (صلى الله عليه وآله)، وج ٤: ٩٠ كتاب الجهاد والسير باب من تكلم بالفارسية والبطانية. (٣) صحيح البخاري ٥: ٣٣ كتاب فضائل أصحاب النبي باب مناقب الحسن والحسين. (٤) صحيح البخاري ٤: ٢٢٧ باب صفة النبي (صلى الله عليه وآله). (٥) صحيح البخاري ٤: ٢٢٧ كتاب بدء الخلق صفة النبي (صلى الله عليه وآله)، وج ٥: ٣٢ كتاب فضائل أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) باب مناقب الحسن والحسين.

### [٢٤٩]

الله (صلى الله عليه وآله) وكان مخضوبا بالوسمة (١). ٣ - حنان النبي (صلى الله عليه وآله) عليهما: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحسن بن علي (عليه السلام) وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد، ما قبلت منهم أحدا، فنظر إليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم قال: من لا يرحم لا يرحم (٢). أقول: وكذا أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده وذكر الحسين بن علي (عليه السلام) بدل الحسن بن علي (عليه السلام) (٣). ٤ - الحسنان ريحانتا الرسول (صلى الله عليه وآله): أخرج البخاري في صحيحه عن ابن أبي نعم قال: كنت شاهدا لابن عمر وسأله رجل عن دم البعوض. فقال: ممن أنت؟ فقال: من أهل العراق. قال: انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوض، وقد قتلوا ابن النبي (صلى الله عليه وآله) وأله، وسمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: هما ريحانتاي من الدنيا (٤). ٥ - دعاء النبي (صلى الله عليه وآله) لهما: أخرج البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: كان النبي (صلى الله عليه وآله) يعوذ الحسن والحسين (عليهما السلام) ويقول: ان ابا كما - ابراهيم الخليل - كان يعوذ بها اسماعيل واسحاق: اعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة (٥). ٦ - اللهم احببه وإحبه من يحبه: وأخرج أيضا عن أبي هريرة قال: خرج النبي (صلى الله عليه وآله) في طائفة النهار لا يكلمني ولا،

(١) صحيح البخاري ٥: ٣٢ كتاب فضائل أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) باب مناقب الحسن والحسين. (٢) صحيح البخاري ٨: ٩ كتاب الأدب باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. (٣) مسند الإمام أحمد ٢: ٣٦٩. (٤) صحيح البخاري ٨: ٨ كتاب الأدب باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. (٥) صحيح البخاري ٤: ١٧٩ كتاب بدء الخلق باب يزفون النسلان في المشي.

### [٢٥٠]

أكلمه، حتى أتى سوق بني قينقاع، فجلس بغناء بيت فاطمة (عليها السلام)، فقال: اثم لكع، اثم لكع، فحسبته شيئاً، فظننت أنها تلبسه سخاباً أو تغسله، فجاء يشند حتى عانقه وقبله. وقال: اللهم احببه وأحب من يحبه (١). وفي رواية مسلم: إن الرسول (صلى الله عليه وآله) وأحب من يحبه (٢). قال ابن اثير: لكع أي الصغير (٣). هذه باقة اقتطفناها للقارئ النبيه من القرآن والسنة النبوية في فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأهل بيته (عليهم السلام) مما خرجه البخاري ومسلم في صحيحهما. ولو تأملت وتدبرت قليلاً في هذه الصفحات القليلة لعرفت أن موضوع الخلافة وكذلك تعيين الخلفاء الذين هم الأفضل لكي يتقلدوا الخلافة والولاية بعد النبي (صلى الله عليه وآله)، وأفضليتهم لم تكن من المواضيع التي يمكن تغافلها والأعراض عنها وتجاهلها. وما تلوناه عليك ما هو إلا قطرة من بحار مناقبهم ومآثرهم التي استخرجناها من هذين الكتابين وإلا فمناقبهم وفضائلهم المروية في سائر كتب علماء العامة ومسانيدهم وصحاحهم هي أكثر من أن تعد وتحصى. وفي الصفحات المقبلة ستتعرف أيضاً على ما يتعلق بالخلفاء الثلاث مما رواه الشيخان في صحيحهما، ولكن قبل اللوح في هذا الموضوع أرى ضرورياً أن نلفت نظر القراء الكرام إلى خطبة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) التي استعرض فيها مسألة الخلافة والأمامة والمواصفات التي يجب أن يتحلّى بها خليفة رسول الله الحقيقي.

(١) صحيح البخاري ٢: ٨٧ كتاب البيوع باب ما ذكر في الأسواق، وج ٧: ٢٠٤ كتاب اللباس باب السخاب للصبيان. (٢) صحيح مسلم ٤: ١٨٨٢ كتاب فضائل الصحابة باب (١٢) باب فضائل الحسن والحسين (عليه السلام) ح ٥٧. (٣) النهاية لابن اثير ٤: ٢٦٨ مادة لكع.

### [٢٥١]

الأمامة في رأي الإمام علي (عليه السلام) شروط الأمامة: قال أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) في ضمن خطبة له يذكر فيها شروط الأمامة وصفات الأمام: اللهم إني أول من أناب، وسمع وأجاب، لم يسبقني إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالصلوة، وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين: البخيل، فتكون له في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلمهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة (١). فقد بين الإمام علي (عليه السلام) في خطبته هذه ستة شروط رئيسية لمن أراد أن ينصب نفسه إماماً للناس، ويتولى أمور المسلمين، ويأمر بالحرب أو الصلح، ويبين أحكام الدين وقوانينه لهم. والشروط التي يجب أن يتصف بها الأمام هي: ١ - أن لا يكون الأمام شحيحاً وبخيلاً لكيلا يطمع في أموال الناس. ٢ - أن يكون عالماً بالأحكام والقوانين الدينية. ٣ - أن يتحلّى بالمرونة ويتحلّى عن



الخشونة. ٤ - أن لا يكون ظالما وجبارا، حتى لا يضيع حقوق الآخرين.  
٥ - أن لا يكون مرتشيا.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٣٦٣.

[٣٥٢]

٦ - أن لا يكون معطلا لأحكام الدين، ولا بد أن يكون مجريا للأحكام وحافظا لها. هذه الشروط الستة هي في الحقيقة صفوة الصفات التي يجب على الوالي والامام في البلاد الإسلامية أن يتحلى بها، ولكن من المؤسف جدا - حسب ما ورد في الصحيحين البخاري ومسلم اللذين هما ام المصادر وأهمها لدى أهل السنة - أن الحكام الذين تربعوا على سدة الخلافة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) لم يكونوا كذلك، ولم يتحلوا بالأخلاق الفاضلة والدراية التامة بأحكام الشريعة وكيفية إجرائها. وهذه الحقيقة سوف تتجلى لك أكثر حين تقرأ ما سنذكره لك في الفصول القادمة من الأحاديث التي أفرزناها من صحيحي البخاري ومسلم فقط اللذين جعلناهما معتمدين الدراسة عندنا، وإلا فلولا خوف الأطلالة والأطناب والخروج عن دائرة البحث المقرر، فإن سائر كتب الحديث والتفسير والتاريخ وغيرها المعتمدة عند أهل السنة لغنية بهذه المواضع. الأمانة وحسن الخلق ذكرنا في الفصل السابق إن أحد شروط الأمانة والقيادة هو تحلي الامام بالمرونة وحسن الخلق، لأن الخشونة وسوء الخلق لا يتوافق والأمانة بينما نجد في الأحاديث المروية في المصادر المعتمدة لدى العامة، وخاصة صحيح البخاري أن بعض الخلفاء كانوا فارغين من هذا الشرط ولم يتحلوا بحسن الخلق ولبن العريكة. وهذان نموذجان من تلك الأحاديث: ١ - أخرج البخاري بإسناده عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا - أبو بكر وعمر -، لما قدم على النبي وفد بني تميم، أشار أحدهما بالأقرع بن حابس الحنظلي أخي بني مجاشع، وأشار الآخر بغيره. فقال أبو بكر لعمر: إنما أردت خلافي. فقال عمر: ما أردت خلافاك، فارتفعت

[٣٥٢]

أصواتهما عند النبي (صلى الله عليه وآله) فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم بعضا أن تحيط أعمالكم وأنتم لا تشعرون (١). (٢) قال ابن حجر: وفد بني تميم كان قدومهم سنة تسع (٣). أخرج أيضا الامام أحمد بن حنبل في مسنده (٤). يتبادر للمتأمل في مضمون هذا الحديث، وتاريخ قدوم وفد بني تميم الى المدينة سؤال وهو: كيف يتصور أن يتقلد إمامة المسلمين، ويتسمن عرش الخلافة، بعد النبي (صلى الله عليه وآله) من صاحب النبي (صلى الله عليه وآله) عشرين سنة ولم يراع آداب مجالسته، فيرفعان صوتهما عنده، ويتشاجران ويتجادلان عند الرسول (صلى الله عليه وآله) حتى أنزل الله في تقريرهما وذم فعلهما آية في كتابه ؟ ٢ - وأخرج البخاري كذلك بإسناده عن سعد بن أبي وقاص قال: استأذن عمر على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن، فلما استأذن عمر فمن يبتدرن الحجاب، فأذن له رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يضحك. فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله. قال: عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، قال عمر: فأنت يا رسول الله كنت أحق أن يهبن، ثم قال: أي عدوات

أنفسهن، أتهنبي ولا تهين رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ قلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله (صلى الله عليه وآله) (٥).

(١) الحجرات: ٢. (٢) صحيح البخاري ٩: ١٢٠ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بأفعال النبي (صلى الله عليه وآله)، وج ٥: ٢١٢ باب وفد بني تميم. (٣) فتح الباري ٨: ٦٨ عام الوفود. (٤) مسند الإمام أحمد ٤: ٦٠. (٥) صحيح البخاري ٤: ١٥٣ كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده، وج ٥: ١٢ كتاب فضائل أصحاب النبي باب مناقب عمر بن الخطاب، وج ٨: ٢٨ كتاب الأدب باب التبسم والضحك.

### [٢٥٤]

أقول: لقد امتلأت الكتب والمصادر المعتمدة وفاضت بذكر الطبيعة الخشنة، والغلظة الخلقية التي كان الخليفة عمر بن الخطاب يتصف بها حتى قيل: إذا غضب الخليفة عمر لم يسكن حتى يعض على أنامله ويجرحها. يقول الزبير بن بكار بعد أن روى هذه الأمور: إن جارية أتت عمر بن الخطاب - أيام خلافته - تشتكي من أحد ابني الخليفة، فما رام الخليفة إلا أن أخذ يده فعضها. وزاد ابن بكار: ولشدة هذه الصفة والغلظة التي كانت في الخليفة أضمر عبد الله بن عباس مخالفته للخليفة في مسألة العول، ولما مات أظهر ذلك، فقيل له: هلا قلت هذا في أيام عمر؟ قال ابن عباس: هبته وكان أميراً مهيباً (١). الأمامة والعلم بالأحكام الصفة الثانية من الصفات التي تلزم توفرها في الأمام هي الأحاطة التامة بالأحكام، والأمام الكامل بالتعاليم الدينية، فالذي لم يعرف جزئيات الأحكام الدينية، ولم يعلم أطراف المسائل، لا بد أنه يرجع إلى الآخرين ويأخذ منهم حين تداهمه الحوادث والقضايا وهذا الفرد لا يليق له أن يتقلد الأمامة والقيادة، لأنه قد يفتي بأحكام مصادرة ومتناقضة مع الواقع، ويسوق الناس إلى التيه والضلالة أو التحير والترديد. ولو تفحصنا التاريخ وكتب الحديث بمنظار التحقيق والبحث، لوجدنا أن الخلفاء ومتقليدي الخلافة الإسلامية، لم تكن لديهم المعرفة الكاملة بأحكام الدين كلياً جزئياً، وكانوا يلتمسون حل المسائل والأحكام من سائر المسلمين وصحابة الرسول (صلى الله عليه وآله)، وما أكثر ما أفتوا بفتاوى متضادة ومناقضة ومخالفة للواقع وأصدروا أحكاماً غريبة حتى قال عنهم أمير المؤمنين علي (عليه السلام): ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه، ثم ترد تلك

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٣٦٣.

### [٢٥٥]

القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف قوله، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الأمام الذي استقضاهم فيصوب آراءهم جميعاً، واللهم واحد ونبيهم واحد، وكتابهم واحد، فأمرهم الله تعالى بالاختلاف فاطاعوه، أم نهاهم عنه فعصوه، أم أنزل الله ديناً ناقصاً، فاستعان بهم على إتمامه، أم كانوا شركاء فلهم أن يقولوا وعليه أن يرضى، أم أنزل الله تعالى ديناً تاماً فقصر الرسول عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه يقول: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) (١) و (فيه تبيان كل شيء) (٢)؟ (٣) ولكي نقوم بإثبات هذه المسألة - وانهم كيف أفتوا الناس بفتاوى مناقضة بعضها بعضاً، ومباينة للواقع ولماذا انتقد أمير المؤمنين (عليه السلام) سيرتهم في الأفتاء واستنكرها عليهم - نشير إلى أحد عشر فتوى مخالفة للنص القرآني الصريح من الموارد المذكورة

في الصحيحين، وأما ما في كتب الحديث والتاريخ وغيرها فهي كثيرة ومتضاربة: ١ - التيمم: نصت الآيات القرآنية (٤) والأحاديث على أن الإنسان إذا أجنب، ولم يجد ماء، أو أن الغسل بالماء فيه ضرر عليه يجب عليه أداء الفرائض بالتيمم حتى يرتفع العذر... يروى أنه طرحت مسألة الجنابة وفقد الماء في مجلس الخليفة عمر بن الخطاب، ولكنه جهل الحكم المنصوص في القرآن والسنة، فأفتى بترك الصلاة وتعطيلها. فاعترض الصحابي عمار بن ياسر على حكم الخليفة، وذكره بالحكم: التيمم وأداء الصلاة، لكن الخليفة عمر بن الخطاب لم يقنع بجواب عمار، وهدده، فقال عمار: إن شاء الخليفة لم يحدث بهذا بعد.

(١) الأنعام ٢٨. (٢) النحل: ٢٨٩. (٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٢٨٨، نهج البلاغة تحقيق صبحي الصالح خطبة ١٨. (٤) النساء: ٤٢ والمائدة: ٦.

### [٢٥٦]

واليك نص حديثين وردا بهذه المناسبة: ١ - عن سعيد بن عبد الرحمن، عن أبيه: أن رجلا أتى عمر فقال: إني أجنب، فلم أجد ماء؟ فقال: لا تصل. فقال عمار: أما تذكر يا أمير المؤمنين إذ أنا وأنت في سرية، فأجنبنا، فلم نجد ماء فأما أنت فلم تصل وأما أنا فتممكت في التراب وصليت فقال النبي (صلى الله عليه وآله): إنما يكفيك أن تضرب بيدك الأرض، ثم تنفخ، ثم تمسح بهما وجهك وكفيك. فقال عمر: اتق الله يا عمار. فقال: إن شئت لم يحدث به (١). هذه الرواية أخرجها البخاري ومسلم عن سعيد بن عبد الرحمن. ولكن البخاري خان الأمانة وأسقط جواب الخليفة عمر (لا تصل) من الحديث وأشرنا في الجزء الأول أن هذا هو دأب البخاري في تقطيع الحديث وتعصبه (٢). ٢ - عن شقيق بن سلمة قال: كنت عند عبد الله بن مسعود وأبي موسى الأشعري. فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن إذا أجنب المكلف فلم يجد ماء، كيف يصنع؟ قال عبد الله: لا يصلي حتى يجد الماء. فقال أبو موسى: فكيف تصنع بقول عمار، حين قال له النبي (صلى الله عليه وآله): كان يكفيك...؟ قال: ألم تر عمر لم يقنع بذلك؟ فقال أبو موسى: دعنا من قول عمار فما تصنع بهذه الآية - وتلا عليه آية المائدة - (٣)؟ قال: فما درى عبد الله ما يقول... (٤). أخرج هذا الحديث البخاري ومسلم، ولكن بعض علماء أهل السنة بادر إلى،

(١) صحيح البخاري ١: ٩٢ باب التيمم باب المتيمم هل ينفخ فيهما، صحيح مسلم ١: ٢٨٠ كتاب الحيض باب (٢٨) باب التيمم ج ١١٢. (٢) راجع ص ١٠٩. (٣) المائدة: ٦. (٤) صحيح البخاري ١: ٩٥ كتاب التيمم باب إذا خاف الجنب على نفسه المرض أو الموت... صحيح مسلم ١: ٢٨٠ كتاب الحيض باب (٢٨) باب التيمم ج ١١٠.

### [٢٥٧]

تعديل هذه الرواية والدفاع عن المرتبة العلمية للخليفة، فبرر قول عمر: (لا تصل) بأنه نوع من الاجتهادات الخاصة لعمر، وبرر آخرون بأن فتوى عمر كانت على حساب السهو والنسيان. قال ابن حجر: لا تصل حتى تجد الماء مقصور على رأي عمر، وهذا مذهب مشهور عن عمر. ويستفاد من هذا الحديث وقوع اجتهاد الصحابة في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) (١). وأما ابن رشد الفيلسوف والفقيه المعروف - في كتابه الاستدلالي بداية المجتهد بعد أن برر حكم عمر

بالسهو والنسيان -، فيحسم القضية بقوله: لكن الجمهور رأوا أن ذلك - وجوب التيمم والصلاة على المجنب - يثبت من حديث عمار وعمران بن حصين، أخرجهما البخاري، وإن نسيان عمر ليس مؤثرا في وجوب العمل بحديث عمار (٢). ٢ - حد شرب الخمر: عن قتادة يحدث عن أنس بن مالك: أن النبي (صلى الله عليه وآله) أتى برجل قد شرب الخمر، فجلده بجريدتين، نحو أربعين قال: وفعله أبو بكر، فلما كان عمر استشار الناس. فقال عبد الرحمن: أخف الحدود ثمانين. فأمر به عمر (٣). رواه مسلم في صحيحه بهذا المضمون بعدة أسانيد، والبخاري أيضا أخرجه في موردين ولكنه أسقط آخر الحديث: فاستشار الناس (٤). وطبقا للأسلوب المتخذ في هذا الكتاب نقلنا الرواية عن البخاري وإلا فالحق: إن حد شرب الخمر في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) كان ثمانين جلدة وليس أربعين، ولما كان المسلمون الأوائل ملتزمين بالعمل بأحكام الدين، ومنشغلين بالحروب والفتوحات

(١) فتح الباري ١: ٢٥٢. (٢) بداية المجتهد ١: ٦٦. (٣) صحيح مسلم ٣: ١٣٣٠ كتاب الحدود باب (٨) باب حد الخمر ح ٢٥ - ٢٧. (٤) صحيح البخاري ٨: ١٩٦ كتاب الحدود باب ما جاء في ضرب شارب الخمر وباب الضرب بالجريد والنعال.

#### [٢٥٨]

فقليلًا ما أجري حد الخمر في ذلك الزمان، ولذلك ترى إن النسيان بالحكم قد اعترض الخليفة عمر. ولكن في عهد الخليفة عمر حيث انفصل الناس عن المعنويات، وعمرؤا بالماديات وظل شرب الخمر يشيع شيئا فشيئا، فأصبح الحكم فيه من الموارد الكثيرة الابتلاء. وقد ذكرنا أنفا أن أمير المؤمنين الأمام علي (عليه السلام) هو الذي أشار على عمر بحد الشارب خمرا ثمانين جلدة وليس عبد الرحمن بن عوف. فابن رشد الأندلسي يذكر الاختلاف الحاصل عند فقهاء أهل السنة في حد شارب الخمر وبعده يذكر الرأي المشهور على أنه هو ثمانين جلدة ثم يقول: فعمدة الجمهور تشاور عمر والصحابة لما كثر في زمانه شرب الخمر، وأشار علي (عليه السلام) عليه بأن يجعل الحد ثمانين قيادا على حد الفرية (١). وعلى أي حال، فالمستفاد من مجموع ما ذكرناه هو - سواء كان الذي أشار عليه بذلك الأمام علي (عليه السلام) أو عبد الرحمن بن عوف - أن الخليفة عمر بن الخطاب عرف الحكم في حد شارب الخمر بعد المشورة والاستشارة مع الآخرين. ٣ - دية الجنين: عن المسور بن مخرمة قال: استشار عمر بن الخطاب الناس في إملاص المرأة. فقال المغيرة بن شعبه: شهدت النبي (صلى الله عليه وآله) قضى فيه بغرة عبد أو أمة. قال: فقال عمر: ائتنني بمن يشهد معك. قال: فشهد له محمد بن مسلمة (٢). أقول: هذا الحكم كما يشهد به الصحيحان - أصح كتب أهل السنة - هو من الأحكام التي أفتى بها الخليفة عمر بن الخطاب باستناد الاستشارة، وفي الحديث إن

(١) بداية المجتهد ٢: ٤٨٢. (٢) صحيح البخاري ٩: ١٤ كتاب الديات باب جنين المرأة، صحيح مسلم ٣: ١٣١١ كتاب الديات باب (١١) باب دية الجنين ح ٣٩.

#### [٢٥٩]

الخليفة قد أخذ برأي المغيرة بن شعبه الجاني الزاني وشهادة رجل آخر. ٤ - الاستئذان: أبا سعيد الخدري يقول: كنت جالسا بالمدينة

في مجلس الأنصار، فأتانا أبو موسى فرعا أو مذعورا. قلنا: ما شأنك ؟ قال: إن عمر أرسل إلي أن آتية، فأتيت بابه فسلمت ثلاثا فلم يرد علي، فرجعت. فقال: ما منعك أن تأتي؟ فقلت: إني أتيتك فسلمت على بابك ثلاثا فلم يردوا علي، فرجعت وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع. فقال عمر: أقم عليه البيعة وإلا أوجعتك. فقال أبي بن كعب: لا يقوم معه إلا أصغر القوم. قال أبو سعيد: قلت: أنا أصغر القوم. قال: فإذهب به (١). أخرج مسلم هذه المسألة في صحيحه فمن تسعة أحاديث بأسانيد ومتون مختلفة، ورد عقيب واحدة منها تبرير الخليفة عمر لجهله بهذا الحكم البسيط قال: خفي علي هذا من أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله)، الهاني عنه الصفق بالأسواق (٢). وجاء في حديث آخر إن أبي بن كعب هو الذي شهد لأبي موسى، وقال بعدها مستنكرا عمل الخليفة: فلا تكن يا بن الخطاب عذابا على أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) (٣). أقول: إن مسألة الاستئذان التي أخرجها الشيخان في صحيحهما، والتي كانت تعتبر مشكلة ومعضلة واجهت الخليفة عمر، حتى استدعت أن يشهد عليها الآخرون ويغلظ عليهم، هي من المسائل الأخلاقية والأنسانية الفطرية وكل من كان ملتزما بمثل هذه الأخلاقيات يدرك حكمها بالفطرة والوجدان.

(١) صحيح البخاري ٨: ٦٧ كتاب الاستئذان باب التسليم والاستئذان ثلاثا، صحيح مسلم ٣: ١٦٩٤ كتاب الآداب باب (٧) باب الاستئذان ح ٣٢. (٢) صحيح مسلم ٣: ١٦٩٦ كتاب الآداب باب (٧) باب الاستئذان ح ٣٦. (٣) المصدر ح ٣٧. (\*)

### [٣٦٠]

وهذا الحكم فضلا عن أن الرسول (صلى الله عليه وآله) قاله وبينه للمسلمين، فقد ورد في القرآن أيضا، على نحو أمر إرشادي قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) (١). وأما قول أبي بن كعب: لا يقوم معه إلا أصغر القوم فيه تعريض وتقريع للخليفة، ومعناه أن حديث الاستئذان مشهور ومعروف يعرفه الكبار والصغار، وهو غير خفي على أحد من المسلمين. ولكن الصفق بالأسواق كما اعترف بذلك الخليفة بنفسه ألهاه عن معرفة أبسط الأحكام، ومن هذا الحديث يمكننا أن نعرف مرتبة الخليفة العلمية وجاهه للمعضلات. ه - الكلاله: عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة: أن عمر بن الخطاب خطب يوم الجمعة، فذكر نبي الله (صلى الله عليه وآله) وذكر أبا بكر. ثم قال: إني لا أدع بعدي شيئا أهم عندي من الكلاله، وما راجعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) في شئ ما راجعته في الكلاله، وما أغلظ لي في شئ ما أغلظ لي فيه، حتى طعن بأصبعه في صدري، وقال: يا عمر الا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء؟ وإني إن أعش أفض فيها بقضية، يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ القرآن (٢). آية الصيف التي أشير إليها في هذا الحديث هي آخر آية من سورة النساء، وتبين إرث الكلاله. قال تعالى: (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلاله إن امرء هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين بين الله لكم أن تزلوا والله بكل شئ عليم) (٣).

(١) النور: ٣٧ - ٢٨. (٢) صحيح مسلم ٣: ١٢٣٦ كتاب الفرائض باب (٢) باب ميراث الكلاله ح ٩. (٣) النساء: ١٧٦.

ولما كانت هذه الآية قد نزلت في الصيف سميت بآية الصيف. قال العلامة الأميني قدس سره عقيب هذا الحديث: ما أعضلت الكلالة على الخليفة وما أبهمها وأبهم حكمها ؟ وهي شريعة مطردة سمحة سهلة، حتى يعلن على منبره (إني لا أدع بعدي شيئاً أهم عندي من الكلالة)، وهل هو حين أكثر السؤال عنها، أجاب عنه الرسول (صلى الله عليه وآله) أم لا ؟ فإذا أجاب عنه الرسول، فلماذا لم يحفظه الخليفة ؟ أو قصر فهمه عن معرفته ؟ وإذا لم يجبه الرسول وأبقى المسألة مبهمة عليه وحاشاه أن يؤخر البيان عن وقت الحاجة ؟ وزد فكيف تخفى على أحد معنى الكلالة وهي بين يديه وفيها قوله تعالى: (يبين الله لكم أن تضلوا) ؟ فكيف يتصور أن الله بين حكم المسألة، والخليفة يقول لم تبين ؟ وكيف يرى النبي آية الصيف كافية في البيان لمن جهل الكلالة وتبقى هذه المسألة معضلة بدون حل للخليفة (١). أقول: بعد بيان كل هذه المسائل فماذا هو مراد الخليفة عمر من قوله: وإن أعش أقض فيها بقضية، يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لم يقرأ القرآن ؟ فهل هناك قضاء ورأي فوق القرآن ؟ أفليس هذا يعني أن الخليفة يريد أن يجتهد في مقابل النص القرآني ؟ ٦ - رجم المجنونة: عن ابن عباس قال: أتني عمر بمجنونة قد زنت فاستشار فيها إناساً، فأمر بها أن ترحم، فمر بها علي (رضى الله عنه) فقال: ما شأن هذه ؟ فقالوا: مجنونة بني فلان زنت فأمر بها عمر - أن ترحم. فقال: ارجعوا بها. ثم أتاه. فقال: يا أمير المؤمنين، أما علمت أن رسول الله قال: رفع القلم عن ثلاث: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المعتوه حتى يبرأ ؟ قال: بلى: قال: وإن هذه معتوهة بني فلان لعل الذي أتاهها أتاهها وهي في بلائها، فخلي سبيلها، وجعل عمر يكبر (٢). أخرج البخاري هذه الرواية في موضعين من صحيحه، وحفظاً لرتبة عمر العلمية !

(١) الغدير للعلامة الأميني ٦: ١٣٠ بتلخيص واختصار. (٢) صحيح البخاري ٧: ٥٩ كتاب الطلاق باب الطلاق في الاغلاق والكراهة، وج ٨: ٢٠٥ كتاب المحاربهين باب لا يرحم المجنون والمجنونة.

أسقط من الحديث مقدمته ومؤخرته وأبقى هذا الوسط منه، قال علي لعمر: أما علمت أن القلم رفع عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يدرك، وعن النائم حتى يستيقظ. وقد رويت هذه القصة بكاملها في مختلف كتب الحديث والتراجم (١). وقال ابن عبد البر بعد أن أخرج هذه الحكاية: إن عمر قال: لولا علي لهلك عمر (٢). ٧ - القراءة في صلاة العيد: عن عبيد الله بن عبد الله: أن عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي: ما كان يقرأ به رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الأضحى والفطر ؟ فقال: كان يقرأ فيهما (ق والقرآن المجيد)، و (اقتربت الساعة وانشق القمر) (٣). أخرج كل من مسلم في صحيحه، ومالك في الموطأ، والترمذي وأبو داود في سننهما، وأما ابن ماجه أخرج في سننه بنحو آخر: عن عبيدالله قال: خرج عمر (رضى الله عنه) يوم عيد، فأرسل إلي أبي واقد الليثي: بأي شئ كان النبي (صلى الله عليه وآله) يقرأ في مثل هذا اليوم ؟ فقال: بقاف واقتربت (٤). قال العلامة الأميني (قدس سره) تعقياً على هذه الرواية: فهلم معي نسائل الخليفة عن أنه لماذا عزب عنه العلم بما كان يقرأه رسول الله (صلى الله عليه وآله) في صلاة العيدين ؟ أو كان ناسياً له فأراد أن يستثبت كما اعتذر به السيوطي في تنوير الحالك ج ١ ص ١٤٧ ؟ أو أنه ألهاه عنه الصفق في الأسواق ؟ كما

اعتذر به هو في غير هذا المورد.... ويبعد النسيان إن حكما مطردا  
كهذا يكرر في كل عام مرتين على رؤوس الأشهاد ومزحم  
الجماهير لا ينسى عادة (٥).

(١) سنن أبي داود ٤: ١٤٠ كتاب الحدود باب في المجنون يسرق أو يصيب حدا ح  
٤٣٩٩. (٢) الاستيعاب ٢: ١١٠٣ ترجمة علي بن أبي طالب (عليه السلام) رقم  
١٨٥٥. (٣) صحيح مسلم ٣: ٦٠٧ كتاب صلاة العيدين باب (٣) باب ما يقرأ به في صلاة  
العيدين ح ١٤. (٤) سنن ابن ماجه ١: ٤٠٨ كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب (١٥٧)  
باب ما جاء في القراءة في صلاة العيدين ح ١٢٨٢. (٥) الغدير ٦: ٢٣٠.

### [٣٦٢]

أقول: فالفضية نفسها وبما هي هي، تومي إلى أن الخليفة كان في  
حالة اضطراب هائل لجهله بالسورة التي تقرأ في صلاة العيد وهو  
في تلك الحالة قاصدا للذهاب إلى صلاة العيد، إذ يرسل نفرا إلى دار  
أبي واقد الليثي يسأله عن كيفية المسألة وما يقرأ في صلاة العيد.  
٨ - حلي الكعبة: أخرج البخاري حديثا في صحيحه في موردتين  
وباختلاف يسير في ألفاظهما: عن أبي وائل قال: جلست إلى شبية  
في هذا المسجد قال: جلس إلي عمر في مجلسك هذا. فقال:  
هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء، إلا قسمتها بين المسلمين.  
قلت: ما أنت بفاعل. قال: لم ؟ قلت: لم يفعله صاحبك. قال: هما  
المرآن يقتدى بهما (١). ولكن يبدو للمحقق المدقق أن هذه القضية  
لم تحدث للخليفة مرة واحدة في عهده وخلافته فقط بل وقعت له  
مرات وقصد الكعبة كرات، وفي كل مرة كان يواجه مخالفة كبار  
الصحابة إياه، ومن ثم يرتدع ويتراجع عن قصده، فمرة يخالفه شبية  
ويتراجع وأخرى يشاور أمير المؤمنين الأمام علي (عليه السلام)  
فينكر عليه ذلك، ويردعه بالأدلة والبراهين القاطعة، وإليك نص كلام  
أمير المؤمنين (عليه السلام): روي أنه ذكر عند عمر بن الخطاب في  
أيامه حلي الكعبة وكثرته فقال قوم: لو أخذته فجهزت به جيوش  
المسلمين، كان أعظم للأجر وما تصنع الكعبة بالحلي ؟ فهم عمر  
بذلك، فسأل عنه أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: إن هذا القرآن  
انزل على محمد (صلى الله عليه وآله) والأموال أربعة: أموال  
المسلمين فقسمها بين الورثة في الفرائض، والفئى فقسمه على  
مستحققيه، والخمس فوضعه الله حيث وضعه، والصدقات فجعلها الله  
حيث جعلها، وكان

(١) صحيح البخاري ٩: ١١٤ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول  
الله (صلى الله عليه وآله)، وح ٣: ١٨٢ كتاب الحج باب كسوة الكعبة.

### [٣٦٤]

حلي الكعبة فيها يومئذ، فتركه الله على حاله، ولم يتركه نسيانا ولم  
يخف عنه مكانا، فأقره حيث أقره الله ورسوله، فقال له عمر: لولاك  
لافتضحنا، وترك الحلي بحاله. قال ابن أبي الحديد بعد أن نقل  
الخطبة: هذا استدلال صحيح ويمكن أن يورد على وجهين: أحدهما:  
أن يقال: أصل الأشياء الحظر والتحريم، كما هو مذهب كثير من  
أصحابنا، فلا يجوز التصرف في شئ من الأموال والمنافع إلا بإذن  
شرعي، ولم يوجد إذن شرعي في حلي الكعبة، فبقينا فيه على  
حكم الأصل. والوجه الثاني: أن يقال: حلي الكعبة مال مختص  
بالكعبة، وهو جار مجرى ستور الكعبة، فكما لا يجوز التصرف في

ستور الكعبة وبابها إلا بنص، فكذلك حلى الكعبة. والجامع بينهما الاختصاص الجاعل كل واحد من ذلك كالجاء من الكعبة، فعلى هذا الوجه ينبغي أن يكون الاستدلال (١). أقول: ونقل الزمخشري هذه الخطبة في كتابه ربيع الابرار في الباب الخامس والسبعون (٢). ٩ - معنى أبا: أخرج البخاري في صحيحه: أن رجلاً سأل عمر بن الخطاب عن قوله: (فاكهة وأبا) (٣) ما الأب؟ قال: نهينا عن التعمق والتكلف (٤). فقد أشرنا فيما سلف، أن البخاري قد أسقط الشق الأول من الحديث واكتفى بالشق الأخير منه من قوله: نهينا عن... ولكن ما أخفاه البخاري أظهره غيره في كتب الحديث والتفسير، وكذا شروح صحيح البخاري فذكروا القصة بالتفصيل حتى أن بعض

(١) شرح نهج البلاغة ١٩: ١٥٨ - ١٥٩. (٢) ربيع الابرار ٤: ٣٦ باب اللباس والحلي من القلائد والأسورة... (٣) عبس: ٣١. (٤) صحيح البخاري ٩: ١١٨ كتاب الاعتصام باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه.

### [٣٦٥]

شراح صحيح البخاري أذعنوا واعترفوا بما قام به البخاري من التقطيع والأسقاط (١). ١٠ - فتوى عثمان في الجنابة: وفقاً لما نصت عليه الآيات القرآنية والأحاديث المتظاهرة المتواترة في الصحاح الستة بأن الجنابة تتحقق بأحد الطريقتين: ١ - خروج المني. ٢ - التقاء الختانين، سواء خرج المني أم لا وهذا هو المقصود في حد الزنا والنكاح. قال الأمام الشافعي: فأوجب الله عزوجل الغسل من الجنابة، فكان معروفاً في لسان العرب أن الجنابة الجماع، وإن لم يكن مع الجماع ماء دافق، وكذلك ذلك في حد الزنا وإيجاب المهر وغيره، وكل من خوطب بأن فلانا أجنب من فلانة عقل أنه أصابها وإن لم يكن مقترفاً، ودلت السنة على أن الجنابة أن يفضي الرجل من المرأة حتى يغيب فرجه في فرجها إلى أن يوارى حشفته، أو أن يرمي الماء الدافق وإن لم يكن جماعاً (٢). وورد في الصحيحين البخاري ومسلم وسائر مصادر أهل السنة أحاديث متظاهرة على وجوب الغسل بمجرد التقاء الختانين وأورد مسلم لهذه المسألة باباً وعنوانه نسخ الماء من الماء ووجوب الغسل بالتقاء الختانين (٣). وترى الخليفة عثمان لما سئل عن الرجل يجامع زوجته ولا يمني؟ يقول: لا يجب الغسل ويكفي الوضوء وغسل الفرج.

(١) راجع فتح الباري ١٢: ٢٢٩، إرشاد الساري ١٠: ٣١١، عمدة القاري ٢٥: ٢٥، وراجع أيضاً التفاسير وكتب الحديث واللغة، نحو: النهاية لابن أثير ١: ١٣ مادة أب، الدر المنثور ٦: ٣١٧، الكشف ٤: ٧٠٥، ابن كثير ٤: ٥٠٤، الخازن ٤: ٣٥٤، البغوي ٤: ٤٤٩، مستدرک الحاکم ٢: ٥١٤ كتاب التفسير باب تفسير سورة عبس وتولى. وغيرهم في تفسير سورة عبس. (٢) الام ١: ٣٦. (٣) صحيح مسلم ١: ٢٧١ كتاب الحيض باب (٢٢) باب نسخ الماء...

### [٣٦٦]

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحهما بإسنادهما عن، أبي سلمة أن عطاء ابن يسار أخبره إن زيد بن خالد الجهني أخبره أنه سأل عثمان بن عفان فقال: رأيت إذا جامع الرجل امرأته فلم يمن. قال عثمان: يتوضأ كما يتوضأ للصلاة ويغسل ذكره. قال عثمان: سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسألت عن ذلك علي بن أبي طالب (عليه السلام) والزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله وأبي بن كعب، فأمره بذلك (١). هذا هو فتوى الخليفة عثمان في الجنابة.



وقول الخليفة أنه سمع هذا الحكم من النبي (صلى الله عليه وآله)، والأمام علي (عليه السلام) وطلحة والزبير وإبي بن كعب أيدياً ما سمعه من الرسول (صلى الله عليه وآله)، إما أن تكون هذه فرية لا أصل لها وموضوعة على لسان الخليفة حفظاً لسمعة الخليفة. كما نرى أمثاله ونظائره بكثير. وإما أن تكون - الرواية على فرض صحتها - مما ترتبط بالسنوات الأولى من البعثة النبوية حيث قال الرسول (صلى الله عليه وآله): الماء من الماء (٢). وهذا إن سلم قبول الرواية، فإن ابن عباس ينكر ذلك ويقول بأن المسألة الماء من الماء تتعلق بالاحتلام، وعلى كل حال فإن هذه المسألة من المسائل التي كثر الابتلاء بها ولا تمت بالجماع والمقاربة (٣). وورد فيها أحاديث كثيرة نحو عن عمرو ابنه وعائشة قالوا: إذا جاوز الختان وجب الغسل، فكيف تخفى على الخليفة ويفتي بخلافها ويقول: لا يجب الغسل ما لم يمين. ولعل الخليفة حفظ هذا الحكم منذ أول ما سمعه عندما أسلم، حتى أيام خلافته، وفي هذه المدة الطويلة لم يكن يعلم أنها نسخت فأفتى وفقاً للحكم المنسوخ الذي كان

(١) صحيح البخاري ١: ٨٠ كتاب الغسل باب غسل ما يصب من فرج المرأة، وص ٥٦ كتاب الوضوء باب من لم ير الوضوء إلا من المزجين، صحيح مسلم ١: ٢٧٠ كتاب الحيض باب (٢١) باب إنما الماء من الماء ح ٨٦. (٢) صحيح مسلم ١: ٣٦٩ كتاب الحيض باب (٢١) باب إنما الماء من الماء ح ٨٠. (٣) فتح الباري ١: ٣١٦.

#### [٣٦٧]

في ذهنه. ١١ - المصاحف الشريفة: روى البخاري بأسناده عن أنس بن مالك قال: إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفرغ حذيفة اختلافهم في القراءة. فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين! ادرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالصحف، ننسخها في المصاحف، ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان. فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق (١). قال أحد العلماء المعاصرين: أما أن عثمان جمع المسلمين على قراءة واحدة وهي القراءة التي كانت متعارفة بين المسلمين، والتي تلقوها بالتواتر عن النبي (صلى الله عليه وآله)، وإنه منع عن القراءات الأخرى، أما هذا العمل من عثمان فلم ينتقده أحد من المسلمين وذلك لأن الاختلاف في القراءة كان يؤدي إلى الاختلاف بين المسلمين، وتمزيق صفوفهم، وتفريق وحدتهم، بل كان يؤدي إلى تكفير بعضهم بعضاً، وقد منع النبي (صلى الله عليه وآله) عن الاختلاف في القرآن، ولكن الأمر الذي انتقد عليه هو احراقه لبقية المصاحف، وأمره أهالي الأمصار بإحراق ما عندهم من المصاحف، وقد اعترض على عثمان في ذلك جماعة من المسلمين حتى سموه بحراق المصاحف (٢). أقول: إن للقرآن في الإسلام الحرمة الفائقة والمكانة العظيمة، وورد في تكريمه

(١) صحيح البخاري ٦: ٢٢٥ كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن تروى القصة كاملة. (٢) البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي: ٢٢٧.

واحترامه أحكام كثيرة كحرمة مسه من دون طهور، وحرمة قراءة العزائم للجنب والحائض في رأي الشيعة وأما أهل السنة فإنهم يقولون بحرمة قراءة أي سورة من القرآن لهما، وحرمة تنجيسه. وملخص القول: قد تضافرت الأحاديث بحرمة كل عمل يكون موجبا لتوهين القرآن عرفا. قال الترمذي في سننه بعد أن أخرج حديث (لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئا من القرآن): المنقول عن النبي (صلى الله عليه وآله) ما نصه، وهو قول أكثر أهل العلم من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) و التابعين ومن بعدهم مثل سفيان الثوري، وابن مبارك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق قالوا: لا تقرأ الحائض ولا الجنب من القرآن شيئا إلا طرف الآية والحرف ونحو ذلك، وخصوا للجنب والحائض في التسييح والتهيل (١). نعم، إن هذه التأكيدات والأوامر والنواهي لم تصدر إلا لبيان حرمة القرآن ورعاية شأنه وأهميته فكيف جاز للخليفة عثمان أن يأمر بإحراق هذه المصاحف؟ وبأي دليل ومستند شرعي استساع لنفسه أن يشعل النار في كثير من الآيات القرآنية، سواء التي كانت في المدينة أو سائر البلاد الأخرى؟ وكيف يمكن الجمع والتطبيع بين هذه الفتوى والحكم الخليفة وبين عظمة القرآن والأحكام التي جاءت فيها؟ فلو كان الخليفة عثمان بن عفان قد قصد بإحراق المصاحف الشريفة ليتقي الاختلاف المحتمل، فإن هناك طرقا أخرى غير الأحراق يمكنه أن يدفع الاختلاف بها، ولا توجب الأهانة بكرامة القرآن والأساءة إلى قدسيته، فمثلا كان بإمكانه أن يضع المصاحف في بئر أو بحر ويحفظ قداسته. والأجابة على هذه الأسئلة نحيلها إلى القارئ النبيه ليجيب عليها.

(١) سنن الترمذي ١: ٢٣٦ كتاب الطهارة باب (٩٨) باب من أبواب الطهارة ح ١٣١.

بين الخلفاء والشريعة لا ريب إن أهم شروط الأمامة والتي تعتبر المفهوم الواقعي والحكمة العالية في الخلافة في الإسلام هو: أن يكون الأمام والخليفة حافظا للدين، وصائنا للشريعة، ومنفذا لقوانين القرآن وتشريعاته. هذا ما أوضحه أمير المؤمنين (عليه السلام) في ضمن بيانه لشروط الأمامة فقال: ولا المعطل للسنة فهلك الأمة. ولكن التاريخ يروي لنا عكس هذا تماما، ويستفاد مما احتوته أحاديث الصحيحين، أن بعض حكام الشريعة، وقوانين الدين، قد تعرضت للتزوير وتناولت إليها أيدي التشويه والتحريف في عهد الخلفاء، وإنهم كانوا يغيرون التعاليم والأحكام الدينية حسب ما تقتضيه مصالحهم ونزعاتهم الشخصية، وكل واحد منهم كان يفسر الشريعة والسنة وفقا لرأيه وكيفما شاءت أهواؤهم. لما أرادوا أن يبرروا هذا العمل - ويصبغوا هذه التحريفات والتغييرات بالصيغة الدينية والطابع الشرعي، ويظهروا باطلهم ومخالفاتهم للنصوص في كسوة الحق - سموه الاجتهاد، وخلف ستار الاجتهاد وباسمه دسوا تحريفاتهم ومخالفاتهم في أوساط المجتمعات الإسلامية، بينما الاجتهاد في الواقع أمر، ومخالفة التعاليم القرآنية الصريحة والسنة النبوية أمر آخر. وبهذه المناسبة يقول أمير المؤمنين الأمام علي (عليه السلام): قد عملت الولاة قبلي أعمالا خالفوا فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، متعمدين بخلافه، ناقضين لعهد، مغيرين لسنته، ولو حملت الناس على تركها، وحولتها إلى مواضعها، وإلى ما كانت في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لتفرق عني جندي، حتى أبقى وحدي، أو مع قليل

من شيعتي الذين عرفوا فضلي، وفرض إمامتي من كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وآله) (١). وقال أيضا: لو قد استوت قدماي من هذه المداحض لغيرت أشياء. وعلق ابن أبي الحديد في شرحه على هذه الكلمة: لسنا نشك أنه كان يذهب في الأحكام الشرعية والقضايا إلى أشياء يخالف فيها أقوال الصحابة، نحو قطعه السارق من رؤوس الأصابع، وبيع امهات الأولاد، وغير ذلك، وإنما كان يمنع من تغيير أحكام من تقدمه اشتغاله بحرب البغاة والخوارج (٢). أقول: إن عدد الأحكام التي غيرت وحرفت واحصاء المخالفات التي وقعت في قبال أوامر النبي (صلى الله عليه وآله) وأحكامه سواء في حياته أو بعد وفاته من قبل الصحابة، فهي كثيرة العدد مستخرجة ومروية في كتب الحديث والتفسير بكثرة. إلا إننا نذكر هنا بعض تلك الأعمال - وقد نقلها الشيوخان في صحيحيهما - التي خالف فيها الأصحاب وأوامر الرسول (صلى الله عليه وآله) وسننه، وحرفوها: ١ - القتل والفتك تحريف الاحكام: من الأحكام الضرورية في الشريعة الإسلامية حرمة الانسان المسلم الذي يقر بالشهادتين - شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله (صلى الله عليه وآله) - فإهراق دمه واستباحة ماله حرام، ولا يحق لأحد التعرض لهما إلا من الناحية الحقوقية الفردية. قال النبي (صلى الله عليه وآله): أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله (٣).

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي: ١٦٢، روضة الكافي: ٥٩ ح ٢١، بحار الانوار: ٣٤: ١٦٨ كتاب تاريخ امير المؤمنين (عليه السلام) باب (٣٢) باب علة عدم تغيير امير المؤمنين (عليه السلام) بعض البدع في زمانه، احقاق الحق ١: ٦١. (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩: ١٦١. (٣) صحيح البخاري ٩: ١٩ كتاب استتابة المرتدين والمعاندين باب قتل من أبى يقول =

فبعد وفاة الرسول أبي بعض المسلمين المعتقدين بوجوب أحكام الدين وضرورياته كالزكاة أن يدفع الزكاة إلى أبي بكر، والحق لأنهم ما كانوا يعترفون بخلافة أبي بكر على أنها خلافة شرعية، ولذلك حاربهم أبو بكر فقتل رجالهم وسبى نساءهم واطفالهم (١). ولما رأوا فضاة ما فعلوه عمدوا إلى إلباسه لباس الشرعية ليحصنوا بذلك شرف الخليفة من النقد والاستنكار، ويبرؤونه من وصمة العار، ولذلك سموا مانعي دفع الزكاة إلى الخليفة بالمرتدين، وبذلك اشتهروا، وصيروا في قائمة الكفار مثل مسيلمة (٢) وطلحة (٣) اللذان حاربا الإسلام في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله).

= الفرائض.... صحيح مسلم ١: ٥١ كتاب الايمان باب (٨) باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله... ح ٢٢. (١) ثمة في التاريخ الإسلامي قضايا وحوادث مؤلمة مثل إحراق قبيلة بني سليم الذي أشعل خالد بن الوليد فيها النار في غرة حكومة الخليفة أبي بكر الصديق. راجع الرياض النضرة للمحب الطبري ١: ١٤٧. (٢) مسيلمة الكذاب: هو مسيلمة بن ثمامة من بني حنيفة، إدعى النبوة وكان من المعمرين، نشأ باليمامة، ولما ظهر الإسلام في الحجاز وافتتح النبي (صلى الله عليه وآله) مكة ودانت له العرب، جاءه وفد من بني حنيفة وكان معهم مسيلمة إلا أنه تخلف مع الرجال خارج مكة فجاء الوفد إلى النبي وأسلموا وأخبروا النبي بمكان مسيلمة، ولما رجعا إلى ديارهم كتب مسيلمة إلى النبي: من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليك، أما بعد... فأجابه النبي: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب.... وكان مسيلمة يضع اسجاعا ليضاهي بها القرآن، وتوفي

النبي (صلى الله عليه وآله) قبل القضاء على فتنته، وفي عهد أبي بكر أرسل أبو بكر جيشا بقيادة خالد بن الوليد فقتل عليه، وكان ذلك سنة ١٢ من الهجرة. راجع الاعلام ترجمة مسيلمة الجزء السابع. المغرب (٣) طليحة الكذاب: هو طليحة بن خويلد الأسدي، قدم هو وقبيلته سنة تسع من الهجرة المدينة فأسلموا، ولما رجعوا ارتد طليحة وادعى النبوة فوجه النبي (صلى الله عليه وآله) إليه ضرار بن الأزور فضربه ضرار بالسيف يريد قتله، فنيا السيف فشاع بين الناس إن السلاح لا يؤثر فيه، ومات النبي (صلى الله عليه وآله) فكثر أتباع طليحة من قبائل أسد وغطفان وطي، وكان يقول: إن جبرئيل يأتيه، وتلا علي الناس أسجاعا أمرهم فيها بترك السجود في الصلاة، فهاجم المدينة في عهد أبي بكر وقتله خالد ومات في عهد عمر. الاعلام ترجمة طليحة الاسدي الجزء الثالث. المغرب.

### [٢٧٢]

بينما الروايات والتاريخ يدفعان هذا الاتهام والوصمة بالارتداد عن هذه الفئة وينفيانه عنها وتبرئ اولئك من هذه الفرية. ومن الأحاديث التي تكشف عن واقعية هذه القضية وحقيقتها هو ما أخرجه البخاري ومسلم في كتابيهما، حيث كشفت عن جوانب جزئية من هذه القصة نتطرق إلى نقل خلاصة القضية من الناحية التاريخية. أخرج الشيخان عن أبي شهاب، أخبرني عبيدالله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة قال: لما توفي النبي (صلى الله عليه وآله) واستخلف أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر ! كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا اله إلا الله، فمن قال: لا اله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله)؟. قال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) لقاتلتهم على منعها. قال عمر: والله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق (١). أقول: إن الجملة الاولى من هذه الحكاية - وكفر من كفر من العرب - كما يظهر من ظاهرها ليست إلا كذبا وتديسا، وما هي إلا ذريعة التمسوها لتوجيه القتل والغارات والتنكيل بالمسلمين، التي وقعت بأمر من الخليفة أبي بكر، وما يشهد على زيف دعواهم ما جاء في الفقرات الأخيرة من القصة البخارية. ١ - ورد في جواب أبي بكر لعمر: (إنى أقاتل من فرق بين الصلاة والزكاة) وهذه العبارة إنما تدل بوضوح على إيمانهم وإقامتهم الصلاة وليس فيها ما يمت إلى كفرهم.

(١) صحيح البخاري ٩: ١٩ كتاب استنابة المرتدين والمعاندين باب قتل من أبي قويل الفرائض، صحيح مسلم ١: ٥١ كتاب الأيمان باب (٨) باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا اله الا الله...

### [٢٧٢]

٢ - فلو فرضنا إنهم مرتدون فإن اعتراض عمر على الخليفة حينئذ يكون باطلا، حيث إنه استنكر عمل الخليفة وانتقده، واستدل في استنكاره بحديث يبين فيه تعاليم الإسلام في بيان مصونية مال المسلمين ودمائهم. قال ابن رشد: وقد بقى من أحكامه حكم مشهور، وهو ماذا حكم من منع الزكاة ومن لم يجحد وجوبها؟ فذهب أبو بكر (رضى الله عنه) إلى أن حكمه حكم المرتد، وبذلك حكم في مانع الزكاة من العرب، وذلك أنه قاتلهم وسبى ذريتهم، وخالفه في ذلك عمر، وأطلق من كان استرق منهم. ويقول عمر قال الجمهور (١). وكانت حروب الردة - كما يصطلحون عليها - منحصرة في جبهتين: في جبهة حزموت ضد قبائل كندة ومارب وكان أمير العسكر الخلفي عكرمة بن أبي جهل. وفي جبهة أطراف المدينة ضد قبائل عيس وذبيان وبنو كنانة وغيرها بقيادة خالد بن الوليد.

وهؤلاء الرجال الذين قتلوا بسيف المسلمين بقيادة عكرمة وخالد لم يرتدوا ولم يكونوا منكري وجوب الزكاة، بل هم مسلمون وكانوا يقولون: أطعنا رسول الله مادام وسطنا \* فإيا قوم ما شأنني وشأن أبي بكر (٢) بعضهم كانوا يقولون لممثل الخليفة: إنك تدعو إلى طاعة رجل لم يعهد إلينا ولا إليكم فأيه عهد (٣). وتارة كانوا يقولون (٤) لهم: انظروا في شأن عترة النبي (صلى الله عليه وآله) فما كان من أمرهم، وهم الأولى بتسنم خلافة الرسول فاقصيتموهم... والله تعالى يقول: (واولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) (٥). قال ابن كثير: وجعلت وفود العرب - بعد خلافة أبي بكر - تقدم المدينة، يقرون

(١) بداية المجتهد ١: ٢٥٦. (٢ - ٤) للمزيد من الاطلاع على قضية ما سمي بالردة راجع: معجم البلدان للحموي، انساب الاشراف للبلاذري، و الفتوح لابن اعثم الكوفي. (٥) الأنفال: ٧٥.

### [٢٧٤]

بالصلاة ويمتنعون عن أداء الزكاة، ومنهم من امتنع عن دفعها إلى الصديق أبي بكر (١). وقال العقاد: اما القبائل وراء ذلك، فكان لكل منها نصيب من التقليل يناسب نصيبها من القرب والبعد والمودة والجفاء، فأقربهم إلى مهد الإسلام كانوا يخلصون للنبي (صلى الله عليه وآله) ويخرجون على من ولى الحكم بعده: أطعنا رسول الله مذ كان بيننا \* فإيا لعباد الله ما لأبي بكر واناس منهم آمنوا بالزكاة ولم يؤمنوا بمن يؤدونها إليه (٢). وقال الاستاذ محمد حسنين هيكل: جمع أبو بكر كبار الصحابة يستشيرهم في قتال الذين منعوا الزكاة، وكان رأي عمر بن الخطاب وطائفة من المسلمين معه ألا يقاتلوا قوما يؤمنون بالله ورسوله، وأن يستعينوا بهم على عدوهم، ولعل أصحاب هذا الرأي كانوا أكثر الحاضرين، في حين كان الذين أشاروا بالقتال هم القلة. وأغلب الظن إن المجادلة بين القوم في هذا الأمر البالغ الخطر طالت، واحتدمت ايما احتدام، فقد اضطر أبو بكر أن يتدخل بنفسه فيها، يؤيد القلة ولقد اشتد في تأييد رأيه في ذلك المقام يدل على ذلك قوله: والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) لفاتلتهم على منعه (٣). أقول: وقصة التشاور بين أبي بكر وبلاطه نقلها السيوطي (٤) والبلاذري وابن الأعمش الكوفي (٥)، وقال الاعثم: وإن جملة (والله لو منعوني عقالا) قالها أبو بكر في جواب عمر عندما رآه يعارض

(١) البداية والنهاية ٦: ٢٠٤ حوادث سنة إحدى عشرة فصل في تنفيذ جيش اسامة. (٢) عبقرية الصديق: ١٢٤. (٣) الصديق أبو بكر: ٩٦. (٤) تاريخ الخلفاء: ٧٤. (٥) الفتوح ١: ٦ - ٢٢.

### [٢٧٥]

فكرة قتال المسلمين. وعلى أي حال يتضح مما ذكرناه ونقلناه عن ابن كثير وسائر المؤرخين، ومن كلام أبي بكر أن السبب والباعث الرئيسي وراء قتاله لهؤلاء القوم لم يكن ارتدادهم وتراجعهم عن الإسلام، أو إنكارهم لأحدى الضروريات الدينية - أي الزكاة -، بل الباعث في قتالهم هو أنهم امتنعوا عن أداء الزكاة لأبي بكر كما كانوا يؤدونها لرسول الله (صلى الله عليه وآله). مالك بن نويرة عامل النبي (صلى الله عليه وآله) على الصدقات: الحروب التي شنت على

القبائل المختلفة، وقتل فيها رجالها وسبيت النساء والأطفال، لم يكن سببها في الواقع هو ارتدادهم عن الدين وخروجهم عن الإسلام كما اتهموا بها، وإنما السبب الواقعي هو امتناعهم عن أداء الزكاة للخليفة لأبي بكر. ولما كان استعراض كل الجزئيات المكونة في تلك الحروب - الردة - وشرحها مما يستدعي ويستوجب الأطلاة والأطناب، فلذلك اكتفينا بذكر قصة قتل مالك بن نويرة ورجال قبيلته خاصة (١). قال ابن حجر في ترجمة مالك بن نويرة: وكان النبي (صلى الله عليه وآله) استعمله على صدقات قومه - قبيلة بني تميم (٢). وقال ابن الأعمش الكوفي: ثم ضرب خالد عسكرا بأرض بني تميم، وبث السرايا في البلاد يمنا ويسرة، قال: فوقعت سرية من تلك السرايا على مالك بن نويرة فإذا هو في حائط له ومعه امرأته وجماعة من بني عمه. قال: فلم يرع مالك إلا والخيل قد أحذقت به، فأخذوه أسيرا وأخذوا امرأته معه، وكانت مسحة من جمال، وأخذوا كل من كان معه من بني عمه، فأتوا بهم إلى خالد بن الوليد حتى أوقفوا بين يديه.

(١) راجع: عبد الله بن سبأ للعلامة العسكري لتزداد اطلاعا عن حروب الردة. (٢) الأصابة ٥: ٥٦٠ ترجمة مالك بن نويرة رقم ٧٧١٢.

### [٣٧٦]

قال: فأمر خالد بضرب أعناق بني عمه بديا. فقال القوم: إنا مسلمون، فعلى ماذا تأمر بقتلنا؟ قال خالد: والله لأقتلنكم، فقال له شيخ منهم: أليس قد نهاكم أبو بكر عن أن تقتلوا من صلى للقبلة؟ قال خالد: بلى قد امرنا بذلك، ولكنكم لم تصلوا ساعة قط. قال: فوثب أبو قتادة إلى خالد بن الوليد فقال: أشهد أنك لا سبيل لك عليهم، قال خالد: وكيف ذلك؟ قال: لأنني كنت في السرية التي قد وافتهم، فلما نظروا إلينا قالوا: من أين أنتم؟ قلنا: نحن مسلمون. قالوا: ونحن مسلمون. ثم أذنا وصلينا فصلوا معنا. فقال خالد: صدقت يا أبا قتادة، إن كانوا قد صلوا معكم فقد منعوا الزكاة التي تجب عليهم ولا بد من قتلهم. قال: فرفع شيخ منهم صوته وتكلم، فلم يلتفت خالد إليه وإلى مقاتله، فقدمهم فحضر أعناقهم عن آخرهم. قال: وكان أبو قتادة قد عاهد الله إنه لا يشهد مع خالد بن الوليد مشهدا أبدا بعد ذلك اليوم. قال: ثم قدم خالد مالك بن نويرة ليضرب عنقه، فقال مالك: أتقتلني وأنا مسلم أصلي إلى القبلة؟ فقال خالد: لو كنت مسلما لما منعت الزكاة ولا أمرت قومك، والله ما نلت ما في مثابتك - منامك - حتى أقتلك. قال: فالتفت مالك بن نويرة إلى امرأته فنظر إليها ثم قال: يا خالد! بهذه قتلتي. فقال خالد: بل الله قتلك برجوعك عن دين الإسلام، وجفلك لأبل الصدقة، وأمرك لقومك بحبس ما يجب عليهم من زكاة أموالهم. قال: ثم قدمه خالد فحضر عنقه صبرا. فيقال: إن خالد بن الوليد تزوج بإمرأة مالك، ودخل بها، وعلى ذلك أجمع أهل العلم (١). قال اليعقوبي المؤرخ: وكان متمم بن نويرة - أخو مالك - شاعرا فرثى أخاه بمرث كثيرة ولحق بالمدينة إلى أبي بكر، فحضر خلف أبي بكر صلاة الصبح، فلما فرغ أبو بكر

### [٣٧٧]

من صلاته، قام متمم فاتكأ على قوسه. ثم قال: نعم القليل إذا الرياح تناوحت \* خلف البيوت فتلت يابن الازور أدعوته بالله ثم غدرته \* لو هو دعاك بدمه لم يغدر فقال أبو بكر: ما دعوته ولا غدرت به (١).

وقال اليعقوبي أيضا: وكان أول ما عمل به عمر - لما ولي الخلافة - أن رد سبايا أهل الردة إلى عشائرتهم (٢). وقال ابن الأعمش: فهم أبو بكر يقتل المقاتلة وقسمة النساء والذرية، فمنعه عمر عن ذلك فأمر بهم أبو بكر فحبسوا، ولما صار الأمر إلى عمر قال لهم: انطلقوا فأنتم أحرار لوجه الله فلا فدية عليكم (٣). نعم، هكذا كان المسلمون يقتلون وتضرب أعناقهم وتسبى نساؤهم وذرياتهم، بأمر من الخليفة، وما ذنبهم إلا أنهم امتنعوا عن أداء الزكاة إلى الخليفة، وكانوا يسحبون والأغلال في أعناقهم إلى مركز الحكومة الإسلامية. ولكن لما مات أبو بكر وحل محله خليفته عمر بن الخطاب استنكر ما كان يراه أبو بكر صحيحا، وأول عمل قام به أن أطلق سراح الأسرى والسبايا وأرجعهم إلى قبائلهم كما قرأنا معا خلاصة ما نقله الشيخان في صحيحيهما في الأسطر السابقة. وأخرج مسلم في صحيحه بإسناده عن أبي هريرة قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما أعطى الراية يوم خيبر لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) قال له: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك، قال: فسار علي (عليه السلام) شيئا ثم وقف ولم يلتفت فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٢، (٢) المصدر: ١٣٩، (٣) الفتوح ١: ١٨.

#### [٣٧٨]

قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله (١). هذه هي سيرة الرسول وسنته وانقياد الأمام علي (عليه السلام) لأوامره، وهذه هي سنة الإسلام ونهجه الصحيح. وتلك كانت طريقة الخلفاء ومنهجهم في إجراء الأحكام الدينية والسنة النبوية. ٢ - قصة فدك وإرث الرسول (صلى الله عليه وآله): المورد الثاني من مخالفة الخلفاء لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وأحكام الشريعة، والتي وقعت في عهد الخليفة أبي بكر هو مسألة غصبه فدك وإرث رسول الله (صلى الله عليه وآله) من فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وإنه أدى بضعة الرسول (صلى الله عليه وآله) وأغصبتها. ولما كانت هذه الواقعة وبعض جوانبها قد وردت مجملة ومختصرة في الصحيحين في موردين فقط، نقلها عن عائشة بنت أبي بكر، رأينا لزاما أن نقل النص منهما ومن ندرس هذه القضية دراسة محققة علي نحو الاختصار.

١ - عروة بن الزبير: إن عائشة أم المؤمنين (رضي الله عنه) أخبرته أن فاطمة (عليها السلام) ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله مما أفاء الله عليه. فقال لها أبو بكر: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: لا نورث، ما تركنا صدقة. فغضبت فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرة حتى توفيت وعاشت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ستة أشهر. قالت: وكانت فاطمة (عليها السلام) تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله (صلى الله عليه وآله) من خيبر

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٧١ كتاب فضائل الصحابة باب (٤) فضائل علي بن أبي طالب (عليه السلام) ح ٣٣.

وفدك وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكر عليها ذلك (١). ٢ - عن عروة، عن عائشة: أن فاطمة (عليها السلام) بنت النبي (صلى الله عليه وآله)، أرسلت إلي أبي بكر، تسأله ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه وآله) مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خبير. فقال أبو بكر: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد (عليهم السلام) في هذا المال، وإني والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن حالها التي كان عليها في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولأعملن فيها بما عمل به رسول الله (صلى الله عليه وآله). فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة (عليها السلام) منها شيئاً، فوجدت فاطمة (عليها السلام) على أبي بكر في ذلك، فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلاً، ولم يؤذن بها أباً بكر وصلى عليها، وكان لعلي (عليه السلام) من الناس وجه حياة فاطمة (عليها السلام)، فلما توفيت استنكر علي وجهه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن يبائع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد (٢). أقول: هذان الحديثان أخرجهما الشيخان باسنادهما عن عائشة، ولما كان الحديث طويلاً انتقينا الفقرات الأولى منها حيث إنها بيت القصيد. وعلى الرغم من أن كلام عائشة قد أعطت القضية نوعاً من الجدل والمصالحة، وصيغتها بصيغة الصلح والمصالحة، إلا أنها تحتوي على نقاط هامة، وتكشف عن حقائق كانت مستورة. نشير إليها باختصار: ١ - يظهر بعد البحث والتحقيق أن ميراث النبي (صلى الله عليه وآله) وتركته المتنازع عليها، والتي صودرت من قبل الخليفة لم تنحصر بفدك كما هو المشهور، لأن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يملك

(١) صحيح البخاري ٤: ٩٦ كتاب الجهاد والسير باب فرض الخمس، صحيح مسلم ٣: ١٢٨١ كتاب الجهاد والسير باب (١٦) باب قول النبي: لا نورث ح ٥٤. (٢) صحيح البخاري ٥: ١٧٧ كتاب فضائل أصحاب النبي باب غزوة خيبر، صحيح مسلم ٣: ١٢٨١ كتاب الجهاد والسير باب (١٦) باب قول النبي: لا نورث ما تركنا صدقة ح ٥٤.

أموالاً وقرى خارج المدينة غير فدك كما أثبتته المحققون والعلماء (١). وهذا ما نستفيده من كلام عائشة حيث قالت: بأن فاطمة طالبت أباً بكر بعد وفاة النبي بموارد متعددة، مثل فدك والخمس من غنائم خيبر والصفايا والصدقات خارج المدينة. ولعل اشتهاً فدك من بين كل تلك الموارد، لأهميتها الخاصة وموقعها. كما يقول أبو داود في سننه: إن أرباح فدك السنوية في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز كانت تبلغ أربعين ألف دينار وقد ردها الخليفة لئبني الحسن (٢). ٢ - أن أباً بكر عندما امتنع من أن يرجع ميراث النبي (صلى الله عليه وآله) إلى أهل بيته (عليهم السلام) عمد إلى تزوير جعل حديث ونسبه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأنه قال: لا نورث. ٣ - إن فاطمة الزهراء (عليها السلام) أنكرت هذا الحديث المزيف وانتقدته، وهجرت أباً بكر ولم تكلمه، حتى توفيت فغسلها وكفنها ودفنها وصلى عليها زوجها علي بن أبي طالب (عليه السلام) ليلاً، ولم يخبر الخليفة بوفاتها والصلاة عليها. ٤ - كانت فاطمة (عليها السلام) في المدة التي عاشتها بعد أبيها الرسول - ستة أشهر - (٣) أقوى حام ومدافع لأمير المؤمنين (عليه السلام) في مقابل مخالفه، ولذا نقرأ أنه ما بايع أمير المؤمنين (عليه السلام) أباً بكر ما دامت فاطمة (عليها السلام) حية، وعندما توفيت فاطمة (عليها السلام) وتغير أسلوب الخليفة وأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في معاملتهم



لأمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام)، أرسل إلى أبي بكر وبايعه، كما قالت عائشة: استنكر وجوه الناس فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته.

(١) سنن أبي داود ٣: ١٤١ كتاب الخراج والأمانة والفئ باب في صفايا رسول الله ح ٢٩٦٧. (٢) سنن أبي داود ٣: ١٤٢ كتاب الخراج والأمانة والفئ باب في صفايا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ح ٢٩٧٢ (٣) هذه المدة هي حسب ما ترويه روايات العامة، وأما كتب التاريخ والسير عند الشيعة وكذا رواياتهم تؤكد بانها سلام الله عليها عاشت بعد أبيها ٧٠ يوما أو ثلاث أشهر، فعلى الأول إن قلنا بأن شهادتها كانت في الثالث عشر من جمادى الأولى وعلى الثالث أشهر إن قلنا بأن شهادتها كانت في الثالث من جمادى الآخرة.

### [٢٨١]

إبداع مادة قانونية: أما ما يرتبط من هذه الموارد الأربع المذكورة ببحثنا هو المورد الأولين - أي مصادرة ميراث النبي وغصبه، والآخر وضع حديث مزيف بحيث صار قانونا لمن يأتي بعده - ولما كان موضوع مصادرة الأثر وغصب فدك من مسلمات الحوادث التاريخية المتفق عليها عند السنة والشيعة، لذلك لم نر لزوما للبحث فيها، فعلى هذا فإن البحث منحصر في المورد الثاني. كان الخليفة أبو بكر في تلك اللحظات الحساسة بحاجة ماسة إلى ذريعة قوية ووسيلة شرعية، حتى يتمكن من الوصول إلى ما نواه من مصادرة ميراث النبي وإخراج ما كان عليه يدي الزهراء ابنة الرسول (صلى الله عليه وآله) من ملكيتها، ويجعلها جزءا من الأنفال العامة المتعلقة ببيت المال، وهو في نفس الوقت كان يفكر أن لا يواجه هزيمة في منازعته مع الجانب الآخر يعني فاطمة الزهراء (عليها السلام) ويكون هو المنتصر عند الرأي العام، فما كانت ذريعة أقوى وأدحض لمطالبية الجانب الآخر من أن يضع ويخلق حديثا وينسبه إلى النبي (صلى الله عليه وآله) إذ يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة. هذا الحديث في معارضته ومناقضته للنصوص القرآنية صريح وواضح، وزد على هذه المخالفة ما فيه من معاكسته لكثير من الحقائق الأخرى التي سنذكرها؛ فلو كان الحديث المنسوب إلى النبي صحيحا فلم لم يرويه أحد من أهل بيته (عليهم السلام) وأصحابه سوى أبي بكر، وحتى ابنته وصهره (عليه السلام) وكذا أزواجه لم يسمعوا بمثل هذا الخبر من النبي (صلى الله عليه وآله)؟ ألم تكن وظيفة الرسول (صلى الله عليه وآله) وفقا للآية (وأندر عشيرتك الأءقربين) (١) أن يخبر به ابنته (عليها السلام) صاحبة الحق وصهره الإمام علي (عليه السلام) الذي كان ملازما له دائما لكي لا تطالب بعد وفاته (صلى الله عليه وآله) بالأثر وكذا يصنع من حدوث الاختلاف بين أهل بيته (عليهم السلام) وأصحابه؟

(١) الشعراء: ٢١٤.

### [٢٨٢]

هل الرسول (صلى الله عليه وآله) كان يجهل أنه سيحدث بعد وفاته اختلاف ونزاع حول مسألة الأثر؟ ولو كان هذا الحديث صحيحا لماذا لاثت فاطمة الزهراء (عليها السلام) - وهي من أصحاب الكساء ومعصومة من الذنوب والخطأ - (١)، خمارها، واشتملت بجلبابها، وأقبلت في أمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيلها، ما تخرم مشيتها مشية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، حتى دخلت على

أبي بكر، وهو في حشر من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها مائة، فحنت ثم أنت انة أجشش القوم لها بالبكاء، فارتج المجلس، ثم أمهلت هنيهة، حتى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام وبدأت خطبتها التاريخية واحتجاجها الخالد. وبعد الحمد والثناء ذكرتهم بمتاعب أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقضية خلافة بعلمها، مستدلة بالبراهين الجلية، والدلائل الواضحة، ثم توجهت إلى أبي بكر، وقالت: يا ابن أبي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أبك ولا أرث أبي...؟ وبعد ذلك توجهت إلى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقالت: قد كان بعدك أبناء وهنئة\* لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب ابدت لنا رجال نجوى صدورهم\* لما قضيت وحالت دونك الكذب تجهمتنا رجال واستخف بنا\* إذ غبت عنا فنحن اليوم نغتصب (٢) فلو كان ما نسيه أبو بكر إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) صحيحا لماذا غضبت عليه فاطمة الزهراء (عليها السلام) التي قال عنها الرسول: من اغضبها فقد اغضبني (٣) ولم تكلم أبا بكر حتى

(١) راجع ص ٣٣٠. ل. (٢) انظر الخطبة بكاملها واحتجاجها على أبي بكر في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢١١، بلاغات النساء: ١٢، والشافي للسيد المرتضى ٤: ٧٠. (٣) راجع ص ٣٤٦.

### [٢٨٣]

توفيت (عليه السلام)؟ (١) فلو كان ادعاء أبي بكر صحيحا لما وقف أمير المؤمنين والحسن والحسين (عليهم السلام) الذين نزلت فيهم آية التطهير والمباهلة الى جانب الزهراء (عليها السلام) في احتجاجها مع أبي بكر؟ وهل يعقل أن يأخذ الأمام علي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) الصدقات - وهي محرمة عليهم - وهي مختصة بفقراء المسلمين، وبصيرونها ملكا لهم؟ هذه الأمور تدل بوضوح بأن أمير المؤمنين وفاطمة وابناءهما (عليهم السلام) كانوا ينكرون على أبي بكر في جعله لهذه الرواية، وقالوا بأنه قانون موضوع مختلق لا أساس له ولا اعتبار. أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله): قلنا: إنه ليس في أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) من سمع هذا الحديث من النبي (صلى الله عليه وآله) إلا أبا بكر، وهذه المسألة من المسائل التي ما وسع علماء العامة ومحققهم إلا أن يصرحوا وينوهوا على أنها من منفردات أبي بكر، وعلى سبيل المثال نذكر ثلاثا منهم: ١ - قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة: إنه لم يرو هذا الخبر إلا أبو بكر وحده، ذكر ذلك أعظم المحدثين، حتى أن الفقهاء في اصول الفقه أطبقوا على ذلك في احتجاجهم في الخبر برواية الصحابي الواحد (٢). وقال أيضا في موضع آخر تأييدا لقول السيد المرتضى: صدق المرتضى (رحمه الله) فيما قال، فلم يرو الخبر - نفي الأثر - إلا أبو بكر وحده (٣). ٢ - قال السيوطي: واختلف الأصحاب في ميراثه - النبي - فما وجدوا عند أحد من ذلك علما. فقال أبو بكر: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنا معشر الانبياء لا نورث، ما تركناه صدقة (٤).

(١) راجع ص ٢٨٠. (٢) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٢٧. (٣) شرح نهج البلاغة ١٦: ٢٤٥. (٤) تاريخ الخلفاء: ٧٣.

### [٢٨٤]

٣ - قال ابن حجر: اختلف الأصحاب في ميراث النبي فما وجدوا عند أحد من ذلك علما. فقال أبو بكر: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورث (١). زوجات النبي (صلى الله عليه وآله): ذكرنا سابقا إن أسطورة نفي الأثر من الأنبياء، والتي ولدت بعد وفاة النبي علي أنها حديث نبوي لم يسمعه أي أحد من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) ولا عترته (عليهم السلام) وحتى زوجاته لم يسمعن من النبي مثل هذا الحديث. ولو كان هذا الحديث صدر من النبي حقيقة لأخبرهن بذلك، لأن لهن نصيب وسهم معين في ميراثه (صلى الله عليه وآله)، وهن اولات حق في تركة النبي (صلى الله عليه وآله)، وهذا البخاري يروي في صحيحه عن عائشة تقول: بأن زوجات النبي (صلى الله عليه وآله) طالبين أبا بكر إرثهن وسهمهن من تركة الرسول (صلى الله عليه وآله) - الثمن -، وأرسلن إليه عثمان لكي يطالبه بالثمن من الأثر. وهذه القصة فيها دلالة واضحة على أن أزواج النبي قد أنكرن على أبي بكر وكذبته، وأثبتن بعملهن هذا أن هذا القانون - منع إرث النبي (صلى الله عليه وآله) - هو من القوانين الموضوعية ولم يكن له وجود شرعي في الخارج وضعه أبو بكر ونسبه للنبي (صلى الله عليه وآله). أخرج البخاري حديثنا عن عائشة تشير إلى حكاية هذه المطالبة: عن عروة بن الزبير قال: سمعت عائشة زوج النبي تقول: أرسل أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) عثمان إلى أبي بكر يسألنه ثمنهن مما أفاء الله على رسوله (صلى الله عليه وآله) فكنت أنا اردهن فقلت لهن: ألا تتقين الله، ألم تعلمن أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يقول: لا نورث، ما تركنا صدقة، يريد بذلك نفسه، إنما يأكل آل محمد (صلى الله عليه وآله) في هذا المال (٢). وقد أشرنا فيما سبق بأن هذا الحديث لم ينقله أحد غير أبي بكر ولم ينسبه

(١) الصواعق المحرقة: ٢٥. (٢) صحيح البخاري ٥: ١١٥ كتاب المغازي باب حديث بني النضير، صحيح مسلم ٢: ١٢٧٩ كتاب الجهاد والسير باب (١٦) باب قول النبي: لا نورث ح ٥١.

### [٢٨٥]

المحدثون إلى عائشة، وإن عائشة نفسها في احتجاجها على سائر ضراتها وأزواج النبي (صلى الله عليه وآله). تروي الحديث عن أبيها أبي بكر أيضا. والجدير بالذكر أن الخلفاء كانوا يعطون كل واحدة من أزواج رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما يجبر حرمانها من إرث النبي (صلى الله عليه وآله) وأما عائشة فقد كان لها نصيب الأسد، وهي أكثرهن حظا من تلك العطايا (١). والحق ما قاله ابن الفارقي استناد المدرسة الغربية ببغداد كما يحدث ابن أبي الحديد عنه فقال: سألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له: أكانت فاطمة (عليها السلام) صادقة؟ قال: نعم. قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسم ثم قال كلاما لطيفا مستحسننا مع ناموسه وحرمنه وقلة دعابته، قال: لو أعطها اليوم فدك بمجرد دعواها، ل جاءت إليه غدا وادعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه، ولم يمكنه الاعتذار والموافقة بشئ، لانه يكون قد سجل على نفسه إنها صادقة فيما تدعي كائنا ما كان من غير حاجة إلى بينة وشهود. وهذا كلام صحيح وإن كان أخرجه مخرج الدعاية والهزل (٢). ٣ - صلح الحديبية: قال أبو وائل: كنا بصفين - حيث اعلن وقف الحرب بين جند الأمام علي (عليه السلام) وجيش معاوية، فقام بعض جند الأمام مخالفا - فقام سهل بن حنيف - وسط جند الأمام - فقال: أيها الناس اهتموا أنفسكم - ولا تدعوا أنكم تعلمون كل شئ - فإننا كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يوم الحديبية، ولو نرى قتالا لقاتلنا. فجاء عمر بن الخطاب فقال: يا رسول الله

### [٢٨٦]

ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ فقال (صلى الله عليه وآله): بلى. فقال عمر: أليس قتلانا في الجنة، وقتلهم في النار ؟ قال (صلى الله عليه وآله): بلى. قال عمر: فعلى ما نعطى الدنيا في ديننا، أُنرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال (صلى الله عليه وآله): يابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا. فرجع عمر متغيظا فلم يصبر - أي إنه لم يقنع بكلام النبي (صلى الله عليه وآله) - حتى جاء أبا بكر. فقال: يا أبا بكر ألسنا على الحق وهم على الباطل ؟ قال: يابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا، فنزلت سورة الفتح... (١). وقد ورد في ذيل إحدى الروايات، الفقرة التالية: فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول الله أو فتح هو ؟ قال: نعم (٢). أقول: يتضح من هذا الموضوع وما يليه - موضوع الوصية - الذي سنبثه في الفصل الاتي - مدى جرأة الخليفة عمر على النبي (صلى الله عليه وآله) وتجاسره عليه (صلى الله عليه وآله)، ومن هذين الموضوعين يمكننا أن نعلم مدى درجة إيمان عمر واعتقاده بالنبوة، واعتماده على أقوال وكلام الرسول الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (٣)، ومخالفته لأوامر النبي (صلى الله عليه وآله) واعتراضه على النبي (صلى الله عليه وآله). ٤ - الوصية التي لم تكتب: عن عبيدالله بن عبد الله بن عتبة، عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفي البيت رجال، فبهم عمر بن الخطاب. فقال النبي (صلى الله عليه وآله): هلم أكتب لكم كتابا لا تضلون

(١) صحيح البخاري ٤: ١٢٥ كتاب الخمس باب في ذيل أثم من عاهد ثم عذر، وج ٦: ١٧٠ كتاب التفسير تفسير سورة الفتح، صحيح مسلم ٥: ١٤١١ كتاب الجهاد باب (٢٤) باب صلح الحديبية ح ٩٤. (٢) صحيح البخاري ٤: ١٢٦ كتاب الخمس باب في ذيل أثم من عاهد ثم عذر، صحيح مسلم ٢: ١٤١٢ كتاب الجهاد والسير باب (٢٤) باب صلح الحديبية ح ٩٤. (٣) النجم: ٤.

### [٢٨٧]

بعده. فقال عمر: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن حسينا كتاب الله، فاختلف أهل البيت، فاختصموا، فمنهم من يقول: فربوا يكتب لكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر. فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قوموا. قال عبيدالله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية ما حال بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم (١). وعن ابن عيينة، عن سليمان الأحول، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس، ثم بكى، حتى خضب دمه الحصباء فقال: اشتد برسول الله (صلى الله عليه وآله) وجعه يوم الخميس فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا، فتنازعوا، وما ينبغي عند نبي تنازع وقالوا: ما شأنه أهدر ؟ استفهموه فذهبوا يردون عليه. قال (صلى الله عليه وآله): دعوني فالذي أنا فيه خير أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة

العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت اجيزهم، قال: وسكت عن الثالثة أو قالها فأنسيتها (٢). أقول: أخرج مسلم الحديث الثاني بطريقين وسندين إلى ابن عباس، الأول عن سعيد بن جبير، والآخر عن عبيد الله بن عتبة، وذكره البخاري في صحيحه في سبعة موارد وبأسانيد مختلفة (٣). فأما الحديث فقد مدت إليه يد المحرفين بالتحريف والتغيير فحرفت بعض متنه

(١) صحيح مسلم ٣: ١٢٥٩ كتاب الوصية باب (٥) باب ترك الوصية لمن ليس له شئ يوصي فيه ح ٢٢، صحيح البخاري ٧: ١٥٦ كتاب الطب باب قول المريض قوموا عني. (٢) صحيح مسلم ٣: ١٢٥٧ كتاب الوصية باب (٥) باب ترك الوصية لمن ليس له شئ يوصي فيه ح ٢٠. (٣) راجع الموارد السبعة المذكورة في الهوامش الآتية.

### [٢٨٨]

وألفاظه، إلا إنه لم يخل من احتوائه على نكات مهمة، رأينا لزاما أن نشير إليها وإلى التحريفات فيه: ١ - النكتة الأولى التي تجب الإشارة إليها والتمحيص فيها هي: إنه قد ذكر اسم الخليفة عمر صريحا في ثلاثة موارد من الأحاديث السبعة بأنه هو الذي خالف النبي (صلى الله عليه وآله) وصدّه عن كتابة الوصية. فقال عمر: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد غلب عليه الوجع (١). وفي الأربعة الأخرى لم يذكر اسم المتكلم الخليفة عمر بالصراحة بل جاء في مورد واحد منها: فقال بعضهم: ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد غلبه الوجع (٢)، وجاء في الثلاثة الباقية: فقالوا: هجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولكن مضامين جميع هذه الأحاديث السبعة تصرح بأن المبتكر والمبدع للمخالفة هو عمر بن الخطاب الذي أوجد الشبهة - هجران النبي (صلى الله عليه وآله) - وأما العبارات الأخرى فقال بعضهم أو فقالوا: هجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يمكن أن تشكك في الحقيقة وتشوهها وتحرف المسألة عن واقعيتها. وإن الاختلاف والنزاع الذي حدث للحاضرين عند الرسول (صلى الله عليه وآله) لم يكن إلا ردا أو إثباتا لقول الخليفة - هجر الرسول (صلى الله عليه وآله) وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله - الذي مال إليه فئة من الحاضرين، وخالفه آخرون كما جاء في النص: فقال عمر: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت فاختموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) كتابا

(١) الموارد الثلاثة هي كالتالي: صحيح البخاري ١: ٣٩ كتاب العلم باب كتابة العلم، وج ٧: ١٥٦ كتاب الطب باب قول المريض: قوموا عني، وج ٩: ١٣٧ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب كراهية الخلاف. (٢) راجع صحيح البخاري ٦: ١١ كتاب المغازي باب مرض النبي (صلى الله عليه وآله) ووفاته. (٣) راجع صحيح البخاري ٤: كتاب الجهاد باب هل يستشفع إلى أهل الذمة وص ١٢٠ كتاب الخمس باب إخراج اليهود من جزيرة العرب، وج ٦: ١٢ كتاب المغازي باب مرض النبي (صلى الله عليه وآله) ووفاته.

### [٢٨٩]

لن تزلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر. نقل ابن أبي الحديد رواية مفصلة من حوار جرى بين ابن عباس والخليفة عمر. وقد اعترف الخليفة فيه بحقيقة هامة: فقال: إن النبي (صلى الله عليه وآله) في مرضه أراد أن يصرح باسمه - الأمام علي (عليه السلام) - فمعت

من ذلك. وذكر هذا الخبر أحمد بن أبي طاهر - صاحب كتاب تاريخ بغداد - في تاريخه مسندا (١). ٢ - ان جملتي (هجر رسول الله) و (غلب عليه الوجع) وإن كانتا متغايرتين لفظا إلا أن مفهومهما واحد وهو نسبة الهجر والهديان إلى النبي (صلى الله عليه وآله). إلا أن رواة الحديث وحفاظ أهل السنة لما شاهدوا بأن هذا البيهتان العمري وهذه النسبة - التي نسبها خليفتهم عمر إلى رسول الله تخالف صريح الايات القرآنية التي تصف النبي (صلى الله عليه وآله) وخاصة آية (ما ضل صاحبكم وما غوى) (٢) - سوف تعرضهم للنقد وتوقعهم في المؤاخذات والانتقادات، قاموا - وكدابهم الدائم - بتحريف وتغيير الحديث بأشكال مختلفة. ففي الأحاديث التي لم يرد فيها اسم الخليفة عمر صراحة، ونسبوا فيها القول المذكور إلى بعض الحاضرين عند النبي (صلى الله عليه وآله)، ذكرت جملة هجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) صريحة. وأما الأحاديث التي ورد فيها اسم عمر أو جاء فيها كلمة بعض والتي هي إشارة لا، محالة إلى أن البعض هو عمر، فترى محدثو العامة أتوا بجملة (غلب عليه الوجع) بدلا عن كلمة هجر، ولا ريب أن تلك الجملة تعبير كئابي عن هذه الكلمة ومفهومهما واحد لا

(١) شرح نهج البلاغة ١٢: ٢١ و ٧٨. (٢) النجم: ٣.

[٣٩٠]

غير (١). وقد أشرنا فيما سلف إلى أن المبدع للمقولة، والمخترع الأول للشبهة، والمبادر في إلقائها هو الخليفة عمر ذاته، ولا أحد غيره، وإذا تلفظ ونطق الآخرون بها وقالوا: (هجر) لم يأتوا بها من تلقاء أنفسهم بل إنهم تعلموا ذلك من الخليفة. ٣ - النكتة الثالثة الهامة هي ما يرتبط بالشق الأخير من الحديث إذ أن بعض الرواة والحفاظ أسقطوا ذلك، وقطعوا ذيله، ولكن آخرين غيرهم ذكروا الرواية بكاملها، وفيها إن النبي (صلى الله عليه وآله) في تلك اللحظة الحساسة، وبعدها امتنع من كتابة الوصية أوصى بثلاث وصايا، فنقل الراوي اثنتين منها، ونسي الثالثة. فقال: وأوصى عند موته بثلاث... ونسيت الثالثة. وهنا يتبادر سؤال: ما هي الوصية الثالثة التي نسجت العنكبوت... أوتار نسيانها عليه؟ والحق إن نسيان الوصية الثالثة من وصايا النبي كانت فيه مصلحة ومنفعة لأن تنسى. ولا شك أن هذه الوصية الثالثة المنسية هي نفس الموضوع المهم والمصيري الذي اهتم النبي به وأمر بإحضار الكتف والدواة ليكتبه والذي يكون سدا منيعا أمام ضلالة المسلمين وغيهم. والمهم أن الوصية التي أراد النبي (صلى الله عليه وآله) أن يوصي بها كانت من الأهمية والخطورة بحيث استدعت أن يقوم أحد الحاضرين في مجلس النبي بالمعارضة والمخالفة ويلفق على النبي بهتان الهجر والهديان. وهذه الوصية التي بها تسد أبواب الضلالة والانحراف ما زالت باقية في ذهن النبي (صلى الله عليه وآله) حتى استدعت أن يكتبها بعد أن أكدها وكررها شفاها، وذكرها صراحة، ولا شك في أن الراوي كان يعلمها ويدري تلك الوصية إلا أن مصلحة النظام ومنافعها هي التي

(١) راجع متن الأحاديث التي أشرنا إليها في هوامش ص ٢٨٧ - ٢٨٩.

[٣٩١]

ألزمته أن يكتب وصية النبي (صلى الله عليه وآله) ويدفنها تحت أكمام النسيان والتناسي كما قال: (ونسيت الثالثة). والجدير بالعجب والدهشة أن ابن عباس وسعيد بن جبير - الراوي الأول والثاني - لوصية النبي (صلى الله عليه وآله) الثالثة قد نقلها، ولكن ما أن تصل سلسلة سند الرواية إلى سليمان الأحول حتى طغى عليه عفريت النسيان فغابت تلك الوصية عن باله.. وصرح البخاري بأن سفيان بن عيينة - الراوي الرابع من سلسلة سند الحديث المبتور قال بأن جملة (ونسيت الثالثة) هي كلمة سليمان الأحول وليست كلمة سعيد بن جبير أو عبد الله بن عباس، وهكذا اعترف قائلاً: قال سفيان: هذا من قول سليمان (١). فتعسا وسحقا لهذه السياسة التي تحول بين المرء وبين الحقائق المصيرية، وتقوم بتحريف الحقائق وتزويرها، وتودع الكثير من الحلول الضرورية في قفص النسيان والتناسي. سؤال وجواب: استشكل بعض العلماء من أهل السنة قائلاً: فلو كانت كتابة الوصية ذات أهمية قصوى، فلماذا أعرض النبي (صلى الله عليه وآله) عن ذلك على أثر مخالفة شردمة قليلة؟ فلو كانت الوصية بهذه المكانة من الأهمية لماذا استسلم النبي (صلى الله عليه وآله) لمخالفة الفئة المعارضة، وهو يرى إن هذا الأمر هو نجاة للامة ومصالحة لها؟ وإما الجواب: فنكتفي بما قاله المرحوم العلامة السيد شرف الدين الموسوي بهذا الصدد إذ يقول: وإنما عدل عن ذلك لأن كلمتهم تلك (هجر رسول الله) التي فاجأوه بها اضطرتهم إلى العدول، إذ لم يبق بعدها أثر لكتابة الكتاب سوى الفتنة والاختلاف من بعده، في أنه

(١) صحيح البخاري ٤: ١٢١ كتاب الخمس باب إخراج اليهود من جزيرة العرب.

### [٢٩٢]

هل هجر فيما كتبه - والعياذ بالله - أو لم يهجر؟ كما اختلفوا في ذلك وأكثروا اللغو واللغظ نصب عينه، فلم يتسن له يومئذ أكثر من قوله لهم: (قوموا) كما سمعت، ولو أصر فكتب الكتاب للجوا في قولهم: (هجر)، ولأوغل أشياعهم في إثبات هجره - والعياذ بالله - فسطروا به أساطيرهم، وملاوا طواميرهم، رداً على ذلك الكتاب وعلى من يحتج به. لهذا اقتضت حكمته البالغة أن يضرب (صلى الله عليه وآله) عن ذلك الكتاب صفحا لئلا يفتح هؤلاء المعارضون وأوليائهم بابا إلى الطعن في النبوة - نعوذ بالله ونستجير به -، وقد رأى (صلى الله عليه وآله) أن عليا وأولياءه خاضعون لمضمون ذلك الكتاب سواء عليهم، أكتب أم لم يكتب؟ وغيرهم لا يعمل به ولا يعتبره لو كتب، فالحكمة والحال هذه توجب تركه إذ لا أثر له بعد تلك المعارضة سوى الفتنة. كما لا يخفى والسلام (١). وخلاصة المقال: إن النبي (صلى الله عليه وآله) أحس بأن المعارضين الذين بهتوه بالهجر والهديان وهو ما زال حيا، فلا ريب أنهم يصرون ويلحون في إثبات ذلك عليه حتى يشككوا أشياعهم في أصل النبوة ويشطبوا عليا اعتبارها. فكان ما فوجئ به كافيا، فلو كان يصر لكانت النتيجة أطم. ولذلك اقتضت حكمته أن يعرض عن الكتابة ويسد بالنتيجة باب الطعن على النبوة ذاتها. ه - حج التمتع: ومن الأحكام الدينية والتعاليم الإسلامية التي تم تحريفها وتغييرها في عهد عمر بن الخطاب وبدلت، عما كانت عليه في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) مسألة حج التمتع. وإن هذا التحريف العملي كحكم رسول الله جوبه في عهد عثمان بن عفان بالمخالفة الشديدة من قبل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حتى أرجع إلى حكمه الأول الذي كان في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحسب ما أمر به رسول الله والغيت بدعة عمر بن الخطاب بعد أن عملوا بها

[٢٩٣]

برهة من الزمن. وأما أهل السنة وعلمائهم فقد اطبقوا على الأفتاء في العمل بحج التمتع الذي كان جائزا في عهد النبي وتركوا الاقتداء والالتزام ببدعة الخليفة الذي حرم حج التمتع (١). وقبل الخوض في المسألة أرى من الضروري أن نستلهم مجرى هذا الحكم وكيفيته ومتعلقاته من كتب الحديث والصحيحين. تعريفه: هو أن يحرم المتمتع بالعمرة إلى الحج في أحد أشهر الحج - شوال، ذي القعدة وذي الحجة - ويلبى بها من الميقات ثم يأتي مكة، ويطوف بالبيت سبعا، ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعا، ثم يقصر ويحل من إحرامه - ليحل له جميع ما حرم عليه بالأحرام -، حتى ينشئ في تلك السنة نفسها إحراما للحج من مكة، ويخرج لعرفات، ثم يفيض إلى المشعر الحرام، ومنها إلى منى، ثم يأتي بياقي المناسك من رمي الجمار والهدي والحلق أو التقصير والطواف وغيرها مما هو مفصل في الكتب الفقهية. وسبب تسميته بحج التمتع هو أن فيه متعة والتذاذ بإباحة المحظورات التي حرمت بالأحرام في المدة التي تخللت بين الأحرامين - إحرام العمرة وإحرام الحج - يعني أن المتمتع له أن يتمتع ويلتذ بما حرم عليه بسبب إحرام التمتع وما حرم عليه بسبب إحرام الحج. وهذا فرض لمن يسكن خارج مكة مسافة ثمانية وأربعين ميلا أي ثمانية وسبعين كيلومترا، ووجوبه ثابت بالأدلة القرآنية الصريحة والسنة النبوية. قال تعالى: (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد

(١) راجع بداية المجتهد لابن رشد القرطبي ١: ٣٤١ - ٣٤٣، والفقهاء على المذاهب الأربعة لعبد الرحمن الجزيري ١: ٦٨٨ - ٦٩٦.

[٢٩٤]

الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب) (١). وأما الأحاديث في ذلك فمتواترة ومتظافرة، ونذكر هنا بعضها: الرسول يتحدى السنن الجاهلية: كانت العمرة في أشهر الحج في الجاهلية قبل الإسلام تعتبر من أكبر الذنوب وأفجر الفجور، وقد شرعها الرسول (صلى الله عليه وآله)، وأمر بإتيانها في هذه الأشهر الثلاثة - شوال ذي القعدة وذي الحجة - وهو بتشريعه هذا الأمر تحدى قريش الجاهلية في تبليغ دعوته. ولما كان هذا الأمر على خلاف سنة الجاهلية وعاداتهم، فلذلك كان تشريعه (صلى الله عليه وآله) له في بداية الدعوة أمرا صعبا وعسيرا على بعض المسلمين أن يقبلوه ويؤمنوا به، ولذلك تعاضم عليهم وخالفوا أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتشريعه لمتعة الحج. وفي هذا المورد أخرج البخاري ومسلم بإسنادهما عن ابن عباس قال: كانوا يرون أن العمرة في أشهر الحج من أفجر الفجور في الأرض، ويجعلون المحرم صفرا، ويقولون: إذا برأ الدبر وعفا الأثر، وانسلخ صفر، حلت العمرة لمن اعتمر. قدم النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه صبيحة رابعة - من ذي الحجة - مهلين بالحج، فأمرهم أن يجعلوها عمرة، فتعاضم ذلك عندهم. فقالوا: يا رسول الله أي الحل؟ قال: (حل كله) (٢). وأخرج ابن ماجة في سننه بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: أهلنا مع



رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالحج خالصا، لا نخلطه بعمرة، فقدمنا مكة لأربع ليال خلون من ذي الحجة، فلما طغنا بالبيت وسعينا بين الصفا والمروة، أمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن نجعلها عمرة، وأن نحل إلى النساء، فقلنا: ما بيننا - ليس بيننا - وبين عرفة إلا خمس.

(١) البقرة: ١٩٦. (٢) صحيح البخاري ٥: ١٧٥ كتاب الحج باب التمتع والأقران بالحج، صحيح مسلم ٢: ٩٠٩ كتاب الحج باب (٣١) باب جواز العمرة في أشهر الحج ح ١٩٨، سنن النسائي ٥: ١٨٠ كتاب الحج باب إباحة فسح الحج بعمرة لمن لم يسبق الهدى.

### [٢٩٥]

فنخرج إليها ومذاكيرنا تقطر منيا. فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إني لأبركم وأصدقكم ولولا الهدى لأحلت. فقال سراقه بن مالك: أمتعنا هذه لعامنا هذا أم لأبد؟ فقال (صلى الله عليه وآله): (لا... لأبد الاباد) (١). ورواه أيضا البخاري (٢) ومسلم (٣) بتفاوت يسير عما أخرجه ابن ماجه. وروى مسلم في صحيحه بأسناده عن جابر بن عبد الله قال: أهللنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالحج، فلما قدمنا مكة أمرنا أن نحل، ونجعلها عمرة فكبّر ذلك علينا، وضافت به صدورنا، فبلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وآله)، فما ندري أشئ بلغه من السماء أم شئ من قبل الناس؟ فقال: (أيها الناس، أحلوا فلولا الهدى الذي معي فعلت كما فعلتم. قال: فأحللنا حتى وطئنا النساء، وفعلنا ما يفعل الحلال، حتى إذا كان يوم التروية، وحللتنا مكة بظهر، أهللنا بالحج (٤). فأما هؤلاء الذين هم حديثو عهد بالاسلام، والذين ما زالت السنن الجاهلية مترسخة في عقولهم وقلوبهم، وكانوا يعتقدون بأن الحاج إذا أحرم في أشهر الحرم لا يحق له أن يأتي بمحظورات الأحرام، وخاصة إتيان النساء، إلا أن يتم المناسك ويحل من إحرام الحج، تراهم قد أظهروا استنكارهم لأمر الرسول بأن قالوا: أنطلق ومذاكيرنا تقطر منيا؟ ولما كان هذا البعض الذين كبر عليهم أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتشريع حج التمتع، وضافت به صدورهم، فلم يسعهم قبول ذلك وظلوا مترددين حتى أغضبوا بفعلهم رسول

(١) سنن ابن ماجه ٢: ٩٩٢ كتاب المناسك باب (٤١) باب فسح الحج ح ٢٩٨٠. (٢) صحيح البخاري: ٢: ١٩٥ كتاب الحج باب تقضي الحائض المناسك كلها...، وج ٣: ٤ كتاب الحج باب عمرة التمتع. (٣) صحيح مسلم ٢: ٨٨٣ كتاب الحج باب (١٧) باب بيان وجوه الأحرام وإنه... ح ١٤١، ورواه النسائي في سننه ٥: ١٧٨ وفيه زيادات وتفاوت. (٤) صحيح مسلم ٢: ٨٨٤ كتاب الحج باب (١٧) باب بيان وجوه الأحرام وإنه... ح ١٤٢.

### [٢٩٦]

الله (صلى الله عليه وآله) وأذوه. تقول عائشة: قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأربع مضين من ذي الحجة أو خمس، فدخل علي وهو غضبان. فقلت: من أغضبك يا رسول الله! أدخله الله النار؟ قال (صلى الله عليه وآله): أو ما شعرت أني أمرت الناس بأمر فإذا هم يترددون (١). تحريم حج التمتع: أشرنا في ما سبق أن هذا التشريع الذي ثبت وجوبه بالنص من الكتاب والسنة، قد عمل به المسلمون في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) وعهد الخليفة أبي بكر الصديق الذي دام سنتان - كما كان في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) -، ولكن لما استخلف الخليفة عمر بن الخطاب منع من حج

التمتع، ونهى عنه، وشدد في تحريمه، وأغلظ عليه وهدد مخالفه -  
القائلين بوجوب التمتع - بأشد المجازاة. ونقل أصحاب الصحاح  
والسنن والمسانيد والتاريخ والتراجم روايات متواترة في كتبهم هذا  
المنع والتحريم، ونكتفي بذكر طرفا منها مما أخرجه الصحيحان. قال  
عمران بن حصين: نزلت آية المتعة في كتاب الله (٢) - يعني متعة  
الحج - وأمرنا بها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم لم تنزل آية  
تنسخ آية متعة الحج، ولم ينه عنه رسول الله (صلى الله عليه وآله)  
حتى مات، قال رجل برأيه ما شاء (٣). عن أبي نظرة قال: كنت عند  
جابر بن عبد الله، فأتاه أت. فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا في  
المتعيتين - متعة الحج ومتعة النساء -. فقال جابر: فعلناهما مع  
رسول

(١) صحيح مسلم ٢: ٨٧٩ كتاب الحج باب (١٧) باب بيان وجوه الأحرار... ح ١٢٠. (٢)  
البقرة: ١٩٦. (٣) صحيح مسلم ٢: ٩٠٠ كتاب الحج باب (٢٢) باب جواز التمتع ح ١٧٢،  
صحيح البخاري ٢: ١٧٦ كتاب الحج باب التمتع، وح ٥: ٢٠٤ كتاب المغازي باب بعث  
أبي موسى إلى اليمن.

### [٢٩٧]

الله (صلى الله عليه وآله) ثم نهانا عنهما عمر، فلم نعد لهما (١).  
وعن مطرف قال: بعث الي عمران بن حصين في مرضه الذي توفي  
فيه فقال: إني كنت محدثك بأحاديث، لعل الله أن ينفكك بها بعدي،  
فإن عشت فاكنتم عني، وإن مت فحدث بها إن شئت، إنه قد سلم  
علي، وإعلم ان نبي الله (صلى الله عليه وآله) قد جمع بين حج  
وعمره ثم لم ينزل فيها كتاب الله ولم ينه عنها نبي الله (صلى الله  
عليه وآله). قال رجل فيها برأيه ما شاء (٢). أقول: حسبك لما في  
هذا الحديث من تحريم الخليفة عمر لمتعة الحج ونهيه إياها، فإن  
فيه أيضا حقيقتين مهمتين لا بد من الإشارة إليهما: ١ - إن عمران بن  
حصين أخبر مطرف أحاديث ومسائل كثيرة مما كان مكرها على  
إخفائها في هذه المدة، وامتنع من إعلانها حتى دنت السويبات  
الأخيرة من حياته، ولكن لم يذكر في الحديث من تلك المسائل  
الكثيرة سوى مسألة التمتع في الحج وباقي المسائل ظلت منسية.  
٢ - إن وصية عمران إلى مطرف فيها تأكيد وتصريح على أن  
الأشخاص قد سلبت عنهم حرياتهم، وكانوا ممنوعين عن كشف  
الحقائق وبيانها ورواية المطالب الحق. وفي قبال هذا فإنهم كانوا  
ملزمين ومكرهين على أن يكرروا ما تهواه الهيئة الحاكمة، ولا يبدون  
عكس ذلك أبدا، ويكنموا الحقائق حفظا لمصالح الخلفاء، ولذلك  
تسمع عمران بن حصين يقول: إن عشت فاكنتم عني، وإن مت  
فحدث بها إن شئت، إنه قد سلم علي. وذكر المؤرخون والمحدثون  
والمفسرون في كتبهم أن عمر بن الخطاب خطب الناس ذات يوم،  
فقال وهو على المنبر بكل صراحة: متعتان كانتا على عهد رسول الله  
(صلى الله عليه وآله) وأنا أنهى عنهما وإعاقب عليهما، متعة الحج

(١) صحيح مسلم ٢: ١٠٢٢ كتاب النكاح باب (٣) باب نكاح المتعة... ح ١٧. (٢) صحيح  
مسلم ٢: ٨٩٩ كتاب الحج باب (٢٢) باب جواز التمتع ح ١٦٨.

### [٢٩٨]

ومتعة النساء (١). ولكن الأمام أحمد بن حنبل كما هو دأبه في  
الاسقاط والتقطيع ! ! عندما ذكر مقولة عمر أسقط منها جملة (وأنا

أنهى عنهما) (٢). علل تحريم عمر متعة الحج: قد يتبادر سؤال إلى ذهن القارئ العزيز عن السبب والداعي إلى تحريم متعة الحج والنهي عنه خاصة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)، وما هي الغاية من هذا الفعل والهدف من المنع؟ والأجابة على هذا السؤال تكمن في مضامين الأحاديث التي أخرجها الصحيحان وغيرهما من الكتب المعتمدة عند أهل السنة والجماعة. لأن البحث والتحقيق في هذه المصادر المعتمدة والموثوقة تكشف لنا بأن الغاية من هذه المخالفة لأمر القرآن والسنة النبوية، وتحريم ما كان حلالاً مثل حج التمتع لم تكن إلا بسبب تلك الكلمة التي تفوه بها بعض المسلمين عندما استكبروا حين نزوله فأغضبوا بها رسول الله وأذوه، وعللوا تحريمهم فيما بعد بأن قالوا: أنطلق و مذاكيرنا تقطر منياً. وشبعوا مخالفتهم العلل السخيفة الناجمة من سوابقهم الذهنية والمعهودة من العهد الجاهلي. نعم، هذه الأهداف والتوجيهات هي التي كانت سبباً في تحريمهم لحج التمتع بعد وفاة الرسول، والتي جعلتهم يعارضون نص القرآن ويخالفون أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) الصريح الذي أراد بتشريعه هذا الحكم محو إحدى العادات والسنن الجاهلية. وهذا التعليل الباطل ورد بالتفصيل في صحيح مسلم وأكثر مصادر أهل السنة. منها: عن إبراهيم بن أبي موسى، عن أبي موسى أنه كان يفتي بالمتعة. فقال له

(١) احكام القرآن ٢: ١٥٢، تفسير القرطبي ٢: ٣٩٢، كنز العمال ١٦: ٥١٩ ح ٤٥٧١٥ وص ٥٢١ ح ٤٥٧٢٢، شرح تجريد الاعتقاد للقوشجي: المقصد الخامس في الامامة ٣٨٦.

### [٣٩٩]

رجل: رويدك ببعض فتياك، فإنك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين - عمر بن الخطاب - في النسك بعد، حتى لقيه بعد. فسأله، فقال عمر: قد علمت أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد فعله وأصحابه، ولكن كرهت أن يظنوا معرسيين بهن في الأراك، ثم يروحون في الحج تقطر رؤوسهم (١). قال أحد المحشيين على صحيح مسلم في بيان وتوضيح كلمة عمر (تقطر رؤوسهم): وهذا التعبير أحسن من قول بعضهم: (تقطر مذاكيرنا المنى)، فبين سيدنا عمر العلة التي لأجلها كره التمتع، وكان رأيه كما قال الزرقاني: عدم الترفه للحاج بكل طريق، فكره قرب عهدهم بالنساء لئلا يستمر البلبل إلى ذلك الحين - يوم عرفة - (٢). وقال الإمام السندي في بيان كلام عمر (تقطر رؤوسهم): يريد أن الأفضل للحاج أن يتفرق شعره ويتغير حاله، والتمتع في حق غالب الناس صار مؤدياً إلى خلافه فنهيتهم لذلك (٣). أقول: وعلى كل حال فالهدف هو الذي اشيرنا إليه، فالهدف واحد والتعابير في ذلك متعددة كما قيل: تعددت الأسباب والموت واحد. وأما الجواب القاطع لكل هذه التبريرات والمخالفات هو ما قاله رسول الله (صلى الله عليه وآله) لهم: انا اتقاكم وصدقكم وأبركم (٤). وقال تعالى: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً) (٥).

(١) صحيح مسلم ٢: ٨٩٦ كتاب الحج باب (٢٢) باب في نسخ التحلل ح ١٥٧، سنن النسائي ٥: ١٥٢ كتاب مناسك الحج باب التمتع، سنن ابن ماجه ٢: ٩٩٢ كتاب مناسك باب (٤٠) باب التمتع بالعمرة إلى الحج ح ٣٩٧٩، مسند الإمام أحمد بن حنبل ١: ٤٩ - ٥٠. (٢) صحيح مسلم ٤: ٤٦ حاشية الصحيح طبعة دار المعرفة للطباعة، لبنان. (٣) حاشية سنن النسائي ٥: ١٥٢ كتاب الحج باب التمتع. (٤) راجع ص ٣٩٥ هامش ١. (٥) الأحزاب: ٣٦.

عثمان وحج التمتع: أشرنا سابقا أن أمير المؤمنين الأمام علي (عليه السلام) رأى المؤمنين على عهد عثمان ومعاوية يسعون جادين في إقامة هذه السنة النبوية وإحيائها، كما كانت على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، كانوا يجهدون في إمامة بدعة عمر، حتى أدرك علماء أهل السنة وفقهاؤهم بطلان بدعة عمرو أفتوا بجواز متعة الحج والعمل بهذه السنة النبوية وتطبيقها من جديد بعد تلك الفترة من التحريم والمنع رغم فتوى عمر. وإليك بعض الأحاديث التي تومئ إلى هذه المثابرة والمعارضة لتحريم عمر كما نقلتها مصادر أهل السنة والجماعة وخاصة الصحيحان. أخرج البخاري ومسلم باسنادهما عن مروان بن الحكم: شهدت عثمان وعلياً (عليه السلام)، وعثمان ينهى عن المتعة وأن يجمع بينهما، فلما رأى علي (عليه السلام) أهل بهما لبيك بعمرة وحجة. قال: ما كنت لادع سنة النبي (صلى الله عليه وآله لقول احد) (١). وكذلك أخرج هذا الاختلاف بين عثمان والأمام علي (عليه السلام) باسنادهما عن سعيد بن مسيب قال: اجتمع علي وعثمان بعسفان، فكان عثمان ينهى عن المتعة أو العمرة. فقال علي (عليه السلام): ما تريد إلى أمر فعله رسول الله (صلى الله عليه وآله) تنهى عنه؟ فقال عثمان: دعنا منك. فقال (عليه السلام): إني لا أستطيع أن ادعك، فلما أن رأى علي ذلك أهل بهما جميعاً (٢). ورواه مسلم بسنده عن عبد الله بن شقيق وفيه: فقال عثمان لعلي كلمة خشنة وتعسف (٣).

(١) صحيح البخاري ٢: ١٧٥ كتاب الحج باب التمتع والأقران والأفراد بالحج.... (٢) صحيح البخاري ٢: ١٧٦ كتاب الحج باب التمتع والأقران.... صحيح مسلم ٢: ٨٩٧ كتاب الحج باب (٢٣) باب جواز التمتع ح ١٥٩. (٣) صحيح مسلم ٢: ٨٩٦ كتاب الحج باب (٢٣) باب جواز التمتع ح ١٥٨.

وفي سنن النسائي: عن سعيد بن مسيب انه قال بعد شرح الاختلاف بين الأمام علي (عليه السلام) وعثمان. قال (عليه السلام): إذا رأيتموه قد ارتحل فارتحلوا، فليبي علي وأصحابه بالعمرة (١). وقال الأمام السندي في شرحه على هذه الكلمة: إذا رأيتموه... أي ارتحلوا معه ملبين بالعمرة، ليعلم انكم قدمتم السنة على قوله وانه لا طاعة له في مقابلة السنة (٢). لفتة نظر: لا بد من الإشارة هنا إلى نكتة ذات أهمية، وهي إن الكثير من الحقائق التي اشير إليها في كتب الحديث والتاريخ قد اندرست حقيقتها الواقعية ونالتها أيدي التحريف والأغراض السياسية آنذاك بأن أسدلوا عليها حجاباً من التعظيم والتزوير. وهذا الاختلاف الواقع بين أمير المؤمنين (عليه السلام) والخليفة عثمان في مسألة حج التمتع التي ورد ذكرها في الصحيحين هي من تلك الحقائق التي لم تذكر إلا بنحو الأجمال والأشارة، ولا شك ان الاختلاف بينهما لم يكن بهذه البساطة. ويتضح مدى الاختلاف بينهما من رواية أبي عمر ابن عبد البر باسناده عن عبد الله بن الزبير ان الاختلاف بينهما كان شديداً إلى درجة آلت أن يقتل أمير المؤمنين الأمام علي (عليه السلام) في سبيل ذلك ويهرق دمه. قال ابن الزبير: أنا والله لمع عثمان بالجحفة ومعه رهط من أهل الشام وفيهم حبيب بن مسلمة الفهري. إذ قال عثمان: وذكر له التمتع بالعمرة إلى الحج، أن أتموا الحج وخلصوه في أشهر الحج، فلو أخرجتم هذه العمرة حتى تزوروا هذا البيت زورتين كان أفضل، فإن الله قد وسع في الخير. فقال له علي (عليه السلام): أعمدت إلى سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله)

وآله) ورخصة رخص للعباد بها في كتابه، تضيق عليهم فيها، وتنهى عنها، وكانت لذي الحاجة

(١) سنن النسائي: ١٥٢ كتاب الحج باب التمتع. (٢) المصدر السابق.

#### [٤٠٢]

ولنائي الدار... ثم أهل بالعمرة وحجة معا، فأقبل عثمان على الناس فقال: وهل نهيت عنها؟ إني لم أنه عنها، إنما كان رأيا أشرت به، فمن شاء أخذ به ومن شاء تركه. قال: فما أنسى قول رجل من أهل الشام مع حبيب بن مسلمة: انظر إلى هذا كيف يخالف أمير المؤمنين؟ والله لو أمرني لضربت عنقه. قال: فرفع حبيب يده فضرب بها في صدره، وقال: اسكت، فض الله فاك، فإن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أعلم بما يختلفون فيه (١). معاوية وحج التمتع: قرأنا فيما سلف الاختلاف الواقع بين ابن عباس وابن الزبير في مسألة المتعتين، ودفاع جابر بن عبد الله عن قول ابن عباس، والدفاع الذي ذكر أنفا لم ينحصر في مسألة المتعتين فحسب بل هناك قضايا عديدة دافع فيها جابر عن ابن عباس، ورغم الأرهاب والمنع عن نقل الحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإن جابرا لم يكن يخشى الأرهاب في عهد الخلفاء، فإنه كان يحدث علنا ويكشف الحقيقة التي كادت أن تدفن على أثر البدع (٢). ومن خلال التحقيق في الأحاديث يتضح لنا ان الاختلاف والنزاع في مسألة حج التمتع شمل عهد معاوية أيضا، وذلك لما كان معاوية مصمما على إحياء سيرة عمر وعثمان في المسألة ولكن بعض المسلمين خالفوه ولم يرضخوا لقوله. أخرج النسائي في سننه باسناده عن ابن شهاب، عن محمد انه حدثه أنه سمع سعد بن أبي وقاص والضحاك بن قيس، عام حج معاوية بن أبي سفيان، وهما يذكران التمتع بالعمرة إلى الحج. فقال الضحاك: لا يصنع ذلك إلا من جهل أمر الله تعالى. فقال سعد: بنسما قلت يا ابن أخي. قال الضحاك: فإن عمر بن الخطاب نهى عن ذلك. قال سعد: قد

(١) جامع بيان العلم وفضله ٢: ٣٠، مسند الأمام أحمد بن حنبل ١: ٩٢. (٢) راجع المصادر الحديثية خاصة صحيح مسلم ٢: ٨٨٥ كتاب الحج باب (١٨) باب في المتعة بالحج والعمرة ح ١٤٥.

#### [٤٠٢]

صنعها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصنعنا معه (١). وروى مسلم في صحيحه والأمام أحمد في مسنده باسنادهما عن غنيم قال: سألت سعد بن أبي وقاص عن المتعة. قال: فعلناها، وهذا كافر بالعرش يعني معاوية (٢). ونستفيد من هذين الحديثين ان الاختلاف في حج التمتع ما يزل موجودا في عهد معاوية، وإلا لما كان لتقييد الاختلاف بين اثنين بزمان معين أو تحديده بعهد كفر معاوية قبل اظهاره الإسلام له معنى. ٦ - المتعة أو الزواج المنقطع: ومن الأحكام التي غيرها وبدلها الخليفة عمر بن الخطاب كما صرح بهذا الأمر الصحيحان في مضامين أحاديثهما هو نكاح المتعة أو الزواج المؤقت الذي ما زال ممنوعا إلى هذا العصر حسب ما أفتى بمنعه الخليفة عمر، وتارة أخذها البعض وسيلة للتشنيع على الشيعة، وذريعة للنيل منهم، وعزوا بسببها الافتراءات والاكاذيب إلى الشيعة وعقائدهم. ومن هنا رأينا أنه من الضروري واللازم أن نقوم بالتحقيق

والبحث فيها من خلال فصول خمسة: ١ - تعريفها: المتعة أو الزواج المؤقت الذي هو موضع اختلاف الشيعة والسنة عبارة عن: أن يتزوج الرجل امرأة حيث لا يكون له أي مانع شرعي من نكاحها كالزواج الدائم بمهر وصداق معلوم إلى مدة معلومة، وبمجرد انقضاء المدة وانتهائها تبين المرأة من الرجل من

(١) سنن النسائي ٥: ١٥٢ كتاب الحج باب التمتع. (٢) صحيح مسلم ٢: ٨٩٨ كتاب الحج باب (٢٣) باب جواز التمتع ح ١٦٤، مسند الأمام أحمد بن حنبل ١: ١٨١.

#### [٤٠٤]

غير إجراء صيغة الطلاق. ويجوز للرجل ان يفارقها قبل انقضاء المدة بان يهبها المدة الباقية. والمتعة تشترك مع الزواج الدائم في كثير من الاحكام وتفتقر عنه في بعض الأحكام. الأحكام المشتركة: أما الأحكام المشتركة بين هذين النوعين من أنواع النكاح - الدائم والمؤقت - فهي كالتالي: ١ - وجوب الأيجاب والقبول. ٢ - وجوب المهر والصداق. ٣ - تجب على المرأة في الزواج المؤقت أن تعتد عدة الطلاق إن بني عليها، ولم تكن يائسة تماما كالزواج الدائم، إلا إن عدتها قراءة أو خمسة وأربعين يوماً. ٤ - عدة الوفاة فيهما أربعة أشهر وعشرة أيام. ٥ - عدة المرأة الحامل فيهما الذي توفي زوجها فهي أبعد الأجلين. ٦ - لا فرق بين الأولاد في مسألة التوارث وغيرها سواء ولدوا بالزواج الدائم أو المنقطع. ٧ - أحكام المصاهرة فيهما مشتركة كحرمة الام أو الاخت حرمة أبدية. ٨ - حكم الجماع فيهما مشترك من حيث حرمة وطبها في حيضها أو في نهار شهر رمضان. الأحكام المختصة بكل منها: وأما وجوه الاختلاف والافتراق بين النكاح الدائم والمنقطع تتلخص في عدة موارد. ١ - يجب تعيين المدة في المنقطع دون الدائم. ٢ - لا يتوارث الزوجان في المنقطع إلا إذا كان ذلك من شروط ضمن العقد.

#### [٤٠٥]

٣ - يجب تعيين الصداق والمهر في المنقطع دون الدائم. ٤ - ليس للمرأة في الزواج المنقطع أن تطالب بالنفقة إلا إذا كانت المطالبة شرطاً ضمن العقد. ٥ - لا يجوز للرجل أن ينكح أكثر من أربع زوجات في آن واحد في الزواج الدائم على العكس من الزواج المؤقت فليس فيه هذه المحدودية (١). ٢ - مشروعية المتعة في الاسلام: إن أصل تشريع المتعة في الإسلام ثابت بالكتاب والسنة القطعية ومتفق عليه عند المسلمين شيعة وسنة. أما دليل الأجماع: فلأن المسلمين على اختلاف مذاهبهم وعقائهم متفقون على أن المتعة أو الزواج المؤقت قد شرعه الله ورسوله، ولاشك في تشريعه من جانب الرسول (صلى الله عليه وآله) ولا يشك أحد من العلماء المسلمين بكونه من الضروريات الدينية. قال الفخر الرازي: وانفقوا - علماء المسلمين - على أنها كانت مباحة في ابتداء الإسلام واختلفوا في أنها هل نسخت أم لا؟ فذهب السواد الأعظم من الأمة إلى أنها منسوخة، وقال السواد منهم: إنها بقيت مباحة كما كانت (٢). وأما دليل الكتاب: قال تعالى: (فما استمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن) (٣). قطع مفسرو الشيعة جميعاً بأن الآية نزلت بشأن بيان حكم النكاح المنقطع، وعلى هذا أكثر مفسري أهل السنة، والمراد من قوله تعالى: (فاتوهن اجورهن) أي اعطوهن صدقاتهن في المتعة. وهكذا قرأ بعض القراء الأوائل مثل: أبي بن كعب، ابن عباس، سعيد بن جبير

(١) راجع فروع المسألة وإحكامها الجزئية في الكتب الفقهية عند الشيعة. (٢) تفسير الفخر الرازي ١٠: ٤٩ عند تفسير الآية ٢٤ من سورة النساء. (٣) النساء: ٢٤. (\*)

#### [٤٠٦]

والسدي: (فما استمتعتم به منهن إلى أجل) حيث إنهم جعلوا كلمة إلى أجل أي تعيين المدة في الزواج المنقطع جزءاً من الآية. ونقل هذه القراءة الطبري (١) في تفسيره والزمخشري (٢) عن ابن عباس، ونقلها الفخر الرازي عن أبي بن كعب (٣). وكذا روى الطبري عن مجاهد - وهو من المفسرين في القرن الأول الإسلامي - قوله: بأن هذه الآية نزلت بشأن المتعة (٤). ومما يؤيد شأن نزولها في المتعة سياق الآيات نفسها من هذه السورة حيث إنه قرينة واضحة وشاهد بين على ذلك، لأن صدر السورة (النساء) تبين حكم الزواج الدائم. قال تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع.... وأتوا النساء صدقاتهن نحلة) (٥). فلو فرضنا أن الآية - آية الاستمتاع - هي كذلك تتعلق بالزواج الدائم فإنها تستلزم كون تكرار الحكم الواحد في سورة واحدة بنفسها من دون غاية، وهذا مما ينافي بلاغة القرآن المجيد. وأما لو فرضنا أن الآية تتعلق بالمتعة - كما هي - فإنها تبين حكماً ثانياً ومستقلاً، وحينئذ لا يستدعي التكرار، ولا يرد على القرآن أي نقد. وبعبارة أخرى يلاحظ من خلال التدبر في سورة النساء أن السورة قد بينت وذكرت النساء اللاتي يحرم نكاحهن، وتبين كذلك الطرق التي بها تحل النساء للرجال وهي أربع: ١ - الزواج الدائم بالحرّة.

(١) تفسير الطبري ٥: ٨ - ١٠. (٢) تفسير الكشاف ١: ٤٩٨. (٣) التفسير الكبير ١٠: ٥١. (٤) تفسير الطبري ٥: ٩. (٥) النساء: ٣.

#### [٤٠٧]

٢ - ملك اليمين. ٣ - الزواج بالأماء. ٤ - الزواج المؤقت. فأما حكم الزواج الدائم والزواج بملك يمين فقد ورد ذكره في الآية الثالثة من سورة النساء حيث قال تعالى: (فانكحوا ما طاب لكم من النساء.... أو ما ملكت إيمانكم). وحكم الزواج بالأماء فهو مذكور في الآية الخامسة والعشرين في قوله تعالى: (ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت إيمانكم من فتياتكم المؤمنات). وفي آية: (فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن). التي هي محل بحثنا بين الله عزوجل حكم النوع الرابع من الزواج وهو الزواج المؤقت أو المتعة. وأما السنة: فقد دلت على مشروعيتها المتعة من خلال تظافر الأحاديث المتواترة التي أوردها الشيعة والسنة. وقد أخرج البخاري ومسلم في بيان مشروعيتها المتعة روايات عديدة باسنادهما عن: سلمة بن أكوع، جابر بن عبد الله، عبد الله بن مسعود، ابن عباس، سيرة بن معبد، أبو ذر الغفاري، عمران بن حصين، وأكوع بن عبد الله الأسلمي. ولما كان نقل جميع الأحاديث المروية في هذا الموضوع يستدعي الأطالة والأطناب وبجاجة إلى كتاب مستقل اكتفينا بذكر بعض مما روي في الصحيحين. ١ - أخرج مسلم في صحيحه باسناده عن سلمة بن أكوع وجابر بن عبد الله الأنصاري قالاً: خرج علينا منادي رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أذن لكم أن

تستمتعوا - يعني متعة النساء - (١). وأخرجه مسلم بلفظ آخر: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتانا فاذن لنا في المتعة (٢). وأخرجه البخاري بلفظ ثالث: كنا في جيش فأتانا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا (٣). ٢ - روى مسلم أيضا عن جابر بن عبد الله قال: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق، الأيام، على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبي بكر. حتى نهى عنه عمر، في شأن عمرو بن حريث (٤). أقول: ذكر ابن حجر قصة عمرو بن حريث بنحو الأجمال والأختصار فقال: دخل عمرو بن حريث الكوفة وتمتع بامرأة فحملت المرأة منه، فجاءت به وهي حامل منه إلى الخليفة عمر، فسأل عمر عمرو عن القصة فاعترف عمرو، ومن بعدها نهى الخليفة عن المتعة (٥). ٣ - وأخرجا بإسنادهما عن عبد الله بن مسعود فقال: كنا نغزو مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليس لنا نساء. فقلنا: الا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا ان ننكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قرأ عبد الله: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) (٦). (٧)

(١) صحيح مسلم ٢: ١٠٢٢ كتاب النكاح باب (٢) باب نكاح المتعة ح ١٣. (٢) المصدر ح ١٤. (٣) صحيح البخاري ٧: ١٦ كتاب النكاح باب نهى رسول الله عن نكاح المتعة آخرًا. (٤) صحيح مسلم ٢: ١٠٢٢ كتاب النكاح باب (٢) باب نكاح المتعة... ح ١٦. (٥) فتح الباري ٩: ١٤١. (٦) المائدة: ٨٧. (٧) صحيح البخاري ٦: ٦٦ كتاب التفسير تفسير سورة المائدة باب (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك). وج ٧: ٥ كتاب النكاح باب ما يكره من التبتل والخصاء، صحيح مسلم ٢: ١٠٢٢ كتاب النكاح باب (٢) باب نكاح المتعة... ح ١١.

أقول: أخرجه مسلم بثلاثة أسانيد عن ابن مسعود، ولا يخفى فإن قراءة ابن مسعود لهذه الآية اعتراض وانتقاد على من حرم هذا النوع من الزواج - المتعة -، وكأنه أراد أن يقول: إن هذا الزواج من الطيبات، وإنه قد شرع في الدين كسائر التشريعات والقوانين الشرعية، وأن حكمه باق إلى أبد الأباد، وتحريمه يعتبر اعتداء وتجاوز عن الحدود الإلهية. وقال النووي في شرحه لرواية ابن مسعود: فيه إشارة إلى أنه كان يعتقد إباحتها كقول ابن عباس، وإنه لم يبلغه نسخها (١). ٤ - روى مسلم عن أبي نضرة قال: كنت عند جابر بن عبد الله، فأتاه أت، فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين، فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله (صلى الله عليه وآله). ثم نهانا عنهما عمر. فلم نعد لهما (٢). ٣ - عمر يحرم المتعة: علم مما ذكرناه في الصفحات السابقة أن مشروعية المتعة كانت ثابتة في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) ثبوتاً قطعياً ودلت عليه الآية القرآنية والسنة النبوية ودليل الاجماع. وكذا علم من مضامين ثلاثة أحاديث من الأحاديث الخمسة التي ذكرناها ان المتعة كان يعمل بها على عهد الرسول (صلى الله عليه وآله)، وإنها كانت مباحة في عهد الخليفة أبي بكر، وفترة من عهد الخليفة عمر ومن ثم نهى عنها عمر. وهناك أيها القارئ الكريم تصريحات بعض المؤرخين والمحدثين في هذا الموضوع: أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده بإسناده عن أبي نضرة قال: قلت لجابر بن عبد الله: إن ابن الزبير (رضى الله عنه) ينهى عن المتعة، وابن عباس يأمر بها قال: فقال لي: على يدي



### [٤١٠]

جرى الحديث، تمتعنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومع أبي بكر، فلما ولى عمر خطب الناس فقال: إن القرآن هو القرآن، وإن رسول الله هو الرسول (صلى الله عليه وآله)، وإنهما كانتا تمتعتان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله): أحدهما متعة الحج، والآخرى متعة النساء (١). أقول: ذكرنا أنفاً في فصل متعة الحج إن الأمام أحمد بن حنبل قد أسقط المقولة الأخيرة من كلام الخليفة حيث قال: (وأنا أنهى عنهما وعاقب عليهما) (٢). قال السيوطي: عمر بن الخطاب أول من حرم المتعة (٣). وقال ابن رشد الأندلسي: واشتهر عن ابن عباس تحليلها وتبع ابن عباس على القول بها أصحابه من أهل مكة وأهل اليمن، ورووا أن ابن عباس كان يحتج لذلك بقوله تعالى: (فما استمتعتم به...) وفي حرف عنه (إلى أجل مسمى). وروي عنه أنه قال: ما كانت المتعة إلا رحمة من الله عزوجل رحم بها أمة محمد (صلى الله عليه وآله)، ولولا نهي عمر عنها ما اضطر إلى الزنا إلا شقي. ورواه عنه ابن جريج وعمر بن دينار وعن عطاء قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: تمتعنا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبي بكر ونصفاً من خلافة عمر، ثم نهى عنها عمر الناس (٤). أقول: إن ابن جريج الذي قال بجواز المتعة والذي نقل عنه الفقيه الفيلسوف ابن رشد هو أقره علماء مكة في عهده توفي عام ١٥٠ من الهجرة. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: من أول من صنف الكتب؟ قال: ابن جريج (٥).

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١: ٥٢. (٢) راجع ص ٢٩٨ هامش ١. (٣) تاريخ الخلفاء: ١٣٧ فصل في أوليات عمر. (٤) بداية المجتهد ٢: ٦٣. (٥) تهذيب التهذيب لابن حجر ٦: ٤٠٣ و ٤٠٦ ترجمة عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج =

### [٤١١]

وقال الأمام محمد بن إدريس الشافعي: استمتع ابن جريج بسبعين امرأة (١). وقال الرجالي المعروف الذهبي: - ابن جريج - هو أحد الأعلام الثقات وكان فقيه أهل مكة، وهو في نفسه مجمع على ثقته مع كونه قد تزوج نحواً من سبعين امرأة نكاح المتعة، وكان يرى الرخصة في ذلك (٢). قال الفاضل القوشجي: إن عمر سعد المنبر وقال: أيها الناس ثلاث كن على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أنا أنهى عنهن واحرمهن وعاقب عليهن وهي: متعة النساء ومنتعة الحج وحي على خير العمل (٣). وقال محمد بن المنصور: كنا مع المأمون في طريق الشام فأمر فنودي بتحليل المتعة. فقال يحيى بن أكثم لي ولأبي العيناء: بكرا غداً إليه، فإن رأيتما للقول وجهاً فقولوا، وإلا فاسكتا إلى أن أدخل. قال: فدخلنا عليه وهو يستاك، ويقول وهو مغتاض: تمتعتان كانتا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى عهد أبي بكر (رضى الله عنه) وأنا أنهى عنهما، ومن أنت يا جعل حتى تنهى عما فعله رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبو بكر؟ فأوما أبو العيناء إلى محمد بن منصور وقال: رجل يقول في عمر بن الخطاب ما يقول، نكلمه نحن؟ فامسكتنا. فجاء يحيى بن أكثم فجلس وجلسنا وكلمه يحيى وأخبره بقيام الناس... فانصرف المأمون عن رأيه (٤). ٤ - دعوى النسخ في المتعة: لقد تذر علماء أهل السنة في تبرير مواقف الخلفاء، وتثبيت مقامهم

وتزيرهم من النقد والمؤاخذة بسبب التحريفات والتغييرات التي أوجدها الخلفاء في الأحكام إلى،

= الأموي رقم ٨٥٥. (١) تهذيب التهذيب لابن حجر ٦: ٤٠٢ و ٤٠٦ ترجمة عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح الأموي رقم ٨٥٥. (٢) ميزان الاعتدال ٢: ٦٥٩ ترجمة عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح رقم ٥٢٢٧. (٣) شرح التجريد للقوشجي المقصد الخامس: الإمامة: ٢٨٦، شرح نهج البلاغة ١: ١٨٢. (٤) وفيات الأعيان ٦: ١٤٩ ترجمة يحيى بن أكنم رقم ٧٩٣.

#### [٤١٢]

أحد هذين الطريقتين: ١ - جعل الحديث. ٢ - ادعاء الاجتهاد. وانهم يحاولون أن يثبتوا حكم الخليفة أولا: بأن يوضعا أحاديث وينسبونها إلى الرسول (صلى الله عليه وآله) ويعبرون عنها بأنها صادرة عنه (صلى الله عليه وآله). وثانيا: إذا لم تسنح لهم الفرصة في الوضع والجعل فانهم يعمدون إلى القول باجتهاد الخليفة وينسبون الحكم المخالف لحكم الرسول (صلى الله عليه وآله) بأنه مما اجتهد فيه الخليفة. وثالثا: فانهم يستفيدون من كلا الناحيتين كما هو في المتعة فانها ذو جنبتين أي أنهم يقومون بوضع الحديث وادعاء الاجتهاد. وقد ثبت في كتب الحديث والتاريخ أن المتعة كانت مباحة على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعهد أبي بكر وفترة من خلافة عمر بن الخطاب وكان المسلمون يأترون فيها بأمر من الله عزوجل ورسوله (صلى الله عليه وآله). والذي نهى عنها هو عمر بن الخطاب وهدد من يخالف رأيه بأشد العقوبات، - وقد ذكرنا فيما سبق بعض الأحاديث وأقوال المؤرخين فيما يختص بالموضوع. - ومع ذلك نرى أن بعض أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذين كانوا رواة وعلماء ومفسرين أعلنوا مخالفتهم الصريحة لأمر عمر وفتواه، وأثبتوا حكم جواز المتعة قولا وعملا. ولكن عالج بعض العلماء من أهل السنة حكم الخليفة وتثبيت فتواه بالتوجيه التالي أولا بأن آية المتعة وحكم جوازها هي من الآيات والأحكام المنسوخة ورووا في هذا الادعاء أحاديث موضوعة، وثارة أخرى يدعون بأن منع المتعة هو من اجتهادات الخليفة عمر (١). ولما كان موضوع النسخ في آية المتعة والحكم بجواز الزواج المنقطع بحاجة إلى تفصيل وتبيين أكثر وكتاب مستقل في الموضوع فإننا نرجو من القراء الكرام مطالعة الكتب الأخرى التي كتبت في هذا الموضوع (٢).

(١) كما ذهب الفاضل القوشجي الى القول بان المنع مسالة اجتهادية وان القول بالنسخ في هذه المسالة مرفوض. (٢) راجع: الغدير للعلامة الاميني الجزء السادس، تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي الجزء =

#### [٤١٢]

إن الذين قالوا بأن حكم المتعة منسوخ ونسبوا هذا النسخ المزعوم إلى عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) أقوالهم متشككة ومتضاربة، بحيث لا يمكن الجمع بينها، وهذا الاضطراب بنفسه دليل آخر على كون ادعاء النسخ تحكّم وافتراء. وذلك لأن بعضهم ادعى بأن الناسخ آية، وادعى آخرون بأن الناسخ هو السنة والأحاديث الصحيحة. وأما أقوال المدعين في كل من الناسخ سواء كان آية أو حديث مضطربة. فمثلا إن القائلين بأن المتعة نسخت بآية من القرآن يلاحظ أنهم قد اختلفوا في تعيين الآية الناسخة إلى خمسة أقوال: القول الأول: بأنها نسخت بقوله تعالى: (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على

أزواجهم) (١).. والقول الثاني: فإن الآية الناسخة هي آيات العدة (٣). الثالث: إن الآية الناسخة هي آية الأثر (٣). القول الرابع: آية التحريم (٤). والقول الآخر: هي الآية التي ذكرت فيها تعدد الزوجات (٥). بينما لا نرى بين مفهوم الآيات المذكورة وآية المتعة أي تضارب ولا تناقض حتى تنسخها وكذا نشاهد أن بعض هذه الآيات (٦) مكية وآية المتعة مدنية فكيف يتصور أن

= الرابع، المتعة لتوفيق الفكيكي، البيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي ٣٣٣ - ٣٥١. (١) المؤمنون: ٧. (٢) البقرة: ٢٢٨. (٣) النساء: ١٢. (٤) النساء: ٢٣. (٥) النساء: ٣. (٦) مثل الآية ٧ من سورة المؤمنون.

#### [٤١٤]

ينسخ ما نزل مؤخرا بما نزل مقدما ؟ وأما الذين قالوا: إن آية المتعة نسخت بالسنة والحديث لهم خمسة عشر قولا كذلك، لأن بعض هذه الأحاديث يقول: نسخت آية المتعة في غزوة خيبر، وبعضها يقول: في فتح مكة. وقيل: في غزوة تبوك. وقال آخرون: نسخت في حجة الوداع. وادعى آخرون أنها نسخت في غزوة حنين (الأوطاس) (١). ولكن القول الحق إن الروايات التي وردت في صحيح البخاري وصحيح مسلم، تقول: بأن آية المتعة لم تنسخ أبدا لا بآية ولا بحديث، بل إن المسلمين كانوا يعملون بها على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبي بكر ونصفا من خلافة عمر ثم نهى عنها عمر (٢). وأما الروايات التي قيل إنها ناسخة للمتعة علاوة على ما فيها من التناقضات والاضطراب فيما بينها، وإنها تخالف الكثير من الروايات الصحيحة التي تقول بعدم النسخ فإنها أخبار آحاد وثبت في محله بأن القرآن لا ينسخ بالخبر الواحد. ٥ - الافتراءات الشائعة: اشرنا سابقا أن حكم المتعة ثابت كتابا وسنة، وبالرغم من أن حدود المتعة وشروطها قد ذكرت بالتفصيل وبيان واضح في الكتب الفقهية الشيعية، مع هذا نرى أن بعض علماء أهل السنة ومؤلفيها تشبثوا بكل حشيش، كالغريق، وما وسعهم إلا أن يكتبوا ما توهموه من الأباطيل، ورشحتها خزعبلاتهم الفكرية حول المتعة أو لما نجم من جمودهم الفكري وتعصبهم المفرط، فاتهموا الشيعة بأراجيف موهومة ونسبوا إليهم الافتراءات والأكاذيب. ونذكر للقراء أربعة من تلك الأقوال:

(١) يمكن الاطلاع على هذه التناقضات والتضارب الموجود في المسألة عن طريق التأمل في الأحاديث المروية في هذه المسألة، وقد جمعها ابن حجر العسقلاني في فتح الباري ٩: ١٤٥ - ١٤٨. (٢) راجع صحيح البخاري وصحيح مسلم كتاب النكاح في نكاح المتعة.

#### [٤١٥]

١ - كلمة الشيخ محمد عبده: قال في مكافحته للمتعة: فإن المتمتع بالنكاح المؤقت لا يقصد الأحصان دون المسافحة، بل يكون قصده الأول المسافحة، فإن كان هناك نوع ما من إحصان نفسه ومنعها من التنقل في دمن الزنا، فإنه لا يكون فيه شئ ما من إحصان المرأة التي تؤجر نفسها كل طائفة من الزمن لرجل، فنكون كما قيل: كرة حذفت بصوالجة \* فتلقفها رجل رجل (١) أقول: يظهر من توهم صاحب المنار إن بين الزواج المؤقت (المتعة) والعفة والزواج الشرعي منافاة وتباين حيث ادعى أن الزوجة المؤقتة (بالتمتع) ليست زوجة

شرعية ولذا عبر عن الزواج المؤقت بالسفاح والزنا. وقد أوضحنا فيما سبق أن المتعة شبيهة بالزواج الدائم من حيث الشروط والعدة. وأما تشبيهه صاحب المنار المرأة في المتعة بالمرأة التي تؤجر، والكرة التي يتلقفها الرجال واحد بعد آخر، فيه: أولاً: لو كان هذا الادعاء صحيحاً فإن الأيراد يرد أولاً وبالذات على أصل تشريعه في عهد الرسول لأنه لا يمكن تصور هذا التشبيه والتقبيح بأنه منحصر بزمان دون زمان، ولا يشك أحد أن المسلمين الأوائل كانوا يتمتعون على عهد الرسول (صلى الله عليه وآله)، ثم نستثنى القبح عن هذا الزمان من بقية الأزمنة، لأن الشئ القبيح يظل قبيحاً إلى الأبد ولا يزول القبح عنه. وثانياً: لو فرضنا صحة هذا التوهم والأشكال فإنه يرد أيضاً على الزوجة الدائمة فإنه لا يحق لها أن تتزوج رجلاً آخر بعدما حصل لها الطلاق من الزوج الأول، وهكذا لما تطلق من الزوج الثاني لا يجوز لها الزواج بالثالث، لأنها حينئذ تكون لعبة وكرة - حسب تعبير الشيخ محمد عبده - بأيدي الرجال والأزواج، وعلى هذا فلا يكون فرق بين الزواج الدائم والمؤقت من هذه الناحية. وما يثير العجب أن صاحب المنار بعد أن أطال الكلام في هذا الموضوع يختتم

(١) المنار ٥: ١٣ - ١٧.

#### [٤١٦]

كلامه قائلاً: أخشى أن أكون خرجت بهذا البحث عن منهجي فيه وهو الأعراض عن مسائل الخلاف التي لا علاقة لها بفهم القرآن والاهتداء به، وعن الترجيح بين المذاهب الذي هو مثار تفرق المسلمين وتعاديهم، على أنني أبرأ إلى الله من التعصب والتحيز إلى غير ما يظهر لي أنه الحق والله عليم بذات الصدور (١). ومع هذا الكلام تراه ينجاز ويتعصب حتى ينجر إلى أن يسخر ويستهزئ بأصل أصيل ثابت حكمه في القرآن والسنة وإجماع المسلمين. ٣ - كلمة موسى جار الله: أرى أن المتعة من بقايا الأنكحة في الجاهلية كانت أمراً تاريخياً لا حكماً شرعياً بقيت في صدر الإسلام بقاء العوائد التي لا تستأصل إلا بزمن، فالعرب قبل الإسلام كان لها أنكحة دامت حتى صارت عادة أبطلها الإسلام يمكن أن البعض كان يرتكب - المتعة - في صدر الإسلام جرياً على العادة مستحلاً أو جاهلاً، ويمكن أن الشارع أقرها لبعض في بعض الأحوال من باب ما نزل فيها ما قد سلف، وقد نزل في أشد المحرمات ونسخت وحرمت تحريم أبدي ولم يكن نسخها نسخ حكم شرعي بل نسخ أمر جاهلي، ولم يكن في الإسلام نكاح متعة، ليس بيد أحد دليل لأبحاثها في زمن من صدر الإسلام ولم تقع من صحابي في الإسلام ولو وقعت فلا يتمكن أحد أن يثبت أنها كانت بإذن من الشارع بل دوام عمل كان في الجاهلية وعادة معروفة... (٢) أقول: فلو أمعنت النظر أيها القارئ الكريم في الصفحات السابقة وكررت مطالعتك فيها يظهر لك جواب ادعاء موسى جار الله وعلمت أن حكم المتعة ثبت في القرآن والسنة ثبوتاً قطعياً وقد اتفقت أقوال المحدثين والمفسرين بأن المسلمين في صدر الإسلام قد عملوا بالمتعة. وما قول جار الله النابع عن العصبية إلا تحكم وتخرض واستهزاء وتفككه لما ورد في الكتب الحديثية والتفسيرية والتاريخية...

(١) المنار ٥: ١٧. (٢) الوشيعة: تلخيص من ص ١٢١ - ١٣٣.

(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) (١). ٣ - فرية الالوسي: لفق محمود شكري الالوسي البغدادي بهتاناً وإفكاً واضحاً فاضحاً على الشيعة فقال: إن عند الشيعة متعة أخرى يسمونها المتعة الدورية، ويروون في فضلها ما يروون، وهي أن يتمتع جماعة بامرأة واحدة فتقول لهم من الصبح إلى الضحى في متعة هذا، ومن الضحى إلى الظهر في متعة هذا، ومن الظهر إلى العصر في متعة هذا، ومن العصر إلى المغرب في متعة هذا، ومن المغرب إلى العشاء في متعة هذا، ومن العشاء إلى منتصف الليل في متعة هذا، ومن منتصف الليل إلى الصبح في متعة هذا.... (٢) لقد أسلفنا البحث حول موضوع المتعة وبيان حقيقتها وماهيتها في بداية هذا الفصل وأن لنا أن نقول إن ما نسبته الالوسي إلى الشيعة ما هو إلا بهتان واضح وإفراء فاضح. أليس من سائل يسأل هذا الالوسي: أي شيعي هذا الذي يقول بهذا الرأي وهذا النوع من المتعة؟ وأي رواية عثر عليها الالوسي تروي لنا هذا النوع من المتعة؟ ومن هو الراوي الذي ذكر فضائل لهذه المتعة الالوسية؟ وفي أي كتاب نقلت هذه الروايات التي افترتها خيالات وتوهومات الالوسي؟ وما هي الكتب الحديثية والتفسيرية الشيعية التي رويت فيها هذه التخرصات الالوسية؟ وأي عالم أو جاهل شيعي يفتي بصحة هذا النوع من المتعة الالوسية؟

(١) البقرة: ٧٩. (٢) الفصول المهمة: ٦٥.

(كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا) (١). ٤ - عصبية الشيخ محمود شلتوت: هو الرئيس السابق لجامعة الأزهر بمصر وأحد العلماء المتفتحين علمياً والواعين والمعروف عنه أنه لا تأخذه العصبية. فتراه لما يأتي على ذكر المتعة يتعصب ويبرز شنشنته فيقول: زواج المتعة - ومنه الزواج إلى أجل - هو أن يتفق رجل مع امرأة خالية من الأزواج على أن تقيم معه مدة ما معينة أو غير معينة في مقابلة مال معلوم. وإضاف قائلًا: إن القرآن قد ربط بعنوان الزوجية أحكاماً كثيرة كالتوارث وثبوت النسب والنفقة والطلاق والعدة وليس شئ من هذه الأحكام يثبت فيما يعرف بزواج المتعة (٢). لقد ذكرنا آنفاً أن أحد شروط المتعة هو تعيين المدة وهكذا العدة بأقسامها والتناسب والتوارث فإنها من شروط المتعة وأما ادعاء أن الزواج المؤقت نوع من المتعة فإنه ناشئ عن....، وليس بصحيح ولا معنى له. (أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) (٣). ٧ - صلاة التراويح: وهي صلاة نافلة تقام في ليالي شهر رمضان بنحو الجماعة. وهذه الصلاة ما سنها النبي (صلى الله عليه وآله)، ولا كانت على عهده، وحتى أنها لم تكن على عهد أبي بكر، وفترة من عهد عمر بن الخطاب، ولا شرع في الإسلام إقامة النوافل جماعة إلا صلاة الاستسقاء، وإقامة الصلاة جماعة إنما هي في الصلوات الواجبة فقط.

(١) الكهف: ٥. (٢) الفتاوى ١: ٢٧٣. (٣) الجاثية: ٢٣.

وفي العام أربع عشر من الهجرة ابتدع الخليفة هذه الصلاة، وألزم المسلمين أن يقيموا النوافل في ليالي شهر رمضان جماعة، وكتب بذلك إلى البلدان والولادة ونصب في المدينة إمامين يصليان بالناس وهما: أبي بن كعب إماما للرجال، وتميم الداري إماما للنساء. وحسبك أيها القارئ الكريم ما روي بهذا الصدد في الصحيحين وبعض المصادر المعتبرة الأخرى. ١ - روى البخاري بإسناده عن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط. فقال عمر: إني أرى لو اجتمع هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم. قال عمر: نعم البدعة هذه.... (١). ٢ - وأخرج هو ومسلم معا بإسنادهما عن ابن شهاب، عن حميد بن عبد الرحمان، عن أبي هريرة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه. قال ابن شهاب: فتوفي رسول الله (صلى الله عليه وآله) والأمر على ذلك - عدم الجماعة في النوافل -، ثم كان الأمر على ذلك في خلافة أبي بكر، وصدرا من خلافة عمر رضي الله عنهما (٢). قال ابن سعد: وهو - أي عمر - أول من سن قيام شهر رمضان، وجمع الناس على ذلك وكتب إلى البلدان، وذلك في شهر رمضان سنة أربع عشرة وجعل للناس بالمدينة

(١) صحيح البخاري ٢: ٥٨ كتاب الصوم باب فضل من قام رمضان. (٢) صحيح البخاري ٢: ٥٨ كتاب الصوم باب فضل من قام رمضان، صحيح مسلم ١: ٥٢٣ كتاب الصلاة باب (٢٥) باب الترغيب في قيام رمضان، ح ١٧٤.

قارئين قارئا يصلي بالرجال، وقارئا يصلي بالنساء (١). ذكر اليعقوبي في حوادث سنة أربع عشرة: وفي هذه السنة سن عمر قيام شهر رمضان، وكتب بذلك إلى البلدان، وأمر أبي بن كعب وتميم الداري أن يصليا بالناس. فقبل له في ذلك: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يفعله، وإن أبا بكر لم يفعله. فقال: إن تكن بدعة فما أحسنها من بدعة.... (٢) وقال السيوطي: وفي سنة أربع عشرة جمع عمر الناس على صلاة التراويح (٣). سيرة أمير المؤمنين علي (عليه السلام): يستفاد من مضامين الشواهد التاريخية ومتون الأحاديث أن أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) جاهد في أيام خلافته أن يعيد هذه الصلاة على ما كانت عليه في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبطبق أوامر الرسول (صلى الله عليه وآله) خاصة فيما يتعلق بهذه العبادة، ولكن ثمة بعض الأسباب والعوامل - منها: جهل بعض المسلمين - شلت عزيمة الإمام (عليه السلام) وحالت دون تطبيق نواياه. وقد أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى هذا الأمر في إحدى خطبه فقال: ولو أمرت الناس أن لا يجمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة، لنادى بعض الناس من أهل العسكر ممن يقاتل معي: يا أهل الاسلام، وقالوا: غيرت سنة عمر، نهينا أن نصلي في شهر رمضان تطوعا، حتى خفت أن يثوروا في ناحية عسكري، يؤسي لما لقيت من هذه الامة بعد نبينا من الفرقة، وطاعة أئمة الضلال والدعاة إلى النار (٤). نقل ابن أبي الحديد عن كتاب الشافعي: وقد روي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) لما اجتمعوا،

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣: ٢٨١، وفي إرشاد الساري ٣: ٤٢٥ رواه بلفظ آخر.  
(٢) تاريخ يعقوبي ٣: ١٤٠. (٣) تاريخ الخلفاء: ١٣١. (٤) كتاب سليم بن قيس  
الهلالي: ١٦٣.

### [٤٢١]

إليه بالكوفة، فسألوه أن ينصب لهم إماما يصلي بهم نافلة شهر رمضان، زجرهم وعرفهم أن ذلك خلاف السنة النبوية فتركوه، واجتمعوا لأنفسهم، وقدموا بعضهم فبعث إليهم ابنه الحسن (عليه السلام) فدخل عليهم المسجد، ومعه الدرّة، فلما رآوه تبادروا الأبواب، وصاحوا: وإعمره (١). استجواب العيني: وقال العيني في شرحه على البخاري في بيان قول عمر: ونعم البدعة. وإنما دعاها عمر بدعة لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يسنها لهم، ولا كانت في زمن أبي بكر، ثم إن البدعة إن كانت مما يندرج تحت مستحسن في الشرع فهي بدعة حسنة (٢). ونسائل العيني: إنك قد اعترفت وألزمت نفسك بأن هذه الصلاة بدعة، ولكن من أين لك أن تحكم بأنها بدعة حسنة؟ فإن قلت: إن هذه البدعة الحسنة! أفضل من سنة النبي (صلى الله عليه وآله) فهو كفر وضلال. وإن قلت: إن سنة الرسول (صلى الله عليه وآله) أفضل فعليك أن تتبع السنة النبوية الراجحة وتترك البدعة المرجوحة والباطلة. فما قولك يا عيني، ومن كان على شاكلتك؟ ٨ - التطبيقات الثلاث ما هي التطبيقات الثلاث؟ إن الطلاق الثالث الذي يحرم المطلقة على مطلقها، هو: أن يطلق المرء امرأته مرتان وفي كل مرة يرجعها أو يتزوجها بعد انقضاء العدة، وفي المرة الثالثة لو طلقها لا تحل له حتى يتزوجها محلل ثم يطلقها أو يموت عنها فبعد ذلك يمكن أن يتزوجها الزوج الأول.

(١) شرح نهج البلاغة ١٢: ٢٨٣. (٢) عمدة القاري ١١: ١٣٦. (\*)

### [٤٢٢]

وقد جاء هذا الحكم في القرآن صريحا وبيننا وقال تعالى: (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان... إلى أن قال... فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) (١). الجملة الأسمية (الطلاق مرتان) صريحة بأن الطلاق لا بد وأن يكون متعددا ولو طلق الرجل زوجته مرة واحدة، وقيده بعدد الثلاثة، كأن يقول لها: طلقتك ثلاثا، فإن هذا الطلاق يعد مرة واحدة ولم تتطلق الزوجة لنص القرآن في ذلك، وللرجل أن يرجع إليها، ولم يستوجب حرمة الرجوع، أو الزواج بها مرة أخرى. قال الزمخشري في بيان الطلاق مرتان: التطليق الشرعي - الذي لا تحل المرأة لزوجها - هو تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والأرسال دفعة واحدة، ولم يرد بالمرتين التثنية - أي أن يقول: طلقتك طلاقين -، ولكن التكرير كقوله: (ثم إرجع البصر كرتين) (٢) أي كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين (٣). فالمسألة من الناحية القرآنية، وسنة الرسول واضحة، وسيرته (صلى الله عليه وآله) مؤيدة لهذه المسألة بحيث لا إبهام فيها. وأما تحريم الخليفة عمر بن الخطاب المرأة المطلقة بهذه الكيفية على زوجها - إعراض عن التعدد والتكرار في الطلاق، واكتفى بتقييد الطلاق بعدد ثلاثة لفظا، بأن يقول الرجل مرة واحدة لزوجته: أنت طالق ثلاثا. فإن الخليفة عمر يرى أن هذه المرأة قد طلقت وحرمت على الرجل حرمة أبدية، ولا يحق له الرجوع إليها والزواج بها ثانية إلا أن تنكح زوجا غيره. وإليك أيها القارئ الكريم بعض الأحاديث مما روي في صحيح مسلم:

(١) البقرة: ٣٩٩ - ٣٣٠. (٢) الملك: ٤. (٣) تفسير الكشاف ١: ٢٧٣ ذيل آية ٢٢٩ من البقرة.

### [٤٢٣]

١ - قال ابن عباس: كان الطلاق على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيها عليهم، فأمضاه عليهم (١). وعن طاووس قال: إن أبا الصهباء قال لابن عباس: هات من هناتك، ألم يكن الطلاق الثلاث على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبي بكر واحدة؟ فقال: قد كان ذلك، فلما كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليهم (٢). هذا ما استخرجه مسلم في صحيحه حول مسألة التطبيقات الثلاثة، وهي ثابتة في كتب التاريخ والحديث والمصادر المعتمدة ثبوت المسلمات بأن الطلاق المقيد بالعدد كان طلاقاً واحداً، حتى عهد الخليفة عمر حيث أفتى الناس، بأن الطلاق المقيد بالعدد ثلاثة لفظاً، هو ثلاث تطليقات، وبعده يوجب التحريم وحرمة رجوع الزوج إليها. وعلى خطى عمر بن الخطاب أفتى أكثر علماء أهل السنة وأئمتهم الأربعة عبر التاريخ بحرمة المتعة. ولم يتعدوا فتوى الخليفة عمر، واليوم كذلك تبعاً للسلف أفتى علماءهم بذلك الحكم، ولا يخفى على أحد أن هذه الفتوى - المباشرة للنص الصريح مما جاء به القرآن - قد عارض من قبل الآخرين، المخالفين لهذا الرأي، حيث إنهم أنكروا ذلك تارة بالصراحة، وتارة بالكناية والأيماء، حتى آل الأمر إلى إلغاء فتوى عمر من جانب المحاكم الشرعية في مصر وفقهائها الأعظم. وحسبك - يا قارئ الكريم - الفتاوى المصرحة وآراء علماء أهل السنة المخالفة لرأي عمر نوردها إليك بالأجمال.

(١) صحيح مسلم ٢: ١٠٩٩ كتاب الطلاق باب (٢) باب طلاق الثلاث ح ١٥. (٢) المصدر نفسه ح ١٧.

### [٤٢٤]

مجرى التطبيقات الثلاث: قال ابن رشد الأندلسي: المسألة الأولى: جمهور فقهاء الأمصار على أن الطلاق بلفظ ثلاث - حكمه حكم التطليقة الثالثة لا تحل الرجوع بعد ذلك (١). وقال الجزيري في كتابه الفقه على المذاهب الأربعة: فإذا طلق الرجل زوجته ثلاثاً دفعة واحدة، بأن قال لها: أنت طالق ثلاثاً لزمه ما نطق به من العدد في المذاهب الأربعة وهو رأي الجمهور (٢). وتلاحظ في هاتين المقولتين أن ابن رشد وكذا الجزيري كشفوا عن مخالفتها لهذه النظرية - رأي عمر - في الطلاق، وأبدوا أن هذا الرأي العمري هو خلاف الواقع وهو من الأحكام المبتدعة - المختلقة -. فأما ابن رشد يرد هذه النظرية بأسلوب كئيب جميل وذلك في ثنايا بيانه لمسألة أخرى غير مسألة الطلاق. قال: إن من ألزم الطلاق الثلاث في واحدة، فقد رفع الحكمة الموجودة في هذه السنة المشروعة (٣). وأما الجزيري مؤلف الفقه على المذاهب الأربعة بعد أن ذكر أدلة الطرفين المخالف والموافق في مسألة الطلاق، اعتبر هذه المسألة من المسائل الاجتهادية وصير مخالفة ابن عباس لعمر مخالفة مجتهد لآخر وبعد ذلك قال: ومما لا شك فيه أن ابن عباس من المجتهدين الذين عليهم المعول في الدين، فتقليده جائز ولا يجب تقليد عمر فيما رآه، لأنه مجتهد،



وموافقة الأكثرين له لا تحتم تقليده - عمر - (٤). وقال الشيخ محمد عبدة بعد بحث طويل حول آية الطلاق: إن إنشاء الطلاق ثلاثاً

(١) بداية المجتهد ٢: ٦٦ كتاب الطلاق. (٢) الفقه على المذاهب الاربعة ٤: ٣٤١. (٣) بداية المجتهد ٢: ٦٨ كتاب الطلاق ذيل مسألة ٣. (٤) الفقه على المذاهب الاربعة ٤: ٣٤١.

#### [٤٢٥]

بالقول ليس في قدرة الرجل إيقاعه مرة واحدة، ذلك إن الامور العملية لا تتكرر بتكرر القول المعبر عنها بل ولا القولية أيضاً، فمن فسخ العقد مرة وعبر عنها بقوله ثلاثة فهو كاذب. ثم يضيف عبده على خير رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن رجل طلق امرأته ثلاث تطبيقات جميعاً... فقام (صلى الله عليه وآله) غضبان. ثم قال: أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟ وأضاف الشيخ محمد عبده: وليس المراد - من اطالة الكلام في هذه المسألة - مجادلة المقلدين، أو إرجاع القضاة والمفتين عن مذاهبهم فيها، فإن أكثرهم يطلع على هذه النصوص في كتب الحديث وغيرها ولا يبالي بها، لأن العمل عندهم، على أقوال كتبهم، دون كتاب الله تعالى وسنة رسوله (١)!. وفي عام ١٩٢٩ من الميلاد - أي قبل ٦٩ عام - ألغت المحاكم الشرعية بمصر حكم عمر، من دستورها وبعدها بفترة وجيزة أفتى شيخ الأزهر ورئيسها والمرجع الأعلى لأهل السنة الشيخ محمود شلتوت فقال: والذي نراه في المسألة - من جهة الوقوع وعدمه ونفتي به - هو الرأي الذي اختاره قانون المحاكم الشرعية الصادر سنة ١٩٢٩ وهو أن الطلاق المقترن بعدد - كأن يقول الرجل لامرأته: أنت طالق بالثلاث - لا يقع إلا طلاقة واحدة رجعية (٢). أما تأثير هذه الفتاوى والآراء - النافية لفتوى عمر وصمودها أمام رأي الخليفة - على المذاهب الاربعة السنية وأتباعهم، لاشك فإنها بحاجة إلى زمن أطول حتى تتحرر من الأغلال والقيود التقليدية العمياء والتعصب الجاهلي. ٩ - البكاء على الموتى حزن الأنسان عند موت أحبته وبكائه عليهم، مسألة نفسية ومن مستلزمات

(١) تفسير المنار ٢: ٢٨١ - ٢٨٧. (٢) الفتاوى: ٣٠٥.

#### [٤٢٦]

العاطفة البشرية، وهما من مقتضيات الرحمة والشفقة الإنسانية. وقد أباح الدين الإسلامي البكاء على الأموات، والرسول (صلى الله عليه وآله) نفسه كان يبكي على الأموات وخاصة الذين استشهدوا في سبيل الله. وورد في الكتب والمصادر الدينية إن البكاء على الأموات كان سيرة متبعة عند المسلمين، وحيث إنه لم يتمشى مع فريضة الخليفة عمر بن الخطاب، ولم يوافق رأيه نهى عنه نهياً شديداً، وكان يضرب فيه بالحصى والعصا الذين يبكون على أمواتهم مهما كان الميت عظيماً ومكرماً. ونورد لك - أيها القارئ - الأحاديث الدالة على أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يبكي على الأموات وينعاهم، وبعدها نذكر موقف الخليفة عمر بن الخطاب تجاه مسألة البكاء على الموتى، مما ورد في المصادر التاريخية وخاصة الصحيحين: روى البخاري بإسناده عن أنس بن مالك: إن النبي (صلى الله عليه وآله) نعى جعفرًا وزيدا قبل أن يجئ خبرهم وعيناه

تذرفان (١). وروى أيضا عنه قال: ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم  
يوجد بنفسه فجعلت عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) تذرفان.  
فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله؟ فقال: ابن عوف  
إنها رحمة ثم أتبعها باخرى فقال: إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا  
نقول إلا ما يرضي ربنا، وأنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون (٢). وأخرج  
مسلم في صحيحه: زار النبي (صلى الله عليه وآله) قبر امه فبكى  
وأبكى من حوله (٣). وفي صحيح البخاري روايات متواترة حول بكاء  
النبي (صلى الله عليه وآله) وبضعته فاطمة

(١) صحيح البخاري ٢: ١٠٤ كتاب الجنائز باب من جلس عند المصيبة يعرف فيه الحزن.  
(٢) صحيح البخاري ٢: ١٠٥ كتاب الجنائز باب قول النبي (صلى الله عليه وآله): إنا بك  
لمحزونون. (٣) صحيح مسلم ٣: ٦٧١ كتاب الجنائز باب (٣٦) باب استئذان النبي  
(صلى الله عليه وآله) ربه في زيارة قبر امه ح ١٠٨.

### [٤٢٧]

الزهراء (عليها السلام) اكتفينا بذكر ثلاثة منها (١). وأما ما ورد في  
الصحيحين عن نهى الخليفة عمر بن الخطاب. فنذكر بعضه: أخرج  
البخاري بإسناده عن عبد الله بن عمر في حديث حول مرض سعد  
بن عباد وعبادة النبي (صلى الله عليه وآله) إياه وبكائه على سعد.  
وتم يذكر مخالفة أبيه عمر بن الخطاب لأمر الرسول (صلى الله عليه  
وآله). فقال: اشتكى سعد بن عباد شكوى له، فأناه النبي (صلى  
الله عليه وآله) يعود مع عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص  
وعبد الله بن مسعود، فلما دخل عليه فوجده في غاشية أهله.  
فقال: قد قضى؟ قالوا: لا يا رسول الله، فبكى النبي (صلى الله عليه  
وآله)، فلما رأى القوم بكاء النبي (صلى الله عليه وآله) بكوا. فقال:  
(صلتى الله عليه وآله): الا تسمعون ان الله لا يعذب بدمع العين ولا  
يحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم. وإن  
الميت يعذب ببكاء أهله عليه. وكان عمر (رضى الله عنه) يضرب فيه  
بالعصا ويرمي بالحجارة ويحثى بالتراب (٢). وأخرج مسلم هذا  
الحديث ولكن أسقط القسم الأخير منه (٣). وكذا أخرج البخاري في  
صحيحه: وقد أخرج عمر اخت أبي بكر حين ناحت (٤). وروى أحمد  
في مسنده عن ابن عباس في ضمن ذكره موت عثمان بن مظعون،  
لما ماتت رقية ابنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال (صلى الله  
عليه وآله): إلهي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون. قال: وبكت  
النساء. فجعل عمر يضربهن بسوطه، فقال النبي (صلى الله عليه  
وآله) لعمر: دعهن يبكين، وإياكن ونعيق الشيطان.

(١) راجع صحيح البخاري ٢: ١٠٠ كتاب الجنائز باب قول النبي (صلى الله عليه وآله):  
يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه. (٢) صحيح البخاري ٢: ١٠٦ كتاب الجنائز باب  
البكاء عند المريض. (٣) صحيح مسلم ٢: ٦٣٦ كتاب الجنائز باب (٦) باب البكاء على  
الميت ح ١٢. (٤) صحيح البخاري ٣: ١٦٠ باب اخراج أهل المعاصي والخصوم.

### [٤٢٨]

ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): مهما يكون من القلب  
والعين فمن الله والرحمة، ومهما كان من اليد واللسان فمن  
الشيطان. وقعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) على شفير القبر  
وفاطمة (عليها السلام) إلى جنبه تكي، فجعل النبي (صلى الله  
عليه وآله) يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها (١). أقول: ونقل ابن  
سعد هذه القصة بتفاوت يسير في ألفاظها وزاد في آخرها: لما قام

عمر بضرب النساء وزجرهن، فأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) بيده وقال: مهلا يا عمر (٢). وكذلك روى أحمد بن حنبل عن أبي هريرة في حديث طويل مر على رسول الله (صلى الله عليه وآله) جنازة، ومعها بواك، فنهرهن عمر. فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): دعهن، فإن النفس مصابة والعين دامعة والعهد حديث (٣). قال ابن أبي الحديد: وأول من ضرب عمر بالدرّة أم فروة بنت أبي قحافة - اخت أبي بكر - مات أبو بكر ففاح النساء عليه، وفيهن اخته أم فروة، فنهاهن عمر مرارا، وهن يعاودن فأخرج أم فروة من بينهن وعلاها بالدرّة، فهرين وتفرقن (٤). ١٠ - صلاة المسافر إن الصلاة الرباعية - الظهر والعصر والعشاء - تقصر في السفر إلى ركعتين، ولا فرق في نوعية السفر سواء كان للتجارة أو الزيارة أو الغزو أو غيره، وقد ثبتت مشروعيتها هذا الحكم بالكتاب (٥) والسنة النبوية (٦).

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ٣٣٥. (٢) الطبقات الكبرى ٣: ٣٩٩ ترجمة عثمان بن مطعون. (٣) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٣٣٣. (٤) شرح نهج البلاغة ١: ١٨١. (٥) سورة النساء: ١٠١. (٦) راجع صحيح مسلم ١: ٤٧٨ - ٤٨٤ كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب (١) باب صلاة المسافرين وقصرها، صحيح البخاري ٢: ٥٣ كتاب الصلاة باب ما جاء في التقصير، سنن ابن ماجه ١: ٣٢٨ كتاب الصلاة باب (٧٣) باب تقصير الصلاة، سنن أبي داود ٣: ٣ أبواب =

#### [٤٢٩]

وكان هذا الحكم يعمل به في عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) وعهدي أبي بكر وخليفته عمر ومدة من عهد عثمان، وفي النصف الثاني من خلافة عثمان أتم الصلاة وهو في منى مسافرا، وتبعه المسلمون في ذلك، وخالفه آخرون واعتضوا عليه مستنكرين في الأتمام في السفر. وروى الطبري عن ابن عباس أنه قال: إن أول ما استنكر على عثمان هو إتمامه الصلاة في منى، وهو مسافر إليها، وأخذ عليه في ذلك، حتى كان هذا العمل منطلق ثورة المسلمين عليه (١). وقد ذكر المحدثون والمؤرخون والمفسرون في كتبهم تغيير وتحريف عثمان لحكم صلاة المسافرين. وكفاك - يا قارئ - من كل ما ورد في هذا الموضوع ثلاث أحاديث أخرجها الشيخان في صحيحيهما: عن عبد الله بن عمر قال: صليت مع النبي بمنى ركعتين وأبي بكر وعمر ومع عثمان صدرا من خلافته ثم أتمها (٢). وعن عبد الرحمن بن يزيد يقول: صلى بنا عثمان بن عفان بمنى أربع ركعات فقل ذلك لعبدالله بن مسعود فاسترجع - (إنا لله وإنا إليه راجعون) (٣) - ثم قال: صليت مع

= صلاة السفر، سنن النسائي ٣: ١١٦ كتاب تقصير الصلاة في السفر. (١) تاريخ الطبري ٤: ٢٦٧ حوادث عام تسع وعشرين. (٢) صحيح البخاري ٢: ٥٣ باب ما جاء في التقصير باب الصلاة بمنى، صحيح مسلم ١: ٤٨٢ كتاب صلاة المسافرين باب (٢) باب قصر الصلاة في منى ح ١٦. (٣) إن الاسترجاع عادة ما يقال ويكرر إذا حلت بالأسنان مصيبة أو رزية عظيمة كما يدل على ذلك قوله تعالى في سورة البقرة آية ١٥٦. وإن استرجاع ابن مسعود يكشف عن عظيم التحريف والتغيير الذي حدث في عهد عثمان من تغيير حكم صلاة المسافرين كما لاحظت في المتن، وإن هذه المخالفة والتحريف لأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونص القرآن لهو من الرزايا والمصائب العظيمة التي حلت بالاسلام والقرآن. المغرب.

#### [٤٢٠]

رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمنى ركعتين، وصليت مع أبي بكر بمنى ركعتين، وصليت مع عمر بن الخطاب بمنى ركعتين، فليت

حظي من أربع ركعات ركعتان متقبلتان (١). وأخرج البخاري حديثاً آخر فيه بأن عبد الله بن مسعود لما قال: صليت مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبي بكر وعمر ركعتين في منى، قال: ثم تفرقت بكم الطرق فياليت حظي من أربع، ركعتان متقبلتان (٢). وقال الطبري في تاريخه في حوادث عام تسع وعشرين: وحج بالناس في هذه السنة عثمان، ففرض بمنى فسطاطاً، فكان أول فسطاط ضربه عثمان بمنى، وأتم الصلاة بها ويعرفه. فذكر الواقدي عن ابن عباس يقول: إن أول ما تكلم الناس في عثمان ظاهراً، أنه صلى بالناس بمنى في ولايته ركعتين، حتى إذا كانت السنة السادسة أتمها فعاب ذلك غير واحد من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله)، وتكلم في ذلك من يريد أن يكثر عليه. حتى جاء علي (عليه السلام) فيمن جاءه، فقال (عليه السلام): والله ما حدث أمر، ولا قدم عهد، ولقد عهدت نبيك (صلى الله عليه وآله) يصلي ركعتين، ثم ابا بكر ثم عمر وانت - يا عثمان - صدرا من ولايتك، فما ادري ما ترجع إليه ! ؟ فقال عثمان: رأي رأيته (٣). مقارنة واستنتاج: هذه الموارد العشرة التي ذكرناها نقلاً عن البخاري ومسلم من الموارد التي خولف فيها النصوص الصريحة في القرآن والسنة النبوية التي اجتهد فيها الخلفاء مقابل النص، وهذه الحقائق الكامنة وراء الدفاع المرير عن الأحكام المذكورة المبتنية عليها جذور الخلافة.

(١) صحيح البخاري ٢: ٥٣ أبواب التقصير باب الصلاة بمنى، صحيح مسلم ١: ٤٨٣ كتاب صلاة المسافرين باب (٢) باب قصر الصلاة بمنى ح ١٩. (٢) صحيح البخاري ٢: ١٩٤ كتاب الحج باب الصلاة بمنى. (٣) تاريخ الطبري ٤: ٢٦٧ حوادث سنة تسع وعشرين.

#### [٤٢١]

وهذه الحقائق هي التي دفعت ابن أبي الحديد إلى القيام بالمقارنة والمقايسة بين سيرة أمير المؤمنين الإمام علي (عليه السلام) وسائر الخلفاء فقال: وأما الرأي والتدبير: فكان (عليه السلام) من أسد الناس رأياً، وأصحهم تدبيراً، وهو الذي أشار على عمر بن الخطاب لما عزم على أن يتوجه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار، وهو الذي أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها، ولو قبلها لم يحدث عليه ما حدث. وإنما قال أعداؤه: لا رأي له، لأنه كان متقيداً بالشرعية لا يرى خلافاً، ولا يعمل بما يقتضي الدين تحريمه، وقد قال (عليه السلام): لولا الدين والتقى لكنت أدهى العرب. وغيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستلحه ويستوقفه، سواء أكان مطابقاً للشرع أم لم يكن. ولا ريب أن من يعمل بما يؤدي إليه اجتهاده، ولا يقف مع ضوابط وقيود يمتنع لأجلها مما يرى الصلاح فيه، تكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب ومن كان بخلاف ذلك، تكون أحواله الدنيوية إلى الانتثار أقرب (١).

(١) شرح نهج البلاغة ١: ٢٨.

#### [٤٢٢]

تنبؤات الرسول (صلى الله عليه وآله) تنبأ رسول الله (صلى الله عليه وآله) عليه وآله) بحوادث ووقائع كثيرة سوف تحدث بعد وفاته، وأخبر بها المسلمين. ومن تلك التنبؤات: خلافة بني أمية ودولتهم الجائرة (١)، نشأة الخوارج وقتل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بإيهاهم (٢)،

شهادة عمار بن ياسر بسبب الفتن الباغية (٣) والاختار عن حدوث التحريف والبدع في مختلف أحكام الدين. وكل هذه التنبؤات مروية في الصحيحين. واستدامة بما يناسب البحوث السابقة نذكر في هذا الفصل موضوعي التحريف والارتداد اللذين اشير إليهما في الصحيحين ونذكر في كل موضوع منهما طرفا من الأحاديث: الارتداد: ١ - عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: وإن إناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال (٤)، فأقول: أصحابي، أصحابي.

(١) صحيح البخاري ٤: ٢٤٢ كتاب بدء الخلق باب علامات النبوة في الإسلام، وج ٩: كتاب الفتن باب قول النبي هلاك امتي على يدي اغيامة سفهاء. (٢) صحيح البخاري ٤: ٢٤٢ كتاب بدء الخلق باب علامات النبوة في الإسلام، صحيح مسلم ٢: ٧٤٨ كتاب الزكاة باب (٤٨) باب التحريض على قتل الخوارج ح ١٥٦. (٣) صحيح البخاري ١: ١٢١ كتاب الصلاة باب التعاون في بناء المسجد، صحيح مسلم ٤: ٢٢٢٥ كتاب الفتن باب (١٨) باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ح ٧٠ - ٧٣. (٤) نقرأ في الآيات ٤١ - ٥٠ من سورة الواقعة أن الله عزوجل ذكر اصحاب الشمال الذين هم من العصاة والمذنبين ومن أهل النار بعد أن استعرض حالات السابقين المقربين واصحاب اليمين الذين حفهم بالنعم والهبات العظيمة، فذكر بعد هاتين الفئتين اصحاب الشمال وأشار

#### [٤٣٣]

فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم. فأقول كما قال العبد الصالح (١): (وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شئ شهيد إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) (٢). أخرجه البخاري (٣) وأما في صحيح مسلم (٤) فقد جاءت جملة (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك) بدلا عن جملة: (إنهم لم يزالوا مرتدين)... وفي حديث آخر أخرجه الشيخان البخاري ومسلم (٥) وردت كلمة (اصحابي) بالتصغير بدلا عن كلمة (أصحابي) وهذا إنما يدل على ترحم وتحنن النبي (صلى الله عليه وآله) إياهم أو تحقيرهم وإهانتهم. ٢ - ابن أبي مليكة قال: عن أسماء بنت أبي بكر قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إني

= إلى العقوبات التي يواجهونها، وألوان العذاب التي تحاصروهم وتطوقهم وتسلب منهم الحواس والقدرة... ونقرأ معا الآيات وتندبر فيها ونقيسها بما ورد في الحديث النبوي ودخور بعض اصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) في دائرة اصحاب الشمال. (واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم إنهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أءنا لمبعوثون أوءأباؤنا الأءولون... المعرب (١) المراد بالعبد الصالح هو عيسى بن مريم (عليهما السلام). (٢) المائدة: ١١٧ - ١١٨. (٣) صحيح البخاري ٤: ١٦٩ كتاب بدء الخلق باب و (اتخذ الله إبراهيم خليلا)، وص ٢٠٤ باب و (اذكر في الكتاب مريم)، وج ٦: ٦٩ كتاب التفسير تفسير سورة المائدة وص ١٢٢ تفسير سورة الانبياء، وج ٨: ١٣٦ كتاب الرقاق باب كيف الحشر. (٤) صحيح مسلم ٤: ٢١٩٤ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب (١٤) باب فناء الدنيا وبيان الحشر ح ٥٨. (٥) صحيح البخاري ٨: ١٤٩ كتاب الدعوات باب في الحوض، صحيح مسلم ٤: ١٨٠٠ كتاب الفضائل باب (٩) باب إثبات حوض نبينا (صلى الله عليه وآله) ح ٤٠.

#### [٤٣٤]

على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم، وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا رب مني ومن امتي. فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم. فكان ابن أبي مليكة يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن في ديننا (١). ٣ -

عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: بينا أنا نائم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم، خرج رجل من بيني وبينهم. فقال: هلم. فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري. ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم. فقال: هلم. قلت: أين؟ قال: إلى النار والله. قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم (٢).  
٤ - أخرج البخاري بإسناده عن ابن المسيب انه كان يحدث عن أصحاب النبي أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: يرد على الحوض رجال من أصحابي فيحلون عنه، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقري (٣).  
التحريف والبدعة في الدين: ١ - أبو حازم، عن سهل بن سعد قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): إنني فرطكم على الحوض من

(١) صحيح البخاري ٨: ١٥١ كتاب الدعوات باب في الحوض، وج ٩: ٥٨ كتاب الفتن، ما جاء في قول الله تعالى: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)، صحيح مسلم ٤: ٤: ١٧٩٤ كتاب الفضائل باب (٩) باب إثبات حوض نبينا (صلى الله عليه وآله) ح ٢٧، (٢، ٣) صحيح البخاري ٨: ١٥٠ كتاب الدعوات باب في الحوض.

#### [٤٢٥]

مر علي شرب ومن شرب لم يظماً أبداً، ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يحال بيني وبينهم. قال أبو حازم: فسمعتني النعمان بن أبي عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ قلت: نعم. قال: أشهد علي أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها. فأقول: إنهم مني فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي (١). أخرج الحديث البخاري ومسلم في جامعيهما، ولكن مسلم أورد جملة (لمن بدل بعدي) بدلا عن (لمن غير بعدي). قال القسطلاني في شرحه على الحديث: أي غير دينه، لأنه لا يقول في العصاة يغير الكفر سحقاً سحقاً، بل يشفع لهم، وكل من ارتد عن دينه أو أحدث فيه فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه (٢).  
٢ - روى مسلم بإسناده عن أبي هريرة: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتى المقبرة. فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وأنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا. قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواني الذين لم يأتوا بعد. فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من امتك يا رسول الله؟ فقال: رأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة، بين ظهري خيل دهم نهم ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

(١) المصدر ص ١٤٩ وج ٩: ٥٨ كتاب الفتن باب ما جاء في قول الله تعالى: (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)، صحيح مسلم ٤: ١٧٩٣ كتاب الفضائل باب (٩) باب إثبات حوض نبينا (صلى الله عليه وآله) ح ٢٦، (٢) إرشاد الساري ٩: ٢٤٠.

#### [٤٢٦]

قال: فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض إلا ليذاذن رجال عن حوضي، كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك. فأقول: سحقاً سحقاً (١). ٣ - وكذلك أخرج مسلم بإسناده عن عبد الله بن رافع مولى ام سلمة: عن ام سلمة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) أنها قالت: كنت أسمع الناس

يذكرون الحوض ولم أسمع ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فسمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: ايها الناس اني لكم فرط علي الحوض فاياي لا يأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال. فأقول: فيم هذا ؟ إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول: سحقاً (٢). اعتراف بالحقيقة: هذا الذي أوردناه من الأحاديث في موضوعي الارتداد والتحريف هو قليل من كثير من الأحاديث المروية في الصحيحين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله). وبدل نص الأحاديث وكذا الكلمات الواردة فيها نحو (أصحابي) و (اصحابي) و (مني) دلالة تامة وصريحة على أن هؤلاء الأفراد - الذين يؤخذون ذات الشمال - هم من الذين صاحبوا النبي (صلى الله عليه وآله) ولازمه بل كانوا في عداد خواص أصحابه. وكان بعض أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) لم يسعهم أحياناً وخاصة في اللحظات الحساسة والحرحة إلا أن يعترفوا بهذه الحقيقة المذكورة ويزيلوا الستار المسدول والحاجب على تجلي ما يكنوه في صدورهم، ونختم بحثنا هنا بذكر موردين من الاعترافات التي نقلها البخاري في صحيحه: ١ - أخرج البخاري بإسناده عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال: لقيت البراء بن عازب رضى الله عنهما. فقلت: طوبى لك، صحبت النبي (صلى الله عليه وآله) وبايعته تحت الشجرة.

---

(١) صحيح مسلم ١: ٢١٨ كتاب الطهارة باب (١٢) باب استحباب إطالة الغرة والتججيل في الوضوء ح ٣٩. (٢) صحيح مسلم ٤: ١٧٩٥ كتاب الفضائل باب (٩) باب إثبات حوض نبينا (صلى الله عليه وآله) ح ٢٩.

#### [٤٢٧]

فقال: يا ابن أخي إنك لا تدري ما أحدثنا بعده (١). ٢ - أخرج البخاري أيضاً بإسناده عن المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر جعل يألم. فقال له ابن عباس وكأنه يجزعه: يا أمير المؤمنين ولئن كان ذلك، لقد صحبت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأحسنت صحبتته، ثم فارقتهُ وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبتته، ثم فارقتهُ وهو عنك راض، ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون. قال: أما ما ذكرت من صحبتة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورضاه، فإنما ذلك من من الله تعالى من به علي...، وأما ما ذكرت من صحبتة أبي بكر ورضاه، فإنما ذلك من من الله جل ذكره من به علي، وأما ما ترى من جزعي، فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أن لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله عزوجل قبل أن أراه (٢). والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وأهل بيته الذين بهم تمت الكلمة وعظمت النعمة، اللهم احشرننا في زمرة المتمسكين بهم واللائقين بفنائهم أمين رب العالمين. عصر الثلاثاء الرابع من جمادى الاولى ١٢٩٦ من الهجرة النبوية. وبدأت الترجمة في الخامس عشر من شعبان ١٤١٨ من الهجرة وانتهت في يوم الأحد عشرين جمادى الآخرة ١٤١٩ هجرية.

---

(١) صحيح البخاري ٥: ١٥٩ كتاب المغازي باب غزوة الحديبية. البراء بن عازب من صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) الأجلاء اشترك في احد و ١٣ أو ١٤ غزوة اخرى واشترك في بدر، ولكن رده النبي (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة لصغر سنه. وتوفي سنة ٧٣ هـ. راجع: اسد الغابة ١: ١٧١ ترجمة البراء رقم. تهذيب التهذيب ١: ٢٨٨ ترجمة البراء بن عازب رقم ٦٩٩. (٢) صحيح البخاري ٥: ١٦ كتاب فضائل أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) باب مناقب عمر بن الخطاب.

#### [٤٢٩]

١ - فهرس مصادر التحقيق ١ - القرآن الكريم. (أ) ١ - أبو طالب مؤمن قريش: عبد الله الخنيزي - دار التعارف للمطبوعات - بيروت، لبنان. ٢ - أبو هريرة: عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي - دار التعارف للمطبوعات - بيروت، لبنان. ٣ - أحاديث أم المؤمنين عائشة: السيد مرتضى العسكري، المجمع العلمي الاسلامي. ٤ - احقاق الحق وملحقاته: الشهيد السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري (ت ١٠١٩ هـ) مع تعليقات آية الله المرعشي النجفي، مكتبة المرعشي، قم، إيران. ٥ - الاحكام في اصول الأحكام: سيف الدين علي بن محمد المشهور بالامدي الشافعي (ت ٦٣١ هـ)، مطبعة دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ١٩٨٥. ٦ - اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي): أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، مطبعة جامعة مشهد، إيران. ٧ - الأدب المفرد: محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، منشورات عالم الكتب، بيروت، لبنان. ٨ - الأرشاد: الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣ هـ)، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لاهياء التراث، إيران. ٩ - إرشاد الساري شرح صحيح البخاري: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني، (ت ٩٢٣ هـ)، دار احياء التراث الاسلامي، بيروت، لبنان.

#### [٤٤٠]

١٠ - استقصاء الافحام: السيد مير حامد حسين الكهنوي صاحب عيقات الانوار (ت ١٣٠٦ هـ)، مخطوط. ١١ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ)، مكتبة نهضة مصر. ١٢ - اسد الغابة: عز الدين أبي الحسن الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، المكتبة الاسلامية. ١٣ - الاصابة في معرفة الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ١٤ - أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية، دار المعارف بمصر. ١٥ - الاعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان. ١٦ - أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي (ت ١٣٧١ هـ)، دار التعارف، بيروت، لبنان. ١٧ - الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني علي بن الحسين (ت ٢٥٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ١٨ - اكمال الدين: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، إيران. ١٩ - أمالي الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، دار الثقافة للنشر. ٢٠ - الإمام الشافعي: محمد أبو زهرة - مصر - ٢١ - الامام مالك: محمد أبو زهرة - مصر - ٢٢ - الامامة والسياسة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ)، مؤسسة الحلبي، القاهرة، مصر. ٢٣ - الانجيل. ٢٤ - أنساب الاشراف: أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ)، دار

#### [٤٤١]

الفكر، بيروت، لبنان. (ب) ٢٥ - بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي (ت ١١١١ هـ)، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان. ٢٦ - بداية المجتهد: أبو الوليد محمد بن أحمد المشهور بابن رشد القرطبي الاندلسي (ت ٥٩٥ هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان. ٢٧ - البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان. ٢٨ - بلاغات النساء: أحمد بن أبي طاهر (ت ٢٨٠ هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق. ٢٩ - البيان في تفسير القرآن: السيد أبو القاسم الخوئي، المطبعة العلمية، قم، إيران. (ت) ٣٠ - تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ)، دار الكتب



العلمية، بيروت، لبنان. ٣١ - تاريخ الخلفاء: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ)، القاهرة، مصر. ٣٢ - تاريخ الخميس: حسين بن محمد بن الحسن الديار بكر (ت ٩٦٦ هـ)، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. ٣٣ - تاريخ الطبري: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، دار سويدان، بيروت، لبنان. ٣٤ - تاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر المعروف باليعقوبي (ت ٢٩٢ هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان. ٣٥ - تأسيس الشيعة: السيد حسن الصدر، منشورات الأعلمي، طهران، إيران. ٣٦ - تحف العقول: أبو محمد الحسن بن علي بن شعبة الحراني من أعلام القرن

#### [٤٤٢]

الرابع الهجري، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، إيران. ٣٧ - تدريب الراوي: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، الرياض، السعودية. ٣٨ - تذكرة الحفاظ: شمس الدين محمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، إيران. ٣٩ - تزيين الممالك في مناقب الامام مالك: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان. ٤٠ - تطهير الجنان المطبوع مع الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ)، القاهرة، مصر. ٤١ - تفسير ابن كثير: عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان. ٤٢ - تفسير القرطبي: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١ هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان. ٤٣ - تفسير المنار: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان. ٤٤ - تفسير نور الثقلين: عبد علي بن جمعة الحوزي، المطبعة العلمية، قم، إيران. ٤٥ - التقريب والتيسير: محيي الدين النووي الشافعي (ت ٦٧٦ هـ). ٤٦ - تلخيص المستدرک: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت ٨٤٨ هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان. ٤٧ - تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ٤٨ - تهذيب التهذيب: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ٤٩ - التوحيد: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، مكتبة الصدوق، طهران، إيران. ٥٠ - التوحيد: محمد بن عبد الوهاب.

#### [٤٤٣]

٥١ - التوراة. (ث) ٥٢ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)، القاهرة، مصر. (ج) ٥٣ - جامع أحاديث الشيعة: الحاج آقا حسين الطباطبائي البروجردي، المطبعة العلمية، قم، إيران. ٥٤ - جامع بيان العلم وفضله: أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي (ت ٤٩٣ هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ٥٥ - جامع البيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان. (خ) ٥٦ - خصائص أمير المؤمنين (عليه السلام): النسائي، بيروت، لبنان. ٥٧ - الخصال: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (الصدوق) (ت ٣٨١ هـ)، جماعة المدرسين، قم، إيران. (د) ٥٨ - دائرة معارف القرن العشرين: محمد فريد وحدي، دار المعرفة، بيروت، لبنان. ٥٩ - دراسات في الكافي والبخاري: هاشم معروف الحسني، بيروت، إيران. ٦٠ - الدر المنثور: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ)، قم، إيران. (ذ) ٦١ - ذخائر العقبى:

محب الدين الطبري (ت ٦٩٤ هـ)، طهران، إيران. (ر) ٦٢ - ربيع الأبرار:  
جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٢٨ هـ)، بغداد،

#### [٤٤٤]

العراق. ٦٣ - رجال النجاشي: أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن  
العباس النجاشي (ت ٤٥٠ هـ، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ايران،  
٦٤ - روح المعاني: أبو الفضل شهاب الدين محمود اللوسي  
البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. ٦٥ -  
الرياض النضرة: أبو جعفر أحمد الشهير بالمحب الطبري (ت ٦٩٤ هـ)،  
دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. (ز) ٦٦ - زاد المسلم فيما اتفق  
عليه البخاري ومسلم: محمد حبيب الله بن سيدي أحمد (ت ١٣٦٣ هـ)،  
دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان. (س) ٦٧ - سنن ابن  
ماجة: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥ هـ)، دار الفكر،  
بيروت، لبنان. ٦٨ - سنن الدارمي: أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن  
الدارمي (ت ٢٥٥ هـ) دار الفكر، بيروت، لبنان. ٦٩ - السنن الكبرى:  
أبو بكر أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت ٣٠٣ هـ)، دار المعرفة،  
بيروت، لبنان. ٧٠ - السنة قبل التدوين: الدكتور محمد عجاج  
الخطيب، دار الفكر، بيروت، لبنان. ٧١ - السيرة النبوية: عبد الملك بن  
هشام الحميري (ت ٢١٣ هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.  
(ش) ٧٢ - الشافي في الإمامة: علي بن الحسين الموسوي  
(الشريف المرتضى) (ت ٤٣٦ هـ)، مؤسسة الصادق، قم، إيران.

#### [٤٤٥]

٧٣ - شرح التجريد: علاء الدين علي بن محمد القوشجي (ت ٨٧٩ هـ)،  
قم، إيران. ٧٤ - شرح سنن النسائي: جلال الدين السيوطي (ت  
٩١١ هـ)، المطبوع بهامش سنن النسائي، دار الفكر، بيروت، لبنان.  
٧٥ - شرح مسند أحمد: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر. ٧٦ -  
شرح نهج البلاغة: عز الدين أبو حامد بن هبة الله الحسين بن أبي  
الحديد (ت ٦٥٥ هـ)، القاهرة، مصر. ٧٧ - الشيعة بين الحقائق  
والأوهام (نقض الوشيعة): موسى جار الله: السيد محسن الأمين،  
بيروت، لبنان. (ص) ٧٨ - صحيح البخاري: إسماعيل بن إبراهيم  
الجعفي البخاري (ت ٢٥٦ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.  
٧٩ - صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري  
النيسابوري (ت ٢٦١ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. ٨٠ -  
صحيح مسلم بشرح النووي: أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي  
(ت ٦٧٦ هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان. ٨١ - الصديق أبو  
بكر: محمد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ٨٢ - الصواعق  
المحرقة: أحمد بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ)، القاهرة، مصر. (ض)  
٨٣ - ضحى الاسلام: أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.  
(ط) ٨٤ - طبقات الشافعية: تاج الدين السبكي (ت ٧٧١ هـ)، مصر.  
٨٥ - الطبقات الصغرى: أبو المواهب الشعراني (ت ٩٧٣ هـ)، القاهرة،  
مصر. (ع) ٨٦ - عبد الله بن سبأ: السيد مرتضى العسكري، دار  
الزهراء (عليها السلام)، بيروت، لبنان.

#### [٤٤٦]

٨٧ - عبقرية الصديق: عباس محمود العقاد، بيروت، لبنان. ٨٨ - العقد  
الفريد: أبو عمر بن عبد ربه الأندلسي، دار الكتاب العربي، بيروت،

لبنان. ٨٩ - العلو للعلي الغفار: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، السعودية. ٩٠ - عمدة القارئ: القاضي بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان. ٩١ - كون المعبود شرح أبي داود: شرف الحق محمد أشرف أبو عبد الرحمن الصديقي العظيم آبادي، دار الفكر، بيروت، لبنان. (غ) ٩٢ - الغدير: عبد الحسين أحمد الأميني النجفي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. (ف) ٩٣ - الفائق: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٨٣ هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان. ٩٤ - الفتاوى الحديثية: أحمد بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٤ هـ)، مصر. ٩٥ - فتاوى شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت. ٩٦ - فتح الباري في شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. ٩٧ - الفرق بين الفرق: عبدالقاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩ هـ)، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت، لبنان. ٩٨ - الفصول المهمة: علي بن محمد بن أحمد المالكي الشهير بابن الصباغ (ت ٨٥٥ هـ)، مكتبة دار الكتب، النجف، العراق. ٩٩ - الفقه على المذاهب الأربعة: عبد الرحمن الجزيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

#### [٤٤٧]

١٠٠ - فهرست الشيخ الطوسي: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم، إيران. (ك) ١٠١ - الكافي: أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت ٣٢٩ هـ)، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران. ١٠٢ - الكامل في التاريخ: عز الدين أبي الحسن الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان. ١٠٣ - كتاب سليم بن قيس: أبو صادق سليم بن قيس الهلالي الكوفي (ت ٧٦ هـ)، قم، إيران. ١٠٤ - الكشاف في تفسير القرآن: جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٢٨ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، إيران. ١٠٥ - كشف الظنون: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت ١٠٦٧ هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان. (ل) ١٠٦ - اللئلي المصنوعة: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان. (م) ١٠٧ - مجمع البيان: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٥٢ هـ)، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان. ١٠٨ - مجمع الزوائد: نور الدين علي بن أبي بكر الهيتمي (ت ٨٠٧ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. ١٠٩ - مجموعة الرسائل الكبرى: أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني الدمشقي (ت ٧٢٨ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان. ١١٠ - المحبر: أبو جعفر محمد بن حبيب، منشورات دار الافاق الجديدة، بيروت،

#### [٤٤٨]

لبنان. ١١١ - مروج الذهب: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦ هـ)، دار الاندلس، بيروت، لبنان. ١١٢ - المستدرک علی الصحیحین: الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٠٥ هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان. ١١٣ - مسند أحمد: أحمد بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان. ١١٤ - مسند الطيالسي: سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري (ت ٢٠٤ هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان. ١١٥ - مصابيح السنة: الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي (ت ٥١٦ هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان. ١١٦ - مفردات ألفاظ القرآن الكريم: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ)، إيران. ١١٧ - الممل

والنحل: محمد بن عبد الكريم بن أحمد المعروف بـ (الشهرستاني) (ت ٥٤٨ هـ)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر. ١١٨ - من لا يحضره الفقيه: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، قم، إيران. ١١٩ - مناقب أحمد بن حنبل: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، مصر. ١٢٠ - الموضوعات: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان. ١٢١ - الموطأ: مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان. ١٢٢ - الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، بيروت، لبنان. ١١٨ - من لا يحضره الفقيه: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١ هـ)، قم، إيران. ١١٩ - مناقب أحمد بن حنبل: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، مصر. ١٢٠ - الموضوعات: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان. ١٢١ - الموطأ: مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان. ١٢٢ - الميزان في تفسير القرآن: السيد محمد حسين الطباطبائي، بيروت، لبنان. (ن) ١٢٣ - النهاية: ابن الأثير المبارك بن محمد الجزري (ت ٦٠٦ هـ)، مصر. ١٢٤ - نهج البلاغة: الدكتور صبحي الصالح، قم، إيران.

---

#### [٤٤٩]

١٢٥ - نور الأبصار: مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي، منشورات الشريف الرضي، قم، إيران. (هـ) ١٢٦ - هدى الساري مقدمة فتح الباري: ابن حجر العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢ هـ). (و) ١٢٧ - وسائل الشيعة: محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان. ١٢٨ - الوشيعة في نقض عقائد الشيعة: موسى جار الله التركستاني. ١٢٩ - وفيات الأعيان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (ت ٦٨١ هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان. وهناك مصادر اخرى ورد ذكرها في ثنايا الكتاب.